شؤون فلسطينية

٤٣

آذار (مارس) ١٩٧٥

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤٣ — آذار (مارس) ١٩٧٥

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور أنيس صايغ .

٥ **الرد الحاسم في جنوب لبنان** ، المقدم الهيثم الايوبي .

١٦ **الجذور التاريخية العميقة للعلاقات العربية السوفياتية** ، كريم مروة .

٢٦ **سقوط سياسة الابتزاز او البحث عن تعايش سلمي متكافىء** ، الدكتور فيصل دراج .

٣٣ **عودة الى العالم الذي تريده واشنطن** ، الدكتور اقبال أحمد .

٥٩ **جيمس وليام فولبرايت : تقييم سياسي ومقابلة صحفية** ، سلمى حداد .

٧٤ **فرنسا والعرب واسرائيل وأمن البحر المتوسط (١٩٦٥ ــ ١٩٧٥)** ، عبد العال الباقوري .

٩٠ **الخيار النووي الاسرائيلي : ضرورة استراتيجية** ، محمود عزمي .

١٠١ **التمييز ضد المرأة الاسرائيلية** ، الدكتور أياد القزاز .

١١٤ **المقاومة في الفولكلور الفلسطيني (١٩٦٧ ــ ١٩٧٤)** ، نمر سرحان .

١٣٧ **اسرائيل وقرارات اليونسكو والحملة الاسرائيلية المضادة** ، ادريس الخالدي .

١٤٧ **مراجعات** : بأم عيني ، يوسف حمدان . قوة الفدائيين العرب ١٩٦٧ — ١٩٧٢ ، ماهر كيالي . اسرائيل والدول الشيوعية ، حسين ابو النمل .

١٦٥ **ثقافة** ، الياس خوري .

١٧٨ **تقارير** : تقرير وثائقي مقارن لقرارات الامم المتحدة المتعلقة بمصير فلسطين ، أعده سهيل الناطور . تزايد النفوذ الصهيوني في الكونغرس الاميركي ونتائجه على الصراع العربي — الاسرائيلي ، س. ح. كفرشوبا : التحدي ورد التحدي ، فرحان الصالح . أغنية تثير ضمير شعب ، عقيل هاشم . لجان دعم فلسطين في سويسرا ، س.ن.

٢٠٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية دوليا . (٢) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي . (٣) اسرائيليات ، صبري جريس وعبد الحفيظ محارب وحمدان بدر وحنه شاهين ويوسف حمدان . (٤) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٩٧٤/١١/١٣ — ١٩٧٥/٢/١٠ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

في لقاء ضم ممثلي عشرين مجلة فكرية وثقافية عربية عقد في طرابلس الغرب بمناسبة انعقاد ندوة الثقافة العربية للتعريب في الاسبوع الاخير من يناير ، أوصى الحضور بأن تتولى شؤون فلسطينية مهمة تصحيح الاخطاء الشائعة حول القضية الفلسطينية التي ترد في الصحف والكتابات العربية بشكل عام . فقد كان الحديث في ذلك اللقاء الصحافي — الفكري الذي يكاد يكون الاول من نوعه يدور حول دور وسائل الاعلام ، وخاصة المجلات الفكرية والثقافية ، في تعريب الكلمات وفي تعريف القارىء على الكلمات المعربة وفي وضع حد لتسرب الكلمات والمصطلحات الاجنبية الى اللغة العربية . وانتقل الحديث الى مشكلة اخرى قريبة منها ، وهي شيوع الاسماء العبرية للاماكن والمواقع الفلسطينية ، وهو خطأ ترتكبه الصحف العربية بشكل ملفت للنظر . وبالطبع يعود هذا الخطأ الى اجراءات اسرائيل بتبديل الاسماء العربية بالفاظ عبرية ، والى نقل وكالات الانباء الاخبار عن فلسطين المحتلة حسب الصيغة الاسرائيلية ، والى جهل بعض الكتّاب والمحررين العرب بالاسماء وبالمواقع الفلسطينية بحيث يأخذون الالفاظ العبرية كما ترد لهم ، من هنا أجمع الزملاء الملتقون في ندوة طرابلس على ان مجلة شؤون فلسطينية مدعوة لان تسهم في تصحيح هذه الاخطاء ، وغيرها من الاخطاء التي تتعلق بالقضية ، سواء من ناحية الوقائع التاريخية او الحقائق العلمية .

وشؤون فلسطينية ، اذ تعتز بهذه المهمة وتعرب عن استعدادها الكامل لان تلبي الواجب ، ترجو من كافة الاخوان والزملاء والكتاب والصحافيين العرب ، الذين يخامرهم الشك في صحة واقعة او في دقة تعبير او في مصدر اقتباس ، ان يستفسروها وهي مستعدة لان تحاول العثور لهم على الرد الصحيح ، معتمدة على ما في مكتبة مركز الابحاث من مصادر للمعلومات ووثائق وادبيات تعين الباحث .

وفي الوقت نفسه تلفت شؤون فلسطينية نظر هؤلاء الزملاء الى ان مركز الابحاث اصدر عددا من المنشورات التي تحتوي المعلومات التي يحتاجها الباحث كمراجع يعود اليها عند الحاجة ، للاحداث التاريخية ، لافكار المقاومة ، للمواقع الجغرافية ، لمؤسسات الكيان المغتصب ، للفكر الصهيوني ، لجرائم الاحتلال ، للثقافة الفلسطينية، لاقوال العدو ، ولعشرات المواضيع الاخرى التي تهم الكاتب العربي . وقد صدر عن مركز الابحاث في هذا الاسبوع فهرس كامل بمنشوراته ، في اللغات المختلفة ، في السنوات العشر الماضية . وبامكان من شاء الحصول عليه ان يتمكن من ذلك بمجرد الكتابة الى قسم التوزيع في المركز (او في المجلة) بطلب هذا الفهرس .

أ.ص.

الرد الحاسم في جنوب لبنان

المقدم الهيثم الايوبي

يمثل لبنان الحلقة العسكرية الاضعف في الطوق العربي المحيط باسرائيل . واذا قارنا امكانات لبنان مع امكانات دولتين من دول المجابهة : سورية والاردن ، وجدنا ان ضعف لبنان العسكري لا يعود الى ضآلة امكاناته البشرية او الاقتصادية أو التقنية . فسكان لبنان اكثر من سكان الاردن بضفتيه الشرقية والغربية ، وهم يعادلون نصف سكان سورية تقريبا(١) . ويبلغ الدخل القومي اللبناني العام رقما يزيد على الدخل القومي السوري ، ويعادل الدخل القومي الاردني مضروبا بـ ٢،٦(٢) . ولا يصل دخل الفرد السوري سنويا الى ٣٩٪ من دخل الفرد اللبناني السنوي ، كما لا يصل دخل الفرد السنوي في الاردن الى ٣٣٪ من دخل الفرد اللبناني سنويا(٣) . أما من ناحية القاعدة الثقافية والتقنية فان مستوى لبنان مماثل لمستوى الدولتين العربيتين المذكورتين في العديد من المجالات . ومتفوق عليه في مجالات اخرى (الامية، المستشفيات انورشات الميكانيكية ، المهندسون ، الاطباء ، الفنيون ... الخ) . ولا يمكن تفسير ضعف لبنان العسكري بالنسبة الى جيرانه الا من خلال فهم سياسته وتأثيرها على واقعه العسكري .

لقد دخل لبنان حرب ١٩٤٨ ضد اسرائيل الى جانب الدول العربية ، وقام بالدور العسكري الذي سمحت به امكاناته المحدودة كدولة حديثة الاستقلال ، وعندما عقدت الدول العربية اتفاقية رودوس في العام ١٩٤٩ ، عقد لبنان مع العدو اتفاقية مماثلة . ومنذ ذلك الحين حصل تطور ملموس في السياسة اللبنانية اخرج هذا القطر من معسكر المجابهة الذي يضم مصر وسورية والاردن . ولقد تمحور الخط السياسي اللبناني بعد ١٩٤٩ حول درء الخطر الاسرائيلي بالاعتماد على الضمانات الدولية لا على القوة الذاتية اللبنانية او العربية . وكان انصار هذا الخط يبررون قرارهم بالنقاط التالية :

١ — ان مرحلة ما بعد حرب ١٩٤٨ هي مرحلة دفاع لا هجوم . وطالما ان الدول العظمى لا تسمح بالهجوم على اسرائيل وتدمير البنية الصهيونية للدولة الجديدة ، وطالما أن اي جيش سيبنيه لبنان للهجوم سيكون معطلا عن الهجوم (دوليا) ، وسيتحول بالضرورة الى جيش دفاعي يمنع اسرائيل من تحقيق اهدافها التوسعية وتنفيذ أطماعها في جنوب لبنان ، فان بناء جيش ضخم ذي حجم هجومي عمل غير فعال للهجوم ، وهو في الوقت نفسه كثير التكاليف بالنسبة الى الدفاع ، خصوصا وان من الممكن تحقيق هدف الدفاع بالضمانات الدولية . ولقد زاد التركيز على هذه النقطة بعد صدور الضمان الثلاثي الاميركي الفرنسي البريطاني في العام ١٩٥٠ الذي ضمنت فيه الدول الكبرى الثلاث أمن اسرائيل وسلامة اراضيها .

٢ — ان بناء جيوش كبيرة في دول العالم الثالث ، وعدم تحديد هدف استراتيجي واضح ، يجعل هذه الجيوش تعيش حالة عطالة تامة تدفعها الى التدخل في سياسة الدولة، ومحاولة لعب دور مؤثر في تخطيط هذه السياسة بدلا من العمل كأداة لتنفيذ ها،

الامر الذي قد يقودها الى السير على طريق استخدام القوة للوصول الى السلطة ، والقيام بانقلابات عسكرية تحرم البلد من الاستقرار ، وتعرضه لهزات وصدامات تعرقل نموه . ومما لا شك فيه ان الانقلابات العسكرية التي شهدتها بعض البلدان العربية في الخمسينات ، وما نجم عنها من اضطراب اجتماعي واقتصادي ، قد عززت التركيز على هذه النقطة ، واعطتها طابعا محسوسا يمكن لمس آثاره بدون عناء .

٣ ــ ان السياسة الامنية لدولة ما (وبناء الجيش جزء من هذه السياسة) لا تشكل في حد ذاتها هدفا ، ولكنها وسيلة غايتها خلق الظروف المناسبة التي تسمح بتطبيق الاهداف التي تحددها سياسة الدولة . وبما ان سياسة الدولة لا تستهدف في تلك المرحلة المشاركة في حرب تحرير فلسطين ــ على اعتبار ان حرب التحرير غير ممكنة في الظروف الدولية القادمة ــ فانها تكتفي بحماية الوطن . والحماية ممكنة بعدة أساليب . وعلى الدولة ان تختار الاسلوب الاقل تكلفة طالما انه يحقق الغرض المنشود . وبناء القوة الذاتية هو اكثر الاساليب تكلفة من الناحية المادية ، على حين ان الضمانات الدولية اقلها تكلفة . لذا فان من الحكمة تحقيق الغرض دون تكاليف ، او مع الحد الادنى من التكاليف ، واستخدام مصروفات التسلح الباهظة في مجالات الانماء .

٤ ــ ان اسرائيل دولة قوية عسكريا ، وتسعى الامبريالية لجعلها دائما اقوى من الدول العربية المجاورة والقوى العربية البعيدة التي يمكن ان تصل الى مسارح القتال خلال فترات الحرب القصيرة الخاطفة . ولذا فان بناء القوات المسلحة اللبنانية لن يبدل موازين القوى لصالح العرب ، ولكنه سيدفع اسرائيل الى تعزيز جيشها بقوات اضافية تعدل الموازين من جديد ، ولن يؤدي الا الى استفزاز الدولة العسكرية الصهيونية ، وجعلها تتجه نحو الاعتداء على لبنان بحجة حماية امنها ، لان تبرير الاعتداء على لبنان المتعسكر اسهل من تبرير الاعتداء على لبنان المسالم . ولقد زاد التركيز على هذه النقطة بعد حرب ١٩٥٦ ، ووصل التركيز الى ذروته بعد حرب ١٩٦٧ ، وانتصار اسرائيل على ثلاثة جيوش عربية بآن واحد .

والحقيقة ان كل هذه النقاط قابلة للمناقشة والدحض . فمقولة مرحلة الدفاع لا الهجوم لا تثبت امام واقع اكيد وهو ان الانتقال الى الهجوم ، عندما تتبدل الظروف التي تفرض الدفاع ، لا يمكن ان يتم خلال اشهر ، لان بناء القوة الهجومية يتطلب اعداد الرجال والعتاد والكوادر خلال سنوات طويلة . ولا يمكن تحويل الجيش الصغير الى جيش كبير بمجرد استيراد الاف الدبابات والطائرات والمدافع وتكديسها ، ولا بد ان يكون هناك العنصر البشري المعد لاستيعابها ، والخبرات المتراكمة ، والكوادر المؤهلة لقيادة القطعات في الميدان . ومقولة الانقلابات العسكرية غير واردة ، حتى في العالم الثالث ، اذا ما تم خلق الانسان الواعي لحقوقه وواجباته والمستعد للدفاع عنها ضمن اطار التنظيمات الشعبية ، وخاصة اذا كانت الدولة قادرة على تأمين حقوق المواطنين بشكل يحرم الانقلابيين من المبررات النفسية للقيام بمغامرتهم . ومقولة الضمانات الدولية مهزوزة من أساسها ، ولا يمكن الاعتماد عليها لضمان أمن دولة من الدول ، ولا أدل على ذلك من أن حكومة اسرائيل ترفض هذه الضمانات ، مع انها حتى الان دولة قوية قادرة على الدفاع عن نفسها ، ولكنها تعرف ان السياسة الدولية قابلة للتبدل ، وانه ليس في السياسة صداقات دائمة او عداوات دائمة ، وانه ليس من حقها ان تعرض مجتمعها للخطر في حالة تبدل السياسة العالمية من جراء تبدل المصالح . اما مقولة ميزان القوى ، فهي تأخذ بعين الاعتبار مبدأ **القوة تخلق القوة المضادة** ، ولكنها تتجاهل أن خلق القوة خاضع لقانون الاشباع (الذي سنشرحه في

مقال مقبل تحت عنوان « العامل البشري في الصراع العربي الاسرائيلي ») ، وان امكانات اسرائيل البشرية المحدودة ستجعلها تصل الى نقطة الاشباع قبل العرب بحيث يتعطل قانون القوة تخلق القوة المضادة . وتصبح اية قوة عربية اضافية عبارة عن زيادة في ميزان القوى لصالح العرب لا تستطيع اسرائيل تعديلها .

واذا بحثنا عن خلفيات هذه النقاط كلها ، وجدنا أنها طرحت لتبرير موقف طبقي اتخذته الطبقات الاجتماعية — الاقتصادية المسيطرة لتأمين مصالحها ، ويتمثل هذا الموقف في الخروج من دائرة ضوء الصراع العربي — الاسرائيلي لجعل لبنان منطقة مستقرة ، تحتكر تجارة الترانزيت في المشرق العربي ، وتجتذب السياح العرب والاجانب ووكالات الشركات الاجنبية وخطوط الطيران العالمية ، وتجتذب قبل كل شيء رؤوس الاموال العربية الراغبة في الهدوء والتي لا تجد في اقطارها مجالات للاستثمار المجزي (رؤوس أموال من الدول النفطية قبل الانفتاح على الاستثمار في اوروبا واميركا) ، أو لا تجد في اقطارها الاستقرار الذي يضمن الاستثمار (رؤوس اموال من الدول العربية ذات التوجه الاشتراكي) . الامر الذي يؤمن لهذه الطبقات ربحا مباشرا او غير مباشر . ولقد وجدت الطبقات المسيطرة بالاضافة الى ذلك ان عدم بناء جيش قوي يؤمن لها فائدتين اضافيتين : اولاهما ، ان بناء مثل هذا الجيش يتطلب تجنيد كل افراد الشعب وتدريبهم وتمازجهم داخل بوتقة الثكنة ، وهذا امر يؤدي على المدى الطويل الى دمقرطة (Democratisation) القوات المسلحة وتجريدها من طابعها كفئة معزولة عن الشعب ومستعدة لضربه عند اللزوم ، والثانية ان تخفيض مصروفات التسلح يعني تحويل جزء من هذه المصروفات الى المشروعات العامة (مرافىء ، طرق ، شبكات سلكية ولاسلكية ، مدارس مهنية ... الخ) التي تستفيد منها الطبقات العليا المسيطرة بشكل غير مباشر ، لانها تسهل لها تسيير مشروعاتها الخاصة ، وتؤمن ازدهارها ، ولا يحتمل ان تدخل معها في تنافس ، طالما ان الدولة لن تتجه نحو مشاريع القطاع العام الصناعي والتجاري . كما ان جزءا من المصروفات سيتحول الى الخدمات الاجتماعية الصحية ، وزيادة رواتب الموظفين ، بشكل يزيد القوة الشرائية العامة ، ويزيد بالتالي الربح التجاري والصناعي . لهذه الاسباب مجتمعة تبنت الطبقات الحاكمة السياسة الجديدة التي كان من نتائجها صغر القوة المسلحة اللبنانية بالنسبة الى القوة المسلحة الموجودة في المنطقة . وانخفاض مجمل عدد افراد القوات المسلحة اللبنانية الى ما يعادل ١٢ ٪ من عدد افراد القوات المسلحة السورية ، و ٢٠ ٪ من عدد افراد القوات المسلحة الاردنية ، وانخفاض عدد الطائرات المقاتلة الى ٦ ٪ و٣٦ ٪ ، وانخفاض عدد الدبابات المتوسطة الى ٣٫٨ ٪ و١٢٫٥ ٪ (٤)، وتحول لبنان الى أضعف حلقة عسكرية في الطوق مع أن امكاناته البشرية والاقتصادية والتقنية تسمح له بأن يكون حلقة متوسطة اضعف من الحلقة السورية وأقوى من الاردنية .

ولقد كان من الممكن ان لا يصل لبنان الى هذا الوضع لو ان مخططي السياسة الامنية اللبنانية الجديدة وعوا الحقائق التالية : اولا : أن الضمانات الامنية الاميركية للبنان لا يمكن ان تماثل الضمانات الامنية الاميركية لاسرائيل . فلبنان دولة صديقة ، اما اسرائيل فدولة مرتبطة عضويا ومصلحيا مع الولايات المتحدة . واذا ما فرض على واشنطن التفضيل في موقف ما ، فضلت مصالح الدولة « الحليفة — الاداة » على مصالح الدولة الصديقة . ثانيا : ان الصداقة الاميركية للبنان ، وبالتالي ضماناتها ، مرهونة بمدى تغلغل الولايات المتحدة في المنطقة ، فعندما تكون دول المنطقة كلها معادية لواشنطن تتقرب واشنطن من لبنان ، وعندما تتقارب الدول الكبيرة في المنطقة

من واشنطن ، يفقد لبنان في نظرها جزءا كبيرا من اهميته ، ويصبح اهتمامها منصبا على كسب هذه الدول الكبيرة (وخاصة مصر) . ثالثا : ان هناك علاقة وثيقة بين الامن القطري والامن القومي . فكما ان زيادة قوة الدول العربية المجاورة لاسرائيل يشغل الدولة الصهيونية عن التفكير في الاعتداء على لبنان وتحقيق مطامعها فيه ، فان تدعيم القوة اللبنانية يزيد امكانية مجمل القوات العربية على ضرب اسرائيل او ردعها على الاقل . رابعا : ان المصالح البعيدة للفئات المسيطرة في لبنان لا تتحقق الا اذا تقزّمت اسرائيل او تدمرت بنيتها العنصرية الصهيونية . لان توصل اسرائيل الى قهر الارادة العربية سيؤدي الى انفتاحها على العالم العربي ، واحتلالها مكان لبنان في لعب دور الوسيط التجاري والمصرفي في المنطقة ، خاصة وان البنوك والشركات الكبيرة التي تسيطر عليها الصهيونية ستعمل على تعزيز مواقعها وفروعها في اسرائيل لا في لبنان ، وستجعل من اسرائيل الواجهة التجارية — المصرفية للرأسمالية العالمية في الشرق الاوسط . الامر الذي سيؤدي الى ركود الحالة الاقتصادية في لبنان وضياع كل المصالح القريبة التي ظنت الفئات المسيطرة انها قادرة على تحقيقها .

ورغم كل النقاط السلبية في السياسة الامنية اللبنانية ، فقد صمدت هذه السياسة حتى العام ١٩٦٧ ، وبقيت الحدود اللبنانية هادئة خلال ١٨ عاما . ولا يرجع السبب في ذلك الى أن الاسرائيليين نسوا مطامعهم في أرض لبنان ومياهه ، ولكنه يرجع الى انهم كانوا يستعدون لضرب القوتين العربيتين الاكبر (مصر وسورية) ، على اعتبار ان ضربهما سيؤدي الى قهر ارادة الامة العربية كلها ، والانتقال بعد ذلك الى اقتطاف الثمار في لبنان وغيره من الاراضي التي يطمعون بالوصول اليها . ولقد دفعهم الانتصار في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الى الاعتقاد بأن هدفهم غدا قريب المنال . وان الارادة العربية مضطرة للخضوع ودفع ثمن الهزيمة . ولكن صمود الجماهير العربية ، ودعم السوفييت لمصر وسورية ومساعدتهما على اعادة بناء قواتهما المسلحة ، وخطأ الاسرائيليين في تقدير طبيعة الانسان العربي وردود فعله ، وطمعهم وغرورهم ورغبتهم في حرق مراحل تحقيق الحلم الصهيوني ، أضاعت على الدولة الصهيونية اكثر من فرصة ، وخلقت الظروف الموضوعية لاندلاع الحرب الرابعة .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد دخل بعد حرب ١٩٦٧ عامل جديد لم يأخذه مخططو الاستراتيجية الاسرائيلية بالحسبان ، وهو : تصاعد عمليات الثورة الفلسطينية وانتشارها . ولقد كان الاسرائيليون ينظرون الى عمليات الثورة بلا مبالاة ، ويعتقدون ان انهيار الجيوش العربية سيؤدي الى انهيار القوة المسلحة الفلسطينية . ولكن مصادفات الاقدار جعلت هزيمة ١٩٦٧ تقدم للثورة عوامل جديدة زادت من قوتها ومن بينها: تطابق الهدف الاستراتيجي المرحلي للدول العربية (تصفية آثار العدوان) مع جزء من الهدف الاستراتيجي للثورة (تدمير البنية الصهيونية لدولة اسرائيل وبناء الدولة الديمقراطية) ، ورغبة الدول العربية المعنية في استمرار جذوة الصراع ، وانهيار العسكرية الاردنية بشكل سمح ببناء قواعد الثورة في الضفة الشرقية ، وظهور اسرائيل امام العالم بمظهر الدولة المعتدية ، وتزايد السكان العرب الخاضعين للاحتلال ، واتساع رقعة الارض المحتلة ، ... الخ . وكان على الاسرائيليين ان يتابعوا القتال بعد انتهاء الحرب . وان يجابهوا الثوار الفلسطينيين داخل الارض المحتلة وخارجها .

ولقد توصل الاسرائيليون الى الاعتقاد ، وخاصة بعد توقف حرب الاستنزاف على قناة السويس (١٩٧٠) ان قتل الثورة الفلسطينية في مهدها عمل عسكري محدود

ولكنه ذو بعد استراتيجي ، لانه يعني اسكات اخر بندقية عربية مشرعة في وجوههم . وكانت تقديراتهم تدور حول مقولتين : ان الدول العربية غير راغبة في القتال وغير قادرة عليه ، وان الانتصار على الثورة الفلسطينية مسألة ممكنة مع بذل جهد معقول ، اذا أمكن عزل قواعد الثورة الداخلية عن قواعدها في الخارج . خاصة وان قيام النظام الاردني قبل حرب ١٩٦٧ بتدمير الكوادر والتنظيمات النضالية في الضفة الغربية ، وتجريد الضفة من السلاح ، قد جعل القواعد الداخلية بحاجة مستمرة للاتصال مع القواعد الخارجية . وهكذا سارت اسرائيل في مجابهة الثورة الفلسطينية وفق خطة سياسية — اعلامية — اقتصادية عسكرية ، يتمثل جانبها العسكري بالنقاط التالية : ١ — عزل قواعد الداخل عن قواعد الخارج ، ٢ — تصفية قواعد الداخل ، ٣ — درء الهجمات التي تشنها قواعد الخارج على المناطق الحدودية ، ٤ — ضرب قواعد الخارج لتدميرها او ردعها ردعا مباشرا ، ٥ — الاعتداء على البلدان العربية المضيفة (الاردن ، سورية ، لبنان) لاجبارها على تقييد حركة الثورة الفلسطينية على أراضيها ، والحد من نشاطها عبر حدودها مع اسرائيل (ردع غير مباشر)(٥). ولقد تجسد تنفيذ النقطة الاولى في الحواجز التي بنتها اسرائيل على طول حدودها مع الاردن ، وتجسد تنفيذ النقطة الثانية في عمليات التصفية في الضفة والقطاع والتي أخذت حجما كبيرا بعد ايلول ١٩٧٠ ، وتجسدت النقطة الثالثة في المخافر والدوريات والكمائن وتسليح المستعمرات على طول الحدود الاردنية والسورية واللبنانية مع اسرائيل . وكان من مظاهر تنفيذ النقطة الرابعة قصف القواعد الخارجية بالطائرات، والاغارة بالقوات البرية او المحمولة جوا او قوات الكوماندوس البحرية على هذه القواعد ، وعمليات الاغتيال والتخريب الموجهة ضد قيادات الثورة ومؤسساتها الاعلامية ، اما تنفيذ النقطة الخامسة فقد تجسد في قصف المدن والقرى في كل من سورية والاردن ولبنان ، واختطاف السكان ، والقيام بعمليات احتلال وتمشيط للقرى الحدودية والانسحاب منها ، وقصف القرى الحدودية بنيران المدفعية بشكل دوري .

وكانت تأثيرات الردع غير المباشر في سورية محدودة ، وكانت في لبنان حتى عام ١٩٧١ معقولة ، على حين انها وصلت في الاردن الى الذروة القصوى ، ويرجع السبب في ذلك الى تركيز العدو على طبيعة النظام الاردني وقدرته على تعبئة الجيش ضد الثورة وربطه بالسلطة الحاكمة بشكل عشائري ، واعتقاد النظام بأن مشروع روجرز سيعيد اليه الضفة الغربية كليا او جزئيا ، وخوف هذا النظام من تنامي قوى الثورة بشكل يجعلها قادرة على المطالبة باعلان السلطة الوطنية في الضفة الغربية او اسقاط الحكم الهاشمي نفسه اعتمادا على ان ٨٠٪ من سكان المملكة و ٦٠٪ من سكان الضفة الشرقية نفسها من الفلسطينيين . ولقد أدت كل هذه العوامل الى قيام النظام الاردني بضرب الثورة الفلسطينية وتصفية قواعدها في الضفة الشرقية . وبخروج الثورة من الاردن زادت اهمية الساحة اللبنانية ، وزاد بالتالي نشاط الثورة الفلسطينية في الجليل ، وتصاعدت عمليات الردع المباشر وغير المباشر الاسرائيلية الموجهة الى الاراضي اللبنانية حتى وصلت الى ذروتها في اجتياح جنوب لبنان بقوات كبيرة ثم الانسحاب منه تحت تأثير الضغوط الدولية — الامريكية أساسا (١٦ — ١٧ ايلول ١٩٧٢) . وتوتر الموقف بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية حتى انفجر في أيار ١٩٧٣ . ولكن وجود عدد من العوامل (ميزان القوى ، موقف القوى الوطنية اللبنانية ، الموقف السوري ، احتمالات انتقال الصدام الى مستوى الحرب الاهلية ... الخ) ادى الى توقف الصدام دون تصفية قواعد الثورة في لبنان .

ويجدر بنا هنا ان نذكر ان الحالة الذهنية التي سادت اسرائيل بعد توقف حرب

الاستنزاف ، واعتقاد السلطات الصهيونية بانها غدت الارادة الوحيدة القادرة على رسم سياسات المنطقة وحدودها وطبيعة العلاقات بين دولها ، قد دفع الاسرائيليين الى التفكير جديا بتحقيق جزء من مخططهم التوسعي عن طريق احتلال جنوب لبنان . لذا كانت عملياتهم ضد قواعد الثورة وضد القرى اللبنانية تستهدف هدفا مزدوجا هو : ١ ــ تدمير القوة المسلحة الفلسطينية وردع السلطة اللبنانية ، ٢ ــ اعداد الراي العام العالمي ــ بشكل متدرج ومتصاعد ــ على تقبل فكرة احتلال جنوب لبنان تحت ستار دواعي الامن ، حتى يكون رد الفعل العالمي على هذا الاحتلال مترددا ومحدودا . ثم ضم المناطق اللبنانية المحتلة ، والضفة الغربية ، والجولان ، وسيناء ، وقطاع غزة الى اسرائيل مع الزمن ، اعتمادا على الامر الواقع المفروض ، وضعف التدخل العالمي ، وعجز العرب عن شن الحرب لاستعادة الاراضي المحتلة .

ولسنا هنا في معرض التنبؤ لتحديد ماذا كان من الممكن ان يقع بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية ، لو استمر جمود الموقف العربي بعد ايار ١٩٧٣ ، وتابعت الثورة الفلسطينية عملياتها في الجليل . ولكن بوسعنا القول، بناء على حقائق ملموسة، ان حرب ١٩٧٣ بدلت الكثير من عناصر الموقف فلقد استعاد لبنان ثقته بالجيوش العربية وقدرتها على القتال ، كما استعاد ثقته بقدرة الامة العربية على استخدام اسلحتها الاقتصادية والسياسية بكفاءة ، وصار من الواضح امام الطبقات الاقتصادية المسيطرة في هذا القطر ، ان عودة لبنان الى المعسكر العربي ، وتجسيد انتمائه التاريخي والبشري والجغرافي للامة العربية ، سيفتح امامه آفاقا واسعة ويساعده على متابعة مخططاته الانمائية وتحسين وضعه الاقتصادي (متابعة لعب دور الوسيط المصرفي والتجاري ، استيراد رؤوس اموال عربية ، استيراد ايدي عربية غير فنية ، تصدير عناصر مؤهلة تقنية للعمل في البلدان العربية ... الخ) . اما على الصعيد الفلسطيني ، فقد استفادت الثورة الفلسطينية من الوقت ، واعادت تنظيم صفوفها ، وطورت قواتها المسلحة وعملياتها العسكرية ، وصار بوسعها الاعتماد على الدرع العربي لتخفيف تأثيرات الردع غير المباشر ، وحصلت على اعتراف عالمي بحقوق الشعب الفلسطيني السياسية . ولقد اثر الوضع الجديد ايضا بشكل ملموس على الذهنية والمخططات الاسرائيلية . خاصة بعد ان وعت القيادة المعادية ان الدول العربية لا يمكن ان تسمح باستمرار الاحتلال ، وان الجيوش العربية لا تستطيع فقط شن الحرب ولكنها تستطيع الانتصار فيها ايضا ، وان الثورة الفلسطينية التي اندلعت قبل حرب ١٩٦٧ ، وتابعت النضال بعدها ، وشاركت في حرب تشرين الاول ضمن حدود طاقاتها ، لم تعترف بوقف اطلاق النار ، ولم تبد استعدادها لالقاء السلاح قبل تحقيق اهدافها الوطنية التحررية ، بل انها صعدت على العكس عملياتها داخل الارض المحتلة ، ولجأت الى اساليب اكثر تطورا واشد تأثيرا على قوى العدو المادية والمعنوية . ويعترف زئيف شيف المعلق العسكري لصحيفة هآرتس بأنه « حدثت زيادة ملموسة في عمليات « التخريب » خلال الاسابيع الاخيرة خصوصا في منطقتي يهودا والسامرة [الضفة الغربية] . وقد ركز على مناطق القدس وبيت لحم ورام الله، فلم يكن يمضي يوم واحد دون وقوع حادث « تخريب » ، او ــ على الاقل ــ محاولة « تخريب » ... ويدل هذا على ازدياد قوة منظمات « التخريب » في المناطق » ... « منذ بداية تشرين الثاني حتى منتصف كانون الاول ١٩٧٤ ، حدث نحو ٤٠ عملية ومحاولة « تخريب » . وكشفت دوائر الامن ، من جهة اخرى ، ست شبكات للمخربين [الفدائيين] ومساعديهم ، والقي القبض على كثيرين . ومن هذه الشبكات خمس في يهودا والسامرة ، وواحدة في قطاع غزة »(٦). ويرى شيف انه منذ مؤتمر الرباط

ودعوة منظمة التحرير الى هيئة الامم المتحدة ، تزايد عمل الفدائيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ، وتزايد عدد الاشخاص الراغبين في التطـوع في صفوف الثورة ، وحافظ الثوار على نشاط دائم « ففي كل يوم تقريبا تحدث عملية « تخريب » او علـى الاقل محاولة تخريب . والناطق بلسان الجيش الاسرائيلي لا يعلن معظم الحوادث . لذلك تلوذ الصحف الاسرائيلية بالصمت (باستثناء العمليات الكبيرة) . ولكن يسـود المناطق [المحتلة] شعور بأن الحكم الاسرائيلي مرتبك جدا »(٧).

وأمام كل هذه التحولات ، او بالاحرى بسبب هذه التحولات عادت اسرائيل الـى التوجه نحو ضرب قواعد الثورة الفلسطينية في الداخل والخارج . مستخدمة نفـس الاساليب التي اتبعتها قبل تشريـن الاول ١٩٧٣ ، واهمهـا : ١ ــ تصفية قواعد الداخل ، ٢ ــ شن حملات اعتقال واسعة بين صفوف المناضلين وذويهم ، ٣ ــ فصل قواعد الداخل عن قواعد الخارج بحاجز يشبه حاجز غور الاردن ويمتد من البحر الى جبل الشيخ ، ٤ ــ تعزيز الحراسات على المستعمرات وتسليح سكانهـا ، وتقويـة الكمائن والدوريات على الحدود ، ٥ ــ ضرب قواعـد الثورة الخارجية وقياداتهـا ومراكزها الاعلامية ، والاعتداء المستمر على مدن جنوب لبنان وقراه . واذا كانـت اهداف الاساليب الاربعة الاولى هي استمرار لاهداف اساليب مماثلة استخدمت قبل الحرب الرابعة ، فان اهداف الاسلوب الخامس قد تبدلت الى حد ما بمقدار ما تبدلت الظروف المحلية والعالمية .

لقد كان ضرب قواعد الفدائيين الخارجية يستهدف في الماضي تدمير هذه القواعـد ماديا ، ولكنه لا يكتفي الان بهذا الغرض ، بل يرمي ايضا الى تصفية الثورة معنويا ، وحرمانها من مواقعها السياسية التي انتزعتها بنضال طويل اجبر العالم على الاعتراف بشرعيتها وبدورها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . ويذكر اهارون ياريف ، وزير الاعلام الاسرائيلي السابق ان الوسيلة الوحيدة للتعامل مع الثوار الفلسطينيين هي « ضربهم قدر الامكان في قواعدهم ، وفي طريقهم الى الاهداف ، ومنعهم مـن تنفيذ مكائدهم فيها »(٨) . ودعا اوري دان الى « حرب ابادة وليس مجرد عمليات عقيمة ورذاذ عمليات ، او ضربات من قبيل تأدية الواجب » . . . « ان ربطـة العنق التي يحاولون شدها ، يمكن قطعها بالسيف الماضي فقط ، والذي لن يسلط على بـيروت وحدها ، بل على بغداد وطرابلس ودمشق ايضا ، وعلى كل مكان تركنا فيه زعمـاء « المخربين » يزدادون قوة »(٩). وذكرت دافار ان منظمات « الارهاب » العـربيـة « ستبقى خارج القانون . . .وان الحرب ضدها ستستمر دون اعتبار الاعتراف العربي والدولي الذي منح لها »(١٠). وبالاضافة الى ذلك ، فان ضرب قواعد الثورة وقياداتها يستهدف حرمان الثورة من امكانية لعب دور المفجر في المنطقة ، ونقل الصدام مـن مستوى الصدام الفلسطيني ــ الاسرائيلي الى مستوى الصدام العربي ــ الاسرائيلي. ولقد اشار حاييم ايزاك الى هذه النقطة عندما قال في معرض الحديث عن عمليـات الفدائيين على اثر عملية سينما « حين » في تل ابيب « ينبغي الا تأخذ ردود الفعل عليها ابعادا مبالغا فيها تنطوي على تصعيد النزاع مع جيوش الدول المجاورة . . . ويجب الا نمنح المخربين [الفدائيين] مرادهم الاساسي ، وهو اجبارنا على خوض حـرب لا نريدها »(١١).

وكان الغرض من ضرب الاهداف اللبنانية كمـا رأينا ، فصل ارتبـاط اللبنانيين مع الفلسطينيين ، ودفع الطرفـين الى صـدام مسلـح على غرار الصـدام الاردني ــ الفلسطيني ، واعداد الرأي العام لتقبل فكرة احتلال جنوب لبنان . اما اليوم فان هذا

الضرب يرمي الى تحقيق اغراض متعددة : اولا ، فصل اللبنانيين عن الفلسطينيين ودفعهم الى الصدام . وهذا هدف قديم لا تزال اسرائيل تسعى الى تحقيقه . ولقد ذكر وزير دفاع العدو ، شمعون بيريس ، بعد بدء الاغارة على « كفرشوبا » في ١١ كانون الثاني ١٩٧٥ : « ان معظم العمليات التي نقوم بها في الشمال محسوبة لغاية الحد المطلوب لتأمين سلامة مستوطنات الشمال ، والى جانب ذلك ، للضغط على لبنان للتصرف كدولة ذات سيادة »(١٢). وليس هذا الحديث في جوهره سوى طبعة حديثة لتهديدات مائير ودايان واليعازر قبل حرب ١٩٧٣ . ثانيا ، **منع لبنان من التوجه نحو المعسكر العربي المحارب** ، لان مثل هذا المنع يؤدي الى تقصير حدود اسرائيل ، وحرمان القوات المسلحة العربية من قوة رديفة تضاف الى موازين القوى . ولقد زاد اهتمام اسرائيل بهذه المسألة منذ ان اعلن عن موعد لقاء الرئيسين الاسد وفرنجية في شتورا خلال شهر كانون الثاني ١٩٧٥ واحتمال دخول قوات سورية الى لبنان . ولقد اعتبر زئيف شيف ان دخول مثل هذه القوات عمل « ذو مغزى بعيد الاثر » ورأى انه يعني عسكريا « سيطرة سورية على ممرات مريحة اكثر في شمالي اسرائيل ، ومحاولة تطويقها من جهة ثانية . وواضح ان اسرائيل لا تستطيع تجاهل ذلك ، لا لان لبنان سيفقد موقعه الخاص في نظرها فحسب ، بل لانه سيتوجب عليها التصدي للاخطار المرتقبة »(١٣) ولجأ شمعون بيريس الى تهديد لبنان بقوله : « لا تستطيع اسرائيل تجاهل ان قوات غير لبنانية هدفها عدائي لاسرائيل ، تهدد دون انقطاع ، ليس توازن لبنان وسلامته فحسب ، وانما امن الحدود الشمالية لاسرائيل وسلامتها ايضا » ... « لا حاجة لنا باسداء النصح للبنان بالنسبة الى اموره بالذات ، ولكن بالنسبة الى موقفنا فالامر واضح . يصعب علينا ان نرى استقلال لبنان يتآكل على يد تشكيلة من منظمات الارهاب ، مجردة من كل مسؤولية ، وتحت ضغط من محاولات مقنعة لافتراس استقلاله . وهذا الامر مهم جدا بالنسبة الى أمن اسرائيل »(١٤). وكان تهديد رئيس اركان العدو ، مردخاي غور اكثر وضوحا ودقة ، فلقد قال في مقابلة مع اذاعة الجيش « اذا نصبت أسلحة على أرض لبنان ، من دولة عربية اخرى ، او ارسلت اليها قوات منها ، فسنضطر الى اعتباره دولة مواجهة ، ونسلك تجاهه بما يتلاءم وذلك »(١٥). ويمكن القول ان تهديد اسرائيل المترافق مع العمل العسكري المحدود في جنوب لبنان وسيلة لفك الارتباط اللبناني ــ العربي ومحاولة لاعادة هذا القطر الى وضعه المحايد السابق . ثالثا ، **تعطيل خطوات الحل السلمي** بعمليات محسوبة وتصعيد مدروس لا يؤدي الى الحرب الشاملة ولكنه يخلق مناخا غير ملائم للبحث عن حل تخشى اسرائيل نتائجه ولا تريد دفع ثمنه . ولقد برهن تاريخ الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ ان اسرائيل تخشى السلام وتتهرب منه ، وهي اليوم تخشى السلام والحرب معا ، ولكن خوفها من السلام اكبر . ويهمها ان تبقى الامور معلقة بين الحرب والسلام ، ولكن اذا فرض عليها ان تختار ، فان غالبيتها تختار الانسحاب الى امام (الحرب) ، رغم معرفتها بأن هذه الحرب لن تحل مشاكلها . رابعا ، **رفع معنويات المواطنين الاسرائيليين داخل الارض المحتلة واحباط معنويات العرب داخل الارض المحتلة وخارجها** عن طريق تحقيق انتصارات عسكرية جزئية رخيصة الثمن ضد الحلقة العسكرية العربية الاضعف . خامسا ، **الاعداد لحرب خامسة** . والحقيقة ان هذا الغرض حل محل غرض قديم وهو احتلال جنوب لبنان واستثمار مياهه واراضيه . ذلك لان وضع اسرائيل اليوم مختلف عن وضعها قبل حرب ١٩٧٣ . واذا كان زعماء الدولة الصهيونية قد فكروا قبل تشرين الاول بالتوسع والاحتلال ، فانهم يفكرون اليوم بالطريقة التي تسمح لهم بأن يتخلوا عن

اصغر جزء ممكن من الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧، رغم الضغوط الدولية والعربية عليهم . وليس من المعقول ان يفكر الاسرائيليون باحتلال اراض جديدة وهم يستعدون للتخلي عن اراض محتلة . بيد ان اسقاط الغرض القديم لا يعني سوى ابعاده مؤقتا عن جدول الافضليات الاسرائيلية ، وتركه كغرض ممكن ، تتم العودة اليه اذا ما تبدلت الظروف وموازين القوى . واذا كان دخول الاراضي اللبنانية يستهدف في الماضي تعويد العالم على اجتياز القوات الاسرائيلية لحدود دولة مجاورة تمهيدا لتعويده على احتلال هذه القوات للارض ، فان دخول الاراضي اللبنانية يستهدف اليوم تعويد العالم على فكرة اجتياز الحدود تمهيدا لتعويده على تقبل فكرة الالتفاف على الجبهة السورية عبر الاراضي اللبنانية ، سواء كان هذا الالتفاف بعيدا يصل الى طرابلس فحمص ويطوق دمشق من الشمال الشرقي ، ام كان قريبا يصل الى سهل البقاع ويطوق الجولان من الغرب . وبالاضافة الى ذلك ، فان دخول القوات الاسرائيلية الى الاراضي اللبنانية وانسحابهم منها عدة مرات ، يخلق لدى السوريين الانطباع بأن العمليات الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية ، محدودة ومؤقتة ، وانها ستنتهي بالانسحاب ، الامر الذي يسهل على الاسرائيليين مفاجأة السوريين بعملية الالتفاف عندما تقرر قيادة العدو تنفيذ هذه المهمة ، ويفقد القيادة السورية ساعات هامة قد تجعل رد فعلها متأخرا او محدودا . وهذا ما يسمى بالعلم العسكري **تليين فكر قيادة الخصم ، وتخديره عن طريق التعويد ، لحرمانه من اتخاذ القرار السريع المناسب في الوقت المناسب .**

ان الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان حرب مستمرة متصاعدة ، بدأت مرحلتها الجديدة بعد حرب تشرين ، ولا تزال قائمة حتى اليوم . وتقف القوات اللبنانية والفلسطينية لوحدها في مجابهة هذه الاعتداءات ، ولا يسمح حجم القوات اللبنانية او تسليحها برد العدوان ، الامر الذي يضعها في موقف استراتيجي سيء نابع عن قرار سياسي سابق لم يعد له ما يبرره في ظل الاوضاع الجديدة السائدة في المنطقة . ومن المستبعد ان يتبدل هذا الموقف الاستراتيجي السيء بسرعة الى موقف افضل ، حتى لو لجأ لبنان الى تدعيم قواته المسلحة ، ووضع خطة دفاعية سليمة ، لان شراء الاسلحة واستلامها واستيعابها وخلق الوحدات اللازمة لاستخدامها يتطلب عدة سنوات ، على حين ان مسألة الدفاع ملحة ويومية وضاغطة .

اما القوات الفلسطينية ، فان حجمها وطبيعتها وتكتيكاتها العصابية لا تسمح لها بخوض معركة دفاعية كلاسيكية . وهي تقوم بدورها في الصمود امام العدوان مستخدمة الاسلوب المتلائم مع تكوينها الذاتي . وكل مطالبة لها بالتخلي عن هذا الاسلوب (الدفاع الديناميكي العصابي المرن)(١٦) يعني تجريدها من أهم اسلحتها (المرونة ، والمفاجأة ، والحركية) ، ودفعها الى التورط في معركة انتحارية غير متكافئة .

ومن الواضح ان اسرائيل ستستمر في ضرب الحلقة اللبنانية ــ الفلسطينية في المستقبل . وسينتج عن ذلك أحد الوضعين التاليين :

١ ــ اذا بقيت الجبهة اللبنانية الفلسطينية وحيدة ، استغل الاسرائيليون الموقف لتحقيق اغراضهم ، وفرغوا جنوب لبنان من سكانه ، وجعلوه ارضا محروقة . وقد يؤدي ذلك الى تشجيع القوى الانعزالية على المطالبة بابتعاد لبنان عن القضية العربية ، كما قد يؤدي الى صدام لبناني ــ فلسطيني ، رغم النوايا الطيبة والمحاولات الجادة لتلافي وقوع هذا الصدام . ولن يتبدل الامر في جوهره كثيرا حتى لو أدى

وضع لبنان الداخلي الى منع الصدام ، لان العدو سيجعل من جنوب لبنان منطقة حرام تفصل بين قوات الثورة الفلسطينية ومستعمرات الجليل ، وسيحقق من جراء ذلك أمن هذه المستعمرات ، ويجرد الثورة الفلسطينية من حرية العمل .

٢ ــ اذا احس الاسرائيليون أن متابعة الضغط على جنوب لبنان ستؤدي الى اندلاع القتال على معظم الجبهات . وبدء حرب خامسة شاملة ، تستخدم فيها الامة العربية كل قواها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، اصبح السيف العربي المسلط في الجولان وسيناء وعبر نهر الاردن درعا لقرى الجنوب وقوى الثورة الفلسطينية . ولكن هذا لا يعني ان على لبنان ان يكتفي بهذا الدرع ، ويطلب من العرب ان يقاتلوا نيابة عنه ودفاعا عن ارضه ، ولكنه يعني اعطاء لبنان الحماية العسكرية غير المباشرة ريثما يعيد بناء قواته المسلحة ويتحول الى دولة مجابهة فعالة . ولكن الحماية غير المباشرة لا تغني عن الحماية المباشرة التي يستطيع لبنان تأمينها بقواه الحالية بعد دعمها باسلحة وقوات عربية . وهنا ستكون القوات العربية المستعدة للانقضاض على اسرائيل الرادع الذي سيمنع اسرائيل من الاعتداء على لبنان بحجة استقبال اسلحة وقوات عربية .

وهكذا فان ايقاف الغطرسة الاسرائيلية ، وحماية امن وارواح وممتلكات سكان جنوب لبنان ، والحفاظ على جذوة الثورة الفلسطينية متقدة ، يتطلب عملا عربيا يتم على مراحل : **المرحلة الاولى** ، اتخاذ قرار سياسي عربي بشن الحرب اذا ما اعتدت اسرائيل على لبنان ووضع المخطط الكفيل بتنفيذ هذا القرار . **المرحلة الثانية** ، تزويد لبنان باسلحة وقوات عربية لتدعيم صموده مع الاستعداد لشن حرب شاملة اذا ما ردت اسرائيل على هذه الخطوة بعمل عسكري مضاد . **المرحلة الثالثة** بناء القوات المسلحة اللبنانية (خدمة العلم ، برنامج تسليح كثيف بأموال لبنانية وعربية مع الافادة من مصادر التسليح الفرنسية والسوفييتية) وتحويل لبنان الى دولة مجابهة . **المرحلة الرابعة** ، سحب القوات والاسلحة العربية بعد ان يصبح حجم القوات المسلحة اللبنانية قادرا على الدفاع عن القطر ، ضمن اطار منظومة الدفاع العربي .

ان حماية جنوب لبنان مسألة عربية ــ لبنانية ، والدفاع عن قضايا العرب، واهمها قضية فلسطين ، مسألة عربية ــ لبنانية ايضا . والى أن يتم وعي هذه الحقيقة واقرارها ، فأن الجنوب معرض للخطر ، ومنجزات الثورة الفلسطينية معرضة للخطر . ولا تستطيع الاموال التي قررها مجلس الدفاع العربي خلال شهر شباط الماضي درء هذا الخطر ، حتى لو بلغت مليارا من الدولارات ، لانها تساعد على تنفيذ جزء من المرحلة الثالثة دون المرور في المرحلتين السابقتين . وهذا امر مخالف لطبيعة الاشياء ، وللتسلسل المنطقي الذي يحكم مسألة الصراع مع عدو يهدد بمهاجمة جيرانه اذا ما مارسوا حقهم في بناء قوة عسكرية للحفاظ على امنهم وسلامة اراضيهم . وتبقى الاموال العربية المخصصة للدفاع عن لبنان ضرورية ولكنها غير كافية ، وليس من المعقول ان تستمر اذا بقيت ميزانية الدفاع اللبنانية الذاتية على معدلها الحالي الصغير (٣،٩٩٪ من الدخل القومي في العام ١٩٧٣ و ٥٪ في العام ١٩٧٤) في الوقت الذي تقتطع به دول المواجهة الاخرى نسبة كبيرة من دخلها القومي لشؤون الدفاع .

وخلاصة القول ان الدفاع عن جنوب لبنان ، والثورة الفلسطينية بالتالي ، يتطلب النظر الى المسألة بمنظار قومي ، والسير وفق مراحل استراتيجية متعاقبة متكاملة . ولا يتطلب السير وفق هذه المراحل الاستراتيجية سوى اتخاذ قرارين سياسيين : قرار عربي باعلان الحرب على جميع الجبهات اذا ما اعتدى العدو على لبنان ، وقرار

لبناني بالتحول الى دولة مجابهة . وبعد اتخاذ هذين القرارين تصبح مسألة اعداد الدفاع مسألة عسكرية تقنية بحتة .

---

١ — يبلغ عدد سكان الدول الثلاث سورية والاردن ولبنان على التوالي : ٧،١٣٠،٠٠٠ ، ٢،٦٤٠،٠٠٠ ، ٣،١٤٠،٠٠٠ .
The Military Balance 1974-1975 (iiss).

٢ — يبلغ الدخل القومي للدول الثلاث سورية والاردن ولبنان على التوالي بالدولار (عام١٩٧٣) ٢،٥٣ مليار ، ٠،٨ مليار ، ٢،٩ مليار .

٣ — يبلغ الدخل السنوي للفرد في الدول الثلاث سورية والاردن ولبنان على التوالي ، بالدولار (عام ١٩٧٣) ٣٥٥ ، ٣٠٠ ، ٩٢٣ .

٤ — ان مجمل عدد القوات المسلحة في سورية والاردن ولبنان على التوالي : ١٣٧،٥٠٠ ، ٧٤،٨٥٠ ، ١٥،٢٥٠ . ومجمل عدد الطائرات الحربية على التوالي : ٣٠٠ ، ٥٠ ، ١٨ ، ومجمل عدد الدبابات المتوسطة على التوالي : ١٦٠٠ ، ٤٩٠ ، ٦٠ .

٥ — أنظر مقال « العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية » ، مجلة شؤون فلسطينية عدد رقم ١٧ (كانون الثاني ١٩٧٣) .

٦ — هآرتس ١٩٧٤/١٢/٢٦ .

٧ — المرجع نفسه .

٨ — عال همشمار ، ١٩٧٤/١٢/١٣ .

٩ — معاريف ، ١٩٧٤/١٢/١٢ .

١٠ — دافار ، ١٩٧٤/١٢/١١ .

١١ — دافار ، ١٩٧٤/١٢/١٦ .

١٢ — (ر.أ.ا.ا.) رقم ٧٢٨ تاريخ ١٩٧٥/١/١٦.

١٣ — هآرتس ، ١٩٧٤/١/١٥ .

١٤ — هآرتس ، ١٩٧٥/١/٧ .

١٥ — دافار ، ١٩٧٥/١/١٢ .

١٦ — أنظر مقال المقاومة الفلسطينية في الدفاع الديناميكي المرن ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ١٩ ، آذار ١٩٧٣ .

دروس الحرب الرابعة

بقلم

المقدم الهيثم الايوبي

منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

يتحدث هذا الكتاب عن الاساليب العلمية لاستنباط دروس الحرب ، كما يتحدث عن الدروس التي يمكن تعلمها من حرب تشرين الاول ١٩٧٣ في مجالي الاستراتيجية والاستراتيجية العليا.

اطلبه من مركز الابحاث — قسم التوزيع ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

سعر النسخة ٢ ل.ل. ، يضاف اليها بدل اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢١/٢ ل.ل. في سائر الدول .

الجذور التاريخة العميقة للعلاقات العربية السوفياتية

كريم مروة

تتعرض العلاقات العربية السوفياتية في الوقت الراهن لصعوبات تحاول بعض القوى اليمينية في حركة التحرر الوطني العربية الانطلاق منها من أجل القيام بتغيير في تحالفات الحركة على الصعيد الدولي . وفي تقدير هذه القوى ان مثل هذا الامر من السهولة بحيث أنها تستطيع بمجرد قرار تتخذه ، من المواقع التي تحتلها ، ان تحدث تغييرا في العلاقة مع الاتحاد السوفياتي . وهي لا تدرك بالطبع ان القضية اكبر مما تتصور واكثر تعقيدا . فما نسميه « العلاقات العربية السوفياتية » ليس مجرد علاقات بين دولة ودولة اخرى ، وليس مجرد علاقة بين دولة كبرى ودولة صغرى ، بل هي علاقة موضوعية بين الثورة الاشتراكية ، بشخص القوة الطليعية فيها ، الاتحاد السوفياتي ، وبين حركة التحرر الوطني العربية ، بمضمونها كحركة معادية للامبريالية ومناضلة من أجل التقدم الاجتماعي . وهذه العلاقة الموضوعية لم تنشأ تاريخيا بالصدفة ، ولم تكن نتيجة موقف ذاتي او بفعل قرار عفوي مؤقت اتخذه قائد سياسي هنا او هناك ، بل جاءت نتيجة التقاء موضوعي خلال الكفاح ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطني والاشتراكية ، ولذلك فليست الادارة الذاتية هي التي تقرر مصير هذه العلاقة ، بل يقررها ، مرة ثانية ، الالتقاء الموضوعي في النضال المشترك ضد العدو المشترك ومن أجل الاهداف المشتركة . ومن هنا نستطيع ان نجزم منذ البدء بأن المحاولات الجارية في البلدان العربية لوضع العلاقات العربية السوفياتية في ظروف الازمة ، انما هي محاولات خبيثة تتعارض مع المصالح الحقيقية للشعوب العربية ، وسوف لن يكتب لها النجاح . فالقوى الاجتماعية التي تدرك عمق هذه العلاقات ومحتواها الحقيقي هي في نهاية المطاف القوة الاكبر تأثيرا ، لانها القوة الاصدق تعبيرا عن مطامح هذه الحركة .

أننا في تأكيدنا على موضوعية العلاقات العربية السوفياتية ننطلق من موضوعية العلاقة بين الثورة الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطني . فالثورة الاشتراكية التي تصدت للنضال ضد الرأسمالية ونظامها الامبريالي العالمي ، وضعت في مقدمة أهدافها تحرير الشعوب من الحكم الاستعماري ونهب الاحتكارات الامبريالية . وأول ما قامت به السلطة السوفياتية بعد انتصار ثورة اكتوبر بقيادة لينين لم ينحصر بما تضمنه مرسوم السلام وما كشفته هذه السلطة من اتفاقيات استعمارية سرية كأتفاقية سايكس ــ بيكو ، بل يشمل بشكل أعم التوجه نحو شعوب البلدان المستعمرة للالتفاف حول الدولة السوفياتية ، دولة العمال والفلاحين ، والنضال معها في اطار حركة واحدة ضد الامبريالية العالمية . فالثورة الاشتراكية ، كما أكد لينين ، لم تكن ، ولم يكن من الممكن ان تكون ، فقط ، عبارة عن نضال البروليتاريا الثورية في البلدان الرأسمالية

ضد برجوازيتهـا ، بل نضال هذه البروليتاريا وشعوب البلـدان التابعة والبلدان المضطهدة ضد الاستعمار العالمي . واستند لينين في تأكيده هذا الى ان شعوب الشرق انما تمثل بأكثريتها اصدق تمثيل المصالح الاساسية لجماهير الكادحين ، جمـاهير الفلاحين المستثمرين الرازحين تحت وطأة ظلم القرون الوسطى . كما اسـتند الى واقع ان القومية البرجوازية التي تستيقظ لدى هذه الشعوب ، هي قومية لها مبرر تاريخي ، قومية مضطهدة طامحة الى تحقيق تحررها . وحين توجه لينين الى المنظمات الشيوعية لشعوب الشرق طرح أمامها ضرورة ادراك هذه الحقائق مؤكدا انه ينبغي ان يجري النضال من أجل افهام الجماهير الكادحة والمستثمرين في هـذه البلدان ، باللغة التي يستطيعون ان يفهموها ، انه لا سبيل الى تحررها الا بانتصار الثـورة الاشتراكية ، وان البروليتاريا العالمية هي الحديث الوحيد لجميع الجماهير الكادحة ولفئات الملايين من المستثمرين من شعوب الشرق . واعتبر لينين ان حركـة هذه الشعوب ، في مرحلة استيقاظها ، ستجعلها تسهم بشكل عميق ، ليس فقط في تقرير مصيرها ، بل في تقرير مصير البشرية بأسرها . (راجع : تقرير لينين في المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق في روسيا) .

واذا عدنا الى الوقائع التاريخية نستطيع ان نتبين التأثير العميق الذي أحدثتـه ثورة اوكتوبر الاشتراكية في البلدان المضطهدة بما في ذلك البلدان العربية . فقد أصبح معروفا ان ثورة مصر (١٩١٩) وثورة العراق (١٩٢٠) وثورة الريف (١٩٢١) ، وثورة سوريا (١٩٢٥) بالاضافة الى مجموعة من الثورات في بلدان شرقية غـير عربية ، انما استلهمت مثال ثورة اوكتوبر . وقد أقام قادة هذه الثورات علاقـات معروفة مع السلطة السوفياتية وتبادلوا الرسائل مع لينين (سـعد زغلول وابراهيم هنانو وشكيب أرسلان) ، وقد لقيت هذه الثورات تأييد وتضامن الدولة السوفياتية . وفي عام ١٩٢٠ وتلبية لنداء لينين ، عقد المؤتمر الاول لشعوب الشرق في باكو بحضور مندوبين عن حركات التحرر الوطني في مصر والجزيرة العربية وسوريـا وفلسطين . وجاء في البيان الصادر عن المؤتمر : « **ماذا فعلت انجلترا بمصر حيث يرزح السكـان المحليون منذ ٨٠ سنة تحت وطأة نير الرأسماليين الانكليز ، هذا النير الاثقل والاكثر تدميراً ، بالنسبة للشعب ، من نير الفراعنة المصريين ؟ ...** »

وقد كان هذا الالتقاء بين حركات التحرر الوطني والدولة السوفياتية التقاء طبيعيا لان شعوب الشرق وجدت في انتصار ثورة اوكتوبر وقيام الدولة السوفياتية آفاقـا حقيقية لانتصارها لم تكن متوفرة قبل ذلك . فقد كانت الرأسمالية في أوج تطورها وفي أعلى مراحلها ، مرحلة الامبريالية ، مرحلة تقسيم العالم واعادة تقسيمه . بكـلام اخر ، في هذه المرحلة ، ظهرت بوضوح استحالة تحول برجوازية البلدان المضطهـدة الى برجوازية مستقلة ووجدت نفسها أمام طريقين لا ثالث لهما : اما أن تبقى خاضعة لنظام النهب الاستثماري وتتخلى عن المطامح القومية لشعوبها ، او أن تتحالف مـع الثورة الاشتراكية في النضال من أجل تحرر شعوبها وبناء دولها المستقلة . وبالطبع لم يكن الاختيار في هذه البلدان بنفس المستوى ولم يكن سهلا . وكان هذا في أسـاس التمايز في الحركة الوطنية الثورية في هذه البلدان ، التمايز الذي لا نزال نشهد تطوره وتعمقه حتى يومنا هذا .

وعلى امتداد السنوات التي اعقبت انتصار ثورة اوكتوبر ، وفي مرحلـة نشاط الاممية الثالثة الشيوعية ، واهتمامها بالنضال الوطني الثوري في هذه البلدان ، جرت انتفاضات ثورية عديدة ، واستقلت بعض البلدان ، ونشأت واتسعت بفعل الممارسة

السياسية الملموسة للاتحاد السوفياتي ، في جمعية الامم وخارجها ، علاقات مع بعض الدول العربية ومع الحركات الوطنية فيها . ففي عام ١٩٢٦ اعترف الاتحاد السوفياتي باول دوله مستقله في الجزيره العربية ، الحجاز ونجد ، التي أصبحت عام ١٩٣٢ المملكة العربية السعوديه ، وكان الاتحاد السوفياتي بذلك أول دولة تعترف بهذه الدولة العربية المستقله . بعد ذلك جرى تبادل الرسائل بين رئيس الدولة السوفياتية كالينين والملك عبد العزيز بن سعود ، اكد فيها كالينين تاييد الاتحاد السوفياتي ودعمه لمطامح الشعوب العربيه في الوحده القومية والتقدم الاقتصادي . وفي عام ١٩٣٢ قام الامير فيصل (الملك الحالي) بزيارة للاتحاد السوفياتي اسفرت عن تقديم معونات اقتصادية للمملكة العربية السعودية تتضمن السكر والطحين والمنسوجات .. وكذلك البترول . وفي عام ١٩٢٨ عقدت في صنعاء معاهدة تجارة وصداقة بين الاتحاد السوفياتي واليمن . ولم يكن بمقدور البلدان العربية الاخرى ، التي كان قادة بعضها يرغبون في اقامة علاقات مع الاتحاد السوفياتي ، اقامة هذه العلاقات لان تقرير ذلك كان في يد سلطات الانتداب والاحتلال ، وهنا لا بد من الاشارة ، على سبيل المثال لا الحصر ، الى موقف الاتحاد السوفياتي في جمعية الامم . فقد وضع الاتحاد السوفياتي منذ دخوله عضوا في جمعية الامم عام ١٩٣٤ تحفظا واضحا حول المادة ٢٢ من ميثاق الجمعية المتعلق بنظام الانتداب ورفض المشاركة في أعمال اللجان المرتبطة بهذه المادة . وكان هذا الموقف منسجما مع مواقفه السابقة ، ولا سيما ما ورد في المذكرة التي قدمها سنة ١٩٢٣ لحكومات انجلترا وفرنسا وايطاليا التي جاء فيها ان حكومة روسيا ترفض هذا الشكل الجديد للوصاية الدولية (راجع مجلة « الحياة الدولية » ، العدد ٩ ــ ١٩٧٤) .

الا ان الظروف لم تلبث ان تغيرت بشكل اساسي خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها في ضوء الانتصارات التي حققتها الجيوش السوفياتية على الهتلرية . فقد نشأ وضع دولي جديد تميز بتكون منظومة اشتراكية عالمية ونهوض عاصف في حركة التحرر الوطني . وكانت هذه المرحلة ، مرحلة ما بعد الحرب ، مرحلة تفكك نظام الحكم الكولونيالي ، وعلى انقاضه تشكلت مجموعة كبيرة من الدول النامية المستقلة حديثا . ولعب الاتحاد السوفياتي ، في الامم المتحدة وخارجها ، دور الدولة المساندة لنضال شعوب هذه البلدان من أجل الحصول على الاستقلال والنضال لاستكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية المطروحة أمامها. وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن الاستشهاد بموقف الاتحاد السوفياتي في مجلس الامن سنة ١٩٤٦ لاحباط المؤامرة على استقلال سوريا ولبنان ، وموقفه في دعم الشعب المصري في النضال ضد المعاهدة البريطانية الاستعبادية ومن أجل الاستقلال والجلاء ، وفي دعم الشعب الفلسطيني في النضال ضد الانتداب البريطاني ومن أجل انشاء دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة موحدة .

وقد كان طبيعيا أن تطرح امام هذه البلدان ، في ضوء الواقع الدولي الجديد ، وميزان القوى الذي يتطور في الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية لصالح الاشتراكية، والنضال المعادي للامبريالية ، اي طريق تختار . اذ من الواضح ان الحياة بدأت تقدم معطيات ووقائع جديدة تؤكد ، بالنسبة لهذه البلدان ، ضرورة الاختيار . فالمشكلات التي تواجه هذه البلدان كانت تضعها حتما في مواجهة الامبريالية التي تريد ابقاءها مجالا لنهب احتكاراتها ومصدرا ثابتا للمواد الاولية . لا سيما وان الرأسمالية منذ نشأتها ، وفي مرحلتها العليا بشكل خاص ، لدى تقاسم العالم فيما بينها ، قد فرضت على البلدان التابعة لها ، شكلا معينا من التطور يبقيها في اطار التخلف والتبعية لها . وقد أكد لينين في حديثه عن مصر ان بريطانيا قد جعلت منها بلدا منتجا للقطن فقط معيقة

بذلك تطورها الصناعي . واليوم فان القضية تتكرر بشكل آخر . والازمة الراهنة حول البترول التي تحاول الامبريالية العالمية واحتكاراتها تضخيمها ، في أساسها نفس الاهداف القديمة ، وهي ابقاء الدول العربية مصدرا للمواد الاولية من أجل استمرار تبعيتها لنظامها الاحتكاري العالمي ، ومنعها من استخدام ثرواتها في عملية التنمية كأساس لتقدمها واستقلالها الاقتصادي . في حين ان الاتحاد السوفياتي وسائر البلدان الاشتراكية التي استطاعت ان تتجاوز صعوبات الحرب والحصار الاقتصادي وتتطور في جميع الميادين كدول قوية من الناحية الاقتصادية ، فضلا عن الناحية السياسية والعسكرية والثقافية ، قد مدت يدها الى البلدان النامية من أجل مساعدتها في حل المعضلات التي تواجهها في طريق تطورها وتنميتها وتعزيز استقلالها السياسي .

الا ان البرجوازيات العربية التي صعدت الى السلطة بعد الاستقلال ، ولم تقطع بمعظمها علاقاتها مع الدول الامبريالية ، فرضت على بلدانها سياسة تتعارض مع مصالحها ، بما في ذلك سياسة العداء للاتحاد السوفياتي . وقد كانت الدوائر الامبريالية تملي هذه السياسة على البلدان العربية بواسطة هذه الفئة من البرجوازية المتحالفة مع الاقطاع ، من أجل ابقاء هذه البلدان في اطار التبعية للامبريالية ولتحويلها الى قاعدة استراتيجية تنطلق منها في تعزيز شبكات احلافها وقواعدها العسكرية العدوانية الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي . وهذه السياسة هي المسؤولة عن المؤامرة التي أدت الى تشريد الشعب الفلسطيني ومنعه من تحقيق امانيه القومية في اقامة دولته الوطنية الديمقراطية المستقلة ، واعطاء كل المبررات لقيام دولة اسرائيل ككيان عنصري استعماري على القسم الاكبر من الارض الفلسطينية ، وكدركي بيد الامبريالية لقمع حركة التحرر الوطني العربية . وبالفعل فان اسرائيل قد لعبت ، وهي لا تزال تلعب حتى الان ، الدور الذي اوكل لها ان تلعبه وشكلت بذلك عنصرا مساعدا لحلف بغداد الذي انهار فيما بعد على يد الشعب العراقي ، وحلف السنتو الذي لا يزال قائما والذي لا يزال يعطي لايران دورا عدوانيا واضح الاهداف في منطقة الشرق الاوسط .

ومع كل الاحداث التي شهدتها البلدان العربية ، ومؤامرات الفئة العليا من البرجوازية المرتبطة بالاستعمار ، ظلت قضية الاختيار مطروحة بشكل جدي ، لان المشاكل التي كانت تواجهها البلدان العربية بعد الاستقلال ظلت مطروحة وظلت بحاجة الى حل ، بل أنها ازدادت تعقيدا بحكم ما مارسته اسرائيل من حروب عدوانية ضد البلدان العربية . ولذلك كان لا بد من ان يحصل نوع من التمايز في صفوف الحركة الوطنية باتجاه تجذيرها ، وهي العملية التي بدأت في الواقع مع البدايات الاولى للحركة الوطنية ، ولا سيما بعد انتصار ثورة اوكتوبر وتكون حركات اشتراكية ونشوء احزاب شيوعية . وفي هذا المجال لا بد ان نضع في اطار هذه العملية موقف البرجوازية العربية من الطبقة العاملة في العشرينات عندما بدأت تتكون احزابها المستقلة . وقد كان موقف البرجوازية هذا يعبر عن مخاوفها من ان تتمكن الطبقة العاملة ، بالرغم من ضعف وزنها ، من أن تلف على المدى البعيد اكثرية الكادحين حول شعاراتها ، وان تضع قضية تطور البلدان العربية في اطارها الصحيح ، اي بالارتباط الموضوعي بين النضال المعادي للامبريالية والنضال من أجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي . بكلام آخر كانت البرجوازية تخشى ان تصبح الطبقة العاملة النامية وجماهير الكادحين ، هي المعبرة عن المصالح القومية لشعوبها وان تحتل مكانها في قيادة الحركة .

وفي هذا الضوء ينبغي ان نفسر ما حصل في بداية الخمسينات من تغيرات ثورية في البلدان العربيـــة ما لبثت ان تركت تأثيرها على مجمل تطـــور حركة التحرر الوطني العربية في ربع القرن الاخير .

فما الذي حصل في الخمسينات ؟

لقد حصل ارتقاء في عملية التمايز داخل حركة التحرر الوطني العربية بحيث أصبحت الحركة في مرحلة نوعية جديدة ، اغتنى فيها مضمونها وأصبحت تعبر عن المصـــالح القومية والاجتماعية للطبقة العاملة والاكثرية الساحقة من الكادحين ، وتتميز هذه المرحلة بأن فئات من البرجوازية المتوسطة والصغيرة تصدت ، عبر انقلابات عسكرية قام بها ضباط وطنيون من الرتب الوسطى والصغيرة ، لقيادة الحركة الوطنية كرد فعل مباشر لخيانة الفئات العليا من البرجوازية المرتبطة بالاستعمار والمتحالفة مـــع الاقطاع . هذا ما عبرت عنه ثورة يوليو في مصر (١٩٥٢) والتغيرات السريعة المتوالية في سوريا واندلاع ثورة الجزائر ، وثورة ١٤ تموز في العراق والثورة في اليمن والحركات الوطنية في بقية البلدان العربية في المشرق والمغرب . وكان طبيعيا ان تواجه هـــذه القيادات الجديدة قضية الاختيار نفسها ، اختيار طريق تطور البلدان العربية . وبرغم ان الديمقراطيين الثوريين المتحدرين من اصول برجوازية صغيرة ومتوسطـــة لـــم يستندوا في تحليلاتهم السياسية والاقتصادية الى نظرية علمية ، فقد كانت سياسة التجربة والخطأ كافية لان تقودهم الى معرفة المفتاح لحل المشاكل التي يواجهونها . وكان اول قرار اتخذوه ـــ ولجمال عبد الناصر الفضل الاول في ذلك ـــ هو التوجـــه للاتحاد السوفياتي كحليف طبيعي وموضوعي لحركة التحرر الوطني العربية في نضالها من اجل تدعيم استقلالها السياسي وتقدمها الاجتماعي . ولم تكن في هذا المجال قضية كسر احتكار السلاح عملية بسيطة عابرة ، بل كانت حلقة في سلسلة من المواقف التي كانت تمليها في آن واحد المهمات المعقدة المطروحـــة امام هـــذه البلدان والتحالـــف الموضوعي بين الثورة الاشتراكية والثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان الناميـــة . اذ ما لبثت صفقة السلاح التي عقدتها كل من مصر وسوريا مع البلدان الاشتراكية ، ان وضعت البلدين امام مهمات مترابطة : مهمة مواجهة عدوان اسرائيـــل ضد مصر (١٩٥٦) والتهديد بالعدوان التركي ضد سوريا (١٩٥٧) من جهة ، وعملية استعادة الثروات والمرافق الوطنية ، (تأميم قناة السويس) من جهة ثانية ، وعملية التنمية (بناء السد العالي) من جهة ثالثـــة ، واستكمالا لعمليـــة التنمية ، تأميم المرافـــق الاساسية ، من جهة رابعة . وفي كل هذه المهمات كان العدو يتحـــدد اكثر فأكثر ، اسرائيل والامبريالية العالمية والفئة العليا من البرجوازية المتحالفة مع الاقطاع . كما كان يتحدد بوضوح الحليف الاساسي ، الاتحاد السوفياتي ، والبلدان الاشتراكية التي وقفت منذ البدء بكل طاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية لمساعـــدة البلـــدان العربية في جميع هذه المهمات التي تواجهها . وبالامكان في هذا السياق ايراد امثلة لا تحصى على اشكال الدعم السوفياتي للبلدان العربية .

ولعل خير ما يمكن ان نورده في هذا المجال هو ما ورد على لسان عبد الناصـــر في مناسبتين : المناسبة الاولى في خطاب القاه في افتتاح دورة الانعقاد الثالث لمجلـــس الامة (١٩٦٥) حين قال : « **ان علاقاتنا بالاتحاد السوفياتي تزداد بالصداقة المتكافئة قوة وبالتعاون المثمر خصوبة . ولقد لمست بنفسي خلال زيارتي الاخـــيرة للاتحـــاد السوفياتي مدى الجهود الجبارة التي تبذلها شعوبه المحبة للسلام لكي تبني تقدمها الانساني العظيم الذي يكرمه ان هذه الشعوب المناضلة لا تعزل قضية تقدمها عـــن**

قضية التقدم العالمي ، كما انها بوزنها الكبير تقدم خدمة ضخمة لقضية التحرر الوطني » .

والمناسبة الثانية في حديث اعطاه لجريدة « لوموند » الفرنسية (١٩٧٠) حيث قال : « **ان العلاقات التي نقيمها مع الروس هي علاقات فريدة من نوعها .. انهم لا يحاولون حتى التأثير في افكارنا . والآلاف الخمسة من الخبراء الفنيين الذين ارسلوهم الينا من اجل بناء السد العالي في اسوان لم يحاولوا ابدا نشر الماركسية عندنا ، مع انني لست معاديا لهذه الايديولوجية واحمل اعجابا كبيرا بلينين . غير ان الروس لم يطلبوا اي شيء مقابل دعمهم لنا ، وقد يدهشكم هذا** » .

ان ما جاء على لسان عبد الناصر بهذا الشكل نستطيع ان نقوله بكلام آخر وهو ان الاتحاد السوفياتي ، منذ ثورة اوكتوبر حتى اليوم ، عندما يتعامل مع حركة وطنية ثورية معادية للامبريالية ، انما يأخذ بعين الاعتبار في آن واحد المصالح الاساسية لتطور العملية الثورية على الصعيد العالمي والمصالح الاساسية لتطور العملية الثورية للبلد المعني . وهو لا ينظر الى الدور الذي يقوم به استنادا الى الموقف الذي يتخذ ازاءه من بعض القوى اليمينية المحافظة في الحركة الوطنية ، لانه يعتقد ان مصائر هذه الحركة لا ترتبط بموقف اشخاص مهما كانت المواقع التي يحتلونها ، بل هي مرتبطة بجماهير الكادحين ، اي بالاكثرية الساحقة للشعب التي ترتبط مصالحها مع مصلحة تطور الحركة الوطنية وتعمق محتواها ، لانه يرى تأثيرا موضوعيا متبادلا بين تطور الحركة الثورية في بلد معين وتطور كل الحركة الثورية على الصعيد العالمي .

هنا لا بد من نظرة موضوعية الى المراحل التي تطورت فيها العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية خلال نصف القرن الذي مضى .

خلال استعراضنا للاحداث ، نستنتج ان هذه العلاقة كانت تزداد قوة او تضعف بفعل المواقف التي كانت تتخذها قيادات حركة التحرر الوطني العربية . وكان هذا التغير في قوة العلاقة او ضعفها يعود الى امرين : المرحلة التاريخية والمهمات المطروحة في اطارها امام حركة التحرر الوطني ، من جهة ، وطبيعة القوى الطبقية المهيمنة في قيادة حركة التحرر الوطني ، من جهة ثانية .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي نفسه ، فان موقفه الاساسي لم يتغير لان ايديولوجيته التي أملت عليه موقفا مبدئيا من نضال الشعوب في سبيل تحررها وتقدمها لم تتغير ، وانما الذي تغير فعليا هو ان قوة الاتحاد السوفياتي تزداد اكثر فأكثر وتزداد معها امكانياته في تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية والسياسية للبلدان النامية ولحركتها الثورية ، وذلك في اطار تغير ميزان القوى العالمي لصالح الاشتراكية، هذا الميزان الذي تشكل حركة التحرر الوطني جزءا لا يتجزأ منه ، ومصيرها كحركة تحرر وطني مرتبط بتغيره المستمر موضوعيا لصالح الاشتراكية .

اننا حين نتحدث عن الدور الذي يلعبه الاتحاد السوفياتي في تقديم المساعدات للبلدان النامية وحركتها الوطنية الثورية ، انما نتحدث عن الامكانيات الموضوعية . وهي نقطة هامة ينبغي الا تغيب عند التحليل . فللاتحاد السوفياتي مسؤوليات داخلية ، النجاح في عملية بناء الشيوعية ، ومسؤوليات على صعيد المنظومة الاشتراكية ، المساعدة في تقوية التكامل الاقتصادي وبناء دفاع قوي ضد المخططات العدوانية الامبريالية ، ومسؤوليات دولية ، الاسهام بدور اساسي في نضال الشعوب من اجل السلم والتعايش السلمي ودرء خطر حرب نووية مدمرة ، فضلا عن

مسؤولياته في تقديم المساعدة للبلدان التي تريد الخروج من سيطرة الاحتكارات العالميه وتحرير ثرواتها الوطنية وبناء اقتصادها الوطني المستقل . وبالتالي فانه ينبغي النظر الى المساعدات في حدود الامكانيات الموضوعية المتوفرة لدى الاتحاد السوفياتي وليس بشكل مطلق . علما بأن هذه المساعدات التي يقدمها الاتحاد السوفياتي للدول النامية لا يمكن ان تعطي مردودها الحقيقي اذا لم تقترن بخطة علمية للتنمية ، والا فأن هذه المساعدات تصبح برغم ضخامة حجمها عرضة للهدر ولا تعطي الفائدة الممكنة والمرجوة منها . وهو أمر لا يقرره الاتحاد السوفياتي ، بل تقرره البلدان التي تقدم لها هذه المساعدات . اي ان الامر يعود الى موقف القوى الطبقية المهيمنة في البلد المعني ، ومدى انسجامها مع خطة علمية للتنمية . هذا في المجال الاقتصادي . اما في المجال السياسي فليس تقرير المواقف السياسية في بلد يتعامل مع الاتحاد السوفياتي ويستند الى دعمه امرا يعود للاتحاد السوفياتي ، بل هو امر داخلي لهذا البلد تقرره القوى القائدة فيه . وهنا ايضا لا بد من العودة الى تحديد القوى الطبقية لكي نرى أي موقف سياسي تتخذه — بما في ذلك قضايا الحرب والسلام — ومدى انسجام هذا الموقف مع المصلحة الاساسية للاستقلال الوطني لهذا البلد .

واذا توقفنا عند ما يجري في الوقت الراهن من احداث ، فاننا نرى ان ما تشهده البلدان العربية ، ولا سيما البلدان التي تسود فيها انظمة وطنية معادية للاستعمار ، سواء في المجال السياسي او الاقتصادي او العسكري ، تتحمل مسؤوليته القوى الطبقية المهيمنة . ويمكن القول اكثر من ذلك بان ثمة رجعة واضحة الى الوراء فيما يتعلق بالتوجهات التي كانت سائدة في مرحلة الستينات بشكل خاص ، في اطار سياسي معاد للامبريالية ، في سياسة التنمية وفي التدابير الاجتماعية لصالح الكادحين ، وفي اطار التحالف مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية ومجمل الحركة الثورية المعادية للامبريالية على الصعيد العالمي . بل ان هناك تراجعا حتى عن بعض التدابير والمواقف التي اتخذت في فترة سابقة . وليس الاتجاه لتغيير مصادر السلاح في مصر هو المثل الوحيد على ذلك ، بل هناك أمثلة عديدة ، اذا جمعت ، تشكل موقفا خطير النتائج بالنسبة لمجمل حركة التحرر الوطني العربية .

لماذا يحصل هذا الامر ؟

اننا لا نستطيع الا ان نربط بين هذه المواقف وبين القوى الطبقية التي تتخذها وهو أمر طبيعي . فأن الميل للمساومة مع الامبريالية ليس من طبيعة القوى التي ترى من مصلحتها ، من مصلحة الدفاع عن استقلال بلدها ، الانسجام التام في العداء للامبريالية والتحالف الكامل مع القوى المعادية لها ، اي مع الاتحاد السوفياتي أساسا . وفي الوقت الراهن ، فان هذه القوى ، اي القوى الاكثر جذرية في حركة التحرر الوطني العربية ، هي التي تقف الان بالمرصاد لميول المساومة مع الامبريالية ، وهي التي تتشبث بتوطيد العلاقة الموضوعية بين حركة التحرر الوطني العربية والاتحاد السوفياتي .

لنأخذ بعض الامثلة من واقعنا المعاصر :

المثل الاول : هو قضية العدوان الاسرائيلي والنضال لتصفية آثاره . في هذه القضية تبرز في الظروف الراهنة ميول عند بعض القوى اليمينية للمساومة مع اميركا استنادا الى الزعم بأن بيدها مفتاح الحل للقضية . واستنادا الى هذا الزعم ، لا ترى هذه القوى مانعا من القيام بتنازلات أمام الامبريالية الاميركية ، مقرنة ذلك بموقف

سلبي من الاتحاد السوفياتي كشرط من شروط المساومة . والنتيجة المنطقية لهذه السياسة هي : **اولا** ، فتح الطريق امام الامبريالية الاميركية لتعزيز مواقعها في المنطقة العربية . **وثانيا** ، تدعيم مواقع اسرائيل . **وثالثا** ، التخلي عن التحالف مع الاتحاد السوفياتي . **رابعا** ، بالاستناد الى ذلك ، جعل الامبريالية الاميركية في وضع لا تعود فيه مضطرة لان تعطي ما يطلب منها من حلول لصالح البلدان العربية ، بل انها تفرض شروطها وتقدم حلولا هي في نهاية المطاف حلول تتعارض بشكل واضح مع مصلحة تطور حركة التحرر الوطني العربية وتقدمها ، وقد كان من الممكن ، لو ان القوى التي تدعو الى المساومة تريد فعلا حلولا صحيحة لقضية العدوان ، ان تستفيد الى الحد الاقصى مما وفرته لها حرب تشرين من نتائج كبيرة الاهمية . الا اننا في الواقع شهدنا من هذه القوى ايغالا في مواقف المساومة من جهة ، وذهابا في العداء مع الاتحاد السوفياتي الى المدى الابعد ، في وقت كل الوقائع تشير فيه الى ان الاتحاد السوفياتي ، في موقفه من قضية العدوان يسعى لايجاد حلول تضمن فيها بشكل اساسي ، في نطاق الممكن ، الحقوق الطبيعية المشروعة للشعوب العربية وفي مقدمتها حقوق شعب فلسطين في اقامة سلطته الوطنية المستقلة ، واستعادة الاراضي العربية المحتلة بكاملها . ويتجلى هذا الموقف في اصرار الاتحاد السوفياتي على عقد مؤتمر جنيف والبحث عن حل لقضية العدوان في اطاره وبمشاركة الشعب الفلسطيني بشخص منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد له ، وعلى اساس الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، كما يتجلى في استمرار تقديم الاسلحة الضرورية للبلدان العربية خلافا لما يعلن ويقال على السنة بعض المسؤولين ، من اجل تقوية امكانياتها العسكرية لمواجهة اي عدوان اسرائيلي محتمل .

وفي هذا المجال يبدو في منتهى الغرابة ما تقوم به بعض القوى اليمينية في البلدان العربية تحت ضغط اميركا والرجعية العربية لتأجيل مؤتمر جنيف وابعاد الاتحاد السوفياتي عن المشاركة فيه ومنع منظمة التحرير من ارسال ممثليها اليه ، في الوقت الذي يجري فيه التصريح والتلميح الى رغبة المسؤولين في مصر لتغيير مصادر السلاح ، اي لتغيير التحالف الاساسي القائم حاليا مع الاتحاد السوفياتي . فضلا عن ذلك يجري الاعداد لحلول جزئية مشوهة .

ولذلك فان الموقف المعارض لاتجاهات القوى اليمينية المساومة هو الاصرار على ضرورة التحالف الوطيد مع الاتحاد السوفياتي وموقف العداء للامبريالية الاميركية وعدم التنازل امامها وأمام مغرياتها ، لا سيما وان القضية التي تجري المساومة حولها لايجاد حل جزئي لها هي نفسها جزء من قضية اكبر وأشمل تتعلق بمستقبل النضال العربي لتثبيت الحقوق القومية للشعب الفلسطيني وتحقيق الوحدة القومية للشعوب العربية واستمرار تطور البلدان العربية على طريق التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

المثال الثاني : هو قضية فلسطين والحقوق القومية للشعب الفلسطيني . في هذه القضية يبرز بوضوح كم هو عميق ومؤثر دور الاتحاد السوفياتي . فبالاستناد الى دوره ووزنه الدوليين ، وبالاستناد الى دعمه المتعدد الوجوه ، تمكنت الثورة الفلسطينية ، وهي تكافح وتقاتل على جبهات عديدة وتستخدم كل اشكال النضال ، من ان تنتزع اعترافا دوليا بها ظهر بشكل جلي في مناقشة الامم المتحدة للقضية الفلسطينية وخطاب ابي عمار من على منبر هذه الهيئة الدولية كرئيس لمنظمة التحرير وكقائد للثورة باسم شعب فلسطين . ويناضل الاتحاد السوفياتي الان في دعمه للثورة

الفلسطينية على جبهات عدة : **اولا** ، بمساعدتها سياسيا في تدعيم وجودها وفي تثبيت شخصية الشعب الفلسطيني عن طريق الاعتراف بها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . **ثانيا** ، في دعم موقفها والنضال معها للمشاركة في مؤتمر جنيف كممثل وحيد للشعب الفلسطيني . **ثالثا** ، مساندتها في كفاحها الصعب من اجل الوصول الى كامل الحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، ولا سيما تحقيق برنامجها المرحلي في اقامة سلطة وطنية مستقلة على الارض التي يجري تحريرها ، **رابعا** ، الوقوف الى جانبها دعما لوحدتها ودفاعا عنها ضد الذين يحاولون تصفيتها .

في هذا الموقف ، يبرز الاتحاد السوفياتي ، بالنسبة للثورة الفلسطينية ، وبالنسبة لقضية فلسطين كقضية قومية للشعوب العربية ، كحليف موضوعي وكقوة اقرب اليها حتى من بعض القوى العربية . ولذلك فأن محاولة التطاول على الاتحاد السوفياتي واضعاف العلاقة معه هي محاولة لا يمكن الا ان تتفق موضوعيا مع مصلحة القوى المعادية للثورة الفلسطينية ، القوى المعادية للمطامح القومية للشعوب العربية .

المثال الثالث ، القضايا المتعلقة بالتنمية وبالتعاون الاقتصادي وبالثروات الوطنية. في هذه القضايا تتفق ميول المساومة مع الامبريالية ، مع التراجعات في مجال التنمية الاقتصادية وفي مجال التدابير التقدمية التي تتفق مع مصالح الكادحين ، ان لم تكن هي في اساس هذه المساومة . والا فكيف يمكن ان نفسر المحاولات المستمرة للانفتاح الاقتصادي والسياسي على اميركا في وقت نرى فيه هذه الدولة الامبريالية تستخدم كل ما لديها من قوة للضغط على البلدان العربية حتى التهديد بالتدخل العسكري دعما لاسرائيل احيانا ولاحتلال منابع النفط احيانا اخرى ؟ كيف يمكن ان يكون الانفتاح الاقتصادي على الدول الامبريالية في صالح تطور البلدان العربية وهو انفتاح يقترن بمثل هذا التهديد الفظ بالتدخل المسلح ضد بلداننا . في هذا المجال تنبغي الاشارة الى ردود الفعل التي شهدناها في عدد من البلدان العربية وبين قادة مسؤولين كالرئيس الجزائري بومدين الذي اعتبر اي اعتداء على اي بلد نفطي في المنطقة اعتداء على بلاده ، وهدد باحراق النفط وبالقتال .

واذا كان ذلك اصبح ممكنا اليوم ، فلأن بعض القوى اليمينية في حركة التحرر الوطني العربية بدأت تعطي الامبريالية مثل هذه الاسلحة في المواقف التي تتخذها بامعان من الاتحاد السوفياتي ومن التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري معه . الا ان رد الاتحاد السوفياتي من موقع المسؤولية هو الاستمرار في الدفاع عن القضية العربية ، في الدفاع عن الشعوب العربية ، عن حريتها واستقلالها ، عن حقها في النضال لاستعادة اراضيها المحتلة والمغتصبة وفي استعادة ثرواتها الوطنية والتصرف بها بحرية من أجل تقدمها وتطورها .

ان هذه الامثلة هي نماذج على ما اشرنا اليه من ان قضية العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية لا تتعلق بموقف الاتحاد السوفياتي ، بل تتعلق فقط بموقف البلدان العربية ، بموقف القوى الطبقية المهيمنة والتي بيدها التقرير . الا ان ذلك لا يعني ان هذه العلاقة الموضوعية يمكن ان تتأثر بموقف هنا وموقف هناك ، بقرار يتخذ هنا وقرار يتخذ هناك ، لانها اعمق واقوى من اي موقف واي قرار . انها كما اشرنا في البداية ، علاقة موضوعية بين حركة التحرر الوطني العربية وبين الاتحاد السوفياتي ، القوة الطليعية في الحركة الثورية العالمية المعادية للامبريالية . ولذلك فهي علاقة ثابتة لا تتغير من حيث الاساس . الا ان حركة التحرر الوطني العربية يمكن ان تتأثر سلبيا من المواقف التي تتخذها بعض القوى اليمينية النافذة في منع

الافادة الكاملة مما يقدمه الاتحاد السوفياتي من مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية . وقد نضجت في حركة التحرر الوطني العربية ظروف موضوعية تسمح بالتأكيد بأن القوى التي تعبر عن آفاق تطور هذه الحركة وعن المصالح الحقيقية لجماهير الكادحين ، قادرة اذا ما توفرت لها كافة الظروف الذاتية ، ان تدفع بالعلاقات العربية السوفياتية الى مستوى أرقى وان تقف بوجه المحاولات الرامية الى اضعافها. ان ذلك يقودنا الى استنتاج اساسي ذى شقين :

الشق الاول ، هو ان التوجه نحو الاشتراكية بين الجماهير العربية يزداد قوة ، يشهد على ذلك تزايد مواقع الطبقة العاملة وايديولوجيتها في حركة التحرر الوطني العربية ، والجذرية في العداء للامبريالية ، والتمسك بالصداقة مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية .

الشق الثاني ، هو ان تعقد المشاكل في المرحلة الراهنة في حركة التحرر الوطني العربية والعجز عن مواجهة هذه المشاكل ، والميل للمساومة مع الامبريالية وتقديم التنازلات امامها بدأ يفرض كمهمة ضرورية اقامة تحالف ديمقراطي بين القوى الطبقية والسياسية الاكثر جذرية في عدائها للامبريالية ، تحالف يضم في صفوفه الطبقة العاملة وجماهير البرجوازية الصغيرة وجميع الكادحين ، وحتى فئات متوسطة من البرجوازية . وبمقدور هذا التحالف ، بالاستناد الى القوى الذاتية في حركة التحرر الوطني العربية ، والى دعم الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية وكل الحركة الثورية العالمية والقوى والدول المناضلة من اجل السلم والحرية ، ان يفرض تأثيرا متزايد الاهمية على مجرى الاحداث باتجاه تخليص حركة التحرر الوطني من الازمة التي تجتازها ، وتحقيق الاهداف التي تطرحها المرحلة الراهنة في حركة التحرر الوطني العربية برغم كل تعقيداتها .

سقوط سياسة الابتزاز
أو البحث عن تعايش سلمي متكافئ

الدكتور فيصل دراج

يحكم الحقل السياسي العالمي الراهن ثنائية متناقضة : راسمالية / اشتراكية . وهذه الثنائية تتسم بالتناقض البنياني الذي ينسحب على جميع المستويات : نمط الانتاج الاقتصادي ، الرؤية الايدولوجية للعالم ، شكل الممارسة السياسية والدبلوماسية . بمعنى أن كلا من طرفي الثنائية يشكل نقيضا كاملا للآخر . وهذان الكيانان المتناقضان بنيانيا ليسا بمعطيين مباشرين ، بل هما نتيجة لعملية تطور تاريخية طويلة . فالصراع الراهن بين الاشتراكية والراسمالية يمثل شكلا نوعيا جديدا من الصراع : صراع الطبقات على المستوى العالمي ، وهو يمثل تاريخيا امتدادا للصراع الذي كان يدور منذ عهود طويلة بين قوتين متناقضتين : قوى التقدم وقوى الظلام . وهذا الصراع كان في البدء اكثر وضوحا واقل تعقيدا ، لكن ظهور نمط الانتاج الاشتراكي واستمراره وتزايد نفوذه جعل الصراع اكثر صعوبة ، فنضال **الدولة** الاشتراكية يختلف في شكله عن نضال الطبقة العاملة ، فالاولى تناضل من أجل تثبيت سلطتها ، في حين تناضل الثانية من أجل الوصول الى السلطة .

ان اشتداد الصراع بين القوتين المتناقضتين ، أو بشكل أوضح بين المعسكرين العالميين : الاشتراكي والراسمالي أدى الى معطى جديد هو السلاح النووي ، أو توازن الرعب ، أو دبلوماسية شفير الهاوية . فالسلاح النووي وقوة الردع العسكرية أصبحت تحكم طبيعة الصراع بين المعسكرين ، أصبح صراعا هادئا يتمحور على قاعدة لا هادئة ؛ قاعدة مرعبة . وهذا الرعب المتبادل قاد الى استراتيجية جديدة : التعايش السلمي ، حيث أن دمار الخصم أصبح يعني دمار الذات في الوقت نفسه ، أو كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي ريمون آرون « ان وضع القوتين الكبيرتين الراهن يذكرنا بنوع سام من العقارب يموت في نفس الوقت الذي يلدغ فيه خصمه » . ومع اننا لا نتفق مع الفكر السياسي لريمون آرون فاننا نتفق معه في تشبيهه هذا ، الا أنه مع ذلك يجب ان نشير الى أمر هام يتعلق بشكل التعايش السلمي بين الطرفين المعنيين . فالولايات المتحدة الامريكية ، طليعة المعسكر الامبريالي ، تقبل الوضع الجديد مكرهة ، أو كما يقول العرب : مكره أخوك لا بطل . اذ أن عدم لجوئها للسلاح النووي وقبولها **بشكل** خاص من التعايش السلمي لا يعود الى منطلقاتها السياسية والايدولوجية بل يعود الى خوفها من قوة الطرف الآخر . فقبولها هذا اذن آت من عامل خارجي عن بنيانها ، أي من قوة وليونة الطرف الآخر . في حين ان الاتحاد السوفييتي ينهج سياسة التعايش السلمي بسبب مبادئه ومنطلقاته الايدولوجية المدافعة عن هذه السياسة .

أن قبول الامبريالية العالمية بسياسة التعايش السلمي (على الرغم من انه يستغلها احيانا) يشكل نظريا هزيمة وتراجعا له ، وانتصارا للمعسكر الآخر ، ذلك ان الامبريالية

اعلنت منذ ظهور النظام الاشتراكي في عام ١٩١٧ عزمها على ابادة هذا النظام ، وقبولها به الآن والتعامل معه يعني تراجعا تاريخيا لها .

مع ذلك فان مفهوم التعايش السلمي الذي يحكم العلاقات بين المعسكرين ليس بسيطا ، وما يزال محاطا بأقمطة ضبابية كثيفة ، ذلك أن فهم كل من الطرفين للتعايش السلمي ليس متجانسا ، أو بالاحرى هناك فهم واستعمال لا متكافىء ، فهناك فهم امبريالي للتعايش السلمي من ناحية ، وفهم اشتراكي له ، لكن « الفهم » الامبريالي يعني بالضرورة البحث عن الربح والمنفعة . واذا كان الامبرياليون مولعين بفائض القيمة على المستوى الاقتصادي فانهم مولعين بفائض قيمة آخر على المستوى السياسي .

ان هذه الاعتبارات تجعل مفهوم التعايش السلمي بكل مشتقاته مفهوما زئبقيا صعب التحديد ، بل أصبح مفهوما ضبابيا من الصعب تمييز حدوده .

مما لا ريب فيه أن طبيعة العصر بمركباته السياسية والاقتصادية الراهنة تستلزم التعايش السلمي ، لكن هذا التعايش يجب أن لا يرى من خلال نظارات انسانية محضة ، بل يجب أن يرى كشعار نضالي ينبغي تطبيقه بشكل متكافىء من قبل الطرفين ، والا أصبح مفهوما مضللا يبرر ممارسات قوى الظلام القمعية .

المفهوم السوفييتي للتعايش السلمي :

يقول بعض المنظرين البرجوازيين أن الاتحاد السوفييتي يقبل بسياسة التعايش السلمي بسبب تغيير نوعي في بنائه الداخلي ، اي بسبب تحوله الى مجتمع متقدم يعتمد على العلم والتكنيك ، وهم بهذا لا يردون تقدم الاتحاد السوفييتي الى تطبيقه للاشتراكية ، بل الى التقدم الصناعي . واعتمادا على هذا فانهم يصلون الى تقسيم جديد للعالم : المجتمعات المتقدمة صناعيا (المعسكر الامبريالي والمعسكر الاشتراكي) والمجتمعات المتخلفة (العالم الثالث) . اذن فقسمة العالم السياسية لا تعتمد على : اشتراكية / راسمالية ، بل على قسمة جديدة : بلدان صناعية / بلدان متخلفة ، أو بشكل آخر : القرية والمدينة على المستوى العالمي .

ضمن اطار هذا التقسيم الذي يعتمده الكثيرون (هربرت ماركوز ، ريمون آرون ، بل ...) نلحظ الامور التالية :

ـ نهاية عصر الايدولوجيا ، فالافكار لم تعد سببا لصراع القوى في العالم ، حيث ان كلا من المعسكرين يعتمد في تقدمه على التكنيك وليس على الافكار . وهذا يعني تدشين نهاية الصراع الايدولوجي على المستوى العالمي .

ـ تقسيم العالم الى معسكرين : عالم متقدم وعالم متخلف ، وبالتالي فان الصراع في العالم لا يدور بين الدول المستعمرة والامبريالية العالمية ، بل يدور بين العالم الثالث والدول الغنية .

ان هذا الموقف **الايدولوجي** يعني بأن اسباب الصراع **الجوهرية** بين الراسمالية والاشتراكية قد تلاشت ، وحل محلها تعايش جديد قائم على التناظر والتماثل في البنى الاقتصادية والايدولوجية .

لا شك أن نظرية « التلاقي » هذه لا تقدم تحليلا موضوعيا لموقف الاتحاد السوفييتي، بل تقدم تحليلا ذاتيا برجوازيا له . لذلك فلنرَ ما يقول السوفييت : يعرّف س. ليتيزين سياسة التعايش السلمي كما يلي : « انها تعني الاعتراف بأنه من الممكن أن تعيش في

آن واحد في الكرة الارضية بلدان ذات انظمة اجتماعية واقتصادية مختلفة »(١) وانه من الواجب أن تقوم بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة علاقات اقتصادية وتجارية وثقافية . كما ينبغي أن تحل جميع الخلافات التي تنشب بين الدول عن طريق المفاوضات وليس عن طريق الحرب . كما يعتقد ليتيزين بأن سياسة التعايش السلمي تخلق الشروط الموضوعية الملائمة لتطوير نضال الطبقة العمالية في العالم ، ونضال الشعوب من أجل استقلالها ، وان « التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة انما هو شكل خاص للنضال الطبقي على المستوى العالمي » . وهذه السياسة ليست أمرا مستحدثا في ممارسات الحكومة السوفييتية بل هي امتداد لسياسة وضع أسسها وطبقها مؤسس الدولة السوفييتية لينين ، الذي كان ينتقد بشدة دعاة المجابهة المباشرة مع الامبريالية والمطالبين بعدم التعامل معها اطلاقا ، وقال مشيرا الى هؤلاء « اذا تبنى المرء وجهة النظر هذه ، فان جمهورية اشتراكية محاطة بالقوى الامبريالية وغير قادرة على عقد أي اتفاقية تجارية سوف تتلاشى ، الا اذا طارت الى القمر »(٢) .

أما البروفيسور فيدور رجينكو فانه يعتقد أن السلام شرط حاسم من أجل نجاح البناء الاشتراكي والشيوعي ، وان مفهومي السلام والاشتراكية متلاحمان عضويا(٣)، وان هذا لا يعني الاعتراف اطلاقا بوجود أبدي للرأسمالية والنظام الامبريالي ، وانما هو أداة لكبح الامبريالية عن التدخل في شؤون البلدان المناضلة وتصدير الثورة المضادة اليها . اذن وحسب رأي رجينكو فالتعايش السلمي هو صيغة جديدة للنضال ضد البرجوازية حتى الانتصار النهائي للشيوعية على المستوى العالمي . وهذا الشكل التاريخي من النضال تمليه ضرورة العصر (تجنب خطر الحرب) .

واذا كان رجينكو يربط سياسة التعايش السلمي بطبيعة العصر ، أي يظهرها كضرورة عقلانية بناءة سياسيا ، فان الدكتور أوليانوفسكي لا يرى في الحرب ضرورة على الاطلاق ، فهي ليست الميدان الفعال لانتصار قوى التحرر في العالم ، « فالماركسيون أعداء حازمون لما يسمى بتصدير الثورة ، فالثورة الاشتراكية ، أو الثورة الديمقراطية الوطنية يجب أن تأتي نتيجة لتناقضات الطبقات المكونة للنظام المستغِل . والماركسيون — اللينينيون ليسوا بحاجة الى السلاح لفرض آرائهم ، فالاقتصاد والسياسة والايدولوجيا والثقافة هي الميادين الحقيقية للنضال ضد الرأسمالية »(٤) .

وبشكل عام فان المنظرين السوفييت يركزون على الاستعمال السياسي للسلاح اكثر من السلاح نفسه، كما يعتقدون أن القوة العسكرية ليست هي السبب الوحيد لممارسة تأثير سياسي في العالم ، ذلك ان الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية يأخذ أشكالا مختلفة ، يقول ليونيد بريجنيف « ان الصراع الطبقي بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي يستمر في الميدان الاقتصادي والسياسي والايدولوجي أيضا ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ، لان مفهوم العالم والاهداف بالنسبة الى الاشتراكية يختلف جذريا ويتناقض مع مفهوم العالم والاهداف لدى الرأسمالية . ولكن نحن نبحث عن سبيل جديد كي يتتابع فيه الصراع بمعزل عن تهديدات الحرب والصراعات الخطرة »(٥) .

وهكذا فالسوفييت يرون في سياسة التعايش السلمي شكلا تاريخيا جديدا من النضال ، لا يتسم فقط بسمات انسانية وأخلاقية ، بل يعتبر أيضا عاملا في تطويق وحصار الامبريالية العالمية ، ومسهلا لتقدم الاشتراكية وحركات التحرر في العالم .

هل هناك مفهوم أمريكي للتعايش السلمي ؟

اذا كان مفهوم التعايش السلمي يحظى بنظرية كاملة لدى الاتحاد السوفييتي ، فان الامر ليس كذلك عند الولايات المتحدة والامبريالية بشكل عام . فالاشتراكية ولدت مع تيار التاريخ الصاعد وبالتالي فهي تتويج لعملية صراع طويل ، وظهورها وتطورها يحمل بذور دمار نقيضها ، معنى ذلك ان الامبريالية تقف ضـــد رياح التاريخ وضد التطور الموضوعي لحركة التاريخ ، اذن فالامبريالية مضطرة أن تتدخل بشكل ذاتي لايقاف حركة التاريخ او حرفها عن مسارها الاصلي ، وهذا التدخل يتم عـــن طريق القوة العسكرية (فيتنام ، لاوس ، الدومنيكان ، الشرق الاوسط) . ان التدخل الذاتي (العسكري) في مسار الحركه التاريخيـــة عامل محايث لبنيـــة النظام الرأسمالي والامبريالي ، أمر ضروري لكسر تطور الحركة التاريخية الموضوعي . ان الرأسمالية بحاجة الى العنف والحرب على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي ، فهي تقمع الصراع الطبقي على المستوى المحلي بالعنف ، ثم تقمع الصراع الطبقي على المستوى العالمي بالعنف أيضا ، ان الامبرياليه كقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية لا تستطيع أن تستمر في الحياة اذا لم تلجأ الى العنف ، ذلك أن وقوفها يعتمـــد على نهب وغزو وامتصاص دول العالم الثالث(٦). ان عملية النهب المستمرة هذه لا تستمر الا بفضل تدخل عسكري مباشر أو لامباشر (شيلي) .

ان ديالكتيك الثورة في عصر الامبريالية لا يأخذ كل أبعاده ، ذلك ان الدور الذاتي الذي تمارسه الامبريالية العالمية بأدواتها المختلفة يجعل هامش هذا الديالكتيك ضيقا ، مما يتطلب العثور على صيغ جديدة لمتابعة النضال ضد الامبريالية في عصر التعايش السلمي .

مع ذلك وحتى لا نقع في التجريد النظري يجب أن نشير الى دور القوى الاشتراكية في العالم في جعل الامبريالية تتراجع نسبيا ، فالحقل السياسي العالمي ليس مجـــالا مفتوحا فقط للامبريالية ، فهناك قوى أخرى تمارس أثـــرا ملحوظا على السياســـة العالمية ، مما جعل الولايات المتحدة تقبل ولو بشكل ملتو بسياسة التعايش السلمي . فاحتكار السلاح لم يعد قصرا على المعسكر الامبريالي ، لذلك فهو مضطر أن يدخل عامل **السياسة** الى جانب عامل السلاح اذ أن « القوة العسكرية لا تعكس اوتوماتيكيا قوة سياسية »(٧). ان الدخول **الجديد** لعامل **السياسة** في الدبلوماسية الامريكية أمر جديد ، ذلك ان المعطيات القديمة قد ضعفت او تزلزلت . يقول توماس واطسون « منذ بضع سنوات كان البعض يعتقد أن الولايات المتحدة قادرة علـــى مساندة الحركات المناهضة للشيوعية دون أن يؤثر ذلك على الاقتصاد الامريكي ، من الواضح الآن ان هذه الفكرة قد سقطت ... وان رجال الاعمال قلقون من هذا الامر »(٨).

أما جوردون شيرمان فقد كان أكثر وضوحا « اننا لا نستطيع أن نضحي بأموالنا وقدراتنا من أجل مخاطرات منطلقة من خيال خطر »(٩).

وهكذا فكلما نما الخصم أصبحت محاربته أكثر كلفة ، لذلك فان التدخل السياسي الامريكي يعني متابعة التدخل العسكري ولكن بشكل آخر ، ان عامل السياسة عند كيسنجر يعني اعادة صياغة الظروف الموجودة لخلق ظروف جديدة تتلاءم مع المصالح الامريكية ، والسياسة عنده ليست عاملا وحيد الجانب ، بل هي كل معقد تتداخل فيه عدة عناصر .

ان مفهوم العمل السياسي الامريكي يعتمد على مفهـــوم براجماتي ، فليس هناك

صفقات نزيهة ، وانما هناك بحث لاهث للاستفادة من الطرف الآخر بكل الاشكال الممكنة ، « فانت جيد بقدر ما أنت نافع لي » هذه القاعدة حاول الامريكان تطبيقها على سياسة التعايش السلمي مع السوفييت . مما أدى الى الغاء المعاهدة التجارية مؤخرا بين البلدين . ان قراءة بطيئة لتطور العلاقات التجارية بين البلدين تظهر الخط الاحمر المسير للطرف الامريكي الا وهو استغلال الطرف الآخر . ولم يقف الامر عند ذلك بل أن الطرف الامريكي حاول أن يمد فلسفته البراجماتية الى الطرف الآخر فزاوج بين التجارة والسياسة ، بل أصبحت التجارة أداة للسياسة بحيث أصبح من الممكن التحدث عن **التجارة السياسية** .

الغاء للاتفاق التجاري أم الغاء للابتزاز ؟ :

في ٢٩ أيار ١٩٧٢ ، وقع الرئيس الامريكي السابق نيكسون مسودة اتفاقية تجارية، عرفت فيما بعد باسم اتفاقية موسكو ، وتهدف الى تنمية حجم العلاقات التجارية بين البلدين . بعد ذلك شهدت العلاقات السوفييتية ـــ الامريكية تطورا ملحوظا ضمن اطار « الدولة الاولى بالرعاية » وحصل الاتحاد السوفييتي في الفترة الواقعة بين بداية تشرين الاول ١٩٧٢ وحزيران ١٩٧٤ على قروض وصلت الى ٤٦٩ مليون دولار من بنك الاستيراد والتصدير الامريكي ، كما أنه بموجب الاتفاق يستفيد الاتحاد السوفييتي من ٣٠٠ مليون دولار كقروض حكومية لشراء صادرات (سلع) أمريكية .

لكن هذا الاتفاق ما لبث أن تهاوى بسبب التعديل الذي أدخله الكونغرس الامريكي الذي وافق على طلبات السيناتور جاكسون وشارلز ڤنيك ، وهذا التعديل يمثل تدخلا سافرا في شؤون الاتحاد السوفييتي وامتهانا « لسيادتها وأعرافها وتقاليدها » . ذلك ان الاوساط الصهيونية في الكونغرس وعلى رأسها جاكسون ربطت بين التجارة وهجرة اليهود السوفييت ، واذ كان هذا التدخل في البدء محدودا وهادئا ، فقد أخذ بعد عام ١٩٧٣ طابعا وقحا وحادا ، فأصبحت قضية اليهود السوفييت مجال نشاط جاكسون ، ثم بعد ذلك ربط جاكسون وروكفلر قضية سخاروف الفيزيائي بالتجارة من جديد ، ثم اعتبروا ان تضييق حركة الكاتب سولجنتسين أمر يهدد السلام والانفراج !!

وكتتويج لكل هذا التدخل في شؤون الاتحاد السوفييتي الداخلية عاد كيسنجر فطرح قضية اليهود عند اجتماعه مع غروميكو عشية قمة فلاديفوستك .

هذا التدخل المستمر من جانب الطرف الامريكي جعل السوفييت يقومون بالغـــاء الاتفاقية لانها تتميز بالانانية أكثر من بحثها عـــن السلام(١٠). وقد زاد مـــن استياء السوفييت ان فورد رفض أن يستعمل « الفيتو » ضد قرار الكونغرس حول قانون التجارة ، وبالتالي فقد نقض الاتفاق الذي عقده نيكسون مع بريجنيف .

مما لا شك فيه أن العناصر الصهيونية والمسيطرة على الكونغرس الامريكي حاولت أن تجعل من التجارة مع الاتحاد السوفييتي أداة لخدمة أهداف الحركة الصهيونية ، فالهجرة تنمو بشكل مطرد مع نمو التجارة وهذا يبدو من الجدول الآتي الذي نشرته صحيفة لوموند الفرنسية(١١) (وعلى الرغم من عـــدم ثقتنا في المصدر والذي هـــو الحكومة الاسرائيلية فان الجدول مع ذلك يبقى موحيا وذا دلالة) عن هجرة اليهود السوفييت : في ١٩٦٩ : ٣٠١٩ مهاجرا ، ١٩٧٠ : ٩٤٤ مهاجرا ، ١٩٧١ : ١٢٨٥٠ مهاجرا، ١٩٧٢: ٣١٦٠٩ مهاجرين، ١٩٧٣: ٣٣٤٤٤ مهاجرا، ١٩٧٤: ١٧٠٠٠مهاجر.

دلالة القرار السوفييتي وآفاقه :

على الرغم من أن الصحف لا تشير الى تغير جذري في سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية(١١)، فان القرار يعكس بشكل موضوعي بعض المتغيرات في حقل السياسة العالميه . فالسياسة الامريكية تكسر باستمرار قانون التعايش السلمي . فهناك تدخل المخابرات المركزية باشراف كيسنجر في أحداث شيلي المأساوية، وعدم الاحترام المستمر لاتفاقية باريس في فيتنام ، فالحرب الآن هناك تصل الى مستوى خطر ، وأمريكا ما تزال تتبنى حتى النهاية الحكم الساقط تاريخيا في فيتنام الجنوبية وتمده بالسلاح وبكل المساعدات الممكنة . يضاف الى ذلك مناورات أمريكا في الشرق الاوسط والهادفة الى تجميد مؤتمر جنيف وشل الاتحاد السوفييتي عن الحركة السياسية في المنطقة .

ازاء هذه الممارسات كان على الاتحاد السوفييتي ان يأخذ موقفا حاسما يعبر عن تصلب جديد في موقفه(١٢) بحيث لا يترك يد الدبلوماسية الامريكية والعدوان الامريكي بدون قيود .

يضاف الى ذلك ان تصلب الاتحاد السوفييتي الجديد (والحركة الشيوعية العالمية بشكل عام) لا يعود فقط الى اعتبارات خارجية وبالتالي الى رد فعل ذاتي ، انما يعود ايضا الى تزايد قوة المعسكر الاشتراكي الاقتصادية ، فهو يقف هادئا في حين يمر المعسكر الرأسمالي بأزمة خانقة . كما انه قادر على استبدال أمريكا تجاريا ، فهناك اليابان وأوربا الغربية ، خاصة انه لم يكن يستفيد من العلاقات التجارية مع أمريكا بقدر استفادة أمريكا ، ففي عام ١٩٧٢ صدر الاتحاد السوفييتي الى أمريكا بما قيمته ٢٧٠ مليون دولار ، في حين صدرت اليه أمريكا بما قيمته ٤٥٩ مليون دولار .

ان هذا التصلب سيترك ظلالا واضحة على ساحة الصراع في الشرق الاوسط ، فالاتحاد السوفييتي لا يمكن أن ينسحب من ساحة الصراع ، وهـو يرفض كليا حلا أمريكيا فقط يخدم مصالح القوى الرجعية والمتواطئة مع الاستعمار ، لذلك فعليه أن يناضل ليخلق ظروفا جديدة قادرة على التصدي للهجمة الامريكية في المنطقة ، وقادرة على حصارها « ببدائل كل منها مستحيل »(١٤). ودور هذه البدائل هو تحديد اطار الصراع في الحاضر والمستقبل ومحتواه . ان الاتحاد السوفييتي لا يقف وحيدا في المنطقة فما تزال نقاط ارتكازه موجودة ، لكن هذه النقاط الآن أضعف من نقاط الثورة المضادة المرتبطة بأمريكا ، لذلك فهو مستعد أن يعطي كل ما عنده علـى المستوى السياسي والعسكري لتمتين نقاط ارتكازه . وهذا يعني سياسيا أن طبيعة العلاقة بين سوريا والمقاومة الفلسطينية يجب أن تصبح أمتن وأقوى من السابق ، بسبب تمايز وتحدد الصراع في منطقة الشرق الاوسط . واذا كان التصلب السوفييتي الجديد يصب في تيار المقاومة الفلسطينية وسوريا ، فانه يشير في الوقت نفسه الى سياسة جديدة ازاء مصر ، فالعلاقات بين البلدين لا تستند فقط الى **تجارة السـلاح** وانما الى تحـالف سياسي مبدئي. ان الاتحاد السوفييتي يرفض الاختيار المصري : دبلوماسية امريكية + سلاح سوفييتي .

في الظروف الراهنة يحاول الاتحاد السوفييتي دفع كل القوى باتجاه مؤتمر جنيف ، وهذا يعني خلق وجود نشط للدبلوماسية السوفييتية وتقليم أظافر « الساحر » .

واذا كان الموقف السوفييتي الراهن يشكل عملا ايجابيا بالنسبة لحركات التحرر والمقاومة الفلسطينية ، فانه لا يمكـن الا أن يكون سلبيا بالنسبـة للاسرائيليين . « فالموقف السوفييتي سوف يعرقل محاورات السلام الجارية في الشرق الاوسط » .

وفي الحقيقة فان الخوف الاسرائيلي يعود الى سببين : أولهما أن التصلب السوفييتي يعني تكثيف المعونة المتعددة الاشكال للبلاد العربية المقاتلـــة وللمقاومة الفلسطينية وبالتالي عرقلة الحل الامريكـــي الذي هو الحل الوحيـــد الذي يرضي « طموحات » اسرائيل .

أما السبب الثاني فهو حتمية اغلاق باب الهجرة أمام اليهود السوفييت ، خاصة ان اسرائيل تحلم بـ ٦٠٠٠٠ يهودي في عام ١٩٧٥ .

وأخيرا فان الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا لن يخلق عهدا جديدا في العلاقات الدولية ، ولن يدشن نهاية عصر التعايش السلمي ، فهو لا يمثل الا تصلبا يقف ويعتمد على نفس الارضية السابقة ، أرضية التعايش السلمي .

فالتعايش السلمي كما يقول غروميكو « ليس سياسة وقتية أو عارضة بل هي حجر الاساس في سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية » .

مهما يكن من أمر فان الاتحاد السوفييتي وعلى حد قول كوسيغين « لا يصدر الثورة الى العالم » بل هو مستعد لمساعدة حركات التحرر في العالم على شرط ان تكون هذه الحركات واعية لآفاقها ولظروفها وواعية لطبيعة توازن القوى على المستوى العالمي .

---

١ ــ مقدمة لكتاب : **لينين : في التعايش السلمي**، موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٣ ــ ٤ .

٢ ــ لينين ، المجلد رقم ٢٧ ، ص ٦٧ .

٣ ــ *Socialisme, Théorie et Pratique* عدد ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧ .

٤ ــ *Socialisme, Théorie et Pratique* عدد ٦ ، ١٩٧٤ ، ص ١١٠ ــ ١١١ .

٥ ــ Sciences Sociales عدد ١ ، ١٩٧٤ ، ص ٢١ .

٦ ــ كلود جوليان : **الامبراطورية الامريكية** ، جوليار .

٧ ــ H. Kissinger, «Central Issues of American Foreign Policy» *Agenda for the Nation*, 1968, p. 589.

٨ ــ ٩ : Cité par Arbatov, *S. Sociales* 1-1974, p. 17.

١٠ ــ **لوموند** ، ١٩٧٥/١/١٧ .

١١ ــ **المرجع نفسه** .

١٢ ــ **لوموند** ، ١٩٧٥/١/١٨ .

١٣ ــ ١٩٧٥/١/٨ .

١٤ ــ **دراسات عربية** ، ١٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٥ .

عودة الى العالم الذي تريده واشنطن

الدكتور اقبال احمد

« يؤمن العرب بالاشخاص ، لا بالمؤسسات . وقد رأوا في ممثلا حرا للحكومة البريطانية ، وطلبوا مني مصادقة على وعودها المكتوبة . ولذا اضطررت الى الاشتراك في المؤامرة ، وبقدر ما كان لكلامي من قيمة ، طمأنت الرجال الى مكافأتهم. وخلال سنتي شراكتنا تحت النار اعتادوا على تصديقي وعلى الاعتقاد بان حكومتي ، مثلي ، صادقة » .

ت. ا. لورنس ، « **اعمدة الحكمة السبعة** »

« كيسنجر رجل صادق الوعد . اني اثق به ثقة تامة . انه اول مسؤول اميركي عالج مشكلتنا واثبت انه رجل مستقيم ــ مباشر ، صريح وبعيد النظر ... ان كيسنجر ، بتوجيه من الرئيس نيكسون ــ ولا يسعك الفصل بين الاثنين ــ قد أحدث ثورة في دفع سياسة الولايات المتحدة في منطقتنا وقبل ذلك في بقية العالم ... انهما يفعلان الان ما كان غير وارد في الشرق الاوسط . وكيسنجر رجل رؤيا ومخيلة ، وربما اهم من كل ذلك ، انه رجل ثقة » .

انور السادات في مقابلة مع دي بورشغريف
في **نيوزويك** ، ٢٥ اذار (مارس) ، ١٩٧٤ .

« اننا نحاول تحقيق تسوية (في الشرق الاوسط) بطريقة من شأنها تقوية الانظمة المعتدلة ، لا الانظمة الراديكالية. اننا نحاول طرد الوجود العسكري السوفياتي ... »

هنري كيسنجر ، **شرح خلفية الاخبار في سان كليمنتي** ،
٢٦ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٠

« ان معضلة المحافظة هي انه يتوجب عليها محاربة الثورة مع البقاء مجهولة ، لا بما تقوله ، بل بما ليست هي » .

هنري كيسنجر ، « **عالم مرمم** »

---

* هذه مقتطفات من كتاب سيصدر باللغة الانجليزية بعنوان « **قنابل موقوتة : دليل المواطنين الى سياسة الولايات المتحدة الخارجية في السبعينات** ». وقد خص المؤلف ، وهو مفكر وباحث باكستاني معروف في الولايات المتحدة ، « شؤون فلسطينية » بهذا الفصل الذي ننشر الجزء الاكبر منه هنا .

ان ربح السلام في الفيتنام الذي تلقى عليه نصف جائزة نوبل هو مسالة اخرى . ولكن بالنسبة الى الشرق الاوسط يصعب انكار وصف غولدا مئير لهنري كيسنجر بانه « صانع معجزات » . وقد يستخدم المرء عبارة اقل الهية ، لكن مما لا ريب فيه ان المنجزات تثبت الدكتور كيسنجر بوصفه محتال الدبلوماسية الحديثة الذي يسلب الناس اموالهم بعد ان يكسب ثقتهم .

يصعب تصور وسيط ابعد احتمالا بين اسرائيل والعرب . فبوصفه مساعدا خاصا في البيت الابيض ، وفيما بعد وزيرا للخارجية ، كان غريما في النزاع ، الى جانب اسرائيل . ولا نعني بهذا اتهام كيسنجر باختراع الامبريالية الاميركية او دعمها لاسرائيل . فقد كان الاثنان مرتبطين منذ ما قبل ولادة الدولة الصهيونية . ومع هذا اسهم كيسنجر اسهامات فريدة في تلك العلاقة . فترقية اسرائيل من وكيل ثانوي لتصير الدولة الرئيسية الافضل تسلحا للسلام الاميركي في شرق البحر الابيض المتوسط تعود كليا الى استراتيجية كيسنجر . وعلى نحو مفهوم ساعد في تخريب خطة روجرز بعدما حققت ، عن طريق نشر وقف النار ، الهدفين التكتيكيين لايجاد مازق على طول قناة السويس وعزل الفلسطينيين عن دعم مصر لهم في المعركة مع الملك حسين . وخلال حرب تشرين (اكتوبر) ، لعب الدور الحاسم في العملية الكبرى لاعادة امداد اسرائيل (وهي حتى اليوم اكبر عملية من نوعها في التاريخ وانطوت على ما يقدر بـ ٢٫٥ بليون دولار من الامدادات العسكرية في أقل من اسبوعين) وبدونها ما كانت اسرائيل لتستطيع شن الهجوم عبر قناة السويس وتعيد احتلال هضبة الجولان . وبفضل مناورات كيسنجر لم يتحقق وقف النار الا بعدما عبر الاسرائيليون القناة ، وأمنوا رأس جسر ، وخلقوا جيبا على الجانب الغربي . ثم خرق وقف النار الى ان عزلت اسرائيل الجيش الثالث المصري . وقد غطى أعمال الخرق هذه انذار نووي عالمي استهله الدكتور كيسنجر — الاول منذ ازمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ .

لم يكن من شأن السجل العام للدكتور كيسنجر (او الرئيس نيكسون) في ادارة الدبلوماسية ان يوحي بالثقة . ان قدرا من المناورة والنفاق هو جزء من التقليد الدبلوماسي . فجميع الحكومات احيانا تتلاعب بالحلفاء ، وتضلل الاعداء ، وتقدم معلومات خاطئة للجمهور . الا انها لم تكن الا في ما ندر تعتبر الخداع النظامي ، والتلاعب المناور الساخر ، والخيانة المقصودة ادوات رئيسية — للسياسة . وكانت حكومة نيكسون — كيسنجر تنتمي الى تلك الفئة . والامثلة هنا أكثر من ان تحصى . وفي الشؤون الخارجية أشهر اعمال الخداع هي تلك المتعلقة بقصف كامبوديا وغزوها . وانه امر يصعب تصديقه انه كان بالامكان تنفيذ تلك الغارات الثلاثة الالف والثلاثماية والستين بواسطة طائرات ب — ٥٢ سرا ضد كامبوديا الحيادية (بين اذار — مارس ١٩٦٩ وايار — مايو ١٩٧٠)، تحت اشراف كيسنجر ، ودون ان يعرف حتى وزير سلاح الطيران . ومع هذا لم تكن حادثة شاذة . ففي مقالة مرتكزة على ابحاث مستفيضة اظهر تاد زولك ، المراسل الدبلوماسي السابق لصحيفة نيويورك تايمز ، ان الاجزاء الجوهرية لاستراتيجية المفاوضات التي اعتمدها كيسنجر في الفيتنام كانت العنف والمناورة المشتملة على الاخفاءات والخداع ، والوعود الكاذبة التي قطعها للفيتناميين . (تاد زولك ، « وراء اتفاق وقف النار الفيتنامي » ، **السياسة الخارجية** ، العدد ١٥ ، صيف ١٩٧٤) .

يعتبر الدكتور كيسنجر المناورة سلاحا رئيسيا للدبلوماسية الفعالة . فهو يقول ان مترنيخ « تفوق في المناورة لا في البناء » . ولهذا الامر فائدته . إذ « عندما تحققت وحدة اوروبا ، لم يتم ذلك عن طريق حسن نية كاسلريه بل عن طريق مناورات مترنيخ » . (هـ. كيسنجر ، **عالم مرمم** ، ص ٣١٨) . ورجل الدولة الاخر الوحيد الذي اثار اهتمام هنري كيسنجر واعجابه هو اوتو فون بسمارك ، الذي كان هو ايضا يميل الى سياسة الخداع . ويصفه الدكتور كيسنجر بقوله ان « الشكوك الاخلاقية لم تكن تعوقه » ، فهو « رجل دولة » يضع « مبدأ النفع فوق مبدأ الشرعية » . (هـ. كيسنجر ، « الثوري الابيض : تأملات حول بسمارك » . ديد الوس ، ص ٩١٤ ، ٨٨٨) .

لا نقول ان كيسنجر يعتبر مترنيخ او بسمارك بطلين وتدفعه الحاجة الى تقليدهما . فهو موظف

وعالم يمنعه ذكاؤه ونزعته الانتقادية من فعل ذلك. بل نقترح اسبابا اعمق لتفضيله ، وهي اسباب تعد سياسته الخارجية بحياة مؤيدة من الحزبين الاثنين تتعدى الحكومة الراهنة .

تتمتع استراتيجية كيسنجر العالمية للمحافظة على سيادة وتفوق الولايات المتحدة بواسطة « توازن » جديد للقوة بتماثل ايديولوجي وبنيوي مع نموذج مترنيخ . فهي من الناحية الايديولوجية تتبنى اهدافا محافظة في محيط مناقبي ثوري . ولهذا فانها مدفوعة الى اخفاء محتواها (بقصد الخداع) . يكتب كيسنجر في **عالم مرمم** قائلا : « ان معضلة المحافظة هي انه يتوجب عليها محاربة الثورة مع البقاء مجهولة ، لا بما تقوله ، بل بما ليست هي » . (المصدر نفسه ، ص ٩) .

من الناحية البنيوية ، تسعى استراتيجيته العالمية الى تشجيع التعاون المعادي بين الدول المتنافسة ، وهي سياسة يدرك كيسنجر « انه لا يمكن لدوافعها الحقيقية ان تمنحها الشرعية ابدا » . فهو يعتقد ان « نجاحها يعتمد على مظهر اخلاصها ، على قدرتها ، كما قال مترنيخ يوما ، على ان تبدو ساذجة دون ان تكون ساذجة. فان اظهر المرء غايته ، اردى نفسه في كارثة ، وان نجح نجاحا تاما اكثر من اللازم ، شجع على التفكك » . (في نفس المكان ، ص ٢٠) .

ان اسلوب الالعاب في السياسة العالمية ، وهو شعبي جدا في واشنطن ، يعزز الميل نحو السرية والخداع ، وبنوع خاص عندما تكون الالعاب هي البوكر والشطرنج . فكما عبر كيسنجر : « لا يمكنك ان تخبر خصمك ما هي خطة لعبك » . (استشهد به س . أستور في مجلة **لوك** ، ١٢ اب — اغسطس ، ١٩٦٩) . وعلى الاقل ، لا يمكن ان يكون اعلان خطة اللعب على الملأ جزءا من خطة اللعب .

ان اتفاق فك الارتباط مع مصر أرضى متطلبات كيسنجر لاتفاق مستقر : كان له مظهر حل وسط من كلا الجانبين ، وارضاء الجانبين . فقد كسبت مصر الجيش الثالث،وانسحاب القوات الاسرائيلية من جانبي القناة ، وامكانية زيادة دخل الدولة عن طريق اعادة فتحها . وحصلت اسرائيل على تسوية تسمح بتسريح الجنود وتمنحها خط وقف نار على طول التشكيل الاستراتيجي الاكثر ملاءمة في سيناء ، وتترك حقول النفط المصرية المربحة تحت احتلالها ، وتوسط منطقة حاجزة للامم المتحدة بين الجيشين المتنازعين . وبما انه اعتبر ان الجانبين احرزا كسبا متكافئا من هذا الاتفاق ، فقد افترض ان لهما مصلحة في احترام شروطه نصا وروحا . ويعتقد ان اتفاقية فك الارتباط لكانون الثاني (يناير) قد خلقت قوة دافعة نحو التفاوض وحسنت فرصة التوصل الى تسوية سلمية . الا أن القاء نظرة انتقادية يشير الى الاستنتاج المعكسي — على الرغم من قبول سوريا الضروري والحكيم تكتيكيا لواقع الاتفاق .

كان اتفاق فك الارتباط لكانون الثاني (يناير) ابعد ما يكون عن الانصاف ، اذ انه وهب اسرائيل مكاسب رئيسية واعطى مصر فوائد لها اهمية ثانوية . واذا كان هدف الرئيس السادات هو تحقيق اخلاء الاراضي المحتلة اخلاء تاما ، فقد صار هذا الهدف ابعد عنه نتيجة للاتفاق . اذ لم يواجه المحاربون والذين يدعمونهم في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٤٥ بمثل ذلك الحافز القوي للوصول الى تسوية متفاوض عليها . (مثال ذلك ان الحاجة الاسرائيلية الى تسريح الجنود ، والقلق المصري على الجيش الثالث ، وخطر المواجهة بين الدولتين المتفوقتين ، وتأثيرات حظر النفط على اوروبا واليابان ، جعلت جميع الفرقاء يميلون الى تسوية) . وفك الارتباط في يناير ازال تلك الحوافز ، واعاد معادلة الاحتلال والحرب .

في معرض تفسير قبول مصر بالاتفاق ، شدد الكثيرون من المعقبين على مأزقها العسكري وعلى حاجة السادات الى انقاذ فيالق الجيش الثالث . ومما لا شك فيه ان مأزق القاهرة لعب دورا ما ، لكنه كان أقل خطورة وتأثيرا في جانب واحد كما يعترف المسؤولون الاميركيون والاسرائيليون . صحيح ان الاسرائيليين ، في عرض لامع للمناورات الجريئة والتحرك السريع ، وبمساعدة ردة فعل مصرية بطيئة ومفككة الى حد لا يصدق ، عبروا قناة السويس واوقعوا في الشرك نحو ٢٠ الف جندي مصري حسن التجهيز . ولكنهم اثناء ذلك اوقعوا انفسهم في الشرك ايضا . فمن الناحية التكتيكية كانت اسرائيل تتمتع بأفضلية لان قواتها

تحتل مركزا هجوميا عند طرف داخلية مصر ووراء الطوابير المصرية المتقدمة . الا ان الحالة كانت مؤاتية لمصر من الناحية الاستراتيجية . فان خطر وقف النار الاتفاقي الشكل ، مع النمط المتشابك في السيطرة على الاراضي ، جعل الجيب الاسرائيلي على الضفة الغربية معرضا جدا للهجوم المباغت . وما كان بوسع الاسرائيليين ان يستخفوا بهذا الخطر ، بعدما تم امتحان قوة شكيمة الجنود المصريين ، لا في حرب تشرين فحسب بل ايضا خلال التجاذب منذ وقف النار . وللبقاء على الضفة الغربية كانوا سيضطرون الى البقاء في حالة تأهب ، الامر الذي لن يسمح ، في افضل الاحوال ، الا بتسريح جزئي لجنود وحدات احتياطهم . وما كان بامكان اسرائيل ان تتحمل ذلك .

وفي حال نشوب حرب اخرى كان سيتعرض الثلاثون الف اسرائيلي على الجانب الغربي لضرب قوي من نحو ٢٠٠ الف جندي مجهزين تجهيزا حسنا ويسهل تموينهم وامدادهم من جنود الجيشين المصريين الاول والثاني الى الغرب والشمال . وحتى لو اخفق هذان الجيشان في تحسين عرضهما السابق ومقاتلا بطريقتهما الثابتة التقليدية المعتادة ، فان الاسرائيليين كانوا سيحتاجون الى اكثر من مجرد البراعة والجرأة لمواجهتهما . وقد يضطرون الى استقدام تعزيزات . وسيكون تعزيز هذه القوات وتموينها صعبا في افضل الحالات ، اذ ان خطوط امدادات اسرائيل كانت طويلة ، ولم تكن تسيطر الا على نحو ثمانية اميال من رأس الجسر على الضفة الشرقية . وكان من السهل ان تخسره لعدو مصمم ومستعد لبذل التضحيات كما كان العرب مستعدين بشكل واضح . وفي تلك الحالة كان يمكن ان يجد الاسرائيليون انفسهم في وضع اسوأ من وضع الجيش الثالث المصري . ونظرا الى ضالة عدد سكان اسرائيل والمهارات الضرورية لجنود احتياطها ، فان وقوع قوة كبيرة كهذه في الشرك كان سيكون كارثة لاسرائيل — بينما هو مجرد نكسة بالنسبة لمصر .

ان عزلة الجيش الثالث ، على خطورتها ، لم تكن بحال من الاحوال ميئوسا منها كما صورها المحللون في الصحف الغربية . فقد كان بامكانه الوصول الى المياه العذبة ، وكانت بعض الامدادات تصله سرا في الواقع من البر الرئيسي . وفوق كل شيء ، كان الاسرائيليون معرضين لهجمات من الشمال والغرب في حين انهم لا يسيطرون الا على رأس جسر ضيق يصلهم بقواتهم في المؤخرة . والعوامل النفسية ، في الحرب ، ذات قيمة حاسمة . وكان من المحتمل ان يواجه الاسرائيليون اشد عدو لهم في الجيش الثالث لان هذا الاخير كان حيال ذلك المزيج النادر من الخطر والامل الذي انتج تاريخيا الاختراقات البطولية للحصار .

والامر الاهم هو ان خط وقف النار لتشرين الاول كان باهظ التكاليف الى حد لا يطاق بالنسبة لاسرائيل . فقد كان يتطلب حالة تعبئة خفضت القوة العمالية الاسرائيلية بنسبة قدرت بـ ٢٠٪ . ويقول اسحق بن اهارون ، الامين العام السابق للهستدروت ان تعبئة الدفاع منذ تشرين الاول ١٩٧٣ قد حرمت الاقتصاد الاسرائيلي ٣٠٪ الى ٤٠٪ من عمالها الفنيين المهرة ، وخفضت الانتاج بنسبة ٣٠٪ (الاساس المقارن هو ايلول — سبتمبر ١٩٧٣) ، والغت ما يوازي سنتين من النمو الاقتصادي . (**لوموند** ، ٩ كانون الثاني — يناير ، ١٩٧٤) . وكانت هذه الحقائق قد اخذت تنعكس في الحياة اليومية للناس . فقد ارتفعت كلفة مواد التغذية الاساسية — كالخبز والحليب والزبدة — من ٣٠٪ الى ٧٠٪ ، والنقل بنسبة ٥٠٪ ، وانتشر التشوش في قطاع الخدمات — البريد والهاتف وتسليم البضائع — على نطاق واسع . (**تايم** ، ٤ اذار — مارس ، ١٩٧٤) . وكانت الاكلاف السياسية والاجتماعية للمأزق على طول خط ما بعد تشرين الاول باهظة جدا . وكان الرجال المعبأون وعائلاتهم بدأوا يصرخون مطالبين بنهاية سريعة للامر ، اما بواسطة الحرب او السلم .

وكان بوسع اسرائيل ، على الارجح ، ان تحافظ على المستوى المطلوب للتعبئة اذا تلقت كميات كبيرة من المعونة الاقتصادية والعسكرية وتدفقا كبيرا من الاشخاص المهرة من الخارج . والولايات المتحدة هي المصدر الوحيد لكلا الامرين . وبشك المرء في ان واشنطن كانت مستعدة للمساعدة بصورة ذات معنى . فارسال اسلحة بقيمة ٢،٥ بليون دولار على جناح السرعة لانقاذ حليف من الهزيمة شيء ، وابقاؤه في وضع عسكري محفوف بالمخاطر بكلفة ٨ بلايين او ١٠ بلايين دولار سنويا

شيء اخر ، وخاصة بالنسبة الى رئيس تحاصره ووترغيت واقتصاد مضطرب . وكذلك الصهاينة الاميركيون الذين ينعمون بالعيش بعيدا عن الدولة اليهودية وبفضلها : فلم يكن من المحتمل ان يترك هؤلاء رفاهية اميركا بأعداد كبيرة بغية الخدمة في الشرق الاوسط . وبالعكس ، لو طالت الحالة ، لكان على اسرائيل ان تواجه ضغطا اميركيا متزايدا لتعديل موقفها في المفاوضات .

لهذه الاسباب كان متعذرا الدفاع عن خط وقف النار المصري — الاسرائيلي لتشرين الاول ١٩٧٣، خلافا لخطوط وقف النار اللاحقة لحروب ١٩٤٨ ، و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . ولم يكن ممكنا تجميده . فقد كان امام اسرائيل ثلاثة خيارات : (أ) بدء حرب اخرى ، (ب) التوصل بالتفاوض الى اتفاق حول فصل القوات يرتكز على التزام بالانسحاب من الاراضي المحتلة ، وجدول مواعيد للتفاوض نحو تسوية سلمية (وقد اعلن في مستهل جولات كيسنجر ان هذا هو ادنى شرط مصري لفسك الارتباط) ، (ج) الانسحاب من جانب واحد من غرب السويس الى خط معقول وممكن الدفاع عنه اكثر كان الكثيرون من الاستراتيجيين الاسرائيليين والاميركيين قد عينوا موقعه ، منذ ١٩٦٨ ، عند ممرات جدي ومتلا .

لم يكن من المحتمل ان تبدأ اسرائيل حربا شاملة . اذ لم يعد يبقى لها اي هدف سياسي او عسكري عقلاني في مصر . وعلى الرغم من التصريحات الخطابية للجنرالات الاسرائيليين ، فان « تدمير » الجيش المصري لم يكن افتراضا عمليا، لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية السياسية. وبالعكس ، نظرا الى مركز اسرائيل على الجبهة المصرية ، كانت الفرص متساوية بانها يمكن ان تمنى بنكسة كبيرة في حال اندلاع حرب شاملة . ثانيا ، لم يكن بوسع اسرائيل شن الحرب دون دعم واسع من الولايات المتحدة . وانه مشكوك به ما اذا كانت واشنطن ستوافق على مشروع محفوف بأخطار نتاج مواجهة بين الدولتين المتفوقتين ، ويمكن ان يكون باهظ الثمن بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة . ثالثا ، ان وقوف العرب موقفا مرنا ولكنه شديد ، مع تأييد تسوية متفاوض عليها ولكن مع استمرار حظر النفط ، كان سيعزل اسرائيل والولايات المتحدة ويجعل تسويغ استئناف الحرب صعبا .

ملاحظة : اذا لم يكن استئناف الحرب الشاملة معقولا ، فان التهديد بها معقول . فبامكان المسؤولين المصريين المرنين استخدامه كحجة لحل وسط ، وبامكان هنري كيسنجر القلق ان يستخدمه لاظهار جزعه . وتنتمي هذه الخدعة الى ذخيرة الدكتور كيسنجر الدبلوماسية . فهو يعتقد بأن التهديد ، وفي الظروف الملائمة استخدام القوة ، ضروريان للدبلوماسية الناجحة . وفيما يلي لمحة عن « خدعة » حسنة التنسيق سبقت مباشرة اتفاق فك الارتباط الاسرائيلي — المصري :

٣—٤ كانون الثاني، الجنرال دايان في واشنطن لاجراء محادثات مع الدكتور كيسنجر . يظهر الاثنان امام الصحافيين في مزاج ودي وينكتان مع المراسلين . ويهدف العرض الى تطمين الرأي العام ، ولا سيما انصار اسرائيل ، الى استمرار التعاون بين الولايات المتحدة واسرائيل. وتتعمد الاذاعات التلفزيونية التشديد على الجو الحبي . ولكن ، في تصريحات « ليست للنشر » ، يلمح دايان الى وجود « خلافات » . وفي ما بعد، خلال شرح « عميق للخلفية » ، يؤكد « هنري » التقارير عن « الخلافات » ، مؤتمنا جماعة مختارة من الصحافيين على أن اسرائيل توشك ان تشن هجوما عسكريا . وبموجب « القواعد المعمول بها » ، ينسب الصحافيون المؤتمنون الى « مصدر مطلع » او « مسؤول » « الانذار » الذي يوردونه كحقيقة ويقولون انه عجل في قيام الدكتور كيسنجر بزيارته الملحة الى الرئيس السادات ، وهي الزيارة التي افضت الى الجولة الاخيرة من المفاوضات . ومن طائرة كيسنجر الخاصة ، يستمرون في الاستشهاد بـ « مسؤول كبير » حول تقدمه في المفاوضات — اكتملت بنسبة ٧٠ ٪ ، ٨٠ ٪ ، ٩٠ ٪ — حتى دون التلميح الى تفاهة هذه الادعاءات (فالاتفاق ، كالزواج ، لا يمكن ان يكون مكملا بنسبة ٥٠٪ او ٦٠٪ او ٩٠٪ . ومع هذا فان احصاءات كيسنجر الموحية بالامل لا تخفض سياسة شفير الحرب الاسرائيلية . وفي الثاني عشر من كانون الثاني ، عشية وصوله الى القدس ، يرتفع التوتر على الجبهة المصرية . لقد أمرت اسرائيل بحالة تأهب عام . وفي ما بعد تكشف « مصادر مقربة من الاركان العامة » عن

« ان تحضيرات كانت قد اتخذت لشن هجمات بغية تدمير الجيشين الثاني والثالث » . (**لوموند** ، ١٩ كانون الثاني ١٩٧٤) .

أن تكون التقارير عن « الخلافات » بين كيسنجر ودايان والخطط من أجل الهجمات الاسرائيلية قد أعدت وأخرجت بقصد الخداع ، هو أمر يجب ان يكون واضحا للذين يتتبعون عن كثب العلائق بين الولايات المتحدة واسرائيل . وفي الواقع ، كان هناك منذ البداية انسجام في الرأي بين كيسنجر والمسؤولين الاسرائيليين حول نوع فك الارتباط الذي سينشدونه . وقد اعد الخطة له معاونو كيسنجر بالتشاور مع المسؤولين الاسرائيليين في اوائل تشرين الثاني . وصارت معلومة لدى الجمهور لاول مرة في وقت اتفاق وقف النار المصري ــ الاسرائيلي عند الكيلومتر ١٠١ . فقد قالت **نيوزويك** (٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣) انه « ... وفقا لمصادر مطلعة ، سيضغط كيسنجر من أجل سحب القوات الاسرائيلية من القناة الى خط جديد غربي ممرات جدي وميتلا مباشرة . وستسحب القاهرة جميع جنودها ما عدا قوة رمزية منهم من سيناء وسيوضع عدد كبير من قوات الامم المتحدة بين الجيشين » . وأبرق مراسل المجلة في اسرائيل قائلا ان « اقتراح الولايات المتحدة قد يكون مقبولا من اسرائيل » .

وفي ما يتعلق بزيارة الجنرال دايان في كانون الثاني الى واشنطن ، و« خلافاته » مع الولايات المتحدة ، والتهديد الذي قيل انه نشط آخر رحلات كيسنجر من أجل السلام ، فقد قالت صحيفة **جيروساليم بوست** (١٥ كانون الثاني ١٩٧٤ ، الطبعة الاسبوعية) ان خطة فك الارتباط الاسرائيلية التي قدمها كيسنجر الى السادات في الرابع عشر من كانون الثاني كانت هي الخطة التي «حملها دايان معه الى واشنطن» . واضافت ان « مصادر مقربة من الحكومة الاسرائيلية » قالت ان الدكتور كيسنجر اعتقد ان الخطة « بناءة وكريمة الى أقصى ما تستطيع اسرائيل ان تتحمله » . وهذه الخطة هي الاساس للاتفاق الفعلي .

يجب ان لا يتوهم أحد ، ان حالة التأهب العام الاسرائيلية في الثاني عشر من كانون الثاني كانت فلتة شد عضلات او تخريب عسكري لاعمال الدبلوماسيين . فالضعف العسكري من شتائي كيسنجر المفضل في الدبلوماسية كان من تلحين وتوزيع اسرائيل طوال توسطه في الشرق الاوسط .

الخيار الثاني (فك الارتباط العسكري المصري ــ الاسرائيلي كمرحلة اولى في تحقيق التزام للتخلي عن الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧) ، كان بمثابة محك للنوايا الاسرائيلية والاميركية . ولو كانت اسرائيل مستعدة فعلا للتوصل الى سلام مع الدول المجاورة على أساس الانسحاب الكامل لقبلت بهذا الخيار . فقد كان يتصف بمزايا واضحة هي تطمين الحكومات العربية بالنوايا الاسرائيلية السلمية ، وجعل الاتفاق مع مصر نموذجا جذابا لسوريا والاردن ، وربط فك الارتباط العسكري بعملية استتباب السلام . وكان سيتيح لاسرائيل الوقت للتوصل بالمفاوضات الى شروط امنها وحرية الملاحة ، والوقت لاختبار نوايا الدول العربية والاطمئنان اليها . واخيرا ، بما أن هذا الخيار كان جذابا بشكل واضح في نظر الحكومات العربية المعنية ، فربما كان خدم هدفا اسرائيليا رئيسيا : عزل مطالبة الشعب الفلسطيني باستعادة حقوقه الوطنية والتخلي عن هذه الحقوق .

وكذلك الامر ، لو كان كيسنجر يميل الى تشجيع قيام السلام على أساس الانسحاب الاسرائيلي التام لاستخدام نفوذ حكومته الكبير من اجل الوصول الى اتفاق يربط فك الارتباط العسكري على نحو محدد واضح بتسوية سلمية . وكان سلوك الدكتور كيسنجر في الشرق الاوسط غريبا نوعا ما بالنسبة الى شخص شدد باستمرار على ضرورة ربط الضغوط العسكرية والاقتصادية السلبية بالمبادرة الدبلوماسية الايجابية . فقد انتهك مبادئه الخاصة ، متصرفا كخصم وليس كوسيط . ويتميز هذا الاتفاق ، كتسويته السلمية في الفيتنام ، بتعرضه للانتهاكات . وعلى الرغم من ادعاءات كيسنجر السلمية وتوددة المتملق نحو الزعماء العرب ، فان الاتفاق يهدف الى تكريس انقسام الحكومات العربية بين معسكرين احدهما مناهض لاميركا والاخر قومي راديكالي ، والى سحب الفتيل من النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، والى انتاج طريق مسدود بفصل مصر عن مطامح الفلسطينيين والشعوب العربية الاخرى .

نظرا الى الموقف الاستيلائي الذي وقفه الزعماء الاسرائيليون (بحيث اعلن حتى « الحمائم » ان القدس وشرم الشيخ وهضبة الجولان هي مناطق لا يمكن التفاوض عليها) فقد كانوا بحاجة الى اغراءات خاصة للاقرار بضرورة الانسحاب الكامل. وفي اعقاب حرب تشرين التي زعزعت افتراضهم بأنهم دولة لا تقهر ، وابرزت عزلتهم ، ووكدت على اعتمادهم التام على الولايات المتحدة ، كان يمكن ان يكونوا اكثر اذعانا للعقل ، وبخاصة لان مصلحتهم الوطنية تقتضي تسريحا مبكرا للجنود . ولو صمدت مصر ، وساعدها كيسنجر بنصائح ودية وانذارات شديدة ، لربما كانت حملت اسرائيل على القبول بالانسحاب الكامل كأساس لفك الارتباط والمفاوضات . ولو رفضت ، لربما كان اثبت الخيار الثالث (الانسحاب من جانب واحد من غرب قناة السويس) انه السبيل العملي الوحيد امام اسرائيل . وكان يمكن اخفاء كونه من جانب واحد بتصعيد للاشتباكات يؤدي الى اتفاق يفسح في المجال لخط وقف نار جديد على طول ممرات جدي وميتلا . لقد كانت ورطة الجيش الثالث خطيرة واستعادة القناة مهمة الى حد كاف لجعل اتفاقية كهذه جذابة في نظر مصر . لكنها انذاك كانت احرزت ما احرزته من الاتفاق الحالي دون وضع قوات الامم المتحدة لفترة طويلة على الارض المصرية ، ودون « التفاهمات » التي قيل ان السادات قدمها الى كيسنجر .

لقد دفع العقل وقواعد الدبلوماسية المرء الى الافتراض بأن مصر ، مع احتفاظها بموقف معتدل، سترفض خيارا ثالثا (فك الارتباط عن خطوط وقف النار اللاحقة لتشرين الاول الى حدود عسكرية جديدة يمكن لاسرائيل السيطرة عليها لمدة غير محدودة دون تعبئة كاملة) الا اذا كان مرتبطا بالتزام وبجدول مواعيد مفاوضات لانسحاب اسرائيلي كامل . ولا بد ان يكون هذا الخيار قد اعتبر في الخطة ــ اللعبة الاسرائيلية ــ الاميركية فيشة جيدة ولكنها رهان سيء . وفي نهاية الامر كانت ستضطر اسرائيل الى الاختيار من بين الخيارات الثلاثة الاخرى . ولكن القبول باتفاق فك الارتباط وفر على الحكومتين الاميركية والاسرائيلية ضرورة الاختيار .

وفي قبول الرئيس السادات لشروط فك ارتباط كانون الثاني ، تخلى عن امتيازاته الاستراتيجية والسياسية في مغامرة لا يمكن ان تؤدي ، في افضل الاحوال ، الا الى مكاسب محدودة لمصر ، ولمصر وحدها. وهي على الارجح ستبرز الانقسامات القائمة في العالم العربي ، وتشجع اسرائيل على السعي الى مواجهة عسكرية اخرى كوسيلة للتعويض عن الخسائر النفسية والسياسية (مثال ذلك ، خفض مكانتها في استراتيجية البحر الابيض المتوسط الاميركية) التي تكبدتها في حرب تشرين ، ولزيادة التورط الاجنبي في الشرق الاوسط .

واذا كانت مصر مستعدة للقبول بسلام منفصل مع اسرائيل ، فستضغط واشنطن من أجل اعادة سيناء الى مصر لاسباب سنبحثها فيما بعد ، وقد تتنازل اسرائيل ، علما بأن اتفاق فك الارتباط لم يفعل الشيء الكثير للتشجيع على مثل هذا التنازل. فالاتفاق زاد من اغراء تحويل خط اسرائيل العسكري الى حدود دائمة عندما أقام هذا الخط على طول الممرات الاستراتيجية (جدي وميتلا وخاتمية) . والى ذلك ، اذا كانت مصر قد استعادت قناة السويس ، فان اسرائيل تسيطر على المدخل اليها . فبامكانها من شرم الشيخ ان تحاصر خليجي السويس والعقبة ، ومن هنا ادعاء بارليف الاخير بأن « سفننا الحربية ستكون بالنتيجة في مركز أفضل لاغلاق قناة السويس » . (**لوموند** ، ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٤) . كما تحتفظ اسرائيل بحقول نفط ابو رديس المربحة (بليون دولار سنويا) ، وهي كنز لا يحتمل ان تتخلى عنه دون ضغط كبير . وما لم تكن مصر مستعدة لفصل نفسها عن مطامح الشعب الفلسطيني ، وعن حاجة سوريا الى استعادة الجولان ، فمن غير المحتمل ان تمارس واشنطن الضغط .

ان صفة غريبة من صفات خط حدود كانون الثاني تبرز الاهمية التي تعلقها اسرائيل على هذه الاحتلالات : ان منطقة فك الارتباط للامم المتحدة (ويبلغ عرضها ١٢ كيلومترا) تتقلص الى نحو نصف عرضها العادي عند النقطة التي تقطع الطريق باتجاه الشرق من الاسماعيلية تاركة لاسرائيل السيطرة التامة على مفترق طرق الطاسة في الطريق الى قاعدة بير جفجافة العسكرية الاسرائيلية في سيناء الوسطى. انه في الوقت الذي قبل فيه بفرض قيود شديدة على نشر القوات

المصرية ضمن اراضي مصر سمح بهذا الترتيب الاستثنائي الذي يهدف الى تيسير الوجود العسكري الاسرائيلي في مصر .

وقيل ايضا ان « تفاهمات » سرية ، وهي من المعترف الان بأنها من ادوات الكيس السحري للدكتور كيسنجر ، كانت جزءا من اتفاق كانون الثاني . ويتذكر المرء بأن انتهاكات مزعومة « لتفاهمات » قيل انها مماثلة عام ١٩٦٩ كانت بمثابة التسويغ الرئيسي لاستئناف القصف الاميركي للفيتنام الشمالية . (وانكر الفيتناميون ان يكونوا اعطوا اي « تفاهم » ، ولا توجد اية ادلة تبرر الشك في انكاراتهم) . ومن جهة اخرى فان التأكيدات الخاصة التي يعرف ان كيسنجر قدمها للفيتناميين لم تحترم حتى الان ، كما ان اتفاق سلام باريس لعام ١٩٧٣ ينتظر التنفيذ .

وخلاصة القول هي ان فك ارتباط كانون الثاني، بازالته الاعباء الاستراتيجية والاقتصادية لخط وقف نار تشرين الاول وفر على اسرائيل اختيارا ملحا بين الحرب والسلام المتفاوض عليه . وبتثبيته الحدود الاسرائيلية على طول التشكيلات الاكثر استراتيجية في سيناء ، زاد المصلحة الاسرائيلية في طريق مسدود دائم . وعلى هذا فهو يمهد الطريق لحرب رئيسية اخرى ، حاسمة على الارجح ، اذا افترض المرء وجود تصميم عربي ، بما فيه مصري ، على استعادة الاراضي المحتلة .

عندما تبدأ الحرب التالية بين العرب واسرائيل ستجد الحكومات العربية في اسرائيل عدوا اكثر عدوانية ، وأشد تعبئة ، وافضل تجهزا بالاسلحة مما كان في تشرين الاول ١٩٧٣ . ولا يمكن استعادة الامتيازات التي تمتعت بها في الحرب الاخيرة . ففي الحروب التقليدية نادرا ما يستطيع المرء تحقيق المباغتة اكثر من مرة واحدة ؟ وفي أية حال، فان منطقة حاجز الامم المتحدة في سيناء هي ضمان ضد هذه المباغتة على الجبهة المصرية . والى ذلك فان اسرائيل هي التي يحتمل ان تضرب اولا في المرة التالية ، وخصوصا اذا زودها العرب (كما فعلوا عام ١٩٦٧) بتسويغ معقول . والقوات المسلحة الاسرائيلية هي اليوم أحسن استعدادا من أي وقت مضى . فالامدادات الاميركية عوضت ، واكثر ، عن الخسائر التي تكبدتها في حرب تشرين بحيث تحسنت الاسلحة الاسرائيلية من حيث النوعية والكمية .

كما لن يتمتع العرب بامتياز استخدام أسلحة متفوقة غير معروفة لدى العدو كما كانت الحال الى حد كبير في تشرين الاول ١٩٧٣ بالنسبة الى صواريخ سام ٦ المضادة للطائرات ، وصواريخ ساغر المضادة للدبابات ، وطائرات سوخوي ٧ المقاتلة للدعم القريب . فالفرصة لم تكن قد سنحت امام الولايات المتحدة لحل الاسرار الالكترونية لهذه الاسلحة العالية التعقيد ، لان الاتحاد السوفياتي لم يزود الفيتناميين بها . بيد ان الولايات المتحدة ابتكرت ابان حرب تشرين اجراءات مضادة لهذه الاسلحة الجديدة في غضون أسابيع من اقتناص اسرائيل لها .

وبالاضافة الى الاجراءات المضادة واجهزة التشويش ، فان اسرائيل مجهزة الان بأسلحة جديدة من نوعية مساوية لها او متفوقة عليها . مثال ذلك ان الامدادات الاميركية الكبيرة من صواريخ مافريك وتاو المضادة للدبابات تهدف الى موازنة امتلاك العرب لصواريخ ساغر . (وكانت صواريخ تاو المصممة خصيصا للعمل ضد دبابات ت — ٦٢ الروسية، قد ارسلت على جناح السرعة الى اسرائيل ابان حرب تشرين واستخدمت في الهجمة الاسرائيلية عبر السويس) . وكذلك الامر ، فان استخدام اسرائيل لاخر طراز من صواريخ ارض — جو (التي طورتها البحرية الاميركية) سيزيد من صعوبة مساندة طائرات سوخوي ٧ للقوات البرية . ويمكن التكهن بصورة موثوقة ان واشنطن ستستمر في تزويد اسرائيل بأسلحة اخرى واكثر جدة . واذا اتخذنا من الماضي (في الفيتنام والشرق الاوسط) دليلا لنا ، فان هذه الامدادات سيصار الى تسويغها كاداة للضغط ، واغراء بالسلام .

ولم يطرأ تحسن على مركز مصر من الناحية الاستراتيجية . كان سلاحها الوحيد ضد المجهود الاسرائيلي الرامي الى جعل الحالة طبيعية هو التهديد باستئناف ما وصف على نحو مبالغ فيه « بحرب الاستنزاف » — تسخين خطوط الجبهة، وفرض درجة من التعبئة على اسرائيل ، واثارة ما يكفي من القلق العالمي لاحداث قدر من التحرك الدبلوماسي نحو سلم متفاوض عليه . (كانت حرب تشرين ، في النتيجة ، اخر هذا النوع من

القتال ــ حرب « اهداف محدودة » ، علما بأن الزعماء المصريين اثناء تحقيقهم نجاحا تخطى ما توقعوه نسوا ، على ما يبدو ، اولا الحدود ثم الهدف) . وقد ازالت شروط فك الارتباط تلك الامكانية . فان اثني عشر كيلومترا من منطقة امم متحدة جاهزة تفصل الان ، رسميا ، بين القوات المصرية والاسرائيلية . والمسافة بين الجيشين اعظم بكثير في الواقع . ذلك ان الوجود العسكري المصري في سيناء يقتصر على قوة رمزية (٧٠٠٠ رجل ، ٣٠ دبابة ، ٦ وحدات من المدفعية المضادة للطائرات ذات مدى محدود بأربعة اميال) .وبغية الدفاع عن الضفة الشرقية والقتال في سيناء ، سيبقى على الجيش المصري ان ، يعبر القناة . وفي المقابل نجد ان الاسرائيليين منتشرون وراء منطقتهم المحدودة . (لهذا السبب أيضا ستكون قناة السويس المعاد فتحها رهينة لاسرائيل) .

نظرة شاملة الى السياسة الخارجية للولايات المتحدة في السبعينات

اللغة السائدة ، كما هي موضحة في خطب رئيس الجمهورية وتصريحات الدكتور كيسنجر ، تعلن نهاية « العالم الثنائي القطب اللاحق للحرب » ، وبداية نظام عالمي خماسي . ويفترض ان اتفاق الانداد ــ الاتحاد السوفياتي ، الصين، اليابان ، اوروبا الغربية والولايات المتحدة ــ يهدف الى تأمين ميزان قوة مستقر وجيل من السلام . وتبدو اللغة المنمقة معقولة ، اذ انها مدعومة بعروض دراماتيكية مثل زيارة نيكسون الى الصين ، وصور لنيكسون وبريجنيف واحدهما يشرب نخب الاخر خلال زرع الالغام والقصف المتواصل لهانوي وهايفونغ . ومع هذا ، في الواقع ، اطلقت واشنطن استراتيجية جديدة هدفها الوحيد هو استعادة مركز التفوق الذي كانت تتمتع به في الخمسينات ، ويبدو انها تخسره في السبعينات . وعلى هذا فان مبدأ كيسنجر ــ نيكسون لا يمثل اعادة توزيع للقوة ولا تراجعا عن المراكز المتقدمة للامبريالية . فاهدافه هي الاستعادة ، والمحافظة والعدوان .

وتبقى القوة الدافعة للسياسة الخارجية الاميركية غير متغيرة . وبثبات يحاذي الاستحواذ، حدد نيكسون الهدف الرئيسي للولايات المتحدة بأنه البقاء دولة « الدرجة الاولى » ، دولة متفوقة لا تتفوق عليها دولة اخرى ، والضامن للنظام العالمي ، والحارس للعالم الرأسمالي .والقرارات التي اتخذتها حكومته ، في التخطيط العسكري وفي ادارة السياسة الخارجية على السواء ، تؤكد هذا الانشغال الكامل .

واذا كانت اهداف السياسة قد بقيت هي نفسها ، فان ازمة القوة الاميركية ، والتحديات التي واجهها تفوقها في الستينات ، اقتضت اعادة تنظيم الاستراتيجية والتكتيكات . وكانت بدايات الاتجاه الجديد ملحوظة خلال العامين الاخيرين لادارة جونسون. الا ان مظاهرها الاكثر دراماتيكية حدثت خلال رئاسة رتشارد نيكسون ، ويحمل التعبير عنها الطابع الواضح لتفضيلات الدكتور كيسنجر الاستراتيجية والتكتيكية .

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كان بروز الولايات المتحدة والقبول بها على أنها القوة الاعظم يرتكزان على عوامل خمسة : (أ) التفوق الغامر للولايات المتحدة في الاسلحة الاستراتيجية، (ب) أفول بلدان اوروبا الغربية واليابان كمراكز قوة ، (ج) التدخلات العسكرية الاميركية الناجحة ضد ثورات اجتماعية حقيقية او خيالية في العالم الثالث ، (د) سيطرة راس المال الاميركي على اقتصاد العالم ، (هـ) وجود اجماع وطني على سياسة خارجية يؤيدها الحزبان الرئيسيان .

وشهدت نهاية الستينات تغييرا جوهريا للاوضاع التي كانت قد حددت مركز الولايات المتحدة كدولة متفوقة . فنظرا للتقدم السريع الذي حققه الاتحاد السوفياتي في تكنولوجيا الصواريخ وتكنولوجيا الطيران ــ الفضاء ، كان قد اقترب من بلوغ التكافؤ في انظمة الاسلحة الاستراتيجية . وكانت « ثنائية القطب » قد اضحت حقيقة آنذاك حتى وفقا للمقاييس الشديدة للدكتور كيسنجر الذي كان قد جادل بأنها زائلة في الخمسينات . كما كانت العملية قد ابتدأت نحو ازالة القواعد العسكرية الخارجية التي ضمنت لقدرة الضرب الاميركية مداها البعيد البالغ التأثير . وكانت اليابان واوروبا الغربية قد برزتا كوحدتين اقتصاديتين منافستين ضمن الكتلة الرأسمالية ، ومن الناحية الاقتصادية انعكس مركز الولايات المتحدة المتضائل

في الضعف الذي اصيب به الدولار وما تابله من رفع قيمة الين والمارك والفرنك . والى ذلك فان الحرب في الفيتنام القت الشك على كل من فعالية القوة الاميركية ، ومبدأ الحروب المحدودة الذي ارتكزت عليه عشرين سنة من التدخلات المضادة للثورة (التي كانت تتم بمعدل مرة كل ١٨ شهرا منذ عام ١٩٤٧) . واخيرا ، انهار الاجماع حول الحرب الباردة تحت ضغوط الفيتنام . وصارت تدعو الحاجة الى اساطير جديدة وحقائق جديدة لاقناع الناخبين الاميركيين بالامبريالية القديمة . وتسعى استراتيجية كيسنجر الدبلوماسية والعسكرية الى التغلب على مواطن الضعف الناجمة عن ذلك كله . وهدفها استعادة القوة المتناقصة لاميركا ، وليس تحويل علاقاتها الدولية .

اذا اراد المرء ان يفهم احدى السياسات ، عليه ان يحقق افتراضات راسم تلك السياسة . وكانت ثلاثة اشباح تنتاب منذ مدة طويلة هنري كيسنجر وهو يتلمس طريقه نحو نظام دولي مستقر تحت السيطرة الاميركية . كانت هذه الاشباح هي الاتحاد السوفياتي ، حركات التحرير الوطنية ، والخسارة الممكنة للاجماع الداخلي على سياسة خارجية حركية . ولم يخفف الزمن الكثير من مخاوفه حول الاتحاد السوفياتي، وازدادت مخاوفه حول حركات التحرير ، واصبح شبح انهيار الاجماع الداخلي حقيقة واقعة . والى هؤلاء اضيفت مشكلة رابعة : هي مشكلة استعادة تأثير اميركا المتناقص على اوروبا الغربية واليابان .

الوفاق : سياسة التعاون العدائي

ان نعوتا مثل المشاركة الثانوية او اتفاق الدولتين المتفوقتين لا تعبر تعبيرا دقيقا عن صفة الوفاق ونطاقه ، وعن الدوافع الكامنة وراءه . فان اعتقادا عميق الجذور بان الاتحاد السوفياتي منافس طموح ، وبانه الوحيد الذي يمكنه ان يتحدى تفوق اميركا الدولي ، يستمر في توجيه الدبلوماسية والتخطيط الاستراتيجي الاميركي . وهذا ما تمليه العوامل الجغرافية ــ السياسية ، التي تلعب دورا كبيرا في تقرير تقليد السياسة الواقعية الذي يتبناه كيسنجر . فالاتحاد السوفياتي وحده بين الدول الكبرى يتمتع بمزيج المساحة الواسعة من الارض والسواحل البحرية (الممتدة من اسيا الى اوروبا) ، والمعدل الديموغرافي ، والموارد ، والتكنولوجيا القادرة على التنافس مع الولايات المتحدة .

وكان هاجس تحدي الاتحاد السوفياتي للولايات المتحدة يستحوذ على هنري كيسنجر اكثر مما استحوذ على اي استراتيجي اميركي اخر . فهو تكتيكي واسع المخيلة وذكي ، ولكنه استراتيجي جامد . وقد شكلت استشرافه الاستراتيجي بضعة مفاهيم اساسية التزم بها طول عقدين من الزمن . بثبات دوغماتيكي . واحد هذه المفاهيم هو التمييز بين « الدولة الجزيرة » و « الدولة القارية » . وبما ان الاتحاد السوفياتي هو اكبر المساحات الواسعة من الارض واغناها واكثرها تكاملا من الناحية السياسية في « اوراسيا » ، فانها «الدولة القارية » الرئيسية . وعلى هذا فهي العدو الطبيعي والخطر الدائم للولايات المتحدة ، التي يعتبرها كيسنجر « الدولة الجزيرة » الرئيسية ، بمعنى انها اقل موارد وبالتالي فانها محتاجة للوصول الى موارد اوراسيا . ومن هنا يعتقد بان الولايات المتحدة ، ازاء الاتحاد السوفياتي ، تواجه المشكلة التقليدية لدولة جزيرة ــ مشكلة قرطاجة ازاء ايطاليا ، ومشكلة بريطانيا ازاء القارة الاوروبية ... واذا ما وقعت اوراسيا تحت سيطرة دولة واحدة او مجموعة من الدول واذا ما اتيح لهذه الدولة الوقت الكافي لاستغلال مواردها ، فلا بد ان تواجه خطرا بالغا » . (هنري كيسنجر ، « دفاع عن المناطق الرمادية »، **الشؤون الخارجية** ، نيسان ــ ابريل ١٩٥٥). هذه النظرة الجغرافية ــ السياسية لمازق اميركا الاستراتيجي يوضح ايضا اهتمام كيسنجر في منع بروز اوروبا الغربية كمركز مستقل ومتماسك للقوة . ونظرا الى اهمية الشرق الاوسط الاستراتيجية واهمية موارده بالنسبة للدول المصنعة ، فان واشنطن تعطي الاولوية العليا لمنع اتساع نفوذ روسيا في المنطقة ، وايضا لضبط طبيعة روابط اوروبا بها .

الا ان النظرة الاميركية المعاصرة الى الاتحاد السوفياتي هي اكثر عقلانية وفطنة بالمقارنة مع الخمسينات . فحتى كيسنجر ، آنذاك ، اعتبره

خطرا لا من الناحية الجغرافية ـــ السياسية فحسب ولكن ايضا من الناحية الايديولوجية . فقد كان ينظر الى الاتحاد السوفياتي والصين على السواء « كدولتين ثوريتين » « لا تقبلان باطار النظام الدولي او البنية الداخلية للدول الاخرى او بكليهما » . أما اليوم فهو ينظر اليهما كدولتين يحتمل ان تقبلا بالوضع القائم ، بمعنى انه يمكن حملهما على احترام « اطار النظام الدولي » وترك مهمة القيام بخفر « الاضطراب » الى الولايات المتحدة والدول التابعة لها . ولذلك يمكن وصف سياسة الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفياتي على افضل نحو بانها سياسة تعاون عدائي . وهي تجمع بين عناصر العمل المشترك والمكافآت المختارة في بعض المناطق ، وعناصر المواجهة ومنع انتشار قوته وعقيدته في مناطق اخرى . (ولاسباب سنبحثها في ما بعد ، ينتمي الشرق الاوسط الى النصف المعادي من الوفاق). وتسعى الى زيادة حدة النزاع الصيني ـــ السوفياتي حيث امكنها ذلك .

تشتمل الحوافز لزيادة المصلحة السوفياتية في « النظام » الدولي على تحسين العلاقات الاقتصادية مع الولايات المتحدة ، واتفاقات الحد من الاسلحة، والتخلي عن لغة « الدفع الى الوراء » لعهد دالس ونتيجتها الطبيعية ، الاعتراف بمنطقة نفوذ سوفياتية في اوروبا الشرقية ، وتحمل النفوذ الروسي الاخذ في الاتساع في مناطق ذات مصلحة استراتيجية تافهة للولايات المتحدة . ولكن حين ينطوي الامر على مسائل ذات اهمية استراتيجية، على سبيل المثال في المناطق التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي ، فان السياسة الاميركية حيال الاتحاد السوفياتي هي سياسة منع انتشار ومواجهة .

ان سياسة توفير الحوافز بواسطة العمل المشترك والمكافآت المختارة لكي يتصرف الاتحاد السوفياتي بصورة محافظة قد لاحت كبيرة على الصعيد العام . الا ان الناس اقل معرفة وفهما للتحركات الاكثر مغامرة في اتجاه منع الانتشار والمواجهة . وينتمي الى هذه الفئة الاخيرة تحرك التخطيط النووي الاميركي الذي يؤذن بتحول خطير من مفهوم الردع الى خلق قوة مضادة لضربة اولى . وكذلك التوسيع المتصور للقوة البحرية الاميركية ـــ وتحديثها على نطاق واسع . وكذلك ايضا تصميم وتطوير نظام اسلحة يفضي نحو النشر الفعال للاسلحة النووية التكتيكية . كما انتمت اليها العروض المعينة للقوة ـــ التحرك الاستفزازي للاسطول السادس ابان الحرب الاهلية الاردنية عام ١٩٧٠ ، وارسال السفن الحربية بقيادة حاملة الطائرات انتربرايز الى خليج البنغال اثناء الحرب الهندية ـــ الباكستانية في كانون الاول ١٩٧١ ، وحصار هانوي وهايفونغ وقصفهما قصفا مشبعا قبيل زيارة نيكسون الى موسكو ، واصدار الامر بحالة تأهب عام ابان الحرب الاسرائيلية ـــ العربية في تشرين الاول ١٩٧٣ .

من غير ريب ان جميع التطورات السالفة الذكر لا تنطبق على وجه الحصر بسياسة الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفياتي. فالاسلحة النووية التكتيكية وسلاح البحرية على سبيل المثال يقصد بهما ايضا ان يكونا بمثابة ادوات للاكراه ومقاومة الثورات في العالم الثالث . كذلك فان العروض المعينة للقوة في الشرق الاوسط وجنوب اسيا والفيتنام كان الغرض العام منها هو تأكيد تفوق الولايات المتحدة بوصفها « الدولة العظمى » .

فضلا عن الهدف المحدد « لاظهار تصور القوة والمهارات السوفياتية » . (في نفس المكان ، ص ٤٢٤) . كانت عروض القوة تلك هي ما دعا اليه كيسنجر منذ ١٩٥٤ ـــ « مرادفات القرن العشرين » (لاظهار العلم) » . هي ، بكلام اخر ، توكيدات على « قدرة واستعداد لجعل قوتنا ملموسة بسرعة وبشكل حاسم ، لا لردع العدوان السوفياتي فحسب بل ايضا لترك تأثير قوي على غير المنحازين بقدرتنا على العمل الحاسم » . (هنري كيسنجر ، **الاسلحة النووية والسياسة الخارجية** ، نيويورك ، هاربر اندرو ، ١٩٥٧ ، ص ٢٦٤ . الطبعة المختصرة ، نيويورك، ذا نورتون لايبراري ، ١٩٦٩،ص ٢٢٠ ـــ ٢٢١).

بغية فهم توازيات التعاون العدائي فهما كاملا والتكهن بها ، من الضروري ان نتذكر ان كيسنجر يعلق اكبر قيمة على مفهوم « الترابطات » ويوضح هذا المفهوم نظرة واشنطن الى الروابط بين المواجهة والتعاون ، والحرب والمفاوضات ، وفوق كل شيء بين اظهار القوة والاحتفاظ بالقوة .

فبالنسبة لكيسنجر توجد جميع الازمات الدولية على متصل واحد من حيث ان حلها يقرره في النهاية ميزان القوة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ومن هنا فان حل كل قضية في مصلحة اميركا لا يتوقف على وقائع الحالة الموضوعية للقضية (« لقد ارتكبنا اخطاء في الفيتنام ») ، بقدر ما يتوقف على ميزان القوة الاجمالي . فان اظهار الارادة والقوة في احدى المناطق ، والمرونة في منطقة اخرى ، يتوقع ان يسهم في نتيجة مؤاتية في منطقة ثالثة . وعلى النحو التالي وصف كيسنجر عام ١٩٧٠ الصلة بين الغزو الاميركي لكامبوديا وهدفه في الشرق الاوسط : « من الهراء القول ، بالطبع ، اننا فعلنا ما فعلناه في كامبوديا بغية ترك تاثير قوي على الروس في الشرق الاوسط . ولكن علينا من غير ريب ان نتذكر ان **الروس سيحكمون علينا وفقا للمزم العام لعرضنا في كل مكان** . وان ما يفعلوه في الشرق الاوسط ، مهما كانت نواياهم ، يشكل اعظم الاخطار في المدى البعيد على اوروبا الغربية واليابان ، وبالتالي ، على الولايات المتحدة » . (ارشادات حول خلفية الانباء في سان كليمنتي ، ٢٦ حزيران ١٩٧٠) . بعد ذلك ببضعة اشهر ، في اعقاب اظهار القوة في الحرب الاهلية الاردنية ، قال كيسنجر : « نعتقد بان العمليات في كامبوديا ــ ساعدت فعلا مصداقية عمل (رئيس الجمهورية) في الاردن » . (**ارشادات حول خلفية الانباء ، هارتفورد ، كونيكتيكات** ، ١٢ تشرين الاول ١٩٧٠) .

في هذه الاثناء كان الرئيس نيكسون قد كشف عن « الترابطات » وحدد ثمن التنازلات الثانوية التي ستكون الولايات المتحدة مستعدة للقيام بها من اجل الوفاق . وفي احد المؤتمرات الصحافية اشار الى توقعه التعاون من الاتحاد السوفياتي في الفيتنام والشرق الاوسط مقابل التقدم في الجولة الاولى من مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية : « ان ما اريد فعله هو التأكد من اننا سنعقد محادثات الاسلحة الاستراتيجية بطريقة وفي وقت من شأنهما تشجيع التقدم ، اذا امكن ، حول القضايا البارزة في الوقت ذاته ــ على سبيل المثال حول مشكلة الشرق الاوسط وحول مشكلات بارزة اخرى تستطيع فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بتصرفهما معا ، ان يخدما قضية السلام » . (**نيويورك تايمز ، ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٩**) .

كان على الذين قرأوا كتابات كيسنجر بدقة وتمعن ان يتكهنوا بان ادارة نيكسون ستعطي اولوية عليا لتحريك واستغلال النزاع الصيني ــ السوفياتي . كان على الدوام من دعاة انتهاج سياسة كهذه . ففي عام ١٩٥٥ ، عندما دعا لاول مرة الى « حروب محدودة » او « صغيرة » تنطوي ، حيث تدعو الضرورة ، على التهديد بالاسلحة النووية التكتيكية واستخدامها ، جادل بان مثل هذه الاستراتيجية ستسهم في « مهمتنا الاساسية الرامية الى ايقاع الشقاق بين الاتحاد السوفياتي والصين » . وفي ذلك الحين جادل ايضا من اجل خلق « احتمالات » عسكرية وربطها بالدبلوماسية . ولم تكن النية « دحر » الصين فحسب بل « اجبار الاختلاف في الاراء على الخروج الى العلانية » . ووفقا لسيناريو كيسنجر كان على الولايات المتحدة ان (أ) تكون مستعدة لاستخدام الاسلحة النووية المحدودة ضد الصينيين ابان الحرب الكورية ، (ب) توصل هذه النية الى العدو ، (ج) وتتبع التهديد « باقتراح سياسي استرضائي لبيكين » ، بحيث تعرض على « الجانب الاخر مخرجا دون الاستسلام التام او الحرب التامة » . وتصور كيسنجر النتيجة التالية : « ... كنا سنواجه الاتحاد السوفياتي بمعضلة ما اذا كان عليه ان يجازف بكل شيء من اجل زيادة قوة الصين ، ولو اننا اعتبنا انتصارنا باقتراح سياسي استرضائي لبيكين لجعلناها تتأمل في ما اذا لم تكن النية الحسنة الاميركية تمثل حماية افضل من الاتباع الاعمى للخطر السوفياتي. ولكن حتى ولو اخفقنا في مهمتنا الاساسية الرامية الى ايقاع الشقاق بين الاتحاد السوفياتي والصين، لكنا حسنا الى حد كبير مركزنا ازاء حليفاتنا وحتى اكثر ازاء الامم غير المنحازة في اسيا ... واتاحت الهند الصينية لنا فرصة مماثلة وان كان في ظل ظروف اقل مؤاتاة ، علما بان مشكلة الهند الصينية ما كانت ستتخذ ابعادها الحالية لو اصيبت الصين بنكسة حاسمة في اول مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة ... » ، (« دفاع عن المناطق الرمادية »، **المصدر نفسه** ، ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦) .

ويمكننا التأكد من مدى ثبات كيسنجر على تفكيره

انه ، رغم الظروف المختلفة اختلافا كبيرا لعام ١٩٧٢ — ١٩٧٣ ، لم يحدث في الفيتنام الا تنويع ضئيل على السيناريو المعروض آنفا .

وما ان صار الشقاق الصيني — السوفياتي علنيا ، حتى أخذ كيسنجر يعتبره فرصة متاحة . والمكاسب المتوقعة من التقارب مع الصين ثنائية : اولا : هو يساعد في ابراز النزاع الصيني — السوفياتي . وهذا النزاع لا يخفض ويحول القوة والطاقة السوفياتيتين فحسب ولكنه ايضا يعزز مركز اميركا الاستراتيجي في المساومات . وفي شرح لخلفية الانباء ، قبل رحلة نيكسون الى الصين بعامين تقريبا ، شرح كيسنجر قائلا : « ان اعمق نزاع دولي في العالم اليوم هو ليس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بل بين الاتحاد السوفياتي والصين الشيوعية . ولذا فان احدى الفرص الايجابية في الحالة الراهنة هي انه مهما كانت النوايا الاساسية للزعماء السوفياتيين فهم ، ازاء احتمال نمو قوة الصين دون ان تقل عداء ، قد يرغبون في فترة من الوفاق في الغرب ... لانهم لا يريدون ان يكونوا في مركز يضطرون فيه الى مواجهة ازمات رئيسية على جانبي بلادهم الضخمة خلال فترة غير محدودة من الوقت » . (**شرح خلفيات الانباء ، سان كليمنتي** ، ٢٦ حزيران ، ١٩٧٠) .

ان سياسة ابراز النزاع الصيني — السوفياتي واستخدامه كوسيلة لتحويل القوة السوفياتية وتبريرها تنعكس ايضا في تخطيط وتوزيعات عسكرية اخيرة . مثال ذلك ان المراسل العسكري لصحيفة **نيويورك تايمز** (١٨ اذار — مارس ، ١٩٧٤) تحدث عن « تغيير غير ملحوظ تقريبا في سياسة الولايات المتحدة » يرغم « الروس على الانتباه اكثر للباسيفيكي » . وكان التغيير هو « قرار بحرية الولايات المتحدة وضع غواصاتها الترايدنت الاثنتي عشرة بصواريخها النووية البعيدة المدى في الباسيفيكي . وسيفرض هذا اضافات على الاسطول الباسيفيكي السوفياتي ، الذي كان حتى الان اضعف الاساطيل الرئيسية الاربعة ، وتقوية القوات الجوية ذات القاعدة البرية » . ووقوع هذا التغيير بعد انسحاب قوات الولايات المتحدة من الفيتنام ، وفي اعقاب الوفاق مع كل من الصين وروسيا ، انما يشهد على دافعه السياسي ، بالمقابلة مع دافعه العسكري. ومن الواضح ان هدفه الوحيد هو تبديد القوة العسكرية السوفياتية ، وبخاصة البحرية . وكذلك الامر ، من السهل تصور ردة الفعل الصينية للوجود العسكري السوفياتي الآخذ في التوسع في الباسيفيكي .

ثانيا ، ان اقامة علاقات طبيعية بين الولايات المتحدة والصين ، شأنها شأن الوفاق مع الاتحاد السوفياتي ، تهدف الى تشجيع قيام « جيل من السلام » تبقى فيه الدول الكبرى للدولة المتفوقة ، الى حد كبير ، مسؤولية حل « الحروب الصغيرة » في العالم الثالث — عن طريق مزيج من العدوان والمفاوضات . وقد شرح الرئيس نيكسون في رسالته الثانية الى الكونغرس حول حالة العالم ، ان الغاية كانت وضع الصين في « علاقة بناءة مع الاسرة العالمية » لان « النظام الدولي لا يمكن ان يكون مصونا اذا بقيت احدى الدول الرئيسية الى حد كبير خارجه ومعادية له » . (رتشارد نيكسون ، **سياسة الولايات المتحدة الخارجية للسبعينات : البناء للسلام** ، ٢٥ شباط — فبراير ، ١٩٧١ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦).

بما ان القوات الوطنية والثورية الراديكالية في العالم الثالث تهدد السيطرة الاميركية ، فان احد الاهداف الاساسية وراء الوفاق هو عزل الحركات الثورية عن دعم الدول الثورية . ولم يكن هناك منطق عسكري للزيادة الدراماتيكية في عمليات قصف الهند الصينية (٣٧٪) قبل رحلة نيكسون الى الصين مباشرة ، ولغم هانوي وهايفونغ قبيل زيارته الى الاتحاد السوفياتي . كانت اهدافهما نفسية وسياسية . فقد كان الغرض منهما هو اقامة صلة بين الوفاق (الاعتراف بشرعية السلطة الثورية) والثورة المضادة (الرفض العنيف للحركات الثورية) . وكان الهدف اعادة تثبيت افتراض التفوق والمقدمات المنطقية « للحرب الصغيرة » ، التي تسلم للدولة المتفوقة بحق التدخل — بوحشية غير محدودة — ضد الثورات الاجتماعية .

بحثا عن « مبدأ يجعل القمع الاجتماعي شرعيا »

تستمر واشنطن في اعتبار قوى التحرير في العالم الثالث الخطر الرئيسي والاصعب ترويضا —

وبالتالي الاشد ــ على المصالح الاميركية . وثمة سبب وجيه لذلك : فان جميع الحركات الثورية ــ واحيانا القومية الراديكالية ــ تسعى الى قلب النظام القائم للسلطة والانتاج والتوزيع . وهي لدى انتصارها تميل الى استبدال النظام القديم بمؤسسات حكم جديدة ، مستقلة ، شعبية او وطنية ، وبصيغ اشتراكية للانتاج والتوزيع . اي انها ، من البداية الى النهاية ، تتحدى شرعية ، وتهدد وجود ، العناصر الاساسية المترابطة الثلاثة التي تدعم وتديم بنية الامبريالية، وتتعرض لهجومها الشركات الدولية،والبورجوازية الاهلية الموالية للغرب والرأسمالية ، وجهاز الاكراه والمراقبة (كالبروقراطية) . وعادة يؤدي تبوء الحركات الثورية للسلطة ــ كما ادى في الصين والفيتنام الشمالية وكوبا ــ الى قطع صلات الاعتماد على المراكز المسيطرة للقوة الصناعية الغربية .

وينهي هذا بشكل محتوم ما تتمتع به دولة واحدة او كتلة دول من حرية استعمال استثنائية لموارد امم العالم الثالث وسيطرة احتكارية عليها. وفيما ازدادت المواد الخام في العالم ندرة واشتدت المنافسة عليها ، تعاظمت مصلحة الولايات المتحدة في منع مثل هذه التطورات الى حد كبير . فمركزها كمارد اقتصادي يعتمد على استمرار تمتعها بامتياز الوصول الى مصادر المواد الخام . والى ذلك فان سيطرة الولايات المتحدة المستمرة على امدادات المواد الاساسية (كالنفط والنحاس الاحمر والبوكسيت) هي وسيلة التأثير الرئيسية التي تتمتع بها الان لابقاء حليفاتها الميالة الى توكيد ذاتها اكثر فأكثر ضمن الخط ، ذلك ان تحقيق التكافؤ في الاسلحة الاستراتيجية والسقط النفسي للوفاق قد خفضا الى حد كبير من تأثير مظلتها الامنية على اوروبا الغربية واليابان .

ان متطلبات العلاقات العامة تجبر الدكتور كيسنجر وزملاءه على ان يصيغوا الافتراض على نحو مختلف ، وتجريدي وغامض نوعا ما . فهو يعتبر المحافظة على « استقرار » « النظام الدولي » الهدف الاساسي للسياسة الخارجية . ويصار الى اخضاع جميع احتياجات ومطامح البشرية الاخرى لهذا الهدف . فالسلام ، في نظر كيسنجر ، لا يجب ان يكون هدف السياسة ، اذ انه يشوش الاستقرار . ولا يمكن الحصول عليه الا كحصيلة ثانوية للنظام . فكاتب سيرة حياة كيسنجر وصديقه يخبرنا : «لم يكن يقصد السخرية عندما استهل كتابه بالملاحظة ان (تلك العصور التي تبدو لنا اذ ننظر الى الوراء الاكثر سلاما كانت الاقل بحثا عن السلام) » . (ستيفن غروبارد **كيسنجر** ، مستشهد به في ص ١٧ . كان غروبارد يشير الى **عالم مرمم . اوروبا بعد نابليون : سياسة المحافظة في عصر ثوري** . نيويورك ١٩٦٤ . ذا يونيفرسال لايبراري) . خلال جميع كتابات كيسنجر يجد المرء تنويعات على الفكرة الرئيسية التالية : « كلما كان السلام ــ المفهوم كاجتناب للحرب ــ هدفا اساسيا لدولة او لمجموعة من الدول ، كان النظام الدولي تحت رحمة العضو الاكثر قوة للاسرة الدولية . وكلما اعترف النظام الدولي بانه لا يمكن التفريط بمبادىء معينة ، حتى من اجل السلام ، كان يمكن على الاقل تصور الاستقرار المرتكز على توازن القوى » (ص ١) .

وينطبق القول نفسه على العدالة ، فكما ان الدكتور كيسنجر لا يعترض بشكل جوهري على وجود السلام ، فانه لا يعارض الاصلاحات التي تهدف الى تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي . ولكن بما ان اصلاح السلام يجب ان يكون « نتاج النظام لا نتاج الارادة » ، فعليه ان «يؤكد شمولية القانون ضد مصادفة السلطة».

ويرى كيسنجر ان الاستقرار الدولي يعتمد على وجود « شرعية مقبولة بوجه عام » يحددها بانها اجماع دولي « حول الاهداف والطرق المسموح بها للسياسة الخارجية ... قبول جميع الدول الرئيسية باطار النظام الدولي ... » ويقول كيسنجر ان الثوريين لا يذعنون لما تمليه عليهم الدبلوماسية لان « جوهر السلطة الثورية هو انها تملك الشجاعة لفعل ما تعتقد انه صواب ... » (**عالم مرمم** ، المصدر نفسه ، ص ٢ ، ٣) .

هذا التمييز بين السلطتين والاسلوبين«الشرعي» و « الثوري »، بوصفهما يؤلفان انقساما جوهريا في السياسة الدولية ، كان اساسيا للاطار الذي اجرى فيه كيسنجر تحليله وقدم فيه توصياته للسياسة . وتسيطر الثنائية على اعماله ، متكررة في اشكال متنوعة ــ الاساليب السياسية مقابل

الاساليب الثورية ، رجل الدولة مقابل النبي ، العقائدي مقابل العملي التجريبي ، الرؤيوي مقابل الواقعي — وكثيرا ما تشير الى تغييرات في ادراكه لموقع الخطر الثوري . ففي كتاباته الاولى ، على سبيل المثال ، كان بوجه الاجمال يربط « السلطة الثورية » بالدولتين الاشتراكيتين الرئيسيتين (الاتحاد السوفياتي والصين) ، ويعتبر الحركات الثورية مجرد امتدادات للدول الثورية .

وكونه حدد موقع السلطة الثورية على هذا النحو في الخمسينات ، دفع كاتب سيرة حياته الى الاستنتاج ان وحدها « الدول كانت كيانات حقيقية بالنسبة الى كيسنجر » وان « اهتمامه كان ينصب في الدرجة الاولى على الذين يمارسون السلطة الفعلية » . (ستيفن غروبارد ، **مستشهد** به ، ص ١) . لكن غروبارد يتجاهل ان كيسنجر يقول في كتاباته اللاحقة ان كلا من الاتحاد السوفياتي والصين هما الان نظامان مخططان من حيث ان كلاهما اكتسب مصلحة معينة في المحافظة على النظام ، وكلاهما عرضة للحوافز في هذا المجال ، وكلاهما يمكن الضغط عليه للحد من دعمه لحركات التحرير . كذلك ساعدت امثلة كوبا والفيتنام ولاوس في جعل واشنطن تتخلص من الاعتقاد بان الحركات الثورية هي مجرد ملحقات لموسكو وبيكين . ومن هنا فان الدكتور كيسنجر ، في اخر الصيغ التي وضعها للاستقطاب الجوهري في السياسة الدولية ، يعين التعبير عن الارادة الثورية ، اي الخطر الرئيسي على «الاستقرار» و « التوازن » الدوليين ، في حركات التحرير وبعض الحركات الراديكالية للعالم الثالث .

ويكتب الدكتور كيسنجر في اخر كتاب له : « ان اعظم مشكلات النظام الدولي المعاصر قد تكون ان اكثر المناقشات التي تؤلف عناوين الصحف اليوم هي السطح الخارجي للانقسامات الاساسية الموصوفة في هذه الدراسة . وليس الانقسام حول تنظيمات سياسية معينة — الا كأعراض — بل بين اسلوبي سياسة — ومنظورين فلسفيين » . وينتقل ليشرح ، وليقارن : « يمكن تحديد الاسلوبين بوصفهما الاقتراب السياسي المختلف عن الاقتراب الثوري من النظام، او ان شئنا تحويلهما الى مستوى الشخصيات ، بوصفهما الفرق بين رجل الدولة والنبي . فرجل الدولة يتلاعب بالواقع ... والتدرجية بالنسبة الى رجل الدولة هي جوهر الاستقرار... والنبي، في المقابل ، اقل اهتماما بالتلاعب مما هو بخلق الواقع . فما هو ممكن يهمه اقل مما هو حق ... واقترابه سرمدي وغير معتمد على الظروف ... كان الاسلوب النبوي في صعود خلال الجيشانات العظيمة للصراعات الدينية وفترة الثورة الفرنسية ، **وفي الثورات المعاصرة في الاجزاء الرئيسية من العالم** » . (وهنري كيسنجر ، السياسة الخارجية الاميركية . نيويورك ١٩٦٩ ، و. و. نورتسون ، ص ٢٧ — ٤٨ ، التشديد مضاف) .

ويتضح في الفقرات اللاحقة ان الدكتور كيسنجر ينظر الى « اعمق مشكلات النظام الدولي المعاصر» في اطار العالم الاول مقابل العالم الثالث . وسيجد قراء كيسنجر غير الغربيين تمييزه بين الغرب التجريبي العلمي والشرق ما قبل النيوتوني غنا بنوع خاص ، وآراؤه الشبينغلارية حول خطر العالم غير الغربي عنصرية تماما . لكن العامل المناسب هنا هو واقع ادراك كيسنجر، وليس سطحية تفكيره . وهنا بعض المقتطفات : « في ما يتعلق بالفرق في المنظور الفلسفي (بين السلطات العالمية « الشرعية » و « الثورية » فانه قد يعكس انحراف الخطين الفكريين الذين منذ عصر النهضة ميزا الغرب عن ذلك الجزء من العالم الذي يدعى متخلفا (مع احتلال روسيا مركزا متوسطا) . فالغرب ملتزم التزاما عميقا بالفكرة القائلة ان العالم الحقيقي هو خارجي بالنسبة الى المراقب ، وان المعرفة تتألف من تسجيل وتصنيف المعلومات — والافضل بمزيد من الدقة . اما الحضارات التي بقيت خارج التأثير المبكر للتفكير النيوتوني فقد احتفظت بالنظرة السابقة لنيوتون جوهريا والقائلة ان العالم الحقيقي هو داخلي بالنسبة الى المراقب بصورة تامة تقريبا . ومع ان هذا الموقف كان عائقا مديدة قرون — لانه منع انماء التكنولوجيا وسلع المستهلكين التي تمتع بها الغرب — فهو يعرض مرونة كبيرة في ما يتعلق بالجيشان الثوري المعاصر. انه يمكن المجتمعات التي لا تشاركنا اسلوبنا الحضاري من تغيير الواقع عن طريق التأثير في منظور المراقب — وهي عملية نحن الى حد كبير

غير مستعدين لمعالجتها او حتى لتصورهـا ... وللواقع التجريبي دلالة تختلف اختلافا كبيرا بالنسبة الى الكثير من البلدان الجديدة عنها بالنسبة الى الغرب لانها بمعنى معين لم تمر قط في عملية اكتشافه (مع احتلال روسيا من جديد مركزا متوسطا...) » (المصدر نفسه ، ص ٤٨ـ ٤٩. التشديد والجمل المعترضة واردة في الاصل).

بكلام اخر تتمتع الحركات والزعماء(«الانبياء ») الثوريين في الحضارات السابقة لنيوتن مثل الفيتنام وكوبا بافضليات غير اعتيادية على رجال دولة العالم الغربي . فهذه الحضارات ، لكون « العالم الحقيقي » « داخليا بصورة تامة تقريبا بالنسبة لها » ، يمكنها ان تكون غير متاثرة بالحقائق « التجريبية » في بدء ثورة من الثورات، ومنيعة ضد المؤثرات « الخارجية » (كالقصف المشبع وبرامج التهدئة الواسعة النطاق) في ايقافها . ويقول الدكتور كيسنجر : « الحقيقة المهمة بالنسبة الى الثوريين هي العالم الذي يناضلون لتحقيقه ، وليس العالم الذي يكافحون للتغلب عليه » (**المصدر نفسه** ، ص ٣٩) ، وهذا يمكنهم من « التغلب على اوضاع كانت تبدو معادية بشكل غامر ». (**المصدر نفسه**) .

ومن هنا الصفة المميزة المقلقة الثانية من صفات الحركات والزعماء الثوريين : فهم ، خلافا للدول الاشتراكية القائمة ، يظهرون لا مبالاة عنيدة بالحوافز المادية . ويقول كيسنجر ان « الثوريين نادرا ما تكون لهم دوافع مادية ، مع ان الوهم بأن هذا هو ما يحصل باستمرار في الغرب . ولو كان كاسترو او سوكارنو مهتمين في الدرجة الاولى بالاقتصاد ، لضمنت لهما مواهبهما حياة عملية لامعة في المجتمعين اللذين قلباهما » . (**المصدر نفسه ، ص ٣٩**) . ولان بصيرة الدكتور كيسنجر معكوسة ، فان الوهم يستمر معه في شكل مشوه . وتتخذ « الحوافز المادية » شكل العنف. وهكذا في الوقت الذي شن احدى اشرس هجمات التاريخ على شعب الهند الصينية ، قال متأملا : « لا يعقل ان يكون الفيتناميون الشماليون الشعب الاول في التاريخ المحصن ضد اي نوع من انواع الاعتبارات المادية » . (**شرح خلفية الاخبار** ، ٩ ايار ـ مايو ، ١٩٧٠ ، بعد غزو الولايات المتحدة لكامبوديا) .

يتصور الدكتور كيسنجر ان حركات تحرير العالم الثالث تهدد « ميزان القوة النفسي »، الذي يعتبره ، في تمييز اخر من تمييزاته التحليلية الحاسمة ، موازيا في الاهمية « لميزان القوة المادي » ان لم يكن اعظم اهمية منه . (انظر ، على سبيل المثال ، **السياسة الخارجية الاميركية**، ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ . « ان اعمق مشكلات التوازن ليست مادية بل نفسية او معنوية . وسيتوقف شكل المستقبل في نهاية المطاف على صلات تتجاوز كثيرا ميزان القوة المادي » . ص ٨٠) . ويقول ان هذا يحصل بعدة طرق غير ملموسة . ويشار الى احداها في الجملة المستشهد بها اعلاه . وكون العالم الحقيقي هو « داخلي » بالنسبة الى الثوري غير الغربي ، و« خارجي » بالنسبة الى الغربي يوفر للاول « مرونة كبيرة » « لتغيير الواقع عن طريق التأثير في منظور المراقب ـ وهي عملية نحن الى حد كبير غير مستعدين لمعالجتها او حتى لتصورها ... » ولذا لن يكون في مقدور الثوريين تخريب مجتمعاتهم هم فحسب بل تخريب المدن الاميركية نفسها ايضا . ويتذمر الدكتور كيسنجر قائلا : « لقد سبق لبعض حركات الاحتجاج ان جعلت من الزعماء في بلدان جديدة نسبية ابطالا . ان سخف اقامة ادعاء الحرية على زعماء الدولة التوتاليتيرية ـ امثال غيفارا او ماو ـ يبرز تأثير عذاب البلدان الجديدة على المجتمعات الاقدم منها ... » (**المصدر نفسه** ، ص ٨٥) . وكذلك الامر ، في الحروب الثورية ، يتمتعون بالامتياز النفسي لعكس معيار النجاح : « ... التأثر في حرب العصابات ينتصر اذا لم يخسر ، والجيش التقليدي يخسر اذا لم ينتصر » (**المصدر نفسه** ، ص ١٠٤) .

واخيرا فان القوى الثورية تبرز المشكلة الخطيرة « للشرعية » بقدر ما تشك في عدالة النظام القائم للسلطة . فما من استقرار ، ما من تغيير منظم هو ممكن دون الشرعية ، كما اصر كيسنجر على القول بحق في جميع كتاباته . وحول العالم الثالث في هذا السياق كتب يقول قبل زمن من وصوله الى السلطة : « ان مشكلة الشرعية السياسية هي المفتاح الى الاستقرار السياسي في المناطق التي تحتوي على ثلثي سكان العالم . وقيام نظام داخلي مستقر في البلدان الجديدة لن

يلتج بصورة اوتوماتيكية نظاما دوليا ، لكن النظام الدولي مستحيل دونه . وان برنامجا اميركيا يجب ان يشتمل على ادراك ما لما نفهمه بالشرعية السياسية » . (**المصدر نفسه** . ص ٨٥) .

هذه الحقيقة البدهية ربما كانت جديرة بالاهتمام لو حاول كيسنجر ان يعرض ادراكا للشرعية السياسية ، كيف تكتسب ، ولماذا تفقد . ومثل هذه المحاولة ربما كانت ساعدته في ادراك ان المسألة ليست عرضة للهندسة السياسية ، وانها تتعلق بالمشكلات الجوهرية — مشكلات السلطة لا الادارة ، والموافقة لا الطاعة ؟ والاخلاق لا الادارة — وهي تنتمي الى حقل العمليات السياسية وليس الى المناورات الدبلوماسية او العسكرية . ولذا فان عمليات القصف وبرامج التهدئة ، و «الفترات الفاصلة من السلام » المحققة بواسطة زعماء اقوياء لا تستطيع حمل الشرعية — الحق الشرعي في الحكم — الى الدكتاتوريين الجوف والجنرالات الفاشيين والملوك الاقطاعيين . كما انها لا تنجح ، كما يقترح كيسنجر ، عن مجرد تعزيز السلطة وتحويل ادوات الاكراه الحكومية الى مؤسسات .

لقد كان العلماء المناهضون للثورات ، كما عرف عنهم ، غير مستعدين لمعالجة مشكلة الشرعية . فبالنظر الى التزامهم بالاستقرار وتحيزهم الى الوضع القائم ، من الصعب عليهم الاقرار بعدم شرعية اصحاب المناصب ، وبحسمية الصلات السياسية والاجتماعية المقطوعة . حتى انه اصعب عليهم التعرف الى العمليات التي تصاغ فيها الروابط الجديدة اذ ان ذلك يتطلب تحقيقا صادقا مخلصا في العملية الثورية — اسبابها ، قوة اندفاعها الخلاقة ، العدالة الملازمة لها ، والشرعية التي يمكن لحركة ثورية ان تحصل عليها — الامر الذي لا بد وان يكلف مثل هذا العالم مبرر وجوده . وينتمي الدكتور كيسنجر الى هذه الفئة من العلماء .

وانها لشهادة تكريم بحق عمله كموظف اكاديمي في خدمة دولة مناهضة للثورة ان الاستاذ كيسنجر ، الذي لا يفتقر الى الذكاء ولا الى الموارد الفكرية للمهمة ، لا يثير القضية الجوهرية الا ليدور حولها . فكتاباته تعج بالاشارات الى الشرعية . ولكن ليس فيها لحظة تقييم لما يعتبره هو بحق المشكلة المركزية في السياسة ، ولا حتى حين يعطي قسما كاملا من احدى الدراسات العنوان « **الامم الجديدة والشرعية السياسية** » . (انظر **السياسة الخارجية الاميركية** ، ص ٨٠ — ٨٥) . فهو يقدم لنا توافه وعظية ، مثال ذلك ، ان الشرعية تنطوي على بناء « اجماع ادبي يمكنه ان يجعل من عالم تعددي خلاقا بدل ان يكون هداما » . (**المصدر نفسه**) . او يقدم لنا مجموعة متنوعة من التحديدات الغضفاضة الضمنية ؟ مثال ذلك ، هناك التلميح الى ان تحويل الامور الى مؤسسات يوازي الشرعية ، ويكون النظام شرعيا عندما تدعمه « مبادىء قانونية » و « بنى سياسية » . (**المصدر نفسه**) . وهو بمزيد من التكرار يكتفي بربط الشرعية بالاستقرار والعكس بالعكس .

ان الميل الى الارتداد عن مواجهة مشكلة معترف بانها جوهرية هو ضروري للبحث عن حلول ادارية . والتأثير التراكمي لاشارات الدكتور كيسنجر الاستطرادية هو تأثير منطقي : اذا كان الاستقرار هو هدف السياسة ، والثورات الخطر الرئيسي على الاستقرار ، فلا بد من حصر هذه الثورات ومواجهتها وتدميرها . وهو يعلم ان هذا يتطلب القبول الدولي « بمبدأ اضفاء الشرعية على القمع الاجتماعي » . (تظهر هذه العبارة في **عالم مرمم** ، ص ٣١٨) . والجملة الكاملة هي : « عندما حدثت وحدة اوروبا ، لم تكن بسبب ضرورتها البينة بذاتها ، كما تصور كاسلريه ، بل عن طريق الاستخدام الساخر لآلية المؤتمرات لتحديد مبدأ اضفاء الشرعية على القمع الاجتماعي ، لا عن طريق حسن نية كاسلريه ، بل عن طريق مناورات مترنيخ ») .

لقد حطمت الحرب في الفيتنام « مبدأ القمع الاجتماعي » — المبدأ الاميركي الموضوع من جانب واحد للحروب المحدودة — الذي كان العالم قد قبل به خلال عقدين من التدخلات العسكرية في العالم الثالث . كتب هنري كيسنجر يقول : « كانت كل حرب خضناها في نصف الكرة الارضية الغربي حربا محدودة » . (**الاسلحة النووية والسياسة الخارجية** ، ص ١٣٦ — ١٣٧) . وقد وصفها بانها « منتجة » . ولن يصرح احد بذلك

حول الفيتنام . فما كان مفروضا به ان يكون « حربا محدودة » — يعني محدودة من حيث تأثيرها على المعتدي ، لا من حيث نتائجها على الشعب المتعرض للغزو — كلفت اكثر من ربع مليون اصابة **اميركية** ، وما يقدر بـ ٢٠٠ بليون دولار . وصارت الحرب « غير المنظورة » — والمنظورة جدا بالنسبة للسكان المحاصرين — واضحة جلية بالنسبة الى العالم . وفرضت الحرب « المنسية » — وكم يتذكرها ضحاياها — على وعي الشعب الاميركي . كانت الثورة الفيتنامية محكا للثورات المعاصرة ، فهزمت الافتراضات الجماعية للتكنولوجيا الحديثة، والقت الشك على مناعة القوة الاميركية .

كان كيسنجر بوصفه نصيرا لمبدأ « الحروب المحدودة » — وهي التي يقول انها حروب « صيانة » لا حروب « غزو » — يفهم معنى الفيتنام . فقد كتب قبيل توليه السلطة : « مهما كانت نتيجة الحرب في الفيتنام ، فمن الواضح انها خفضت الى حد عظيم استعداد اميركا للتورط في هذا الشكل من اشكال الحروب في اماكن اخرى . **ولذا فان فائدتها كسابقة اضعفت على نحو خطير**». (هنري كيسنجر ، « القضايا الرئيسية للسياسة الخارجية الاميركية » **في جدول اعمال الامة** ، واشنطن ، دي سي ، بروكينغز انستيتيوشن ، ١٩٦٩ . التشديد مضاف) . وفيما بعد ، بصفته معاونا خاصا لنيكسون ، قال للصحافيين ان ما نفعله في الفيتنام يجب ان يقاس في اطار اكبر من الفيتنام نفسها » . (شرح خلفية الانباء ، ٢٦ حزيران — يونيو ، ١٩٧٠). واحد الادلة على التزام واشنطن بالاستمرار في انتهاج سياسة تدخلية مضادة للثورات هو ان كيسنجر ، خلال اعوامه الاربعة الاولى في الحكم ، بذل الكثير من مواهبه وانزل الاما فائقة غير محدودة في الشعب الهندي الصيني لكي ينقذ على الصعيد النفسي والرمزي ، فحسب ، ما كان واضحا ان الولايات المتحدة خسرته من الناحيتين السياسية والعسكرية .

« مبدأ نيكسون » والشركات الدولية

وجهة النظر غير التدخلية ، اذا ، تبقى بغيضة في واشنطن . ويشجب المسؤولون كل تعبير عنها بوصفه انعزالية جديدة . ولم تؤد « امثولات » الفيتنام إلا الى اعادة صياغة دور اميركا كحارس للرأسمالية المتحدة ، وليس الى انهائه ، فاستراتيجية « البروفيل المنخفض » ، والنفقات المنخفضة» للسبعينات سعت الى التغلب على قيود المعارضة الداخلية للتدخلية ، فيما هي تحاول استغلال الثروات المتزايدة للحلفاء والاتباع . وهي تستلزم تشجيع مجموعات القوة الاقليمية في المناطق المهمة استراتيجيا من العالم ، واعادة تنظيم القوات المسلحة الاميركية لجعلها ، على حد تعبير الاميرال زوموالت ، اسلحة مرتكزة على التكنولوجيا العالية وتكثيف الرأسمال ... لدعم الجيوش المحلية للحلفاء المهددين بالخطر » .

لقد دافع السيد كيسنجر ، منذ ١٩٥٥ ، عن سياسة خلق شبكات عسكرية اقليمية تتلقى ، عندما تدعو الحاجة ، دعما مباشرا من الولايات المتحدة ، خصوصا من قوتها الجوية والبحرية . وفي مقالة بعنوان « السياسة العسكرية والدفاع عن (المناطق الرمادية) » كان قد اوصى « بخلق احتياطات استراتيجية » ، و « قوات دفاع مركزية في البلدان الخطيرة الثلاثة » : ايران وباكستان والهند الصينية . وفي ما بعد تغير تقييمه للبلدان الخطيرة . لكن المفهوم ظل قائما . وفيما بعد تكرر مع بعض التحسينات ، وفي عام ١٩٦٨ ، قبيل انضمام كيسنجر الى جهاز نيكسون ، وجد التعبير التالي : « لم تعد الولايات المتحدة في مركز يسمح لها بادارة برامج على نطاق عالمي ، بل عليها ان تشجع مثل هذه البرامج ... فنحن دولة متفوقة ماديا ، لكن خططنا لا يمكن ان تكون ذات معنى الا اذا ولدت تعاونا راغبا ... سيتوجب على المجموعات الاقليمية التي تدعمها الولايات المتحدة ان تتولى مسؤولية كبيرة عن مناطقها المباشرة ، مع اهتمام الولايات المتحدة باطار النظام الاجمالي اكثر من اهتمامها بادارة كل مشروع اقليمي » . (**جدول اعمال لامة** ، ص ٦١٢ ، ٦١٤) .

ووجدت الفكرة تأييدا سهلا في واشنطن .فالثمن الباهظ للحرب الفيتنامية كان قد ارغم البنتاغون على البحث عن طرق لخفض نفقات اميركا واصاباتها دون التأثير في قدرتها على التدخلات . وكان المسؤولون في ادارة جونسون قد ابتدأوا يشددون على الحاجة الى خفض توزيع الجنود الاميركيين الى الحد الادنى ، لا عن طريق استخدام

التكنولوجيا فحسب ، بل المرتزقة ومن يثوب عن الاميركيين ايضا الى الحد الاقصى . وتحت اشراف كيسنجر اكتسب السعي اسما رسميا : مبدأ نيكسون . وجرى التمرن على مقوماته المنطقية التكتيكية ، في برنامج « الفتنمة » ، وغزو كامبوديا . وشهد تطبيقه تشجيع وتعزيز بلدان مثل البرازيل وايران واسرائيل واليونان والبرتغال واندونيسيا وجنوب افريقيا كزعيمات للسلام الاميركي .

يتميز مبدأ نيكسون ، من الناحية العملية ، باربع صفات جديرة بالملاحظة : فهو ، من الناحية السياسية ، يكشف عن تفضيل للدول البوليسية في العالم الثالث ويشجع على عسكرة البلدان الحليفة . ومن الناحية الاقتصادية يتجاوب مع احتياجات ومصالح الشركات المتعددة الجنسيات . ومن الناحية البنيوية يؤثر الاتفاقات الثنائية على تدابير الامن الجماعية . ومن الناحية العسكرية يتصور دورا وصائيا للولايات المتحدة ، ينطوي على استعداد لنشر القوة البحرية والجوية الاميركية على نطاق واسع ، ولمواجهات نووية « محدودة » وذات « مستوى متوسط » . وسنبحث هذه في مكان اخر . حسبنا هنا التوضيح ان السياسة تطابق سياسة الشركات الدولية ، التي تقوم قاعدة اكثريتها في الولايات المتحدة ويملكها الرأسمال الاميركي .

ومعظم البلدان التي اختيرت لتكون شرطة اقليمية بموجب مبدأ نيكسون هي ايضا البلدان التي تقوم فيها الشركات الدولية بتثميرات ضخمة . وبعضها ، كالبرازيل وايران واندونيسيا وجنوب افريقيا ، قد صارت « ارصفة التصدير » الرئيسية للعالم الثالث . (ويصار الى اغراء البعض الآخر ، مثل الكونغو ونيجيريا ، للاضطلاع بذلك الدور) . وجاذبيتها للشركات الكبيرة ولراسمي السياسة في واشنطن مفهومة . فموقعها الاستراتيجي ومواردها الطبيعية لهما قيمة واضحة ، والامر الاهم هو كون انظمة العالم الثالث الاستبدادية التي تسعى الى النمو الاقتصادي تميل الى ان تكون جذابة بنوع خاص للرأسمال الاجنبي وتحسن وفادته . ويضمن حرمان العدالة التوزيعية في ظل مثل هذه الانظمة معدل عائدات مرتفع على التثميرات ، وتؤمن تعبئتها قوة عمالية هادئة . ولما كانت طبقاتها الحاكمة معادية للجماهير وخائفة منها ، فانها تشتهي الدعم الخارجي وهي بالتالي حليفات يمكن الاعتماد عليها .

لقد باتت الشركات الدولية الان موضوعا دارجا للدراسة . وصار الناس اكثر معرفة عنها من ذي قبل . وتكشف الحقائق الاساسية عن قوتها الرهيبة وقبضتها الاخذة في الاتساع على حيواتنا ومواردنا . وتتولى اكبر شركة انتاج ٦٠ بالمئة من سلع العالم وخدماته . وتفوق مبيعاتها الاجمالية مجمل الانتاج القومي لكل بلد ما عدا روسيا والولايات المتحدة . وتسيطر شركة ماردة واحد مثل جنرال موترز على موجودات اكبر من موجودات معظم الدول ، وتستخدم من الناس اكثر مما تستخدم معظم الحكومات . ومتوسط معدل نموها اكبر بمرتين او ثلاث مرات من متوسط معدل نمو معظم البلدان الرأسمالية المتقدمة بما فيها الولايات المتحدة والمانيا واليابان . (رتشارد بارنيت وروناللد مولر ، Global Reach نيويورك ، سايمون وشاستر ، ١٩٧٥) .

ان اكثرية الشركات المتعددة الجنسيات هي ذات قاعدة اميركية ، لكن لها اشياء كثيرة تحميها في الخارج . واشهر الشركات الماردة — أي بي ام ، يونيروبال ، سكويب ، كوكا — كولا ، موبيل ، جيليت ، رينولدز ، بفيزر الخ . — تستمد اكثر من ٥٠٪ من ارباحها من خارج الولايات المتحدة ، وكما تظهر دراسة اجرتها شركة الاعمال الدولية ، فان الارباح في الخارج تزداد بمعدل اسرع منها في الداخل . والى ذلك ، فيما ارتفعت اكلاف اليد العاملة في الولايات المتحدة واوروبا الغربية ، راحت الشركات الدولية تنقل مصانعها الى البلدان الفقيرة حيث العمال زهيدي الثمن جدا ويكدحون كالحمير . ويقول رتشارد بارنيت ورونالد مولر : « ان شركة سنجر لماكينات الخياطة ، وهي احدى اوائل الشركات الدولية ، قد خفضت في الاعوام الاخيرة مصنعها الرئيسي في الولايات المتحدة ، بولاية نيو جيرسي ، من ١٠ الاف الى الفين . كما ان شركة جنرال انسترومانتس خفضت قوتها العمالية في نيو انغلاند بثلاثة الاف وزادت قوتها العمالية في تايوان بنحو ٥٠٠٠ . والامثلة لا نهاية لها » . (أنظر **المصدر نفسه**) .

ولكون الحوافز هائلة ، كانت الشركات الاميركية تنقل موجوداتها الى الخارج ، ويضر هذا عادة بالجمهور في الداخل . ويقول بارنيت ومولر ان نحو ثلث مجموع موجودات الصناعة الكيمائية ، ٤٠٪ من صناعة المستهلكين ، و ٧٥٪ من الصناعة الكهربائية قد انتقلت الى خارج الولايات المتحدة. وقدر هيو ستيفنسون وهو محلل مالي بريطاني ، « ان ٩٠٪ من صادرات الشركات ذات القاعدة الاميركية ستصنعها في الخارج شركات تابعة يملكها الاميركيون ويسيطرون عليها ، بحلول اواسط السبعينات » . وفي اختيار المواقع الجديدة للشركات التابعة ، تمنح البلدان المتخلفة عناية خاصة . فهذه البلدان التي استخرجت الشركات الكبرى منها تاريخيا الجزء الاكبر من موادها الخام قد اضحت ايضا مصدر ايد عاملة رخيصة . والاغنى بينها ، وذات الموقع الاكثر استراتيجية ، هي اهداف للشركات الكبرى بوصفها بلدان « ارصفة تصدير » .

لقد كان انخفاض قوة الولايات المتحدة لخفر الكرة الارضية ، مصدر قلق لها وكذلك ازدياد المشاعر التحريرية في البلدان المتخلفة . ونتيجة لذلك تنازلت الشركات عن حصة اكبر من قوتها وارباحها للحليفات المحليات مما كانت تفعل قبلا ، واعارت الكثير من الاهتمام لابتكار استراتيجية من شأنها السماح للولايات المتحدة بلعب دور ضمان نظام عالمي مستقر . ويلائم مبدأ نيكسون احتياجات وتفضيلات الشركات المارده . وقد احتوى تقرير من وضع « صندوق الاخوة روكفلر » على جميع عناصره الاساسية ، وكان مؤلف التقرير هنري كيسنجر .

وسائل تأثير جديدة ، حلفاء قدماء : الولايات المتحدة ، اوروبا ، واليابان

عندما يحلل المرء السياسة الاميركية حيال اوروبا الغربية فانه يجازف بتضخيم الصلات القوية فضلا عن التوترات المتزايدة بين واشنطن وحليفاتها في حلف شمال الاطلسي ، وتتميز توقعات الولايات المتحدة من اوروبا بتكافؤ الضدين والتناقضات . ومن هنا فان سياستها نحوها معرضة جدا للتغير. فالاميركيون البيض بوجه عام ، وبخاصة النخبة الشرقية (نسبة الى شرقي الولايات المتحدة) التي تمارس أعظم تأثير على السياسة الخارجية ، يشعرون بصلة روحية خاصة مع اوروبا ، ويؤكدون على المدنية التي تتقاسمها المسيحية ، ويعلنون باعتزاز عن « ارث ديموقراطية » مشترك ، فالصلات الوثيقة بالعالم القديم تطمئن نخبة تشعر بعدم الاطمئنان الثقافي الى قيمتها ، وكثيرا ما يسبب الرفض الاوروبي لها القلق والمضايقة اللذين يربطهما المرء عادة برفض العائلة ، وكانت الطبقات الحاكمة على جانبي الاطلنطي تفترض منذ عهد بعيد وجود وحدة غايات واسعة بين الولايات المتحدة واوروبا . ويؤيد هذا الافتراض نمط معقد من المصالح المتشابكة في الاعمال والممتلكات . ومن هنا فان تضارب مصالح اميركا مع اوروبا او مع بلد رئيسي هناك يعالج في بادىء الامر بدقة وكياسة تخصصان للنزاعات الاخوية .

يظهر كيسنجر بوضوح مشاعر خاصة ازاء اوروبا بوصفه رجلا يربط نفسه ربطا عميقا بمستقبل مدنية اوروبا ويخاف عليها . وقد أعلن بعد انسحاب فرنسا من القيادة العسكرية لناتو قائلا ان « الازمة الراهنة هي شأن عائلي » ، مضيفا انها « تتعلق بالتدابير الداخلية بين شعوب وثيقة الصلة » . (هنري كيسنجر ، « من أجل تحالف اطلنطي جديد » ، **ذا ريبورتر** ، ١٤ تموز — يوليو ١٩٦٦ ، ص ١٨) . وفي الآونة الاخيرة ، اثناء بحث الحوار الاوروبي — الاميركي اللاذع ، قال كيسنجر لجايمس ريستون في **النيويورك تايمز** انه « لو حضر المرء الاجتماعات فعلا لشعر بانه حيال شجار عائلي ، وبات المرء ، بطريقة غير ملموسة ما ، انما يتكلم كعضو في عائلة » . (**نيويورك تايمز** ، ١٣ تشرين الاول — اكتوبر ، ١٩٧٤) . ومثل هذه التعابير الاخوية حببت هنري كيسنجر للاوروبيين الليبراليين الذين اثنوا على تعيينه في البيت الابيض عام ١٩٦٨ . بيد ان المصالح تتغلب عادة على الصلات الثقافية . ولم تعد مصالح اوروبا تتطلب منها تأييد سيطرة الولايات المتحدة كقوة عالمية — وهي حقيقة كان الجنرال ديغول اول من ادركها .

طوال عقدين من الزمن بعد الحرب العالمية الثانية كانت اوروبا واليابان حليفتي اميركا الطيعتين لانهما كانتا ضعيفتين اقتصاديا ويثقل كاهليهما عبء عدم الامن وعدم الاطمئنان . وكانت الولايات المتحدة تتمتع بوفهما بامتياز نفوذ السيطرة

الاقتصادية ، وتوفير مظلة الامن ، ولكنها كانت في سبيل خسارة هذا الامتياز بطول اواسط الستينات . فالوفاق (الذي ابتدأ في اوائل الستينات) كان قد خفض (وان لم يزل) قيمة مظلة الامن الامريكية . ولم يعد الخضوع للولايات المتحدة يدر الكثير من الفوائد الاقتصادية لاوروبا او اليابان . وبالعكس ، هما الآن منافستا امريكا كبائعتين للمنتجات المصنوعة وكمشتريتين للمواد الخام. ومن هنا فان أحد أهداف كيسنجر الاساسية في السلطة سيكون ان يكتسب ، في المدى القصير ، وسائل تأثير جديدة على الحلفاء القدماء الذين شرح كيسنجر لجماعة من زوجات رجال الكونغرس (في ١١ آذار — مارس ، ١٩٧٤) بانهم مشكلة تواجه الولايات المتحدة أكبر من مشكلة اعدائها . وهدفه البعيد المدى هو منع بروز اوروبا الغربية كقوة موحدة ومستقلة في السياسة العالمية .

في خطة كيسنجر الاستراتيجية كان مقدرا لناتو ان تخفض من نظام مضخم للتحالف الدولي لتصير مجموعة اقليمية من القوة الموالية لامريكا . ولم يكن ثمة مبرر لتعجب الاوروبيين من اعلانه (في ٢٣ نيسان — ابريل ، ١٩٧٣) ان « للولايات المتحدة مصالح ومسؤوليات عالمية . ولحلفائنا الاوروبيين مصالح اقليمية » . وثنائية القطب أكثر ملاءمة لنظرة كيسنجر الى ميزان القوة ، كما انها تبسط مهمة البقاء في المرتبة الاولى . ولذا كان يدعو منذ زمن بعيد وبثبات الى حرمان اوروبا دورا عالميا في السياسة العالمية .

غير ان اسبابه المعلنة كانت متنوعة ومتناقضة ، فقد اشار احيانا الى خطر الطموح الاوروبي ، واحيانا اخرى الى عدم وجوده ، كتسويغ للحد من الدور الاوروبي في السياسة العالمية . وفي اواسط الستينات انتقد حماسة الليبراليين للوحدة الاوروبية والدفاع الاطلنطي على اعتبار انها « ستولد مطالبات متزايدة بالمشاركة الاوروبية في القرارات الدولية » . (هنري كيسنجر ، « من أجل تحالف اطلنطي جديد » . **ذا ريبورتر** ، ١٤ تموز — يوليو ، ١٩٦٦) . وفي ١٩٦٨ ، قبل ان يصير مستشارا للرئيس بوقت قصير ، كرر القول انه « في حين توجد حجج قوية للشراكة الاطلنطية والوحدة الاوروبية ، فان تمكين اوروبا من لعب دور عالمي ليس احداها » . واقترح بان « التعاون بين الولايات المتحدة واوروبا يجب ان يركز على قضايا ضمن المنطقة الاطلنطية ، وليس على شراكة عالمية » . وفي هذه الحال يرى الدكتور كيسنجر ان اوروبا لم تعد اهلا للعب دور عالمي لانها خسرت النفسية الامبريالية — في ما عدا البرتغال ، كتب يقول : « تضطلع الامة بالمسؤوليات لا لان لديها موارد فحسب بل لان لها نظرة معينة الى قدرها . وكانت الولايات المتحدة خلال الجزء الاعظم من تاريخها — حتى الحرب العالمية الثانية — تملك الموارد دون الفلسفة [كذا] لدور عالمي . واليوم فان افقر بلد غربي — البرتغال — له أوسع الالتزامات خارج اوروبا لان صورته التاريخية عن نفسه قد أضحت مرتبطة بممتلكاته في ما وراء البحار . ومن غير المحتمل ان يحقق هذا الشرط اي بلد اوروبي آخر — ربما باستثناء بريطانيا العظمى — مهما حصل من زيادة في قوته » . (هنري كيسنجر ، **سياسة الولايات المتحدة الخارجية : ثلاث مقالات ، المصدر نفسه** ، ص ٤١—٧٢) .

وسنبين فيما بعد ان حظ التفكير هذا كان مسؤولا ، الى حد ما على الاقل ، عن اختيار كيسنجر للبرتغال واليونان ، ولاسرائيل وايران ، لتنوب عن الولايات المتحدة في استراتيجية جنوبية خارج حلف شمال الاطلسي .

ان التناقض بين رؤية كيسنجر لاوروبا « كانعزالية » فضلا عن كونها طموحة هو تناقض ظاهري أكثر منه حقيقي ، فالفرق هو بين استنتاج تكتيكي وجغرافي — سياسي ، من الناحية التكتيكية ينظر كيسنجر الى اوروبا على انها تعبر « فترة عزلة » ، ويحتمل بالتالي ان تكون حليفة عالمية قيمة لدولة نشطة ، ومن الناحية الجغرافية — السياسية لا يسعه اعتبار وحدة اوروبا او توسيع الاسرة الاقتصادية الاوروبية — وما يترتب على ذلك من بروز قوة قارية اخرى — الا كخطر يهدد السيطرة الامريكية .

وكما قلنا سابقا ، ان تقرير الدكتور كيسنجر لمازق امريكا الجغرافي — السياسي « كدولة جزيرة » لا يتركز على الاتحاد السوفياتي وحده ، فقد استطرد يقول في المقطع المستشهد به سابقا : « اذا ما سقطت اوراسيا تحت سيطرة دولة

واحدة **او مجموعة دول** ، واذا ما أعطيت هذه الدولة المعادية الوقت الكافي لاستغلال مواردها ، فلا بد ان تواجه خطرا بالغا ». (هنري كيسنجر، دفاع عن المناطق الرمادية) » . **المصدر نفسه** .

ويرى الجغرافيون السياسيون ان مثل هـذا الخطر هو أكثر ما يكون وضوحا في علاقة اوروبا الممكنة بالبلدان الواقعة جنوب البحر الابيض المتوسط حيث يوجد نحو ٧٠ ٪ من احتياطي الطاقة العالمي والكثير من موارده المعدنية .

كان البحر الابيض المتوسط منذ عصر الفينيقيين هو الطريق البحري الامبريالي التاريخي الى ثروات افريقيا وآسيا . وكانت مناطق الخلفيـة تزود الامبراطوريات الرومانية والبيزنطية والعربيـة والعثمانية بالموارد البشرية والمادية ، ووفرت هذه الموارد للفرنسيين والبريطانيين . وفي الاعـوام الاخيرة فان النقص الفعلي والمحتمل في هذه المواد الخام (مثل النفط والغاز والفوسفات والنحاس الاحمر الخ) ، الضرورية للاقتصاديات الصناعية ، قد زاد الى حد هائل من الاهمية الاستراتيجيـة للبلدان التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي . ولا يمكن لدولة رئيسية تجتهد للمحافظة على مركز هيمنتها ان تنظر الى السيطرة عـلى انتاج وتوزيع هذه المواد الخام الا كعامل حاسم . ولذا انتقلت بؤرة الصراع العالمي من أجل السلطة في السبعينات من المحيطين الاطلنطي والباسيفيكي الى البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي .

ان ثلاثة من الاشباح الاربعة التي ذكرنا انها تنتاب هنري كيسنجر — الاتحاد السوفياتي ، قوى التحرير الوطني ، وفقدان وسائل التأثير على اوروبا واليابان — تتركز الى الجنوب من البحر المتوسط . ويقول كاتبا سيرة حياته المعجبان به (مـارفين وبرنارد كالب) ان للدكتـور كيسنجر « تصورا رؤيويا لتغير محتمل « في ميزان القوة الاستراتيجي » في تلك المنطقة ، (مارفين كالب وبرنارد كالب ، **كيسنجر** ، بوسطن : ليتل ، براون وشركاهما ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٢) . وتنظر واشنطن بخوف شديد الى ازدياد النفوذ الروسي هناك . وهكذا عندما شاع خبر وجود الطيارين والصواريخ الروس في مصر في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، هدد الدكتور كيسنجر الوفاق ، وفي مناسبتين متعاقبتين لشرح خلفية الاخبار ، هدد « بطردهم » . كما انه يعتبر وجود قوى راديكالية وثورية في المنطقة مثيرا للقلق الى الحد ذاته . وقد هدد نيكسون بالتدخل مباشرة في الشرق الاوسط وقام بأكبر عرض للعضلات في ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧٠ ، خلال حرب الملك حسين مع الفلسطينيين . والامر الذي يدعو الى السخرية هو ان نيكسون وكيسنجر ارتكبا أسوأ فظائعهما في الهند الصينية حيث كانت القـوة الاميركية تتقهقر. الا ان عروضهما الاكثر دراماتيكية في سياسة شفير الحرب ، بما في ذلك اعلان انذار نووي على نطاق العالم ، وقعت في المنطقة حيث مصالح اميركا الاستراتيجية (وتورطهـا العسكري المحتمل) آخذة في الاتساع .

في ما يتعلق باوروبا نجد ان البلدان التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي تحمل وعدا وخطرا في نظر الانصار المتحمسين للتفوق والسيطرة الاميركيين . واذا كان باستطاعة الولايات المتحدة ان تحفظ سيطرتها في تلك المنطقة ، وتضطلع بدور الحارس على انتاج وتوزيع النفط والمواد الخام الاخرى الضرورية للاقتصادين الاوروبي والياباني ، فانهـا تكون قد حافظت على وسيلة تأثير فعالة ازاء حليفاتها . والى ذلك تكون قد ضمنت امدادات الطاقة التي يحتاجها الاستهلاك الاميركي . ومن جهة اخرى ، لا يمكن لكيسنجر وزملائه الا ان يساورهم القلق حول الربط المحتمل لبلدان الشرق الاوسط بالاسرة الاقتصادية الاوروبية ، ذلك ان الدمج الاقتصادي بينهما من المرجح ان يكون على حساب الرأسمال الاميركي . والى جانب ذلك ، فانه يثير شبح « قوة قارية » اخرى .

القوى التاريخية والاقتصادية تدعم مثل هـذا التطور . فللحكومات الاوروبية اسباب الزاميـة قوية تدعوها الى نشدان علائق وثيقة بالبلدان المنتجة في الشرق الاوسط وافريقيا . فهي تخشى نتائج التدفق الكبير للاموال الى المناطق الاخرى على نظامها النقدي . ولا يسعها ان تشـعر بالاطمئنان الى امدادات مستقرة من المواد الخام حتى تصير اقتصاداتها متبادلة الاعتماد كليا مع اقتصاديات البلدان المنتجة، وحتى تكتسب النخبات العربية —الافريقية مصالح ثابتة في الاسـرة الاقتصادية الاوروبية .

كما ان مجاورة بلدان الشرق الاوسط وافريقيا

لاوروبا ، وتاريخ لقائها الطويل معها ، يعملان كحافزين لارتباطها المتزايد بالاسرة الاقتصادية الاوروبية ، والبنى التربوية والاقتصادية والادارية لهذه البلدان هي الى حد كبير ارث استعماري ، وثقافة نخباتها الحاكمة اوروبية بصورة جزئية على الاقل ، ولذا تميل العلاقات العملية بينها وبين الاوروبيين الغربيين الى ان تكون أسهل منها مع الاجانب الآخرين . وكون دول اوروبية مثل بريطانيا وفرنسا (أو بلجيكا وهولندا) قد انسحبت رسميا من المستعمرات ، ولا تملك ما يكفي من القوة العسكرية لاثارة الخوف ، وتبدو وكأنها خسرت نفسيتها الامبريالية ، قد زاد من جاذبية اوروبا كشريك اقتصادي في نظر البلدان المنتجة .

ان قادة « الدولة الجزيرة » ينظرون الى بروز التعاون الاقتصادي الاوروبي — العربي والاوروبي — الافريقي ، على الارجح ، على انه خطر بعيد المدى أعظم من التحدي الفعلي الذي يطرحه الاتحاد السوفياتي . وفي الخطاب الذي القاه كيسنجر في الثالث والعشرين من نيسان ١٩٧٣ وحدد فيه سياسته ، قال بصراحة ان « احتمالات نظام تجاري مغلق يضم الاسرة الاوروبية وعدد نام من الامم الاخرى في اوروبا والبحر المتوسط وافريقيا ، تبدو على حساب الولايات المتحدة الاخرى المستثناة » . وقلقه مفهوم ، اذ ان سوقا مشتركة تتألف من نحو ٦٠٠ مليون نسمة ، وقاعدة اوروبا الصناعية المتقدمة ، ومجمع كبير للايدي العاملة ، واغنى تراكمات طبيعية في العالم للطاقة والموارد المعدنية ستصير بصورة محتومة موضع قوة هائل . ولكي تبقى واشنطن في مركزها المتفوق الاول عليها بطريقة ما ان تحافظ على دور مسيطر في منطقتي البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي.

ويسعى الدكتور كيسنجر الى تحقيق هذا الامر عن طريق المناورات الدبلوماسية والمحافظة على تفوق اميركا العسكري . واحد أسباب ذلك ، كما أشار نقاده على الدوام، هو انه لا يحسن فهم الاقتصاد، وتثير تعقيداته سأمه ، ويعتقد ان الواقع عرضة للتلاعب السياسي والعسكري ، لكن السبب الرئيسي هو انه يفهم فهما كافيا ليدرك ان الولايات المتحدة خسرت الكثير من وسائل ضغطها الاقتصادي ، ولذا ينبغي ان تكون القوة والدبلوماسية اداتيه الرئيسيتين لاستمرار الهيمنة الاميركية .

بحلول ١٩٦٨ ، عندما وصل كيسنجر الى السلطة ، كان « واضحا تمام الوضوح » ان الولايات المتحدة تخسر تفوقها الاقتصادي على اوروبا واليابان . فقد كان معدل نموها متخلفا وراء معدلي نموهما. وكانت موازين مدفوعاتها تزداد سلبية سنة بعد سنة . ويقول ماكس سيلبر شميت ان ديون الدولار القصيرة الامد كانت قد ارتفعت الى ٣٣ بليون دولار عام ١٩٦٨ . وبحلول ١٩٧١ كانت قد تضاعفت تقريبا الى ٦٣ بليون دولار . وفي ١٩٧٤ تخطت المئة بليون دولار بكثير . (ماكس سيلبر شميت ، **الولايات المتحدة واوروبا** . هاركورت ، برس ، ١٩٧٢ ، ص ١٨٩ ، استشهد به جوفري باراكلو في « نهاية حقبة » ، **نيويورك تايمز ريفيو اوف بوكس** ، المجلد ٢١ ، العدد ٢ ، ٢٧ حزيران — يونيو ، ١٩٧٤ ، ص ١٨) . لقد صارت حكومة نيكسون — كيسنجر الاولى في القرن العشرين التي حققت للولايات المتحدة عجزا في حساب تجارتها الخارجية ، بلغ ١٢ بليون دولار عام ١٩٧١ ، وذلك ، الى حد كبير ، بسبب التدخل الاميركي المستمر والباهظ الثمن في الهند الصينية ، وبسبب الانفاق على المعونة العسكرية والقواعد العسكرية ونشر القوات والاسلحة في الخارج ، وبسبب المنافسة من اليابان واوروبا . وفقد الدولار قابلية تحويله في آب (أغسطس) من تلك السنة ، وكان في الطريق الى خفض قيمته .

كانت الخلافات الاوروبية — الاميركية الاشد خطورة ، كما هو متوقع ، حول مسائل التجارة والتثمير والعلاقات المالية . وظهرت هذه الاختلافات على السطح بصورة دراماتيكية نوعا ما في سنة ١٩٧٣ خلال الحرب العربية — الاسرائيلية عندما احتجت حليفات مقربة مثل المانيا الغربية علنا على استخدام مرافئها لامدادات الاسلحة الاميركية لاسرائيل ، وحظرت الحكومة البريطانية استعمال قاعدتها في قبرص للاستطلاع . وفي ما عدا البرتغال الفاشية تصرفت جميعها ، كما تذمر كيسنجر بمرارة لجماعة من البرلمانيين الاوروبيين ، « كأن التحالف غير موجود » . فان سياسته الرامية الى استخدام امتياز الولايات المتحدة الاستراتيجي لتأمين الامتثال الاوروبي كانت لها حدود . وينطبق

الكلام نفسه على توسله الاخوة الاوروبية .

كانت ادارة نيكسون تنتهج سياسة تهدف الى تأمين خضوع اوروبا واليابان طوال مدة حكمها الاولى ، وفي المدة الثانية حتى الحرب العربية — الاسرائيلية في تشرين الاول ١٩٧٣ على الاقل . وسعت الى ابعادها عن مصاف الدول العالمية عن طريق تركيز بحثها عن توازن مستقر على الدول العسكرية الرئيسية — الولايات المتحدة ، روسيا ، وجمهورية الصين الشعبية. وهذا الاختيار أفسح في المجال ، على حد تعبير الاستاذ ستانلي هوفمان ، زميل كيسنجر السابق وصديقه والآن أحد نقاده ، « للعمل البارع البسماركي الجديد ، اي التلاعب بجميع العلاقات — وهو عمل فذ لا تستطيع موسكو ولا بيكين القيام به نظرا الى العداوة بينهما » . الوفاق ، اذا ، يؤدي وظيفة استمرار حالة « ثنائية القطب » التي تبقى فيها الولايات المتحدة متفوقة استراتيجيا على الاتحاد السوفياتي ، (ستانلي هوفمان ، « اختيارات » ، **السياسة الخارجية** ، خريف ١٩٧٣، ص ٣ — ٤٢، ص ١٣) . وفي هذا الامر يوجد اقتران في المصالح الروسية — الاميركية ، اذ ان ثنائية القطب ملائمة لهما معا . والى ذلك فان روسيا هي ايضا حذرة من الارتباط الاوروبي بالبلدان الواقعة الى جنوب البحر الابيض المتوسط . لذا يمكننا ان نتوقع من موسكو ان تتعاون مع واشنطن في احباط قيام دور اوروبي مستقل في تلك المنطقة في ما هي تسعى الى توسيع نفوذها هناك .

يسمي الفرنسي الفرد غروسر اوروبا « اسرة التوعك » ازاء الولايات المتحدة (الفرد غروسر ، «اوروبا: اسرة التوعك» **السياسة الخارجية**،صيف ١٩٧٤) . لان توقها الشديد الى الاستقلال حقيقي صادق لكن اعتمادها العسكري على الولايات المتحدة أساسي جوهري . فاحتياجات اوروبا ، الامنية ، كما يراها راسمو سياستها ، تتطلب تحالفا عسكريا مستمرا مع الولايات المتحدة . واوروبا بلا دفاع استراتيجي غير مقبولة لديهم لانهم يخشون ان تفضي الى سيطرة روسيا عليها . ومع هذا لا يمكن تصور سياسة دفاع اوروبية لانه لا يسعها ان تستغني مشاركة المانيا الغربية ولا ان تعترف بها . ويدرك كيسنجر ذلك وهو مصمم على استغلاله كوسيلة للترغيب والترهيب في اوروبا .

وقد كتب عام ١٩٦٨ فيما هو يجادل داعيا الى قصر المشاركة الاطلنطية على تحالف اقليمي فقال : « ان المصلحة الذاتية تملي التعاون الوثيق بين اوروبا والولايات المتحدة في الحقل العسكري ، واوروبا تكسب من هذا التعاون أكثر مما ستكسبه الولايات المتحدة » . (هنري كيسنجر ، **السياسة الخارجية الاميركية : ثلاث مقالات** ، ص ٧٥) . وقد يكون الوفاق عزز وسيلة الضغط الامنية المتوفرة لاميركا على اوروبا وذلك ، يقول ستانلي هوفمان ، لان « اتجاه (الترابط) يمكن عكسه الآن : فطالما ظلت معضلتنا الامنية حادة كمعضلة حليفاتنا ، كان علينا ان نقبل عوائق اقتصادية معينة مقابل خضوعها العسكري ، وبامكاننا الان ان نستغل احتياجاتها الامنية من أجل التعويض الاقتصادي » . (**المصدر نفسه**). لا بد من الملاحظة ان نيكسون ، منذ رسالته عن « حالة العالم » في ١٩٧٣ ، وكيسنجر ، منذ خطابه حول جهاز اطلنطي جديد ، كانا واضحين في ربطهما قضايا الامن بقضايا العلاقات الاقتصادية مع اوروبا .

كيسنجر و « استراتيجيته الجنوبية »

بطريقة جوهرية أكثر ، لم تكن خطة كيسنجر الاستراتيجية تهدف الى حصر الاتحاد السوفياتي ، وخلق ادوات فعالة « للقمع الاجتماعي » في العالم الثالث فحسب ، بل كذلك الى الالتفاف حول حلفائه الاوروبيين . وكان أحد تحركاتها الاساسية في اتجاه خلق تحالف عسكري غير رسمي ، ولكنه متماسك ، في منطقتي البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي للاضطلاع بالدور الذي كان في السابق مسندا الى حلف شمال الاطلسي وميثاق بغداد (السنتو) السيء الطالع . ويبدو انه وقع الاختيار على اسبانيا والبرتغال وتركيا واليونان واسرائيل وايران والعربية السعودية كزعيمات للسلام الاميركي . أما الدول التابعة الاضعف ، مثل اثيوبيا والاردن ، فستكون بمثابة بدائل ثانوية ، كانت هذه هي النسخة المتوسطية (نسبة للبحر المتوسط) من « الاستراتيجية الجنوبية » لنيكسون ، وهي الاستراتيجية التي كانت تعني في الداخل اعادة تنظيم الحزب الجمهوري ليوحد قواه مع قوى اليمين واستبعاد عناصر الوسط منه .

اتضحت العناصر الاساسية لخطة كيسنجر

بحلول خريف ١٩٧٠ خلال زيارة نيكسون الى البحر الابيض المتوسط ، كما كان يمكن رؤيتهـــا في التطورات المتناقضة ظاهريا المرتبطة بوقف النار على طول قناة السويس . وفي مقالات كتبتها انا آنذاك اشرت الى ان خطة روجرز ، التي وضع مسودتها ، في الواقع ، جوزف سيسكو خـــلال عمله مع هيئة موظفي كيسنجر في البيت الابيض ولا شأن لرجال روجرز في وزارة الخارجية بها ، كانت تهدف الى تحقيق بعض المكاسب التكتيكية وليس الى تحقيق تسوية في الشرق الاوسط . وتشير الادلة كذلك الى انه فيما صار وزير الخارجية روجرز يحمل الخطة على محمل الجد ، عمد الى تقويض مركزه هنري كيسنجر الذي بقيت علاقاته العملية الحميمة بالحكومة الاسرائيلية سرا مكتوما بدقة ، حتى الآونة الاخيرة . (أنظر برنارد ومارفين كالب ، **كيسنجر ، المصدر نفسه** ، ص ١٨٦ — ٢٠٩ من أجل أمثلة على جلسات التخطيط السرية التي عقدها السفير الاسرائيلي اسحق رابين مع كيسنجر . ويقول برنارد ومارفين كالب ان رابين « ينكت باعتزاز انه يعرف من المداخل والمخارج السرية للقصر التنفيذي [للبيت الابيض] أكثر مما يعرف البوليس السري الاميركي ». ص ٢٠٤).

لم يحقق وقف النار الذي اوجدته خطة روجرز الا الاهداف التكتيكية التالية : (١) سحب الفتيل من المواجهة على طول قناة السويس وتجميـــد الوضع لمصلحة اسرائيل . (٢) ابطاء معونـــة الاسلحة السوفياتية والنفوذ السوفياتي النامي في الشرق الاوسط في وقت كانت واشنطن تنظر فيه بخشية الى التوزيع المصري لصواريخ ســـام المضادة للطائرات ووصول طائرات الميغ بقيـــادة طيارين سوفياتيين الى الشرق الاوسط . زيادة الانقسام بين العرب ، وعزل الفلسطينيين الذين صاروا من ثم هدفا سهلا نسبيا للملك حسين .

زيارة نيكسون للاسطول الســـادس في ١٩٧٠ أبرزت الاهمية التي يعلقها على البحر الابيـــض المتوسط خصوصا وان زيارة الرئيس الامـــريكي تركزت على حاملة الطائرات ســـاراتوغا التي كانت، في خطة حسنة التنسيق مع اسرائيل ، متأهبـــة لتدخل محتمل في الاردن . وفي هذه الاثناء حل وزير الدفاع الاميركي ليرد ضيفا على المجلـــس العسكري الحاكم في اثينا معطيا ما وصفـــه « بالاولوية العليا » لـــ « تحديث » القـــوات اليونانية . وبعد ذلك ازدادت العلاقات العسكرية الاميركية — اليونانية وثوقا ، واكتسبت البحرية الاميركية مرافىء « لابوائها » في اليونان . ووقعت تطورات مماثلة بالنسبة الى تركيا واسبانيا . ومع البرتغال توصلت الولايات المتحدة في جزر الآزور الى احدى أكثر صفقاتها الدفاعية شمولا .

اسبارطة في خدمة روما

اذا كان يجري تحضير هذه الدول لتعمل كخفراء او حراس ، فقد بدا انه أسند الى اسرائيل وايران دور مدير الشرطة . فقد كانت اسرائيل تتمتع بجميع مواصفات البديل المثـــالي . وكان عرضها العسكري في ١٩٦٧ موضع حسد غـــير خجول لدى رؤساء الاركان العامة الفيتناميـــين الخائبين . وكان سلاحها الجوي يعتبر رادعا فعالا ضد الهجمات السورية والعراقية او الليبية على حليفات اميركا . وكانت هي الدولة الوحيدة التي تتمتع بالاختيار النووي في المنطقة بين فرنســـا والهند . كما ان تقدمها التكنولوجي العالي التعقيد اعاد تطمين المسؤولين الاميركيين الذين احتفظوا ، رغم الفيتنام ، بايمان عميق في القوة الحاسمة للآلات . وفوق كل شيء كان اعتمادها الاقتصادي والعسكري على الولايات المتحدة يعتبر دائما ، وبناء عليه افترضت ديمومتها كحليفة . وكانت الصورة هي صورة اسبارطة في خدمة روما : فرصة لا يمكن مقاومتها .

كذلك اخذ البيت الابيض ينـــظر الى التعزيز العسكري لاسرائيل على انه شيء نافع وثمين في ضمان مشاركة الكونغرس ، حيث تتمتع اسرائيل بتأييد اجماعي تقريبا ، في جريمة حرب الهنـــد الصينية ، وموافقته على مخصصات الدفـــاع المتزايدة ابدا ، وفي ما يتعلق باسرائيل نفسها أعطى الكونغرس رئيس الجمهورية ، في سبتمبر ١٩٧٠ ، ما وصفته **النيويورك تايمز** بأنه « برنامج شـــراء الاسلحة الاكثر تحررا من القيود في العالم » . (٢٩ سبتمبر ، ١٩٧٠) . وقد بدا جون ماكورماك، رئيس مجلس النواب ، مذهولا بعض الشيء ، اذ قال : « انني لم ار ابدا خلال الاعوام الاثنين والاربعين التي أمضيتها كعضو في هذه الهيئـــة [أي الكونغرس] لغة من هذا النوع تستخدم

في ترخيص او مشروع قانون للمخصصات » .
(ملاحظة : لقد أعطى مشروع القانون هـــذا السلطة التنفيذية ترخيصا شاملا لتزويد اسرائيل « بأسلحة ارضية مثل الصواريخ والدبابات ومدافع هاوتزر عديمة الارتداد، وناقلات جنود مدرعة الخ، فضلا عن الطائرات » . وكان القصد منه ، وفقا لما قاله ميندل ريفرز ، رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب، هو ان « يوفر لاسرائيل النطاق الكامل للاسلحة الاميركية ») . وقد زودت ادارة نيكسون اسرائيل ، في اعوامها الخمسة الاولى ، بكمية من المعونة العسكرية تزيد بنحو ٢٠ مرة عما قدمته اليها الحكومات السابقة لها في ٢٠ سنة . (أنظر تقارير « ميريب » ، العدد ٣١ ، اكتوبر ١٩٧٤ ، العدد ٣٠ ، اغسطس ١٩٧٤ ، العدد ٨ ، مارس — ابريل ١٩٧٢) . وبعدما تجهزت اسرائيل بالاسلحة الهجومية الاكثر تقدمـــا في المستودع التقليدي للولايات المتحدة ، بدا وكأنها صارت الدولة الكبرى في الشرق الاوسط . وبالفعل فان قوة تأثير تهديدها المدعوم من الولايات المتحدة بالتدخل في احداث ايلول الاسود في الاردن أكدت هذه المنزلة ، وكرست التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل . ولم يتمتع أي بلد آخر في العالم بمثل هذا الالتزام الكامل مـــن الولايات المتحدة . ولم تحقق أية دولة اخرى في التاريخ منزلة الدولة القوية على أساس الدعم الاجنبي وحده تقريبا . وفي هذا الاطار وحده يمكن للمرء ان يفهم الدعم الاسرائيلي النشيط لاعادة انتخاب رتشارد نيكسون في اميركا التي تسيطر عليها الاصوات الديموقراطية اليهودية ، واعلان نيكسون انه لا يمكن ان يكون هناك أمن قابل للتطبيق لاسرائيل دون التحالف العســكري الاميركي مع المجلس العسكري الحاكم في اليونان.

صدر حديثا عن مركز الابحاث
في منظمة التحرير الفلسطينية كتاب

الضـــفة الغربيـــة
التركيب الاجتماعي والاقتصادي (١٩٤٨ — ١٩٧٤)

بقـــلم
جميـــل هـــلال

٣٠٢ صفحة من القطع الكبير

سعر النسخة ٨ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢١/٢ ل.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول

اطلب نسخك من مركز الابحاث
قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ — بيروت

جيمس وليام فولبرايت :
تقييم سياسي ، ومقابلة صحفية

سلمى حداد

بمناسبة انتهاء عضوية السناتور فولبرايت بمجلس الشيوخ الامريكي كتبت الانسة سلمى حداد ، احدى مراسلاتنا في الولايات المتحدة ، هذا التقرير المزدوج ، الذي يتضمن تعريفا نقديا للرجل ولدوره ولتفكيره ، ومقابلة أجرتها المراسلة معه في اليوم الثاني من يناير ١٩٧٥ في مكتبه في مدينة واشنطون ، وكان هو الحديث الاخير الذي يدلي به قبل مغادرته منصبه في الكونغرس .

لم يعرف تاريخ الولايات المتحدة الحديث شخصية مثيرة للجدل مثل شخصية السناتور جيمس وليام فولبرايت . فلقد وصف هذا السياسي الاميركي بالعملاق ، والفيلسوف ، والاممي ، وداعية السلام ، والمعارض ، والشيوعي ، واللاأميركي ، والانعزالي الجديد ، والعنصري ، والخائن ، الى غير ذلك من النعوت التي يستشم منها المديح أو القدح . وكانت طبيعة الصفة التي تلصق به تختلف باختلاف المكان والزمان والقائل بكل ما يحمله من خلفيات ايديولوجية . وفولبرايت سياسي معروف يستند الى رأيه في العالم وفي بلاده . ولقد كان عدد مؤيديه والمعجبين به لا يحصى ، وكانت لائحة أعدائه ومهاجميه في الوقت نفسه طويلة تضمنت ، كما يقول مساعده في عام ١٩٦٢ « اتباع جون بيرشيرز ، والمكارثيون ، والغولدووتريون ، والثرموندیون ، والديكسيكراتيون ، والعسكريتاريون ، والانعزاليون ، والصهاينة ، والالمان ، والكاثوليك ، والشيوعيون الوطنيون ، والكوريون ، والليبراليون — في ليتل روك بصورة خاصة — ، ودعاة القوة ، والمحاربون القدامى ، والمزارعون »(١) .

وكان للسناتور فولبرايت ولا شك سجل سياسي حافل بالمواقف المتضاربة . فمواقفه ممتدة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . وهو جريء الى حد التهور ، وحذر حتى السلبية والعطالة . كما انه محافظ وليبرالي بآن واحد . وكان فولبرايت مؤهلا لان يعلو الى مرتبة تفوق مقعده في مجلس الشيوخ ، ولكنه أنهى دوره السياسي العام — على طريقة الاساطير الاغريقية — بهزيمة مذهلة ، تمثلت بفوز منافسه حاكم ارکانساس ، ديل بامبرز .

ويمكن القول بأن فولبرايت كان نافذة من النوافذ الامريكية النادرة المفتوحة على العالم ، والتي تسمح بدخول النسمات السياسية المنعشة ، ومرورها فوق المسرح السياسي الاميركي الموبوء . وكان بالاضافة الى ذلك صوت الضمير والحكمة داخل مجلس الشيوخ وخارجه ، وان كان هذا الصوت يدوي غالبا كصرخة في واد . وفولبرايت صورة حية للوطني المخلص الذي طالما حلم لبلاده بدور مثالي خلاق في العالم ، ومثال للناقد اللاذع الذي هاجم الادارات الاميركية من عهد الرئيس ترومان

حتى عهد الرئيس فورد . وكان اطار انتقاداته واسعا الى ابعد مدى . فلقد هاجم البيروقراطية المعششة في جهاز الحكم الاميركي ، وهاجم « الخرافات »(٢) المسيطرة على ركائز السياسة الاميركية . وكان أول من هاجم السناتور جوزيف مكارثي وخوفه المرضي من الشيوعية . وكانت له بالطبع أخطاؤه وهفواته وتناقضاته التي نجم بعضها عن مثالية مفرطة ، أو فلسفة غيبية ، أو اعتبارات انتخابية محدودة الآفاق .

ولد فولبرايت في نيسان (ابريل) ١٩٠٥ . ومع ان اسمه جيمس وليام ، فقد كان يفضل اسم وليام . نشأ في فاييتفيل (أركانساس) ، ودرس في جامعة أركانساس ، وحصل على «منحة رود» التي خولته ان يدرس في جامعة اوكسفورد (بريطانيا) لمدة ثلاث سنوات . وكان لهذه الفترة التي قضاها خارج القارة الاميركية أثر واضح في انفتاحه على العالم . وعندما عاد الى بلاده درس الحقوق في جامعة جورج تاون (واشنطن) ، حيث غدا استاذا لمادة الحقوق فيما بعد . ثم ترأس جامعة أركانساس حقبة من الزمن .وفي ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ انتخب فولبرايت كنائب في الكنغرس عن ولاية أركانساس ، ثم لم يلبث بعد سنتين ان انتخب عضوا في مجلس الشيوخ عن الولاية نفسها . وفي العام ١٩٥٩ . انتخب لمنصب رئيس مجلس الشيوخ للشؤون الخارجية . وبقي يمثل ولايته في مجلس الشيوخ ويترأس هذه اللجنة الهامة حتى هزمه ديل بامبرز — الذي أطلق عليه لقب قاتل العملاق — في الانتخابات الاولية داخل الحزب الديمقراطي (ايار ١٩٧٤) .

كتب السناتور فولبرايت العديد من الكتب : « الخرافات القديمة والوقائع الجديدة » ، و « وقاحة القوة » ، و « الاحتمالات امام الغرب » و « آلة البنتاغون الدعائية » ، وغيرها ، بالاضافة الى مئات المقالات والمحاضرات . وترك في الكنغرس بصماته الواضحة ،اذ قلما بحثت قضية محلية او دولية الا وكان له فيها كلمة او اثر . ويعتبر فولبرايت من المساهمين في انشاء الامم المتحدة ، فهو واضع « قرار فولبرايت » الذي يدعو الولايات المتحدة الى انشاء جهاز دولي لمنع الحروب في المستقبل (نيسان ١٩٤٣) ، كما انه واضع « قرار فولبرايت لتبادل الطلاب » الذي يحصل مئات الطلاب بموجبه حتى اليوم ، على المنح الدراسية (١٩٤٦) .

ولا يمكن تقييم حياة فولبرايت السياسية بمعزل عن تاريخ السياسة الاميركية خلال الربع الفائت من هذا القرن . فلقد عارض السياسة الخارجية الاميركية التي كان يرى انها تستخدم سلطتها في الخارج بشكل ثقيل وفج ، الامر الذي يسيء اليها في أغلب الاحيان . وكان من القلائل الذين نصحوا الرئيس كندي بعدم غزو كوبا (عملية خليج الخنازير) ، كما عارض تدخل الرئيس جونسون في الدومينيكان ، وهاجم بشدة التورط في حرب فيتنام ، ولم يوافق يوما على السياسة الاميركية في الشرق الاوسط . ومن أهم مواقفه السياسية الخارجية معارضته للسياسة الرسمية ازاء الاتحاد السوفييتي ، واستخدام التجارة للضغط على موسكو بغية تسهيل هجرة اليهود السوفييت ، نظرا لايمانه بأن هذه المسألة لا تمس المصالح الاميركية من قريب او بعيد ، وتهدد على العكس بتدمير الوفاق الدولي(٣).

وكانت النقطة السوداء الاساسية في سجله السياسي ، مواقفه من الحقوق المدنية . ويرجع السبب في ذلك الى انه كان يمثل ولاية اركانساس في الجنوب ، ويتضامن مع شيوخ الجنوب الذين يمثلون ولايات ما زالت تمارس التمييز العنصري بشكل او بآخر . وكانت رغبته في تأمين مقعده النيابي ، وحاجته لدعم كتلة ممثلي ولايات الجنوب وكسب اصواتها داخل مجلس الشيوخ ، تدفعانه الى اخذ مثل هذا

الموقف الذي يشكل من وجهة نظره التزاما بمطالب ناخبيه البيض ، الذين يمثلون غالبية الناخبين ، ويعارضون اي اجراء لتصفية التمييز العنصري . ولا يمكن اعتبار فولبرايت لهذا السبب عنصريا ، ولكنه كان امام اختيارين : التخلي عن مقعده ودوره السياسي، او مجاراة اكثرية ناخبيه ، فاختار الثاني .

ومن مواقف فولبرايت الغريبة ، تأييده للانذار الذي وجهه الرئيس كندي الى الاتحاد السوفييتي خلال ازمة الصواريخ الكوبية (رغم موقفه السابق ضد غزو كوبا) . فلقد كان يخشى ان تغدو كوبا قاعدة صواريخ نووية سوفييتية . وكان يعتبر ان مثل هذا الامر يمكن ان يؤدي الى صدام بين العملاقين ، ويزيد من اخطار الحرب النووية . وهناك ايضا تأييده لموقف الرئيس جونسون ، عندما قرر قصف جمهورية فييتنام الديمقراطية الشعبية كرد على الهجوم الذي شنته القوات الفيتنامية على مدمرتين اميركيتين في خليج تونكان بتاريخ ١٤ اب (أغسطس) ١٩٦٤(٤). ويفسر المحللون السياسيون موقف فولبرايت هذا ، بأن السيناتور الجمهوري اليميني المتطرف باري غولد ووتر — العدو الشخصي لفولبرايت — كان في ذلك الوقت قد أعلن عن ترشيحه لمنصب رئاسة الجمهورية ، لذا رأى فولبرايت ان عليه ان يعزز موقف جونسون ويؤيد قراره الذي كان أول خطوة في التورط الاميركي في فييتنام ، مع ان فولبرايت هو اول من هاجم هذا التورط .

ورغم هذه المواقف الخاطئة والمنتقدة ، فقد كان فولبرايت ، بصورة عامة ، رجلا صادقا مع نفسه ، يتمسك بمبادئه ومواقفه ويدافع عنها دون مراوغة . فهو يقول ما يعتقده صوابا ، حتى ولو كانت مشاعر الرأي العام الاميركي متعارضة مع مواقفه وقناعاته .

ان السؤال الذي حير الكثير من المعلقين الاجانب — لان المعلقين الاميركيين يعرفون الجواب — هو ، لماذا هزم فولبرايت بهذه الصورة ، وفي هذا الوقت بالذات ؟. ولقد قيل في الرد على هذا السؤال : انه تكاثر الاعداء ، كما قيل : خيبة أمل ناخبيه ، او سجله المليء بالمواقف المتباينة ، او كبر سنه (٦٩ عاما) ، او ووترغيت ... الخ. والواقع ان لفولبرايت ، كما لكل سياسي في العالم ، اعداء . فهو يلعب دوره على المسرح السياسي منذ عام ١٩٤٢ . ومن الطبيعي ان يكون له خصوم واعداء ومعارضون . ولكن غالبية المعسكر المعادي له كانت تفضل بقاءه في الكنغرس ، لانها تقدر ثقافته وجرأته ووطنيته ومواقفه التي برهنت الاحداث على صحتها . ولكن عدوا واحدا بقي متربصا له ومصمما على اسقاطه ، دون ان يهتم بأية مصلحة اخرى غير مصلحته الذاتية . وكان هذا العدو هو : الصهيونية . ولولا قوة شخصية فولبرايت ، ونزاهته في بلاد الرشوة والصفقات المشبوهة ، ومكانته العالمية ، وشعبيته ، وقدرته النابعة من خبراته وحنكته السياسية ، ومهارته ، في صياغة القرارات بدبلوماسية وصبر بشكل يضمن موافقة الكنغرس عليها ، لما استمر على المسرح السياسي ٣٢ عاما . وعندما تكاملت الظروف الملائمة لضربه ، انقضت عليه الصهيونية ، وجعلت هزيمته تبدو وكأنها طبيعية وناجمة عن ضياع شعبيته وتضاؤل كفاءاته . وهذا ما بعث المرارة في نفسه — رغم قوله بأنه لا يشعر بأية مرارة — .

ومن المؤكد أن الصهيونية لم تهادنه يوما، فلقد حالت دون وصوله الى مناصب عليا كان اجدر بها من غيره ، ووقفت في الانتخابات الى جانب خصومه ، الامر الذي جعل الرئيسين كندي وجونسون يحجمان عن تسليمه اي منصب وزاري ، رغم احترامهما لرأيه ، واستشارتهما له في الامور الهامة . ويؤكد هذا القول حادثة مشهورة دارت

فصولها في أول عهد الرئيس كندي . فلقد استدعى الرئيس كندي السناتور فولبرايت الى بالم بيتش وفي نيته ان يعرض عليه استلام منصب وزير الخارجية ، فشنت الصهيونية على هذه الفكرة حملة شعواء احرجت موقف الرئيس ، عندها انفرد والد كندي بفولبرايت وقال له : ان الصهاينة واليهود « فتحوا جهنم ! » عندما سمعوا بهذا التعيين(٥) .

لم يكن فولبرايت يوما الرجل المدلل في الصحافة الاميركية الصهيونية . وعندما خسر مقعده النيابي استبشرت الصهيونية خيرا ، واعتبرت الحدث كسبا لها ، وعبرت عن ذلك بشكل مكشوف في صحفها من الدرجة الثانية ، مثل : « جويش برس » ، و« جويش جورنال » ، وغيرها . اما الصحف الصهيونية من الدرجة الاولى ، مثل : « نيويورك تايمز » ، و « واشنطن بوست » .. الخ ، فقد عالجت الموضوع بشكل خفي ، وهاجمته بلباقة مركزة على نقاط ضعفه ، ومؤكدة ان فشله في الانتخابات يعود الى قدرة منافسه . ولمحت هذه الصحف الى كبر سنه بالمقارنة مع سن منافسه (٤٩ عاما) ، كما اشارت الى أن غيابه عن اركانساس ، ووجوده المستمر في واشنطن ، ابعداه عن ناخبيه ، واتهمته ايضا بأنه اهتم بالسياسة الخارجية اكثر من اهتمامه بالسياسة الداخلية وحل المسائل الملحة . وترى هذه الصحف ان الناخب يعتبر فولبرايت شخصا ذا اهتمامات عالمية ، ومثقفا اكثر مما ينبغي . ولكن هل كان ناخبو اركانساس بحاجة لاثنين وثلاثين عاما حتى يكتشفوا هذا الامر ؟

وكما تحاول الصهيونية استغلال كل المناسبات لمهاجمة خصومها ، فقد حاولت استغلال قضية ووترغيت لمهاجمة فولبرايت الذي لم يكن متورطا في هذه القضية بأي شكل . وعندما لم تستطع ربط اسمه بالفضيحة ، اتجهت نحو التركيز على ضرورة البحث عن وجوه جديدة ودم جديد . ولقد ادعت الصهيونية بأن فولبرايت يقبض اموالا من شركات البترول ، ولكنها لم تستطع اثبات ذلك . وبقي السناتور فولبرايت الرجل النزيه القادر على متابعة اتهام الصهيونية بالرشوة وممارسة العمليات المالية المشبوهة وتقديم المستندات والوثائق التي تثبت ما يذكره من وقائع . ولقد اثار هذا الموضوع في مجلس الشيوخ اكثر من مرة . وهاجم في احدى المرات « المجلس الصهيوني الاميركي » الذي كانت تستخدمه احدى الوكالات اليهودية لتحويل الاموال بغية استخدامها لغايات دعائية وتحاشي الادلاء بمعلومات حول كيفية استخدام الاموال . ولقد طالب فولبرايت باجراء تحقيق حول هذا الموضوع . واظهرت التحقيقات ان « المجلس الصهيوني الاميركي » استلم من الوكالة اليهودية المذكورة المرتبطة بصلة وثيقة مع اسرائيل ، مبلغ خمسة ملايين و ١٠٠ الف دولار ، في الفترة الواقعة بين كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ وكانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ ، ووهب هذه الاموال الى هيئات وجماعات بغية اكتساب التأييد لاسرائيل وللاهداف الصهيونية(٦) .

ومهما كان دور الصهيونية في خروج فولبرايت من الكنغرس ، فقد حقق غياب العملاق عن المسرح السياسي هدفا من اهداف الحملة التي تشنها الصهيونية منذ العام ١٩٧٣ لتشويه سمعة الساسة الاميركيين الذين لا يتبنون مواقفها ، وابعاد من تستطيع ابعادهم . وتعرف الصهيونية ان فولبرايت رجل قادر على ازعاجها ، وأن حملاته على اخطاء السياسة الخارجية الاميركية حادة قوية الاصداء ، وان سجله حافل بالانتقادات اللاذعة الموجهة الى السياسة الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط وكوبا والدومينيكان والصين وفييتنام . ولذا فهي ترى أن ابتعاده الان عن المسرح السياسي امر هام ، خاصة وأن حرب ١٩٧٣ وما رافقها من تدابير نفطية عربية ،

قد أظهرت بوضوح مدى احتمالات تورط الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، سواء لانقاذ العسكرية الاسرائيلية من الانهيار اذا ما تعرضت لضربة من طراز ضربة ١٩٧٣ ، او التدخل عسكريا ضد الدول المنتجة للنفط . ومن المؤكد ان وجود رجل مثل فولبرايت داخل الكنغرس ، ومعارضته الشديدة للتورط الاميركي ، لا يمكن ان يعدلا مجرى السياسة الامبريالية الاميركية ، او يوقفا توجه الادارة الاميركية نحو التدخل العسكري ، ولكن صوته القوي كان من شأنه اثارة اهتمام شريحة من الرأي العام الاميركي ، ولفت نظرها الى الاخطار الكامنة وراء مثل هذه المغامرة ، خاصة وان الحرب الفيتنامية جعلت الرأي العام الاميركي حساسا جدا ضد فكرة ارسال جنود اميركيين الى ما وراء البحار ، للمشاركة في حرب طويلة الامد ، باهظة التكاليف .

ان غياب فولبرايت سيجعل مؤيدي الصهيونية ، من امثال السناتور جاكسون، اكثر قدرة على الحركة والتأثير في مجال السياسة الخارجية الاميركية ، خاصة وان السناتور الديمقراطي جورج سباركمان ، الذي سيخلف فولبرايت في رئاسة لجنة مجلس الشيوخ للشؤون الخارجية، شخص يؤيد السياسة الخارجية للادارة الاميركية، وان أبدى عليها أحيانا بعض التحفظات . وبالاضافة الى ذلك ، فقد اختار اعضاء مجلس الشيوخ من الديمقراطيين ، في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، زعيما جديدا للاقلية (Minority Leader) في مجلس الشيوخ عن الشيوخ الديمقراطيين هو السناتور الديمقراطي مانفرد اوهرنشتاين (ولاية نيويورك) اليهودي الصهيوني الذي اشتهر بذلاقة لسانه ، وقدرته الخطابية ، واستعداده للجدل والمناظرات ساعات طويلة الامر الذي سيدعم وجهة النظر الصهيونية في الكنغرس بشكل ملحوظ . ولا يقتصر الامر على الديمقراطيين ، بل يمتد الى الجمهوريين الذين يحاول زعيمهم الصهيوني جافيتز ومؤيدوه ايصال جافيتز الى منصب زعيم النواب الجمهوريين داخل مجلس الشيوخ ، وهو منصب حساس كبير الاهمية .

ان السناتور فولبرايت ، الذي انتقد السياسة الاميركية في الشرق الاوسط منذ الاربعينات ، لم يكن يوما من الايام عربي الموقف . ولكنه كان دائما ، ولا يزال ، مواطنا اميركيا ، يقدم مصلحة بلاده على اية مصلحة اخرى ، ويرى ان الترابط العضوي الاميركي ــ الصهيوني مضر بمصالح الولايات المتحدة ، وان هذه المصالح ــ الامبريالية اساسا ــ لا تتحقق الا بفضل سياسة منفتحة على العرب وقادرة على كسب صداقتهم . ولقد قال فولبرايت في احدى خطبه وفي معرض الحديث عن العرب « ليس بينهم وبين الولايات المتحدة أي نزاع مباشر . كما أنهم لم يفعلوا ما يؤذي الولايات المتحدة »(٧). ولقد زاد اهتمام فولبرايت بالتناقض القائم بين المصالح الاميركية والسياسة الاميركية المؤيدة لاسرائيل والمعادية للعرب ، وخاصة بعد ارتباط الصراع العربي ــ الاسرائيلي بأزمة الطاقة العالمية .

ولفولبرايت مواقف مؤيدة للحق العربي ، مثل موقفه من قضية تمويل السد العالي، وموقفه من العدوان الثلاثي ، وموقفه من النزاع العربي ــ الاسرائيلي بصورة عامة. واذا كان الموقفان الاولان نابعين من التناقض داخل المعسكر الامبريالي نفسه ، فان موقفه الثالث نابع من خوفه على النظام الاميركي القائم ككل ، وخشيته من أن تؤدي السياسة الاميركية المتحيزة لاسرائيل بلا حدود الى ضياع المواقع الاميركية (الاقتصادية والثقافية) في الوطن العربي ، وتصعيد حدة التوتر مع الاتحاد السوفييتي ، وتشويه الدور الاميركي العالمي ــ كما يراه ــ في نظر شعوب العالم اجمع . ومن المؤكد اننا لا نتفق مع السناتور فولبرايت في الحلول التي يقترحها لتسوية النزاع في الشرق

الاوسط . ولكننا نعترف له بجرأته على الوقوف الى جانب العرب ، ولو جزئيا ، في بلاد العداء للعرب . ومطالبته بحقوقهم في بلد يخطط لسلب هذه الحقوق .

واذا عدنا الى موقف فولبرايت من النزاع في الشرق الاوسط ، وجدنا فيه التجسيد العملي لافكاره السياسية ونظرياته الفلسفية الخاصة بالمشاكل العالمية : فهو يعتبر أن مصلحة بلاده الوطنية لا تتحقق عن طريق اشعال الحروب في ارجاء العالم ، بل في المساهمة باحلال السلام في العالم ، وخاصة في العصر النووي الذي يمكن ان تتصعد فيه الحروب المحدودة الى مستويات اعلى واكثر شمولا . ويؤمن بأن على الدول — وخاصة الدول الكبرى — أن تبحث عن مجالات للتعاون ، وأن تسعى لايجاد حلول وسط لجميع الخلافات ، بغية تجنب اهوال حرب نووية تدمر العالم . ويعادي فولبرايت العنف بكل أنواعه ومظاهره . وهذا ما جعله يساهم في بناء سياسة الوفاق الدولي ، ويدعو الى قبول الصين في الامم المتحدة ، وينادي دائما بتوسيع نطاق التعاون بين الدول الكبرى ، وتطبيق الحلول الوسط خارجيا وداخليا . وتبدو الطوباوية واضحة في فلسفته وأفكاره . فهو ضد العنف ، ولكنه يؤيد مصالح الامبريالية الجديدة ويؤكد النظام الرأسمالي ، وكلاهما في جوهره قهر واستغلال (عنف حتى ولو لم يأخذ شكل العنف) . وهو ينادي بالحلول الوسط بالنسبة الى المشاكل الداخلية ، متجاهلا أن هذه الحلول « اصلاحية » لا تستهدف سوى تمويه الصراع الطبقي ، وتدجين المقهورين طبقيا ، واخضاعهم لعنف واستغلال الطبقات المسيطرة دون استخدام العنف بمعناه الكلاسيكي . وهو يطالب بايجاد الحلول الوسط للمشاكل الخارجية متجاهلا التمييز بين المشاكل الخارجية الناجمة عن تناقضات المصالح الجزئية الثانوية ، والمشاكل النابعة من صدام تناقضات المصالح الحيوية المصيرية . وقد يكون من المقبول ان تساوم الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على عدد الرؤوس النووية في ترسانات كلا المعسكرين ، أو على التجارة او السياحة . ولكن المساومة تغدو مستحيلة عندما تدور حول قطعة أرض اميركية او سوفييتية ، أو حول مستقبل جزء من الشعبين الاميركي او السوفييتي . وبوسع العرب مثلا ان يدخلوا في مفاوضات حول مراحل الانسحاب الاسرائيلي ، وسعتها ، وتوقيتها ، واسلوبها ، والمراحل التي تليها ، ولكنه ليس بوسعهم المساومة على حقهم في الارض ، او حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، او حق اي جزء من الشعب العربي في الوجود الحر والكريم . واذا كان فولبرايت الذي سمي بمعلم الروية يعترف بضرورة « الحرب الخلاقة» أحيانا ، اي الحرب التي تؤدي الى السلم ، فان عليه ان يعترف بحق العرب بشن « الحرب الخلاقة » التي تحرر أرضهم وارادتهم من القهر الصهيوني ، لان هذا التحرير هو المدخل الطبيعي للسلام العادل والدائم ، لان أي سلام لا يضمن العدالة لا يمكن الا ان يكون مؤقتا وقلقا .

ان صغر العالم ، وترابط مصالح دوله وتشابكها ، وخصوصية الصراع العربي — الاسرائيلي ، وقيام الدول العظمى (وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) يلعب دور اساسي فيه ، عبارة عن عوامل تجعل لخروج فولبرايت من الكنغرس الاميركي معنى خاصا بالنسبة الينا . وقبل الحديث عن هذا المعنى لا بد لنا من التأكيد على الحقائق التالية : ١ — ان حركة الافراد في المجتمعات الرأسمالية وأفكارهم ومواقفهم لا يمكن ان تبدل الخط العام للسياسة الداخلية او الخارجية في الدول الرأسمالية . وأن هذا التبديل لا يتم الا بفضل حركة الجماهير المسحوقة داخل المجتمع الرأسمالي ، ٢ — ان الافراد المعارضين للسياسة الامبريالية في المجتمع الرأسمالي ، قادرون على القيام بدور تحريضي اذا ما وصلوا الى مواقع سياسية مؤثرة ، ولكن

تحريضهم يبقى سطحيا قليل الاثر ، طالما انهم لم يؤطروا داخل حزب يمثل طبقة راغبة في تغيير بنية المجتمع ، ويقود نضال هذه الطبقة من اجل التغيير ، ويعتبر التحريض عملية حرث ايديولوجية تصب في طاحونة النضال الرامي الى التغيير ، ٣ ــ ان حركة جماهير المجتمع الراسمالي الاميركي ستنبع اساسا من وعيها بتناقضها الطبقي (المصلحي) مع البنيات الفوقية الحاكمة . وان تسريع هذا الوعي يمكن ان يتم بفضل عدة عوامل ، ومن بينها نضالات شعوب العالم الثالث ، والتأثيرات المباشرة وغير المباشرة لهذه النضالات على العجلة الاقتصادية الاميركية ، وعلى امن الفرد الاميركي ومصالحه ، ٤ ــ ان الجماهير الاميركية لم تهتم بالحرب الفيتنامية بشكل جدي ، ولم تشكل عاملا ضاغطا على السياسة الاميركية في جنوب شرقي آسيا الا عندما أدى التورط الاميركي في فيتنام الى انهاك الاقتصاد الاميركي ، ومقتل الشباب الاميركيين في حرب لا يعرفون أهدافها ، ولا يؤمنون بعدالتها ، ولا يعتقدون بأنها تدور من أجل مصلحة الشعب الاميركي المباشرة، ٥ ــ ان الضغط القاعدي الاميركي لتعديل سياسة واشنطن المتحيزة في الشرق الاوسط ، لا يمكن ان يأخذ حجما فعالا الا عندما يؤدي تصعيد النضال الجماهيري العربي (العسكري والاقتصادي والسياسي) الى التأثير على امن المواطن الاميركي العادي ومصالحه ، ويدفعه الى الخروج عن سلبيته السياسية ، وامعان التفكير في مدى تناقض مصلحته الذاتية مع مصلحة الصهيونية ، وفي مدى تناقض مصلحته كفرد وكجزء من طبقة مع سياسة دولته التي تمثل انعكاسا للترابط المصلحي العضوي بين الامبريالية والصهيونية . وعندها يتحقق قانون العلاقة الجدلية بين نضالات الجماهير العالمية بصورة عامة ، وبين نضالات جماهير العالم الثالث ونضال جماهير العالم الراسمالي بصورة خاصة .

وانطلاقا من كل هذه الحقائق ، فان بوسعنا القول ، ان غياب فولبرايت عن المسرح السياسي الاميركي يمثل خسارة لصوت محرض داخل معسكر العدو الامبريالي . فمن يجرؤ مثل فولبرايت على أن يقول للاميركيين والاسرائيليين : « ان قصر النظر الاسرائيلي أمر يمكن فهمه بوجود عقلية الحصار في اسرائيل . ولكن الذي لا يمكن فهمه هو وجود هذه العقلية عند مؤيدي اسرائيل في الولايات المتحدة. اولئك الذين يشجعون اسرائيل بمواقفهم المتصلبة ، ويدفعونها الى الاستمرار في طريق يؤدي بها الى الهلاك. وربما الى هلاكنا أيضا»(٨). ومن يستطيع مثله أن يدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني بقوله « ان للشعب الفلسطيني الحق بوطن له »(٩)... «ان غالبية المسؤولين في بلدنا واقعة تحت تأثير السيطرة الاسرائيلية . انها لا تنكر حق الشعور الوطني الفلسطيني فحسب، ولكن هناك أيضا اشخاصا حكماء مثل مرشحي ولاية نيويورك الذين دخلوا في نقاش حاد حول من يكون منهما أشد معارضة لدولة فلسطينية »(١٠).

ان جاكسون سيشعر براحة كبيرة بعد غياب رقيب مدقق مثل فولبرايت عن الكنغرس . اذ انه عندما نادى بحقوق اليهود السوفييت بالهجرة مستندا الى البند الثالث عشر من الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، والذي ينص على أنه « يحق لكل انسان مغادرة أي بلد بما فيه بلده ، والعودة اليه » ، ذكره فولبرايت بأن البند لا ينص على « حق المغادرة » فحسب ، بل على « حق العودة » أيضا . وسأله ما اذا كان حق الفلسطينيين بالعودة الى بيوتهم التي طردوا منها أقل شرعية من حق يهود الاتحاد السوفييتي باقامة بيوت جديدة على أرض جديدة(١١).

وبالاضافة الى عداء الصهيونية وحملتها المكارثية الجديدة ، فقد كان هناك سبب اخر وراء انتهاء الدور السياسي لفولبرايت بهذا الشكل . ويتمثل هذا السبب بالعقلية

الاميركية التي طالما ناضل فولبرايت من أجل انارتها والاشارة الى اخطارها . ولقد كان فولبرايت خلال هجومه على مكارثي ، في الخمسينات ، أقرب الى عالم النفس وعالم الاجتماع منه الى السياسي . وكانت حملته اصلاحية اجتماعية اكثر منها سياسية . وكان يعبر خلالها عن خوفه على سلامة تفكير الاميركي العادي الخاضع لتأثيرات الصحافة والتلفزيون ووسائل الاعلام الاخرى الواقعة في قبضة الاحتكار الصهيوني ، والتي تمارس ارهابا فكريا لا يقل خطورة عن الارهاب الفكري الذي تمارسه اجهزة الاعلام في الانظمة البوليسية .

ولقد حذر فولبرايت من ميل الاميركيين الى الاندفاع وراء « صرعة » تفتش غالبا عن كبش فداء . ففي العام ١٧٩٨ مرت الولايات المتحدة بهزة راح ضحيتها الجفرسونيون الاحرار . وفي العام ١٨٠٠ توجهت الحملة ضد الكاثوليك والايرلنديين . وبعد الحرب العالمية الاولى تفجرت الهستيريا ضد « الاغراب » و « الحمر » والراديكاليين بشكل عام . وكانت الحملة المكارثية في الخمسينات ضد الشيوعيين الاميركيين . وفي السبعينات اتجهت الصرعة نحو « ووترغيت » . ويتركز الهجوم اليوم على وكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A.) ، والخطر العربي على الاقتصاد العالمي . ويبدو ان وسائل الاعلام الاميركية بحاجة دائمة لخطر وهمي او حقيقي تستغل به العقلية الاميركية المشلولة المترهلة . ولقد استغلت وسائط الاعلام الصهيونية قضية « ووترغيت » ، وأزمة الطاقة ، وبوادر الازمة الاقتصادية العالمية الناجمة عن الموقف النفطي العربي، ونادت في الانتخابات الاخيرة بضرورة انتخاب وجوه جديدة ، بعد أن اعدت هذه الوجوه التي تضع مصالح الولايات المتحدة في المرتبة الثانية ، ومصالح الصهيونية في المرتبة الاولى . وكان من اكبر الوجوه القديمة التي أزيحت من طريق « المكارثية الجديدة » السناتور وليام فولبرايت الذي غدا اليوم اكثر حرية من اي وقت مضى ، وأصبح بوسعه التعبير عن رأيه دون التفكير بواجباته تجاه ناخبيه الجنوبيين، او بمعادلات الكتل النيابية ، او بضرورات الحذر المفروضة على المسؤولين السياسيين الرسميين .

ويعتبر فشل فولبرايت اكبر تحد واجهه في حياته . وليس لدينا شك في انه سيقبل التحدي بكل شجاعة ، فهو رجل التحديات الذي رفع صوته عاليا أمام انحرافات السياسة الخارجية الاميركية ، وتشوهات المجتمع الاميركي المرضية ، وعارض مشروع الفضاء لايمانه بضرورة صرف الاموال الطائلة المكرسة لهذا المشروع فيمشاريع اخرى تؤدي الى تفادي المجاعة العالمية ، ونشر العلم القادر على بناء عالم افضل . ولكن من الواضح انه سيبدأ مواجهة التحدي الجديد بالصمت . فلقد خرج من مجلس الشيوخ بهدوء ، متحاشيا تراشق الاتهامات ، وكأنه اراد تأجيل الدخول مع الصهيونية ومؤيديها بمعركة تلاحقه في عزلته . هكذا نزل فولبرايت عن مسرح السياسة الاميركية بصمت لا يقدر عليه الا العظماء ، بعد أن قال على المسرح نفسه كلام العظماء .

آخر حديث صحفي للسناتور فولبرايت

السيد السناتور . لقد اقترحتم في محاضرتكم ، في جامعة وستمنستر ، في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ، أن يكون الحل لتسوية النزاع القائم بين العرب واسرائيل هو ان تعود اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ . هل تعتقدون ان من شأن ذلك ان يأتي بحل ملائم مع العلم ان التعديلات التي طرأت على الحدود بعد حرب ١٩٦٧ كانت نتيجة من نتائج القضية الفلسطينية ، لا سببا من اسبابها ؟

هذا صحيح . لقد وجدت أن القضية قائمة منذ العام ١٩٤٨ . وان ما أردت التعبير عنه في تلك المحاضرة وغيرها من المحاضرات ، هو أن التسوية التي اقترحتها هي ضروره اولية لدفع عجلة المفاوضات ، لا لمجرد الاعتراف بدولة فلسطينية كالتي تكلمت عنها عند الحديث عن منظمة التحرير الفلسطينية ، بل ايضا لايجاد حل لمشكلة الطاقة التي نجمت عن الحرب في الشرق الاوسط . وبكلام اخر ، ان تسوية ١٩٦٧ هي بداية مرحلة وليست الحل النهائي لمشاكل الجميع . ولكنها خطوة ضرورية للمفاوضات حول التسويات . ومن الضروري ايجاد حل يرضى به الفلسطينيون ، اعتقد اننا نقبل بذلك كمبدأ .

هل تعتبرون أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ؟

لقد وافقت جميع الدول العربية على ذلك . ان اسرائيل لم تقبل بعرض الاردن لبدء المفاوضات ، لذا فانه يبدو لي أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الان « الناطق المنطقي » باسم الشعب الفلسطيني . ولقد كان ذلك قرار الدول العربية بالاجماع في مؤتمر الرباط .

ما هو برأيكم سبب غموض وتناقضات وتعميمات التصريحات التي أدلى بها المسؤولون الاميركيون الكبار خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ ، حول موقف الولايات المتحدة من منظمة التحرير الفلسطينية ؟

أنا لا أعلم بالطبع لماذا قالوا ما قالوه . ولم اشارك في تصريحاتهم هذه . وتعليقي الوحيد حول هذه التصريحات ، هي أنني لا أدري لماذا أدلوا بها .

ما هو تعليقكم حول موقف الولايات المتحدة من التصويت خلال الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة . وهل من المنطقي الكلام عن « تسلط الاكثرية » في النظام الديمقراطي ؟

ليست فكرة « تسلط الاكثرية » فكرة جديدة . وهي تعود الى عدة سنين خلت . انني شخصيا أعتقد انه ينبغي استخدام الامم المتحدة أكثر مما استخدمت حتى الان ، كما ينبغي تطويرها الى منبر عام بشكل يسمح للدول الكبرى والصغرى على السواء ، أن تنظر الى الامم المتحدة بجدية . اعتقد أنها (الامم المتحدة) نمت بسرعة ، ونما عدد أعضاء الجمعية العامة بشكل جعل روابطها عسيرة الحركة . ولكن هذه ليست ذريعة للتخلي عنها . انني اعتقد ان أساليب استخدامها بفاعلية ينبغي أن تطور . انني شخصيا ارى أن من اللياقة عندما يدور النقاش ويجري التصويت أن يأخذ الجميع المسألة بشكل جدي ، وأن يجعلوا منها عملية معقولة ما أمكن . ومن المرجو أن تصبح مع الزمن منبرا حقيقيا لمناقشة الخلافات واتخاذ القرارات .

ان معظم القوة الحقيقية ، كما هي موزعة الآن في الامم المتحدة ، موجود في مجلس الامن . واعتقد أن هذا المجلس لم يستخدم بالتكرار الذي كان من الممكن استخدامه فيه . لقد طالبت مرارا باستعماله أكثر فأكثر لمعالجة القضايا ، بما في ذلك قضايا الشرق الاوسط وفيتنام .

ما هو شعوركم تجاه المظاهرات التي جرت في مدينة نيويورك خلال وجود الوفد الفلسطيني في الامم المتحدة. وهل تتلاءم هذه المظاهرات مع تصرفات مواطني جمهورية ديمقراطية ؟

الواقع أن ذلك أمر غير جديد . فخلال وجود خروتشوف هناك ، وقعت مظاهرات

مماثلة أمام سفارة بلاده . ان حق الشعب للتظاهر أمر معترف به منذ أمد بعيد طالما ان المظاهرة غير عنيفة . وسواء كنا نوافق عليها أم لا ، فهذه عادة متبعة على ما أعتقد في معظم الدول ، باستثناء الدول المنضبطة كالصين ، وربما الاتحاد السوفييتي . ولكنني لاحظت وجود المظاهرات في القاهرة ... ولقد جرت مظاهرات مؤخرا ، ولست متأكدا من الدافع لها ، ولكن الطلاب تظاهروا في القاهرة خلال الايام القليلة الماضية . وليست المسألة ان نعرف ما اذا كانت المظاهرات متلائمة او غير متلائمة ، كما انها ليست مسألة لياقة . اننا أمام واقع يتمثل في أن مثل هذه المظاهرات أمر متوقع عندما يكون السكان مختلطين ، كما هو الحال في العديد من مدننا ، وقادمين من دول مختلفة، ويحملون خلفيات مختلفة .

ما هو حظ السلام في الشرق الاوسط وما دور السياسة الاميركية في تحقيقه ، عندما سيغيب عن الكنغرس رجال دولة مثلكم ومن وزنكم ، وعندما لا يكون رجال كالسناتور جاكسون في داخله فحسب ، بل يسعون لخوض معركة الرئاسة أيضا ؟

لا أعتقد أن أيا من الاثنين يحمل أهمية خاصة . وأعني ان هناك عدة مرشحين . لا أعتقد أنني هزمت لهذا السبب [أي مواقفه السلمية] . لقد قضيت هنا وقتا طويلا. ولا شك ان موقفي من حرب فيتنام كان مهما في مهنتي . لا أود المبالغة في ابراز أهمية دوري الشخصي أو أهمية دور السناتور جاكسون . وأعتقد أن الشرق الاوسط يمثل منطقة مأساوية . فنحن نواجه وضعا ذا خلفية تاريخية يمكن التحدث عنها كما نشاء . ويمكن أن تثير التساؤلات ، حول ضرورة أو عدم ضرورة انشاء اسرائيل ، اهتمام الفلاسفة وعلماء الاخلاق أيضا . والواقع الان أنها موجودة . والسؤال هو ماذا يمكننا أن نفعل بهذا الصدد . والمسألة العملية هي : ماذا يمكن أن نفعل لاحلال السلام . اذا استطاع المرء أن يعد المعنيين لقبول وضع أو علاقات سلام ، أصبح من الممكن بعد ذلك ايجاد أشخاص موهوبين — وهناك أشخاص موهوبين لدى الطرفين ، ولهؤلاء الاشخاص تاريخ طويل، وفي كثير من الاحيان مصالح مشتركة تعود الى آلاف السنين — وعندئذ يمكن العمل لجعل ما يتم التوصل اليه وضعا دائما . واذكر في هذا الصدد مقالا كتبه ناحوم غولدمان سنة ١٩٧٠ في مجلة « فورين افيرز» حول دور اسرائيل في الشرق الاوسط . والذي اقترح فيه أن لا تكون اسرائيل دولة عسكرية . وأن تكون على العكس مركزا ثقافيا في المنطقة . فهي دولة صغيرة . ولقد قدم لها الحجج المقنعة بأن من مصلحتها أن تكون محايدة من الناحيتين العسكرية والسياسية ، أي دولة محايدة . ولم توافق الحكومة الاسرائيلية بالطبع على ذلك . ولم يزل هذا الاقتراح مرفوضا من جانب اسرائيل رغم انه مقنع .

في عصر الاسلحة النووية ، لم يعد هناك أي معنى لاستعمال العنف والقوة بشكل متواصل لحل المشاكل . وان لم تكن الاجناس البشرية قادرة على الحكمة ، ولا يزال المرء يشعر بأن هناك شيئا من الحكمة ، فان اللجوء المستمر الى النزاع المسلح ، الحرب ، من شأنه أن يؤدي الى حرب نووية . لهذا فان ما حاولت البحث عنه هو ، لا أن أكون فيلسوفا ، أو أن أسعى لاحلال العدالة الكبرى الكاملة ، بل ايجاد تسوية يقبل بها الفريقان ، يقبل بها جميع المعنيين حتى يعيشوا في سلام . ولدى الفريقين أناس من أصحاب المؤهلات ، ومن ذوي التاريخ الثقافي المشترك. لا أدعي أني ساحر. وكل ما كان في وسعي أن أفعله كسناتور ، هو طرح ما اعتقد انه اقتراح معقول .

لقد قلتم في تصريح نشرته بالامس (١ كانون الثاني ١٩٧٥) صحيفة نيويورك تايمز : « أعتقد انه ربما كان قرار الناخبين صحيحا . اذ أنني غدوت متكلسا الى حد ما ».فهل

هذا يعني أن الحاكم ديل بامبرز حاز على ترشيح الحزب الديمقراطي لولاية اركانساس لمجلس الشيوخ لكفاءته البحتة . أم أنكم تعتقدون أن مواقفكم من قضايا الشرق الاوسط أثرت على نتيجة الانتخابات . خاصة وان هناك اقوالا كثيرة عن الاموال التي دفعتها الجهات المهتمة بالامر من خارج ولاية اركانساس لصالح السيد بامبرز ؟

لقد أدليت بهذا التصريح للسيد كليفتون دانييل ، الذي أمضى هنا وقتا طويلا . وتناولنا الغداء معا ، وتكلمنا خلال ساعتين ، دون تسجيل على دفتر الملاحظات . والذي عنيته في الحقيقة هو أنني أمضيت في الكنغرس ٣٢ عاما ، ويبحث الانسان خلال هذه المدة عدة قضايا مصيرية تفقده تعاطف العديد من الناس معه . ولا شك ان قضية فيتنام كانت أهمها . ولكن يمكن العودة الى أبعد من ذلك ، الى موقفي ومعارضتي للسناتور ماكارثي سنة ١٩٥٤ . لقد وجهت الي في ذلك الحين عدة انتقادات من ناخبي مقاطعتي . لقد استقطبت عددا كبيرا ممن يعارضون آرائي . وكنت ايجابيا في الموقف الذي آخذه . لم أكن سلبيا أبدا . بل حاولت تقديم المساعدة لصياغة السياسة .

لا شك في أن الشرق الاوسط يتمتع بأهمية كبيرة . ولكنني اعتقد ان قضية فيتنام أكثر أهمية . ولقد تحدثت مع السيد دانييل عن معارضتي لسياسة هذه الحكومة لتدخلها في أنحاء العالم ، وعن معارضتي لبرنامج الفضاء واستمرار المساعدات الخارجية وخاصة المساعدات العسكرية . وقلت خلال الحديث أنني غدوت متكلسا الى حد ما . ويعرف الكثير من الناس مواقفي من هذه الامور ، وكثير منهم لا يوافق على هذه الآراء ، بل يؤمن بمفهوم الامبراطورية ، الدولة العظمى ، الشرطي ، ويؤمن بالقوة العسكرية . ان الكثيرين لا يوافقون على آرائي . بيد أن ظهور السلاح النووي ادخل على العالم تبدلا ملحوظا . ولم يعد بوسعنا أن نأمل بأن نكون دولة عسكرية كبيرة تتدخل في كل أرجاء العالم ، مثلما كانت تفعل بريطانيا العظمى خلال القرن الفائت .

كل هذه أمور يصعب حصرها في اجابة واحدة . لقد حاولت قدر المستطاع أن أعطي الاسباب التي تفسر اثر الانتخابات . والقول ان المرء غدا متكلسا ، يعني أنه امضى زمنا طويلا . ولم يعد وجها جديدا . وباستطاعتي القول انه كان لقضية وترغيت ومشاكل نيكسون اثر كبير على الانتخابات.لقد جرت هذه الانتخابات في الربيع الماضي، وتم التصويت في أيار* ، قبل استقالة السيد نيكسون . ولقد أمضيت هذه الفترة في واشنطن ، ولم يكن لي أية علاقات مع السيد نيكسون . ولكن الحالة الذهنية التي سادت بين المواطنين ، كانت تطالب بتنحية أي شخص موجود في واشنطن ... لقد كنت هنا . فلماذا سمحت لهذا أن يحدث . لماذا سمحت للسيد نيكسون أن يفعل هذه الامور ؟ لا اعتقد أن هذا التحليل مثمر أو ذو مغزى . وليس من شأني أن أقدم تحليلا نفسيا لهذا البلد . ولكنني أعتقد أن هذا قد أثر على الانتخابات . لقد كان الكثيرون من الناخبين يشعرون باشمئزاز شديد ازاء مجمل الوضع في واشنطن . ولكن منذ ذلك الحين ، أعتقد أنه طرأ تغيير بعد استقالة نيكسون . ولدينا الآن رئيس جديد . وهذه الناحية مختلفة الآن ، ولكن أثرها في الربيع الماضي كان قويا . وهذا ما يعطي جزءا من التفسير . ان من المؤسف أن يتم اختيار ملاحظات عابرة قيلت خلال حديث طويل استمر ساعتين [وهو يعني بهذا قوله انه غدا متكلسا] . ان الصحفيين لا ينقلون ما

---

* جرت في أيار ١٩٧٤ انتخابات أولية ، وهي تتم داخل الاحزاب لتعيين مرشحي الحزب للانتخابات العامة التي جرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

يكفي من الحديث . فها انت قد أمضيت ساعة ، وسوف تضعين في مجلتك ثلاثة أسطر . هذا دائما صحيح مع الصحفيين .

(قاطعته هنا قائلة : بانني سأنشر حديثه حرفيا) .

انني لا أشعر بأية مرارة . لقد أمضيت هنا وقتا طويلا . وأنا شخصيا أتقبل قرار نظامي الذي أعتقد أنه نظام جيد .

يقال ان للصهيونية يدا في نهاية حياتكم السياسية بالصورة التي انتهت بها . فما هو تعليقكم على هذا القول ؟

في السياسة تتراكم الامور . وليس هناك عامل واحد يفسر الاحداث . انني آخذ غالبا مواقف تختلف عن المنهج العام المتعارف عليه . لذا ، فان الانتقادات توجه الي في بادىء الامر ، واستقطب النقمة . فمثلا موقفي من ماكارثي ومن حرب فيتنام .

كنت دون شك أول من عارض الحرب في فيتنام ، وكان الاب دانييل بريغان معارضا لها أيضا . ولقد اعتبر الاب بريغان بطلا قوميا لموقفه من الحرب الفيتنامية ، ورشح لنيل جائزة غاندي للسلام نظرا لنشاطاته ضد الحرب . ولكن ما أن هاجم اسرائيل ، وقال بأنها ليست « ملكوت سلام » ، حتى جرد من كل شيء . وأم يعد يحصل حتى على التغطية الصحفية* . ان العدالة لا تتجزأ ، اذن كيف يمكن تفسير التأييد الذي يلقاه من يعارض الحرب في فيتنام ، والاتهام بمعاداة السامية لكل مـــن يعارض اعتداءات اسرائيل المسلحة على الدول العربية ؟

صح . لقد كنت أول من عارض حرب فيتنام . اني أعتقد أن المواقف التي تتحدثين عنها مقتصرة على صحافة الشرق [اي شرقي الولايات المتحدة حيث التجمع اليهودي] التي يملكها ويديرها أناس مخلصون لقضية اسرائيل (وكـــرر فولبرايت هذه الجملة مرتين) . ان أشهر هذه الصحف : « الواشنطن بوست » و« نيويورك تايمز » . وليس هذا سرا . ان صحفا ذات نفوذ كبير ، وغيرها من وسائل الاعلام يملكها ويديرها أناس مخلصون لقضية اسرائيل . وهم لا يتعاطفون مع من يخالفونهم الرأي . وليس هذا سرا .

لقد قلتم في برنامج تلفزيوني موجه للامة ، في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ « ان الاسرائيليين يسيطرون على سياسة الكنغرس الخاصة بالشرق الاوسط» . وقلتم أيضا أنهم يسيطرون على ٧٥ ــ ٨٠ صوتا في مجلس الشيوخ الاميركي . ولقد ذكر الجنرال براون كلاما مماثلا . وقال بالتحديد « هؤلاء أناس من بلد آخر » . ألا ترون أن من الضروري أن يقترح أحد ما داخل الكنغرس امكانية اجراء تحقيق حول مدى دقة هذه الاقوال ، لتحديد ما اذا كان الكنغرس الاميركي واقعا بالفعـــل تحت سيطرة دولـــة أجنبية . وما هي تأثيرات هذه السيطرة على مصالح الولايات المتحدة في المستقبل ؟

يوجد في هذا البلد مجموعات من الناس تمتد جذورها الى عدد من الدول الاخرى . عندنا أقلية بولونية كبيرة تعيش مجتمعة حول شيكاغو وفي نيوجيرسي . وعندنا عدد كبير من السويديين واليوغوسلاف . وهم يعيشون في مختلف ارجاء البلاد . ولديهم

---

* سجنت السلطات الاميركية الاب بريغان سنتين ونصف السنة بسبب معارضته لحرب فيتنام . وكان يعتبر لمدة طويلة بطلا قوميا . وفي ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ألقى الاب بريغان محاضرة وصف فيها اسرائيل بأنها « دولة استيطان » ، و« دولة عنصرية » ، وهاجمها بعنف ، فأبرزت النيويورك تايمز والصحف الصهيونية الاخرى محاضرته ، وبدأت منذ ذلك الحين حملة شديدة ضده .

ارتباطاتهم مع الوطن الام . نحن شعب مؤلف من شعوب أتت من مختلف البلدان . ومن بينهم واحد من أهمها وأكثرها نفوذا : المواطنون اليهود . فهم يملكون النفوذ في الكنغرس . وليست اسرائيل كدولة ، بل أصدقاء اسرائيل . الاشخاص الذين يشعرون بأنهم مخلصون لاسرائيل ، ويعيشون في هذا البلد كمواطنين اميركيين ، ويؤمنون بمصالح اسرائيل . ولقد تحدثنا عن هؤلاء الاشخاص . ومن بينهم ممثلون في مجلس الشيوخ . ولا أعتقد أن هناك أي شك حول هذا الامر . ان ما تكلمت عنه هو التصويت تلو التصويت ، والتصويت في مجلس الشيوخ حول القضايا المصيرية ، وسير العمل الفعلي داخل مجلس الشيوخ . وليس هذا أمرا نظريا . يمكن الاطلاع على محاضر الجلسات خلال الاعوام الثلاثين الماضية . وهي محاضر مكتوبة . انهم مؤيدو اسرائيل، أصدقاء اسرائيل . هؤلاء اشخاص يعيشون هنا . الجالية اليهودية في هذا البلد عبارة عن أناس يضعون الاخلاص لاسرائيل في المرتبة الاولى . وليس هؤلاء من بلد آخر . ومن المحتمل أن يكونوا قد أتوا من بلد آخر ، ربما أتى أجدادهم من الشرق الاوسط . ولكنهم هنا ، تماما كالبولونيين ، الذين يسمعون صوتهم جيدا ، عندما يكون هناك ما يتعلق بهم .

هل تعتقدون أن اسلوب الدكتور كيسنجر من شأنه أن يؤدي الى نتائج ملموسة ؟

أعتقد ان ما قام به لوقف القتال ، وتثبيت وقف اطلاق النار ، كان مفيدا . وأشير هنا مجددا الى محاضرة طويلة ألقيتها مؤخرا . وقلت فيها مـــا اعتقد انه الجواب المناسب*. ويمكن ان اقول الان اني آمل بأن يستطيع وزير الخارجية اقناع اسرائيل والدول الاخرى المعنية : سورية ومصر ، بأن توافق على تسوية وفق الخطط التي أشرت اليها . ولكنني لا أدري ماذا تريدين مني أن أقوله .

لقد عنيت بأسلوب كيسنجر ، سياسة الخطوات التي يتبعها خطوة خطوة ، واعتبار الدول العربية الفريق المعني بالنزاع القائم ، مع تجاهل الفريق الاصلي والاهم ، واعني الشعب الفلسطيني .

لا أعتقد ان السيد كيسنجر يرى بأن الشعب الفلسطيني يجب أن لا يشكل فريقا في التسوية . ولقد قال بأن من الضروري ان يكون الفلسطينيون فريقا . وان من المتفق عليه بشكل عام أن يكونوا كذلك للتوصل الى تسوية شاملة . وأنا أعتقد أنه يجب أن يكونوا فريقا . ان اجراء مفاوضات بين فرقاء يتحاربون بهذا الشكل أمر غير سهل . ورغم هذا ، فأنا أؤيد أي خطوة من شأنها أن تؤدي الى تسوية قبل أن تندلع الحرب . ونحن نسمع عن امكانية اندلاع الحرب من جديد . وستكون هذه الحرب كارثة للجميع .

---

* القيت هذه المحاضرة في فولتون (ميسوري) . ولقد اشرت اليها في سؤالي الاول . ثم قدم فولبرايت الى الكنغرس اقتراحا لحل مشكلة الشرق الاوسط . والخطوط العريضة لهذا الحل المقترح هي: ١ ــ اعتراف العرب ، بمن فيهم الفلسطينيون بحق اسرائيل بالوجود المستقل ، ٢ ــ انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ، ووضع قوات طوارىء دولية على حدود اسرائيل من الجهتين ، ٣ ــ حصول الشعب الفلسطيني على حق تقرير المصير في الضفة الغربية ، داخل دولة مستقلة او كنفدرالية مع الاردن ، حسب اختيارهم ، ٤ ــ خلق وضع خاص للقدس القديمة ، يجعلها مفتوحة أمام جميع الاديان تحت اشراف الامم المتحدة . على أن يدعم هذا الوضع بمعاهدة توقعها الولايات المتحدة لحماية سيادة اسرائيل وسلامة اراضيها . ولقد قال فولبرايت ــ كما رأينا في جواب السؤال الاول ــ ان اقتراحه عبارة عن خطوة اولى .

نشر اقتراح فولبرايت في *U.S. Congressional Record*, Proceedings and Debate of the 93rd Congress, Second Session, Vol. 120, No. 162, November 21, 1974.

ان اعطاء الفلسطينيين كل ما يطلبونه هو في رأيي حل غير قابل للتطبيق . ان كل طرف يبحث عن الحل الذي يلائمه . ولكن ايجاد الحل في المنطقة يتطلب الوصول الى حل وسط لا يحصل فيه أي من الفريقين على كل ما يريده ، ولذا فان الفرقاء سيجدون في أن هذا الحل يتعارض مع أمانيهم .

ان من الضروري البحث عن الحل الوسط . وليس هذا أمرا سهلا (وهنا توقف فولبرايت قليلا ثم اضاف) أن الاسرائيليين اناس صعاب . الا تعتقدين ذلك ؟

ان في الولايات المتحدة حملة ضد ما يسمى بـ ((السيطرة العربيـة على الاقتصاد الاميركي)) . ولكن من الواضح أن اعادة توظيف ((البترو دولار)) العربي في الولايات المتحدة ، والبلدان الغربية بصورة عامة ، هي من مصلحـة الدول الرأسمالية وضد مصلحة الدول العربية على المدى الطويل . ففي الوقت الذي يؤدي به هذا التوظيف الى مساعدة الاقتصاد الاميركي على الخروج من الازمة، فانه يحرم الدول العربية من الاستثمارات التي تحتاجها ، ويعرض الممتلكـات العربيـة في الولايات المتحدة الى المصادرة في المستقبل . فما هي برأيكم حقيقة المخاوف والتحذيرات من الاستثمارات العربية في الولايات المتحدة والغرب ؟

(وقبل أن يجيب فولبرايت على هذا السؤال ، طلب منـي توضيح ماهية هـذه ((الحملة)) . فذكرت له بعض ما نشر في ((جويش بريس)) ، و((جويش جورنال)) ، و((جويش تلغرافيك ايجنسي)) ، و((نيويورك تايمز)) وغيرها) .

لقد لاحظت تعليقا واحدا ، على ما أعتقد ، حول منتجي الصناعة الحربية . وكان ذلك متعلقا بشركة «لوكهيد» الواقعة في اضطراب مالي خطير . وعندما سئل السيد آرثر بورنز* عن رأيه حول الموضوع أفاد بأنه قلق على منتج دفاعي مثل «لوكهيد» . فاذا استثنينا هذا الموضوع ، وجدنا ان الاكثرية الساحقة من المعلقين رحبت بالاستثمارات العربية في اقتصادنا . وأنا أعتقد شخصيا ان هذا أمر حكيم . ولا بد أن يكون هناك دائما أشخاص معارضون كالذين أتيت على ذكرهم . ولكن الاكثرية، ومعظم الاشخاص الذين أعرفهم ، يعتقدون أن الاستثمارات العربية في هذا البلد أمر جد مفيد .

اننا نلمس الآن وجود ثلاثة اتجاهات في الولايات المتحدة ، حول رد الفعل الاميركي المحتمل ازاء أي حظر نفطي جديد . ولقد عبر الجنرال براون عن الاتجاه الاول عندما قال ((بأن الاميركيين سينقضون على نفوذ اليهودية في هذا البلد)) . أما الاتجاه الثاني فهو دبلوماسية التهديد بالاساطيل الحربية ، والتي يمثلها ويدافع عنها وينطق بأسمها السناتور جاكسون. وهي تدعو الى احتلال آبار النفط.ويقول الاتجاه الثالث بانه ((لا بد ان يكون هناك ضغوط قوية لكي نتدخل)) . ولقد عبرتم البارحة عن المخاوف التي تحكم هذا الاتجاه***. فما هو باعتقادكم الاتجاه المؤهل لان يسود في المستقبل ؟**

لقد أوضحت جيدا ، وأكثر من مرة ، ان أي لجوء الى القـوة لاحتلال آبار النفط سيكون خطأ كبيرا . وقلت ذلك في المقال الذي أشرت اليه ، كما قلته في الخطاب الذي اشرت اليه ، والذي ألقيته في فولتون (ميسوري) في أوائل تشرين الثاني . انني أعتقد

---

* رئيس مجلس الاحتياط النقدي الاتحادي .

** اجريت المقابلة،قبل أن تنشر الصحافة الاميركية ان حامل لواء هذا الاتجاه التهديدي المعادي للعرب هو الدكتور هنري كيسنجر ، الصديق العزيز ! والحائز على نصف جائزة نوبل للسلام !!!

*** في حديث مع « نيويورك تايمز » ، ١٩٧٥/١/١ .

بأن الحل المناسب ، السياسة المناسبة في الشرق الاوسط تتمثل في التقرب الصحيح من الشرق الاوسط . هذا ما ادعو اليه . ولا اعتقد ان أفكار السناتور جاكسون حول هذا الموضوع ستسود في الوقت الحاضر .

ما هو باعتقادكم مغزى التسليح الاميركي الكثيف لايران ؟ هل هناك بالاضافة الى الاعتبارات الاقتصادية ، التي يفرضها « المركب العسكري ــ الصناعي » ، أية حكمة أو منطق يمكن الدفاع عنهما ؟

اعتقد ان العامل الاول الذي يلعب في هذا المجال هو رغبة عسكرييننا في بيع سلاحهم لاسباب اقتصادية . ان لدينا عجزا في ميزان المدفوعات . والسلاح بسيط وسهل النقل . وأنا اقف كليا ضد ذلك . وأعتقد أن سياسة الضغط وتزويد دول العالم بالسلاح سياسة سيئة . ولكننا من كبار منتجي السلاح وموزعيه . ويقال لنا في الكنغرس : اذا لم نفعل ذلك بأنفسنا فعلته دول أخرى . وعلى كل حال . فان هذا أمر اقتصادي في المرتبة الاولى .

انني لا ارى أية مصلحة كبرى في تزويد هذه الدول ، في هذا القسم من العالم ، بالسلاح . وليس لي ثقة ــ كما تعلمين ــ في أن الاعمال العسكرية قادرة على حل المشاكل . وهذا هو بعض ما عنيته عندما قلت بأنني غدوت متكلسا . أنا لا أؤمن كثيرا بالعمل العسكري كحل للمعضلات البشرية .

هناك تساؤلات في العالم العربي حول برنامج المستقبل لرجل دولة عظيم مثلكم .

ينبغي أن ننتظر قليلا لتقرير ذلك . ان هذا هو يومي الاخير في هذا المكتب . لذا فان من السابق لاوانه وضع برامج ضخمة طموحة حول المستقبل .

هل يعني ذلك ان هذا هو آخر تصريح تدلي به في واشنطن ؟

اعتقد ذلك . فهذا آخر يوم لي هنا .

---

١ ــ Coffin, Tristram, Senator Fulbright (New York: E. P. Dutton & Co. Inc. 1966), p. 30.

٢ ــ مثل مفهوم الولايات المتحدة للشيوعية ، وموقفها من الاتحاد السوفييتي وحركات التحرر. ولقد وضع فولبرايت دراسة حول هذا الموضوع هي :
Old Myths and New Realities (New York: Random House, 1964).

٣ ــ United States of America, *Congressional Record,* Proceedings and debates of the 93d Congress, Second Session, Vol. 120, No. 162, Nov. 21, 1974.
ومسنشير اليه فيما بعد بـ : خطاب ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

٤ ــ لقد ثبت فيما بعد ان هذا الهجوم لم يقع ، وان جونسون اختلقه ليبرر تصعيد الحرب وزيادة التدخل الاميركي في فيتنام . وكان ذلك واحدة من الفضائح المشهورة في عهد الرئيس جونسون .

٥ ــ Jhonson, Haynes and Gwertzman, Bernard M., *Fulbright the Dissenter* (New York, Doubleday and Company, 1968), p. 172.

٦ ــ Coffin, *Op. Cit.*, p. 186.

٧ ــ United States of America, *Congressional Record,* Proceedings and Debates of the 93d Congress, First Session, Vol. 119, No. 150, Oct. 9, 1973.

٨ ــ خطاب ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

٩ ــ المرجع نفسه .

١٠ ــ المرجع نفسه . ويقصد فولبرايت هنا المرشحين جافيتز وكلارك . انظر مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٤٠ ، ص ١٧٢ .

١١ ــ خطاب ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

فرنسا والعرب وإسرائيل وامن البحر المتوسط ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥

عبد العال الباقوري

عندما انتخب فاليري جيسكار ديستان رئيسا للجمهورية الفرنسية ، بعث في ١٧ ابريل ١٩٧٤ برسالة الى الرئيس المصري انور السادات ، أكد فيها ان فرنسا في عهده ستواصل اتباع السياسة التي اختطها الرئيسان السابقان شارل ديجول وجورج بومبيدو ، تجاه مصر والبلاد العربية . وتلقت الدوائر العربية هذا التأكيد يومها على أنه أمر من امور الدبلوماسية وتقاليدها المعمول بها بين رؤساء الدول ، خاصة عندما يتقلد رئيس جديد مقاليد السلطة في بلاده . وتنبأ كثيرون ان ديستان سيجري تغييرا في سياسة فرنسا تجاه « أزمة الشرق الاوسط » لن يكون في صالح العرب . وكانت ميول ديستان واتجاهاته المعروفة ترجح هذا الرأي وتزكيه ، وتجعل الجانب العربي يخشى من التغيير الذي سيقع . فديستان من رجال اليمين في فرنسا ، واليمين الفرنسي بصفة عامة بينه وبين العرب ود مفقود ، والجمهوريون المستقلون الذين يتزعمهم ديستان معروفون بتعاطفهم وتأييدهم لاسرائيل والصهيونية . كما ان الوزارة الفرنسية التي تشكلت في ظل رئاسة ديستان منحت عددا من الوزراء المعروفين والمشهورين بعلاقاتهم الوثيقة مع اسرائيل ، ومع الدوائر الفرنسية المؤيدة لاسرائيل، مثل جان لوكانييه (وزير العدل)(١)، وسرفان شريبر (وزير الاصلاح الاداري ــ استقال) وميشيل بونياتوفسكي (وزير الدولة للشؤون الداخلية) وسيمون فايل (وزيرة الصحة) .

ولم يكن صعبا على احد ان يعرف ان الجمهوريين المستقلين ــ حزب ديستان ــ كانوا اثناء المعركة الانتخابية يعربون بأشكال مختلفة عن تعاطفهم مع اسرائيل ويحاولون أن ينتقدوا السياسة التي اتبعها حليفهم الاكبر اي الحزب الديجولي ، في السنوات السابقة ، تجاه اسرائيل ، فيدعون الى ما اطلقوا عليه « سياسة غير متحيزة » في الصراع العربي الاسرائيلي .

ولم تكن اسرائيل من جانبها أقل حرصا على اظهار بهجتها بوصول ديستان الى الرئاسة الفرنسية ، وفرحتها بزوال « الكابوس الديجولي » من سياسة فرنسا ، وحتى بعد شهور من وصول ديستان الى الرئاسة كانت الدوائر الاسرائيلية حريصة على اشاعة جو من التفاؤل حول اتجاهات سياسة فرنسا الخارجية تجاه الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وهكذا كتبت دافار في ٢٩ سبتمبر الماضي : « انه بعد سنة على حرب تشرين تبدو مكانة اسرائيل في فرنسا افضل مما كانت عليه منذ الغى الجنرال ديجول المعاهدة غير المكتوبة ، التي كانت قائمة بين البلدين ، وذلك في اعقاب الصراع عام ١٩٦٧ ... »(٢). أما آشر بن ناثان سفير اسرائيل لدى فرنسا فقد اعتبر في حديث مع « معاريف » في ٣٠ سبتمبر(٢). ان سياسة فرنسا برئاسة ديستان متمسكة

بالشعارات التي طرحت امام ديجول، الا انها في سياستها العملية تحول هذه الشعارات في غالبيتها الى شعارات مفرغة من اي جوهر ، ومفتقرة الى اي معنى . وهو يشير هنا الى شعارات السياسة الفرنسية المؤيدة للجانب العربي .

واذا كانت هذه النظرة الاسرائيلية تكشف عن احدى سمات الدبلوماسية الاسرائيلية ، وهي كونها « دبلوماسية شخصية » اي تعتمد على كسب ود وولاء الاشخاص القياديين في المجتمع الذي تخاطبه وتتحدث اليه ، فانها تكشف ، أكثر من هذا ، عن رؤية للسياسة الخارجية تجعلها وليدة عوامل ذاتية وليست وليدة عوامل موضوعية ، او ترى على الاقل أن العوامل الذاتية تلعب في رسم السياسة الخارجية لاي بلد ، دورا أكبر من ذلك الذي تلعبه العوامل الموضوعية .

ومع ان السياسة الخارجية لاي بلد، هي — في التحليل الاخير — تفاعل بين مجموعة عوامل موضوعية وعوامل ذاتية ، فان الدبلوماسية الاسرائيلية في نظرتها لسياسة فرنسا تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي وتطوراتها خاصة منذ يونيو ١٩٦٧ ، قد اغفلت العوامل الموضوعية التي انتجت هذه السياسة ، وركزت بصفة اساسية على دور عامل ذاتي واحد ، هو دور القيادة السياسية ، اي دور الرئيس ديجول ، الذي لعب دون شك دورا كبيرا في بلورة اتجاه فرنسي جديد نحو منطقة الصراع في الشرق الاوسط . فرهنت هذا الاتجاه الجديد بوجود ديجول ، وحسبت أن غيابه عن مسرح السياسة الفرنسية ، سيعني التراجع عن السياسة التي اختطها ، والعودة الى سياسة الجمهورية الرابعة الفرنسية في التحالف مع اسرائيل .

وهكذا ، عندما قدم الرئيس ديجول استقالته في ٢٨ ابريل ١٩٦٩ ، لم تخف الدوائر الاسرائيلية « الشعور بالفرحة » ، فكتبت « عل هامشمار » تقول : « أيا كان الرجل الذي يخلف ديجول ، فان الاسرائيليين يأملون في أن يفتح صفحة جديدة في العلاقات بين باريس وتل ابيب » . أما « معاريف » فكانت أكثر صراحة ، فقالت : « ان قلوب الاسرائيليين امتلأت بالفرح الشديد »(٤)، وجارتها في الصراحة « يديعوت احرونوت » فقالت : ان اسرائيل ترحب بسرور بأي خليفة للجنرال ديجول ، باستثناء اي شيوعي ... »(٥).

وجاء الى الرئاسة الفرنسية جورج بومبيدو ، الذي كان يوما رجل بيت روتشيلد المالي الكبير ، والصهيوني الكبير ايضا ، فماذا حدث ؟. بعد حوالي ثلاثة شهور من انتخاب بومبيدو ، كان شمعون بيريز ، وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي ، يزور باريس، ويجتمع بعدد من المسؤولين الفرنسيين ومن بينهم وزير الدفاع الفرنسي ، وصرح بيريز في ٤ أكتوبر ١٩٦٩ بعدة تصريحات جاء فيها : يمكن القول بأن فرنسا اليوم ليست كما كانت في عهد رئيسها السابق ، ففي الاوساط الرسمية الفرنسية الان أصدقاء كثيرون لاسرائيل(٦) وبعد شهرين تقريبا من هذا التصريح المتفائل ، كانت « معاريف » تعكس وجهة النظر الاسرائيلية الرسمية بقولها : « ان سياسة بومبيدو تجاه اسرائيل اكثر تشددا مما كانت عليه في عهد ديجول ، وذلك مرده الى مصالح فرنسا البترولية والاقتصادية في الدول العربية »(٧).

ومضى بومبيدو ، وجاء ديستان . وتكررت القصة السابقة تقريبا : ترحيب اسرائيلي ، وتفاؤل حول تغيير في سياسة فرنسا لصالح اسرائيل . ثم تتبين اسرائيل ان هناك ثباتا واستمرارا في الاتجاهات التي زرعها ديجول ، وأنها تنمو وتتطور بدرجة أكبر ، حتى أن أحد أعضاء الحكومة الاسرائيلية قال في جلسة خاصة ان ديستان

بمواقفه الاخيرة « وجه لنا ضربة حمقاء »(٨) بينما خرجت في المدينة الفرنسية مرسيليا مظاهرة قادها سفير اسرائيل الاسبق في فرنسا رافائيل جاري تحتج على سياسة ديستان وترفع شعارات معادية له تتهمه بالتواطؤ مع عرفات(٩).

ففرنسا بقيادة ديستان لم تكتف ــ على غير ما كان متوقعا ــ باتباع السياسة التي انتهجها ديجول وبومبيدو بعده ، بل انها تؤكد هذا الخط ، وتعمقه، وقد تأكد هذا في الفترة الاخيرة بواسطة ثلاث وقائع هامة : الاولى هي تصويت فرنسا بتأييد دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لعرض قضيتها على الجمعية العامة للامم المتحدة والثانية: هي اجتماع جان سوفانيارج وزير خارجية فرنسا مع ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية : والثالثة هي التصريحات التي أدلى بها الرئيس جيسكار ديستان وأعلن فيها أن جوهر مشكلة الشرق الاوسط هو الاستجابة «للاماني الطبيعية» لشعب فلسطين بأن يكون له وطن(١٠).

ولكن هذه الوقائع الثلاث لم تكن الا امتدادا ، للخطوط الاساسية التي وضعها ديجول منذ ١٩٦٧(١١) في ضوء تفاعلها مع كل ظروف وواقع القضية الفلسطينية . فالاعتراف الفرنسي بشرعية المقاومة الفلسطينية ، والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في أن يكون له وطن مستقل ، ليست مواقف طارئة ، ظهرت فجأة ، في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي ــ الاسرائيلي . ان لها مقدمات وسوابق مهدت لها ، وصاحبتها ظروف عديدة ساعدت في بلورتها على النحو الذي أعلنه المسؤولون الفرنسيون اخيرا.

وفي الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، يستحق أن يمهد له بالحديث عن جذور التغير في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي الاسرائيلي منذ صعود الرئيس ديجول الى الحكم في ١٩٥٨ ، والاسباب الرئيسية التي دفعت الى ذلك ، ويلي ذلك الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، لتخلص منه الى افاق السياسة الفرنسية واحتمالاتها في الفترة القادمة .

١٩٦٥ نقطة بداية

ركزت الكتابات السياسية العربية بصفة عامة،والكتابات الصحفية بصفة خاصة،في حديثها عن موقف فرنسا من العرب واسرائيل ، على الموقف « الحيادي » الذي اتخذته حكومة فرنسا تجاه العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتجاه الاحداث المباشرة التي قادت اليه ــ أي سحب القوات الدولية من سيناء وغزة واغلاق خليج العقبة في وجه اسرائيل ــ والتطورات التي جاءت بعده . وتكاد هذه الكتابات تصور هذا الموقف وكأنه « حادث فجائي » أو نبت شيطاني ، نما في فراغ . وفي الحياة السياسة ــ وفي كل حياة اخرى ــ لا شيء ينبع من فراغ ، بل لكل شيء جذور وسوابق ، تقود اليه ، وتولده .

فعدوان ١٩٦٧ لعب دورا مساعدا في التعجيل ببلورة اتجاه فرنسي اكثر تقاربا من ومع العرب ، وأكثر ابتعادا عن اسرائيل ، ولكن ذلك العدوان لم يكن الدافع الوحيد لاتخاذ هذا الموقف(١٢).

فالخطوط العريضة للسياسة الفرنسية تجاه العرب واسرائيل بدأت تتحدد وتتضح فيما بعد استقلال الجزائر ، وزوال احد الاسباب الاساسية التي قادت الى سوء العلاقات العربية ــ الفرنسية ، بل والتي كانت أحد دوافع فرنسا الى المشاركة في

العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، الذي كان نقطة الذروة في التحالف الفرنسي ــ الاسرائيلي، بسبب تشابك الاهداف وتماثل المصالح .

وبصفة عامة ، فرغم صعود ديجول الى الحكم عام ١٩٥٨ ورغم توقيع اتفاقيات ايفيان في اذار (مارس) ١٩٦٢ فان نوعا من القطيعة الدبلوماسية ــ وغير الدبلوماسية ــ قد ساد العلاقات بين باريس واغلب العواصم العربية ، وامتدت تلك القطيعة تقريبا الى اواخر عام ١٩٦٣ . ولم تكن الدوائر الاسرائيلية والصهيونية غافلة عن ذلك ، فعملت على استغلاله ، من أجل تعميق علاقاتها بفرنسا . ولكن اسرائيل في نفس الوقت كانت تسير بسرعة نحو ربط نفسها بعجلة السياسة الامريكية ، وبأهدافها ومصالحها في المشرق العربي . ولم يكن ذلك الاتجاه يلقى القبول او الرضى لدى القيادة الفرنسية ، التي بدأت وقتذاك تبدي قدرا من الاستقلال وعدم التبعية للنفوذ والسيطرة الامريكيين ، بل وبدأت في مناواة هذا النفوذ ، ثم رفضه علنا .

ومع أن الرئيس ديجول استقبل في باريس رئيس وزراء اسرائيل ليفي اشكول في صيف عام ١٩٦٤ وردد على مسامعه العبارة التي قالها لبن جوريون عام ١٩٦١ ، وهي عبارة «اسرائيل صديقتنا وحليفتنا»(١٣)، مع ذلك فان عوامل التغيير كانت تعتمل في أحشاء السياسة الفرنسية في تلك الفترة نفسها ، لتخلق ببطء ذلك الاتجاه الذي برز الى النور في عام ١٩٦٧ . وكما يقول كاتبان فرنسيان عن تلك الفترة ، كانت التصريحات المتعلقة بالصداقة تذهب دائما نحو « الدولة اليهودية » ، ولكن الحقيقة كانت تتغذى وتتدعم بتقارب محسوس مع العرب(١٤) ويعتبر الكاتبان الفرنسيان وايزمان وتيسيدر أنه منذ عودة ديجول الى الحكم عام ١٩٥٨ ، كانت توجد دلائل معينة أشارت بطريقة خفية الى تبدل في المشاعر الفرنسية نحو العرب ، ويقولان : « كان هدف الرئيس الفرنسي حينئذ هو وضع الاسس التي تسمح له عندما يعلن استقلال الجزائر بأن يجني دون اراقة واضحة لماء الوجه ثمار سياسته الجزائرية »(١٥) ويدل الكاتبان على وجهة النظر هذه بشهادة اثنين كانا موضع ثقة الرئيس ديجول هما روبير بوجاد السكرتير العام للاتحاد الديمقراطي الجمهوري ، وموريس كلافيل الصحفي المعروف . وحتى تعيين كوف دي مورفيل وزيرا للخارجية لم يكن عديم المغزى بهذا الخصوص ، خاصة وان الخارجية الفرنسية عرفت تقليديا ومنذ فترة بمشاعر ودية نحو العرب(١٦). كما أن مورفيل كان سفيرا لفرنسا في القاهرة ابان العدوان الثلاثي على السويس ، الذي لم يخف استنكاره له .

وباختصار ، لقد جاء ديجول الى السلطة عام ١٩٥٨ ، وهو يملك تصورا متكاملا ، على الاقل في خطوطه العامة ، عن سياسة فرنسا الخارجية ، سياسة تبحث لبلاده عن دور يضمن « استقلاليتها » ، ويعطيها القيادة لاوربا في مواجهة امريكا . وكان احد خطوط هذه السياسة هو البحث عن تقارب مع البلاد العربية ، والحفاظ على نفوذ فرنسا التقليدي ــ بعد تخليصه من الميراث الاستعماري التقليدي ــ في بعض البلاد العربية ، ووجد أن نقطة البداية هي تصفية المشكلة الجزائرية . ولما حقق ديجول ذلك بعقد اتفاقيات ايفيان ، بدأت خطوات التقارب العربي ــ الفرنسي تتوالى. وبدأ ذلك باعادة العلاقات الدبلوماسية مع سوريا والاردن والسعودية في نفس العام، وفي عام ١٩٦٣ اعيدت العلاقات مع العراق ، وفي عام ١٩٦٤ مع مصر.

وعلى الجانب الاخر ، كانت فرنسا تفقد مصالحها في التحالف مع اسرائيل ، التي تحولت الى التحالف مع امريكا وبدأ ديجول يقطع بعض مظاهر العلاقات الخاصة مع اسرائيل مثل اعمال المخابرات ، والتعاون في مجال الابحاث النووية . وأبدى

ديجول تبرمه من الصهيونية ودورها داخل فرنسا ، وخطر هذا الدور على الاستقلال الذي يريد ان يبنيه ويدعمه(١٧).

وفي تلك الفترة ، حاولت مصر ، بعد أن اعادت علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا ، أن تجذبها الى موقف « محايد » في الصراع العربي ـــ الاسرائيلي . وتشير بعض المصادر الى ان الرئيس عبد الناصر طلب من الرئيس ديجول ، وقف تزويد فرنسا لاسرائيل بالاسلحة . ولكن الظروف ـــ فيما يبدو ـــ لم تكن مهيأة لاستجابة من الرئيس ديجول لهذا الطلب . كان لا يزال في انتظار ثمار عربية لسياسته تساعده وتغريه على اتخاذ هذا الموقف « العنيف » تجاه دولة عرفت بصداقتها التقليدية مع فرنسا ، ولم يكن في قدرة الرئيس الفرنسي ان يتخطى كل الارث الثقيل لهذه الصداقة في خطوة واحدة . ولكن هل يمكن التفرقة بين الصداقة مع اسرائيل وبين المصالح الفرنسية لدى الدول العربية ، كما أوصى بذلك تقرير جينيتي الذي قدم للرئيس الفرنسي في يوليو ١٩٦٣ ؟.

وفيما بين ١٩٦٣ و١٩٦٥ كانت السياسة الفرنسية تراقب تطور الاحداث في المنطقة العربية بيقظة شديدة . وكانت ترصد جيدا اتجاه الريح في هذه المنطقة . فقد كانت فترة مليئة بالاحداث التي غيرت كثيرا من مجريات الامور . شهدت محاولة اقامة تحالف ثلاثي مصري ـــ سوري ـــ عراقي وفشل هذه المحاولة في ١٩٦٣ ، وشهدت زيارة نيكيتا خروشوف لمصر ، ومؤتمرات القمة العربية ، والضغوط الامريكية على مصر لتغيير سياستها ، ومن كل هذا وضح امام مخططي سياسة فرنسا تجاه المنطقة أن الجو مؤات للتقدم خطوة للامام . وجاءت هذه الخطوة بعد أن قطعت الدول العربية علاقاتها مع المانيا الاتحادية بعد أن تكشفت امامها اسرار صفقة الاسلحة الضخمة التي حصلت عليها اسرائيل من المانيا . لقد بدا في تلك اللحظة الموقف العربي الذي تحددت صياغته في أن الدول العربية ستحدد علاقاتها مع أي دولة ، على ضوء موقف هذه الدولة من اسرائيل .

وقد شهدت تلك الفترة نضوج سياسة خارجية فرنسية متكاملة : الموقف من أمريكا وحلف الاطلنطي ، وحدة أوربا ، العلاقة مع البلاد النامية ، وكل هذه المحاور الثلاثة تمثل قاعدة وركيزة لفرنسا مستقلة تلعب دورا قياديا في أوروبا ، وتقيم علاقات خاصة مع بلاد العالم الثالث . وقد رأت فرنسا الديجولية أن « الوطن العربي » هو أهم كتلة مؤثرة داخل العالم الثالث ، والتعامل مع البلاد النامية لا بد أن يمر عبر البلاد العربية. ولكن أي سياسة تبغي التقارب مع العرب لا بد أن تبعد عن موالاة اسرائيل ، وتأييدها بالشكل الذي فعلته حكومات الجمهورية الرابعة الفرنسية .

ومن المتفق عليه أن عام ١٩٦٥ قد شهد نهاية العلاقة الخاصة بين فرنسا واسرائيل، وانتهى التحالف الواقعي أو التعاهد غير المكتوب الذي بدأ عام ١٩٥٥(١٨)، وبدأت في نفس الوقت تتزايد وتيرة التقارب العربي الفرنسي ، واخذ هذا التقارب أشكالا مختلفة، وتجلى ذلك في المجال الاقتصادي ، كما يتبين من معاملات فرنسا الاقتصادية مع كل من العرب واسرائيل : ● في عام ١٩٦٦ كانت التجارة العربية ـــ الفرنسية تعادل ١٠ر٢٤ من اجمالي تجارة فرنسا الخارجية ، بينما كانت التجارة الفرنسية ـــ الاسرائيلية تمثل فقط ٠ر٢٨ ٪ من هذه التجارة . ● وبينما احتلت الدول العربية المرتبة الثانية ـــ بعد المانيا الاتحادية مباشرة ـــ في معاملات فرنسا الاقتصادية الخارجية ، كانت اسرائيل تحتل المرتبة التاسعة والاربعين . ● وبينما ارتفع حجم المبادلات التجارية العربية ـــ الفرنسية بنسبة ١٨٥ ٪ فيما بين عامي ١٩٦٦/١٩٦١ ارتفعت تجارة فرنسا مع اسرائيل بنسبة ١٣٤ ٪ فقط . ● وبينما استقبلت البلاد العربية نسبة ٧٦ ٪ من الخبراء

الفرنسيين العاملين خارج وطنهم فان اسرائيل لم تستقبل واحدا منهم في عام ١٩٦٦ . وبينما استقبلت البلاد العربية ٥ر٨٢ ٪ من المدرسين الفرنسيين العاملين خارج فرنسا عام ١٩٦٦ فان اسرائيل لم تستقبل منهم سوى ١٢ر٠ ٪(١٩).

اذن يمكن القول بأن الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٦٥ كانت فترة تكوينية لاتجاه جديد في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي . وكان عاما ١٩٦٥ — ١٩٦٦ فترة اختبار لهذا الاتجاه(٢٠). الذي بدأ تطبيقه عمليا في الفترة اللاحقة لعدوان يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وحتى ١٩٦٩ . ومع بداية السبعينات كان هذا الاتجاه قد رسخ كموقف ثابت ومحدد في سياسة فرنسا الخارجية ، وهو يزداد الان ثباتا وتحديدا، نتيجه لتفاعل عوامل كثيرة .

لم يكن موقف فرنسا عشية عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وفي اعقابها قفزة مفاجئة. وفي نفس الوقت ، لم يكن وليد قرار ارتجالي أملته ظروف طارئة ، ولم يكن أيضا قرارا فرديا لقائد كان يرى أن فرنسا هي ديجول ، وديجول هو فرنسا ، وانما نتج هـذا الموقف عن تغير شامل لحق سياسة فرنسا الخارجية ككل ، منذ وصول ديجول الى الحكم في ١٩٥٨ ، وصاحبت ذلك مجموعة من الظروف والعمل جعلت الرئيس الفرنسي الذي قال في ١٩٦١ بل وفي ١٩٦٤ : « اسرائيل صديقتنا وحليفتنا » ، جعلته يقول في نوفمبر ١٩٦٧ : « ان العاطفة والعقل يحتمان ان تكون الصداقة والتعاون مع الشعوب العربية احدى الدعامات الاساسية لسياسة فرنسا الخارجية »(٢١). واذا كان ديجول في عام ١٩٦١ هو الذي تدخل بنفسه ليحسم في خلاف ثار حول عقد صفقة الطائرات ميراج — ٣ وكان عددها ٧٢ طائرة ، وكان تدخله لصالح اسرائيل(٢٢)، فان ديجول نفسه هو الذي حظر ارسال السلاح الى اسرائيل في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ليخلق بذلك نقطة تحول أساسية في موقف فرنسا من الصراع العربي — الاسرائيلي .

استقلالية فرنسا وأمن المتوسط : اتجاه فرنسي صاعد

قيل الكثير في تفسير اتجاه السياسة الخارجية نحو العرب واسرائيل : البترول ، التجارة والاقتصاد ، نفوذ العرب لدى بلدان العالم الثالث ، تبعية اسرائيل لامريكا ، وغير ذلك من عوامل وأسباب يمكن اجمالها في تعبير وحيد هو « مصالح فرنسا » . فالمصالح هي العنصر الاساسي في رسم السياسة الخارجية لاي بلد، وفي تحديد مسارها. والفكر الفرنسي يحاول أن يضع هذه المصالح — الفرنسية في التقارب مع العرب — تحت تعبير ايديولوجي أو غطاء ايديولوجي يسميه « أمن البحر الابيض المتوسط » ، وضرورة التلاقي بين البلاد الواقعة على الشاطىء الشمالي لهذا البحر ، وبين البلاد الواقعة على شاطئيه الجنوبي والشرقي ، أي البلاد العربية ، بما في ذلك البلاد التي لا تطل مباشرة على هذا البحر ، مثل السعودية ، والكويت والعراق وغيرها .

وفكرة تقارب بلدان حوض البحر المتوسط ليست جديدة لا على الفكر العربي ولا على الفكر الاوربي عامة والفرنسي خاصة . الثقافة الفرنسية لها تأثيرات كبيرة في مصر وسوريا ولبنان، فضلا عن بلاد المغرب العربي وفكرة « مصر المتوسطية » ترددت كثيرا خاصة قبل الحرب العالمية الثانية، والنظرة الى الجزائر على أنها امتداد لفرنسا، كل هذا وغيره كثير ، يقدم جذورا تاريخية لاتجاه يبرز الان ويصعد في الفكر الفرنسي . واذا كانت نقطة البدء في عودة هذا الاتجاه هي ان تفكير الرئيس ديجول كان يعطي مكانا ملحوظا لتراث فرنسا التاريخي ، فان هذا الاتجاه ينمو الان ، ليس اعتمادا على تراث فرنسا وعلاقاتها السابقة (خاصة الاستعمارية) مع البلاد العربية في حوض

المتوسط ، وانما ينمو اعتمادا على ملابسات وظروف دولية واقتصادية جديدة ، لم يسبق لها الوجود من قبل ، ظروف تجعل أوربا في حالة « تبعية » للبلاد العربية، وترى أنها تستطيع أن تساعد هذه البلاد في الخروج من دوامة التخلف من ناحية ، والابتعاد عن السقوط — هكذا يرى الفرنسيون — في دوامة الاستقطاب بين الامريكيين والسوفييت من ناحية اخرى !

لقد كانت الفكرة الاساسية التي سيطرت على ديجول منذ مجيئه للحكم هي العمل على استقلال فرنسا الوطني ، ليضمن لها مركزا جديرا بها . وقد رأى ديجول ان تحسين العلاقات مع العرب ضروري لفرنسا . كانت فكرة ديجول عن هذا بسيطة ومقنعة : الهدف هو وجود فرنسا قوية وناهضة وذات سيادة ، تتولى قيادة أوربا أو على الاقل توجيهها ، لتقوم بدور في العالم الثالث ، والمنطقة العربية هي القوة المؤثرة في العالم الثالث ، اذن لا بد من بناء جسور التواصل مع هذه المنطقة ، ونقطة البدء في ذلك هي اتخاذ موقف « منصف » من الصراع العربي — الاسرائيلي(٢٣) .

ولم تضع فرنسا الديجولية الفرصة التي اتيحت لها بعدوان اسرائيل في ١٩٦٧ ضد البلاد العربية ، فكشفت عن اتجاهاتها التي كانت دون شك اقترابا من العرب ، وابتعادا عن اسرائيل(٢٤) . فقد شهدت السنوات من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ فتورا شديدا — اختلفت درجته من وقت لآخر — في علاقات فرنسا مع اسرائيل ، بينما شهدت تحسنا مستمرا في العلاقات العربية الفرنسية ، صاحبه بروز الدعوة الفرنسية الى تلاقي بلدان البحر المتوسط اكثر فأكثر .

ولا شك أن هناك رابطة جغرافية اقليمية تربط ما بين بلدان حوض المتوسط ، بحيث يصير البحر نفسه حلقة وصل بين الدول الواقعة على شاطئيه . ولكن هذا الوصل والتواصل له حدود وترد عليه قيود . ذلك ان دول المتوسط تختلف فيما بينها اختلافا بينا من حيث النظم السياسية ، ودرجة النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . ورغم ذلك ، فقد كان رأي الرئيس ديجول يميل الى تحييد البحر الابيض المتوسط ، باخراج القوى الكبرى منه ، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، وجعله « بحيرة متوسطية » فقط ، بعيدة عن رياح الصراع بين العملاقين الكبيرين ، أكثر من هذا ، رنا ديجول الى اقامة نوع من الرابطة أو الاتحاد بين شعوب هذا البحر ، الاوربية وغير الاوربية ، لان ذلك يضمن أمن حوض المتوسط بطريقة أفضل(٢٥) . وكلمة « الامن » هي مفتاح السر في هذا التفكير الفرنسي نحو البحر المتوسط . كان هدف ديجول هو ضمان الاستقلال الفرنسي . وهذا يأتي عن طريق وحدة أوربا ، وأمنها ، ولا أمن لاوربا الا بضمان الامن في البحر المتوسط الذي يكاد يمثل قاعدة للمثلث القاري الاوربي الذي كان الرئيس الفرنسي يخطط لتوحيده .

وقد جاء عدوان اسرائيل ضد البلاد العربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ليزيد هذا التفكير الفرنسي بلورة ووضوحا ، فقد أدت النتائج التي نشأت عن هذا العدوان وعن آثاره الدولية ، الى أن تكتشف أوربا الغربية أنها « أكثر اقترابا الى عروبة البحر الابيض منها الى انجلوساكسونية المحيط الاطلنطي »(٢٦) .

ان هذا الاتجاه المتوسطي في فكر فرنسا — والذي يرتكز عليه الاتجاه الفرنسي نحو العرب واسرائيل — ظل التعبير عنه خفيا مستترا لفترة ، ومع عام ١٩٧٠ بدأ يتبلور ويتكون كائنا متكامل الملامح والتقاسيم .

في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، أدلى موريس شومان وزير خارجية فرنسا وقتئذ

ببيان في اجتماع عقده المكتب السياسي للمجموعة البرلمانية الديجولية ، قال فيه ان سياسة فرنسا في « الشرق الاوسط » تقوم اساسا على حماية وجودها في البحر المتوسط(٢٧) .

وفي الشهر نفسه — الذي واجهت فيه حكومة فرنسا حملة مضادة من الدعاية الصهيونية بسبب صفقة السلاح مع ليبيا — كان ميشيل دوبريه يتحدث في الاتجاه نفسه ، فقال في اجتماع عام باحدى ضواحي باريس : ان أهداف فرنسا هي توفير الامان في المناطق الغربية من حوض البحر الابيض المتوسط . وأكد دوبريه في حديثه أن فرنسا ليست موالية للعرب ولا لاسرائيل ، ولكنها موالية لمصالح فرنسا(٢٨) .

وفي ١٩ شباط (فبراير) من العام نفسه ، تحدث وزير خارجية فرنسا أمام لجنة الشؤون الخارجية بالجمعية الوطنية الفرنسية وأشار الى صفقة الميراج مع ليبيا ، وقال : « لا توجد سياسة فرنسية بشأن تسليم الاسلحة ، بل توجد سياسة فرنسية تجاه البحر المتوسط ، تتضمن ، فيما بين عناصر أخرى ، بيع أسلحة ... وان السياسة الفرنسية قائمة على التفتح ، وعلى اقامة علاقات صداقة ، بادئة في ذلك بدول المغرب ، وذلك بهدف ضمان امن البحر المتوسط الذي تعده فرنسا منطقة استقلال وسلم »(٢٩) . وفي أواخر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ كان وزير الخارجية الفرنسي يتحدث أمام الجمعية الوطنية عما سماه « سياسة فرنسية واضحة ازاء دول حوض البحر الابيض »(٣٠) .

لقد بدأ الحديث عن « الشرق الاوسط » في السياسة الفرنسية يسير جنبا الى جنب مع الحديث عن البحر المتوسط وأمنه . وعندما قام الرئيس اليوجسلافي جوزيف تيتو بزيارة باريس في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، أدلى في مطار أورلي قبل مغادرته العاصمة الفرنسية بحديث عن نتائج محادثاته مع الرئيس الفرنسي بومبيدو . قال تيتو : ان فرنسا ويوجسلافيا دولتان تنتميان لاوربا والبحر المتوسط ، ومن الطبيعي أن تشاركا في القلق ازاء التدهور الراهن في الشرق الاوسط(٣١) .

ولم يقتصر الامر على مجرد عبارات متناثرة ترد على لسان سياسي فرنسي أو آخر حول سياسة فرنسا من حوض البحر الابيض المتوسط ، بل وضح أن للامر أبعادا أخرى ، أكثر عمقا . وتجلى ذلك في التقرير الذي صدر في باريس في صباح الثلاثاء ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٧٠ بعنوان : « أوربا ومشكلة الامن الدولي في البحر الابيض المتوسط »(٣٢) . وقد اشترك في اعداد هذا التقرير أكثر من خمسين مسؤولا سياسيا ، من بينهم سبعة وزراء تعاونوا مع ديجول ، وجامعيون ، وعلى رأسهم الكاتب الفرنسي الشهير فرانسوا موريالك . ان أهمية التقرير تتأتى من ربطه بشكل واضح لا خفاء فيه بين سياسة فرنسا المتوسطية ، أو ما تسميه أمن البحر المتوسط ، وبين الموقف الفرنسي الذي يجب أن يكون من الصراع العربي الاسرائيلي . ان الاتجاهات التي برزت أخيرا في أحاديث ديستان عن أماني الشعب الفلسطيني ، واقامة الدولة الفلسطينية ، وغير ذلك ، لم تكن بعيدة عن فكر واضعي هذا التقرير .

يمكن تلخيص الافكار الاساسية في هذا التقرير على الوجه التالي :

١ — الامن الاقليمي في منطقة البحر الابيض المتوسط حقيقة واحدة لا تتجزأ . ولا أمن لاوربا اذا كانت المنطقة الجنوبية لحوض المتوسط معادية أو تسيطر عليها قوى معادية او دخيلة على البحر الابيض . ٢ — هذه الحقيقة لها سندها الاقتصادي في حاجة أوربا لبترول العرب ، وحاجة العرب الى معونة أوربا من أجل التنمية . ٣ — أمن المتوسط

يفرض تحييد هذه المنطقة بين القوتين الاكبر . ٤ ــ الصراع العربي ــ الاسرائيلي له انعكاسات خطرة على الامن الاوربي بأجمعه . ٥ ــ السلام في منطقة المتوسط يحتاج اجراء ذا شقين : الوصول الى حل عادل وعملي بخصوص « الدولة العبرية » وقيام التعاون بين أوربا الغربية والبلاد العربية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والمالية والثقافية دون اعتبار للنظم السياسية المحلية في هذه المنطقة . ٦ ــ على الدول الاوربية مسؤولية توجيه الوضع الحالي الى صورة من التنظيم السياسي لا تدع « الشعب الاسرائيلي » بأن يكون بأي شكل تهديدا خطيرا للعالم العربي ، وبحيث لا يمثل أية خصائص تخلق منه قاعدة لحركة دخيلة على منطقة البحر الابيض المتوسط .

وبخصوص هذه النقطة الاخيرة يقول التقرير بكل وضوح : « ان الشعوب الاوربية تحمل وزر مسؤولية ضخمة في هذا الصراع سواء بسبب العداء ضد السامية التي خلقتها تلك الشعوب والذي كان سببا في دفع العناصر اليهودية للبحث بعيدا عن وطن جديد ، أو بخلق تلك الايديولوجية التي ألهمت أولئك اليهود في بناء دولتهم على الارض العربية الفلسطينية ، أو بسبب عدم قدرة تلك الشعوب الاوربية على العثور على صياغة للتعايش ولخلق الضمانات المشتركة في الوقت الذي وضعت فيه على عاتقها تلك المهمة من جانب الاسرة الدولية . ان اوربا عليها مسؤوليات مباشرة وغير مباشرة في جميع مراحل تلك المأساة : بخصوص جميع التصرفات التي ارتبطت بانشاء الدولة العبرية ، ازاء الهزيمة التي عانت منها الجيوش العربية ، دون الحديث عن ذلك التشتت والانتهاك الذي تعاني منه الشعوب العربية في الارض الفلسطينية . ان أوربا لا تستطيع الان أن تتخلى عن مسؤولياتها ازاء مصير تلك الشعوب التي دفعتها هي ، أي أوربا ، وبقوة الى ذلك الطريق الذي كان لا بد وأن يقود الى المأساة الحالية . وهذا يفرض عليها ان تراقب بعناية وحذر حتى لا يضحى بالمصالح والاماني التي يمثلها الشعب الاسرائيلي ولا بتلك الحقوق المشروعة التي يملكها أبناء فلسطين العرب . وأوربا عليها لذلك واجب وهو العمل على تطوير الوضع الحالي بصورة وأسلوب بحيث لا يسمح للتنظيم السياسي للشعب الاسرائيلي أن يمثل بأي شكل كان أي خطر حقيقي للعالم العربي ، وبحيث لا تمثل تلك الدولة أي الخصائص التي تسمح لها بأن تكون قاعدة أجنبية لخلق الاضطراب في تلك المنطقة ، يجب ان يهدف التطور الى أن يجعل منها عنصرا من بين عناصر أخرى تكون عالم الشرق الاوسط » .

ولا تعليق هنا على مثل هذا الكلام ، بأكثر من القول بأنه لو صح أن تقرير « كارل نبرمان » قد كتب فعلا ووجد حقيقة ، فان هذا التقرير الفرنسي يمثل تراجعا أوربيا ــ لاسباب عديدة ــ وبشكل أو آخر عن فكرة خلق كيان غريب في قلب الوطن العربي يفصل مشرقه عن مغربه .

ولكن دون الدخول في تفريعات كثيرة ، علينا أن نتتبع هنا حديث هذا التقرير عن ما يعترف بأنه « الحقوق المشروعة التي يملكها أبناء فلسطين العرب »(٣٣) .

فرنسا وشعب فلسطين

اتخذت فرنسا تجاه « الفلسطينيين » منذ عام ١٩٤٨ موقفا اعتمد على الدعوة الى استيعاب اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية ، أو توطينهم في أماكن أخرى . أما عودة هؤلاء اللاجئين الى أرض وطنهم فقد كانت بعيدة عن تفكير الفرنسيين . وقد ظل هذا الموقف سائدا بصفة عامة حتى عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام عقد الجنرال ديجول مؤتمره الصحفي الذي تحدث فيه

عن مشكلة الشرق الاوسط ، واشار بلهجة التعاطف الى أعمال المقاومة التي يمكن أن تنشأ بين سكان الارض المحتلة وتزايد أعداد النازحين من هذه الارض .

وبعد عدوان حزيران (يونيو) قاد اليسار الفرنسي المتعاطف مع العرب حملة ادانة ضد اسرائيل ، حتى ان بعض أوساط اليسار الجديد تراجعت عن موقفها المؤيد لاسرائيل ، وبدأت تستخدم تعبير De Zionization بمعنى ازالة الطابع الصهيوني عن الكيان الاسرائيلي(٢٤) . وقد لعب ظهور « المقاومة الفرنسية المسلحة » دورا هاما في التأثير على الرأي العام الفرنسي تقبلا لوجهة النظر العربية(٢٥) . وبدأ الفرنسيون يربطون في وضوح بين « مشكلة اللاجئين » وبين حركة المقاومة الفلسطينية ، وتزايدت النسبة العددية لمن يعتبرون الاعمال الفلسطينية المسلحة أعمال مقاومة ضد الاحتلال (بلغت ٢٥ ٪) على من اعتبروها أعمالا ارهابية (٢٢ ٪ — وقد امتنع ٤٣ ٪ عن ابداء آرائهم بهذا الخصوص)(٢٦) .

وقد لعبت الدوائر الفكرية الفرنسية المستنيرة دورا نشطا بهذا الخصوص ، وقد كونت هذه الدوائر عددا من الجمعيات والتجمعات التي ناصرت — مع اختلاف بنيتها — وجهة النظر العربية ، مثل : « منظمة دعم كفاح الشعب العربي ضد الامبريالية ، منظمة الوجود الفلسطيني ، حركة محاربة العنصرية المعادية للعرب ، منظمة الدفاع عن القضية العربية داخل الحزب الديجولي ، جمعية الصداقة العربية — الفرنسية ، جمعية اليسار لاجل السلام في الشرق الاوسط ، جمعية مساعدة الضحايا العرب في حرب حزيران (يونيو) ، جماعة البحث والعمل لحل القضية الفلسطينية »(٢٧) .

وكان لا بد أن ينعكس هذا التحول في الرأي العام الفرنسي تجاه « شعب فلسطين » في موقف فرنسا الرسمي من « أزمة الشرق الاوسط » . وبدأ المتحدثون الرسميون الفرنسيون يشيرون الى ذلك فعلا . فمندوب فرنسا في مجلس الامن يوضح موقف بلاده من القرار المقدم للمجلس في ٢٤ مارس ١٩٦٨ لادانة لاسرائيل في عدوانها على الكرامة فيناشد المجلس أن يفعل عند تحديد المسؤوليات بين عمليات عسكرية تدبر بعناية بواسطة حكومات وبين أعمال « يقوم بها أفراد أو مجموعات تحيا في ظل الاحتلال العسكري »(٢٨) .

وفي ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ أعلن ميشيل دوبريه وزير خارجية فرنسا حينئذ أنه جاء وقت كانت اسرائيل فيه تواجه تهديدا شديدا من جيرانها ، أما اليوم فان اسرائيل هي التي تهدد جيرانها باستمرار الصدام المسلح . وقال : « كان الاستقرار في ذلك الجزء من العالم يتطلب في الماضي تأييد اسرائيل ، أما اليوم فان الاستقرار يتطلب **بذل جهد لمساعدة الشعب الفلسطيني** ، وتجنب أزمة في العالم العربي »(٢٩) .

في ذلك الوقت كانت صرخات الصهيونيين تتزايد احتجاجا بسبب فرض الحظر الشامل على تصدير السلاح الى اسرائيل . وقد زاد هذا من افصاح الديجوليين عن المزيد من التأييد للحق العربي . فقام الديجوليون اليساريون بتحويل صحيفتهم « نوتر ريبوبليك » الى منبر للدفاع عن العرب . وانبرى الكتاب الديجوليون للدفاع بحماس عن موقفهم ، وموقف حكومتهم ، فكتب دوبريه وزير خارجية فرنسا مقالا هاجم فيه اسرائيل ، وحذر من خطر سياستها ، وكتب جاك مونتاني رئيس تحرير صحيفة « لا ناسيون » الديجولية عدة مقالات وافتتاحيات « نارية » ، جاء في واحدة منها : « هناك صراخ في فرنسا لان اسرائيل فقدت سلاحا كانت تحصل عليه من فرنسا . . . بينما هناك شعب فقد ما هو أثمن من ذلك بكثير ، شيء جدير بالدفاع عنه ، فقد أرضه ،

انه الشعب الفلسطيني الذي بدأ يعي ذاته ووجوده ، الآن ... يا اسرائيل حذار ، ها هو الخطر ماثل أمامك ، يقف على أبوابك اذا لم تتراجعي ، انه ولادة أمة « الامة الفلسطينية » ليست أقل عددا منك »(٤٠).

واذا كان عام ١٩٧٠ قد شهد ـــ كما رأينا ـــ بلورة محددة لسياسة فرنسا المتوسطية وعلاقة هذه السياسة بالموقف من العرب ، فان نفس الشيء حدث بالنسبة لبلورة الاعتراف الفرنسي « بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين » كما طالب بها الاتحاد الديمقراطي للعمال الفرنسيين في البيان الذي أصدره في مؤتمره في أيار (مايو) ١٩٧٠(٤١)، والدعوة بالتالي الى حل المشكلة الفلسطينية بما يتفق مع هذه المصالح المشروعة ، كما جاء في بيان صدر عن محادثات الرئيس الروماني نيكولاي تشاوشيسكو مع الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو ، في حزيران (يونيو) ١٩٧٠(٤٢). ولذلك لم تعد فرنسا تتحدث عن « لاجئين » فلسطينيين او على حد تعبير مندوبها في الجمعية العامة للامم المتحدة في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ عند مناقشتها لازمة الشرق الاوسط ورأي بلاده بالنسبة للتسوية العادلة « ... خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين لم يعد في مقدورنا أن نسميهم فقط باللاجئين الفلسطينيين ، والذين لديهم الحق في العودة الى ديارهم ، ليحيوا حياة مستقرة في ظروف عادية ، كما ان لديهم الحق في الكرامة ، وفي حرية تقرير مصيرهم »(٤٣).

ولكن كل هذه الآراء والافكار لم تجد صياغة محددة بوضوح قاطع الا في الوثيقة التي أقرتها دول السوق المشتركة في أيار (مايو) ١٩٧١ وحملت اسم وثيقة دول السوق المشتركة ، أو وثيقة شومان ، وزير خارجية فرنسا الذي وضع هذه الوثيقة ، والذي سعى ـــ تنفيذا لسياسة حكومته ـــ الى تجميع دول السوق حول سياسة موحدة تجاه المشاكل الدولية الكبرى ، وفي مقدمتها مشكلة الشرق الاوسط .

ما يعنينا هنا من هذه الوثيقة فقرتان : ● « ان حل القضية الفلسطينية يتوقف على الارادة الحرة للسكان المعنيين ، وعلى مواقف الدول العربية المعنية ، وحسب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ » ، ● « انشاء لجنة تضمن منح اللاجئين امكانية العودة الى البلاد أو التعويض والاستيطان في بلاد أخرى . وعند عودة اللاجئين الى اسرائيل يجب تنظيم مراقبة ودفع تعويضات موازية للاضرار مهما كان البديل الذي يختاره اللاجيء »(٤٤). كان هذا تغيرا حقيقيا في موقف فرنسا تجاه الفلسطينيين ، لم تكن تتحدث من قبل الا عن الاستيطان ، أما الآن فانها تتحدث عن حق العودة ، والتعويض . حتى ان الحكومة الفرنسية رأت ان مشروع الملك حسين الذي أعلنه في اذار (مارس) ١٩٧٣ ، غير كاف لحل « المشكلة الفلسطينية »(٤٥).

وقد ساعدت حرب تشرين (اكتوبر) في اضفاء مزيد من الوضوح والتحديد على هذا الاتجاه الفرنسي . فوسط نيران المعارك الحامية والتي لم تكن قد حسمت نتيجة الحرب لاي من الجانبين وان كانت بداياتها قد هزت مكانة اسرائيل العسكرية ـــ كان المكتب التنفيذي للحزب الاشتراكي ـــ المعروف بتعاطفه مع اسرائيل ـــ يتخذ قرارا يؤكد فيه على « وجود اسرائيل وحقها في الامن » كما يؤكد على حق الامة العربية الفلسطينية ، وذلك في ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣(٤٦). ويصرح ميتران زعيم هذا الحزب قائلا : « ان لاسرائيل الحق في أن تبقى ، ولكن الفلسطينيين يجب أن يحصلوا على جزء من أراضيهم القومية»(٤٧). ولا يجد كاتب صهيوني هو ريمون آرون، محيصا عن السير في هذا الاتجاه ، فيقول : « لا أعتقد ان هناك من يمكن أن يشك في أن الحل الشامل أو النهائي يتضمن جزءا خاصا بالفلسطينيين » . ويضيف : « في

النهاية ، كان الاعتراف بممثل الفلسطينيين يفرض نفسه ، وفي النهـاية يجب على الاسرائيليين الاتصال بالفلسطينيين ، نظرا لان هؤلاء هم أعداؤهم الحقيقيون ، وان تحقيق السلام يفترض — من حيث المبدأ — اجراء حوار بين الاعداء » .

فاذا كان هذا هو موقف العناصر والقوى الفرنسية التي عرفت بتأييدها لاسرائيل ، فليس غريبا اذن أن تظهر الاتجاهات الفرنسية الاخيرة سواء في شكل لقاء بين وزير الخارجية الفرنسي ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وما يعنيه ذلك ، او في شكل تصريحات صادرة عن الرئيس الفرنسي ، او في شكل موافقة فرنسا على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الجمعية العامة للامـم المتحدة لعرض قضيتها ، فكل هذه الاتجاهات لم تكن طارئة ولا مفاجئة .

١٩٧٥ وآفاق المستقبل :

لا شك ان التطورات الاخيرة في موقف فرنسا تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي تمثل تغيرا ايجابيا لصالح العرب ، بشرط ان نرى هذا التغير في حجمه الحقيقي دون تهوين او تهويل ، وان نتعرف اولا على دوافعه واسبابه .

ان موقف فرنسا حاليا يرتكز الى قاعدتين أساسيتين : ١ — بقاء اسرائيل داخل الحدود التي كانت عليها في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، أو اضافة تعديلات طفيفة في الارض التي احتلتها . ٢ — حل المشكلة الفلسطينية حلا مناسبـا باقامة وطـن فلسطيني .

ومعنى هذا ما يلي : أولا : ان حدود « الوطن الفلسطيني » و « الدولة اليهودية » ليست هي حدود قرار التقسيم في ١٩٤٧ . فهذا لا تقبله فرنسا الان ولا تؤيده او لا تضعه في اعتبارها . ثانيا : ان فرنسا الرسمية لا تؤيد حتى الان الفكرة التي تطرحها منظمات الثورة الفلسطينية عن الدولة الديمقراطية العلمانية التي تجمـع المسلمين والمسيحيين واليهود(٤٩) .

وقد أكد وزير الخارجية الفرنسي هذه الاتجاهات لحكومة اسرائيل وممثليها عند زيارته الاولى من نوعها التي يقوم بها مسؤول فرنسي لاسرائيل منذ قيامها ، وذلك في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي .

وفي ظل الظروف الراهنة يبدو من المرجح أن فرنسا لن تخطو كثيرا الى الامام عن الحد الذي بلغته الآن في اتخاذ موقف منصف من الصراع بين العرب واسرائيل . ولكن الموقف الحالي يمكن أن يزداد عمقا وتأثيرا لصالح العرب . ان تعميق هذا الموقف يكون بدفع فرنسا الى تحديد رؤيتها « للوطن الفلسطيني » ودفعها أكثر الـى تقريب هذه الرؤية درجة أو أخرى من التصور العربي — الفلسطيني عن الدولة الفلسطينية . وهذه مهمة ليست صعبة . ذلك ان وثيقة المفكرين والسياسيين التي أعلنت في شباط (فبراير) ١٩٧٠ والتي سبقت الاشارة تقدم تصورا أكثر تحديدا عـن دور فرنسي وأوربي تجاه « فلسطين » واسرائيل أكثر من التصور الذي وصلت اليه حتى الان الحكومة الفرنسية . واذا كان التصور الفكري — السياسي بهذا الخصوص قد ارتبط بالبحث عن نظام لامن البحر الابيض المتوسط ، وتوثيق العلاقات بين الدول الاوربية والعربية ، فان هذه فكرة تستحق الاقتراب منها ومعالجتها بحذر شديد . وعلى أية حال ، فليست هناك محاذير في السياسة أو تخوفات ، ولكن هناك دائما حسابات توزن بدقة ، ونقطة الحساب الاساسية هنا أن لا يكون الدور الفرنسي — الاوربي عامة — يريد أن يطرح نفسه كبديل عن علاقات عربية مع القوى الاشتراكية ، أثبتت

فاعليتها وجدواها بشكل لا جدال فيه . وبهذا الخصوص فان للدور الفرنسي حدودا ، يجب علينا أن نعرفها جيدا وبوعي شديد ، ونقترب منها بحرص أشد .

أما تأثير موقف فرنسا ، فيبدو من دورها حاليا في أوربا الغربية ، بل وفي افريقيا رغم ان النفوذ الفرنسي في افريقيا قد ضعف بعض الشيء ، ولم يعد بنفس القوة التي كان عليها في عام ١٩٦٧ حينما كان يدعو الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية الى تأييد العرب داخل الامم المتحدة .

وعلى اي حال ، فان دور فرنسا الاوربي أهم وأكبر من دور فرنسا الافريقي . ان أحد هموم اسرائيل من موقف فرنسا الحالي ، هو ان يكون هذا الموقف نموذجا تتأثر به دول أوربا الغربية .

في آب (أغسطس) الماضي ، عقد سفراء اسرائيل لدى دول السوق الاوربية المشتركة اجتماعا في القدس المحتلة لدراسة مستقبل العلاقات الاوربية ـ الاسرائيلية . وقد ذكرت المصادر الدبلوماسية أن آشر بن ناثان سفير اسرائيل حاليا في باريس وسفيرها السابق في بون أبلغ زملاءه أنه يجب على اسرائيل منع الدول الاوروبية من التوصل الى موقف سياسي بشأن الشرق الاوسط(٥٠) . فهو يخشى أساسا من أن يكون هذا الموقف الموحد هو موقف فرنسا .

وهذا التخوف الفرنسي له ما يبرره : لقد تعلمت بريطانيا في ١٩٧٣ من موقف فرنسا في ١٩٦٧ ، فحظرت تصدير السلاح الى الدول المتحاربة في الشرق الاوسط . ومنذ عدوان ١٩٦٧ وفرنسا تشد دول السوق المشتركة الى مشاركتها آراءها في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وفي المؤتمر الدبلوماسي الاسرائيلي الذي سلفت الاشارة اليه حالا ، صرح شنان بارون سفير اسرائيل في هولنده بأن الدنمارك ، وحتى هولنده ، تحاولان اقناع نفسيهما بأن ايجاد حل في الشرق الاوسط يكمن في اقامة دولة فلسطينية(٥٢) .

والعنصر المحدد وراء ذلك كله هو أن تقدم الدول العربية على تشجيع المصالح الفرنسية في الوطن العربي بقدر يساعد على ويزيد في تقريب فرنسا من الموقف العربي . وهناك آفاق كثيرة لذلك ـ رغم كل ما تحقق ـ يستطيع العرب فيها أن يفتحوا نوافذ لتعميق الموقف الفرنسي ، ولسنا هنا في مجال تقصي هذه المجالات ، ولكن يكفي أن نتذكر مثلا ان فرنسا لا زالت تحلم بأن تتدفق عليها رؤوس أموال عربية تساعد في كفالة الاستقرار الاقتصادي فيها ، خاصة وان فرنسا تعاني من عجز في ميزان المدفوعات يبلغ ٢٣ بليون فرنك فرنسي(٥٣) .

يبقى بعد ذلك ونحن نتحدث عن آفاق المستقبل أن نطرح سؤالا قد يبدو غريبا للوهلة الاولى هل يمكن ان تتراجع فرنسا عن الاتجاهات الحالية في موقفها من الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، لتعود مرة أخرى الى تأييد اسرائيل .

السياسة أحيانا تواجهنا بحقائق أغرب من الخيال . ولكن مثل هذا الاحتمال غير وارد الآن(٥٤) . والاحتمال الاكبر هو أن تقدم فرنسا على اتخاذ مواقف أكثر انصافا ، وتأييدا للمواقف العربية ، وذلك يتوقف على عوامل كثيرة ، هو الموقف العربي لاقناع فرنسا بأن مصلحتها تكمن على الجانب العربي ، وليس على الجانب الاسرائيلي . وحتى في مجال التسوية السياسية يستطيع العرب أن يربحوا من اشراك فرنسا في تحقيق هذه التسوية ، بدلا من الاعتماد فقط على الصديق العزيز كيسنجر !

الحواشي :

١ ــ كتبت **الاكسبريس** « الفرنسية » في ٤ نوفمبر ١٩٧٤ : كان تولي ديستان منصب الرئاسة في فرنسا ، ووجود ميشيل بونياتوفسكي وجان لوكانييه ضمن المحيطين به ، قد أثار في اسرائيل آمالا جديدة على الاقل في عودة العلاقات القائمة بين البلدين الى حالتها الطبيعية .

٢ ــ نقلا عن « **قضايا اسرائيلية** » ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، العدد ٣ ، السنة الاولى (١٩٧٤) ، ص ١٠٥.

٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .

٤ ــ نقلا عن **الاهرام** ، ٢٩ ابريل ١٩٦٩ .

٥ ــ **الاخبار** (القاهرة) ، ٢٩ ابريل ١٩٦٩ .

٦ ــ شحاده موسى : **علاقات اسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠** ، مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١، ص ١٦١ .

٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٥٧ .

٨ ــ **الاكسبريس** « الفرنسية » ، ٤ نوفمبر ١٩٧٤ .

٩ ــ وكالة الانباء الفلسطينية (**وفا**) ، ٨ نوفمبر ١٩٧٤ .

١٠ ــ تجدر الاشارة هنا الى موقف فرنسا بالامتناع عن التصويت على قراري الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤ بحق الفلسطينيين في تقرير المصير ، واعطاء منظمة التحرير الفلسطينية وضع العضو المراقب في الامم المتحدة بجميع فروعها ومؤتمراتها . وفي اي محاولة للتفسير قد تظهر مجموعة من العوامل كالتالية : أ ــ حرص فرنسا على عدم زيادة حدة الخلافات داخل السوق المشتركة ، في وقت كانت فيه الخلافات محتدمة بين أعضاء السوق . لذلك رأت فرنسا أن اجماع هذه الدول على الامتناع عن التصويت هو الحل الافضل من وجهة نظرها. ب ــ محاولة فرنسية لاظهار الحياد ، حتى لا تقطع كل الجسور مع اسرائيل . ج ــ عدم الالقاء بكل رصيدها الى جانب العرب مرة واحدة . ان من يعطي كل شيء دفعة واحدة لا يجد بعد ذلك ما يساوم عليه . د ــ التذرع برفض النص في القرار على الاعتراف بوجود اسرائيل ! وعلى اي حال ، فان الموقف الفرنسي بهذا الخصوص يبدو غريبا ، ولا يستطيع أحد اسقاط المسؤولية تماما عن الدبلوماسية العربية وعجزها عن اقناع فرنسا باتخاذ موقف أكثر ايجابية ، لصالح الحق العربي والفلسطيني .

١١ ــ موريس ديلاريو : « أمل اسرائيل في فرنسا خاب ثلاث مرات » . **لوموند** ، ٣١ اكتوبر ١٩٧٤ .

١٢ ــ انظر وجهة نظر مماثلة لذلك في حديث حافظ اسماعيل ــ سفير مصر في فرنسا وقتئذ وسفير مصر حاليا في موسكو ــ مع فيليب جلاب ، **الاخبار** (القاهرية) ، ١٨ يناير ١٩٧٠ . ولكن وجهة النظر هذه تختفي حتى من الكتابات السياسية ، ولا تظهر الا على استحياء . لماذا فقدان الحس التاريخي الى هذا الحد ؟ هل هي طبيعة الكتابة الصحفية وما تحتاجه من سرعة وتبسيط ، أم هي آفة عدم الاكتراث والميل الى التبسيط حتى لو افقد الكتابة أي عمق في التحليل ، وأعطاها سمة وحيدة هي السطحية وما يترتب عليها من ابتذال .

١٣ ــ ب. وايزمان و د. ف. تيسيدر : **ساستنا تجاه النزاع الاسرائيلي ــ العربي** ، ترجمة محمود حسن حلمي، الهيئة العامة للاستعلامات بوزارة الارشاد القومي (الاعلام حاليا) ــ جمهورية مصر العربية . كتب مترجمة ، رقم ٦٩٣ . بدون تاريخ . ص ١٢٧ .

١٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٢٨ .

١٥ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٣٤ .

١٦ ــ يحاول جيلبر ــ سفير فرنسا في اسرائيل من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩ ــ ان ينفي اي علاقة بين هذا القرار وبين أي تقارب فرنسي مع العرب ، وذلك في حديثه مع الكاتبين المذكورين ، انظر **المصدر نفسه** ص ١٦٧ . ويرى ان ديجول غير موقفه في الواقع فجأة في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ... لاسباب شخصية !!

١٧ ــ لم ينج ديجول من سيف الاتهام بمعاداة السامية ما دام بنفر من الصهيونية كقوة تريد أن تفرض سيطرتها داخل فرنسا اعتمادا على

بعض ركائزها بين رجال المال والاعمال والبنوك والاعلام . وهكذا ينبري كريستيان بينو — وزير خارجية فرنسا أيام العدوان الثلاثي — (وغيره كثيرون من أنصار اسرائيل في فرنسا) ليقول : « ان الجنرال شديد العداء للسامية »، ويحاول ان يبحث لذلك عن جذور ... انظر ، **المصدر نفسه** ص ١٧٣ .

١٨ — **المصدر نفسه** ، ص ١٤٢ . وانظر عرض محمد علي العويني لكتاب ميشيل بريشير : « نظام سياسة اسرائيل الخارجية » ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٣٥ ، تموز (يوليو) ١٩٧٤، ص ١٣٤ . يعتبر المؤلف ان من انجازات سياسة اسرائيل الخارجية نجاحها **في الحصول على تاييد دبلوماسي عسكري من فرنسا في شكل تحالف واقعي من ١٩٥٥ — ١٩٦٦** .

١٩ — لطفي الخولي : من « جي موليه ١٩٥٦ » الى « ديجول ١٩٦٧ » ، **الاهرام** ، ٧ يناير ١٩٦٨ .

٢٠ — تعتبر نبية الاصفهاني ان الفترة من ١٩٥٨ الى مايو ١٩٦٧ تمثل في مجملها فترة التكوين ، انظر : نبية الاصفهاني : « الدبلوماسية الفرنسية والمواجهة العربية الاسرائيلية » ، **السياسة الدولية** ، السنة الثالثة ، العدد ٣٠ ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢، ص ٦٩ .

٢١ — نقلا عن **الاهرام** ، ١ شباط (فبراير) ١٩٧٢ .

٢٢ — وايزمان وتيسيدر : ساستنا ، **مرجع سابق** ، ص ١٣٠ .

٢٣ — **المصدر نفسه** ، ص ١٤٥ ، وانظر : محمد حسنين هيكل : « هل تتغير سياسة فرنسا تجاهنا بعد ديجول ؟ » ، **الاهرام** ، ٢ أيار (مايو) ١٩٦٩ .

٢٤ — لا حاجة الى التوسع في الوقائع ، فهي معروفة ولا زالت حية ، ويمكن تلخيصها على النحو التالي : عدم معارضة فرنسا لقرار سحب قوات الطوارىء الدولية ، الدعوة الى مؤتمر رباعي لدراسة أزمة خليج العقبة ، تحذير الرئيس ديجول لايبان بأن من يطلق الرصاصة الاولى لن يجد مساعدة فرنسا ، استنكار فرنسا للعدوان ، وحظر السلاح الى اسرائيل بكل تطوراته التي أدت الى ان صار حظرا شاملا ، رفض فرنسا المتكرر لاحتلال اسرائيل ، ادانتها لاعمال اسرائيل في القدس وفي الارض المحتلة ، واعتداءاتها على الدول العربية ، رفض فرنسا لطلب اسرائيل باجراء مفاوضات مباشرة مع العرب ، دعوة فرنسا الى الاجتماعات الرباعية ، موقف فرنسا من الانسحاب بأن يكون انسحابا شاملا الا بتعديلات طفيفة في الحدود ، تزويد فرنسا لبعض الدول العربية بالسلاح . وفي مقابل ذلك حصلت فرنسا على مكاسب اقتصادية في زيادة تعاملها مع البلاد العربية ...

٢٥ — الدكتور صلاح العقاد : « العلاقات الدولية بين الجزائر وفرنسا » ، **السياسة الدولية** ، السنة السابعة ، العدد ٢٣ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، ص ٥٤ .

٢٦ — الدكتور حامد ربيع : **التعاون العربي والسياسة البترولية** ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٠٨ .

٢٧ — عايده ثابت : « العلاقات العربية — الفرنسية » ، **الجمهورية** (القاهرية) ، ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ .

٢٨ — **الاهرام** ، ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ .

٢٩ — نقلا عن نبية الاصفهاني : « الدبلوماسية الفرنسية ... » ، **مصدر سابق** ، ص ٩٢ . وانظر المصدر الذي تشير اليه .

٣٠ — **الاهرام** ، ٢ أيار (مايو) ١٩٧٠ .

٣١ — **الاهرام** ، ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ .

٣٢ — اعتمدت في كل التفاصيل الخاصة بهذا التقرير على ما ورد بالفصل الثالث من كتاب الاستاذ حامد ربيع « التعاون العربي والسياسة البترولية » ، **مصدر سابق**، ص ١٦٧ — ١٩٧ .

٣٣ — التفاصيل كثيرة حول موقف فرنسا من خلق منطقة أمن اقليمي في البحر المتوسط . وما يعنينا بهذا الخصوص هو أن نتذكر الحقائق الثلاث التالية : أولا : بيان مؤتمر القمة الاوربي في باريس يوم ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢ الذي دعا الى انشاء منطقة تجارة حرة تضم دول السوق المشتركة ، والدول المطلة على البحر الابيض المتوسط . ثانيا : بيان مؤتمر القمة العربي السادس في الجزائر في

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ الذي جاء فيه : « ان أوربا الغربية تتصل بالشعوب العربية عبر البحر الابيض المتوسط بصلات حضارية ، متينة ومصالح حيوية متداخلة ، لا يمكن ان تنمو الا في اطار تعـاون تسوده الثقة والمصالـح المتبادلة » . ثالثا : في مؤتمر القمة الاوربي في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ دعت فرنسا الى عقد مؤتمر قمة عربي ـ أوربي على مستوى عال لارساء أسس التعاون المنظم بين الطرفين .

٣٤ ـ شحاده موسى : **علاقـات اسرائيل** ، **مصدر سابق** ، ص ١٤١ .

٣٥ ـ **المصدر نفسه** : ص ١٧٢ .

٣٦ ـ عبد العزيز فهمي : استفتاء تقوم بـه المؤسسة الدولية « سيما » عن رأي الشعب الفرنسي في الشعب العربي . **أخبار اليوم** ، ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ .

٣٧ ـ أميمة أبو النصر : « هل تتغير سياسة فرنسا بعد ديجول ؟ » ، **الجمهورية** (القاهرية)، ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ .

٣٨ ـ نقلا عن نبية الاصفهاني : « الدبلوماسية الفرنسية ... » ، **مصدر سابق** ، ص ٨٥ .

٣٩ ـ شحاده موسى : «علاقات اسرائيل ...»، **مصدر سابق** ، ص ١٤٢ .

٤٠ ـ نبيل زكي : « موعد مع باريس » ، **الاخبار** (القاهرية) ، ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩.

٤١ ـ **الاخبار** (القاهرية) ، ١١ أيار (مايو) ١٩٧٠ .

٤٢ ـ **الاهرام** ، ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ .

٤٣ ـ نقلا عن نبية الاصفهاني : « الدبلوماسية الفرنسية ... » ، **مصدر سابق** ، ص ٨٧ .

٤٤ ـ **المصدر نفسه** ، مع اختلاف في الصياغة .

٤٥ ـ **المصدر نفسه** .

٤٦ ـ مجموعة باحثين : « فرنسا والحرب » ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٧ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، ص ٩٥ .

٤٧ ـ عبد العزيز العجيزي : « الحق العربي يفرض نفسه على المجموعة الاوربية»، **السياسة الدولية** ، السنة العاشرة ، العدد ٣٥ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ ، ص ١٥٥ .

٤٨ ـ ريمون آرون : « أين يتوقف الحريق ؟ » ، **لو فيجارو** ، ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤.

٤٩ ـ **لوموند** ، ٢ تشريـن الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

٥٠ ـ انظر **لوموند** ، ٣١ تشرين الاول ١٩٧٤ والايام التالية ، **الاكسبريس** عدد ٤ تشريـن الثاني (نوفمبر) .

٥١ ـ وكالة أنباء المانيا الاتحادية (د. ب. ا) في ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٧٤ . نقلا عن : « القضية الفلسطينية في شهر » ، العـدد السابع ، السنة الاولى ، أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ ، ص ٣٥ ، وهي نشرة دورية تصدر عن الادارة العامة لشؤون فلسطـين بالامانة العامة لجامعة الدول العربية .

٥٢ ـ **المصدر نفسه** .

٥٣ ـ زكريا نيل : « الحوار العربي الاوربي »، **الاهرام** ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

٥٤ ـ **لوموند** ، ٣ تشرين الثانـي (نوفمبر) ١٩٧٤ .

الخيار النووي الاسرائيلي
ضرورة استراتيجية

محمود عزمي

في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤ ، صرح افرايم كتسير ، رئيس دولة اسرائيل ، في حديث له مع عدد من المراسلين العلميين الاسرائيليين والامريكيين والاوربيين بأن « لدى اسرائيل القدرة على انتاج اسلحة نووية ، واذا احتجنا لذلك سننفذه »(١). وقد اثار هذا التصريح مجددا ، وعلى نطاق واسع واكثر جدية ، قضية امتلاك اسرائيل للاسلحة النووية من عدمه ، ومدى تأثير هذه الاسلحة ، في حالة حيازتها لها ، على استراتيجية اسرائيل الشاملة والعسكرية .

وتتطلب الاجابة على هذه التساؤلات البالغة الاهمية القاء بعض اضواء البحث العلمي والاستراتيجي حول النقاط التالية : ١ — متطلبات صناعة الاسلحة النووية في ابسط صورها . ٢ — مدى التطور الذي قطعته اسرائيل في مجال انتاج الاسلحة النووية . ٣ — الدور الذي يمكن ان تلعبه الاسلحة النووية في الاستراتيجية الاسرائيلية .

• متطلبات صناعة الاسلحة النووية :

الذرة هي اصغر جزء من العنصر يمكنه الاحتفاظ بخصائص ومزايا العنصر الفيزيائية والكيميائية . وهي تتألف من نواة صغيرة وثقيلة تدور حولها جسيمات مادية مشحونة بشحنة كهربائية سالبة تعرف باسم الالكترونات ، وتتم هذه الحركة في شكل وثبات مغزلية للالكترونات حول النواة . وتتألف النواة نفسها من نوعين من الجسيمات المادية العديدة ، النوع الاول مشحون بشحنة كهربائية موجبة ويسمى البروتون ، والثاني متعادل الشحنة الكهربائية ويسمى النيترون . ويكون عدد البروتونات دائما مساويا لعدد الالكترونات ، الامر الذي يجعل الذرة متعادلة كهربائيا. وتتحدد نوعية العنصر وفقا لعدد البروتونات الموجودة في نواة ذراته ، كما يختلف وزن الذرة من عنصر لاخر ، او من عنصر لنظير له ، وفقا لاختلاف عدد البروتونات والنيترونات الموجودة داخل النواة . وتكون الذرة ثقيلة اذا ما كان عدد النيترونات داخل نواتها اكثر من عدد البروتونات ولهذا تصبح في حالة غير مستقرة وتسعى للتخلص من ثقلها الزائد بالاشعاع حتى تستقر في صورة عنصر جديد (وذلك مثلما يتحول اليورانيوم الى رصاص بصورة تلقائية خلال ٥٠ مليون سنة) وتتولد عن ذلك طاقة حرارية . واذا ما امكن تحويل مادة عنصر معين الى طاقة فأن حجم هذه الطاقة يكون هائلا للغاية ، نظرا لان الطاقة الناتجة عن ذلك تساوي كتلة المادة المستخدمة مضروبة في مربع سرعة الضوء (وتبلغ سرعة الضوء ١٨٦ الف ميل في الثانية) . وقد توصل العلماء الى امكان قذف نواة بعض العناصر ، ذات الصفات غير المستقرة، بنيترون من خارجها ، وادى ذلك الى انشطار هذه النواة وظهور نواتين جديدتين غير

متساويتين وغير مستقرتين تقذفان عددا من النيترونات الجديدة تشطر نويات أخرى ، وهكذا يجري تفاعل نووي متسلسل يؤدي الى توليد طاقة يستفاد منها سلميا اذا ما بقي هذا التفاعل ضمن سرعة معينة ويجري التحكم فيه ، كما انه يؤدي الى انفجار ذري مدمر اذا ما تحققت سرعة اكبر للنيترونات .

ويتوقف انتاج القنبلة الذرية على توفر المادة القابلة للانشطار ، ومعرفة الحد الادنى اللازم من كمية هذه المادة لاستمرار سلسلة التفاعل ، ثم معرفة كيفية تصميم السلاح وتجميعه وتفجيره .

والمادة القابلة للانشطار تتألف من عنصر اليورانيوم ٢٣٥* أو عنصر البلوتونيوم ٢٣٩ . ولا توجد هاتان المادتان بصورة مباشرة في الطبيعة ، اذ أن اليورانيوم الطبيعي يوجد به نسبة ٠،٧ ٪ فقط من اليورانيوم ٢٣٥ ، والباقي يتألف من اليورانيوم ٢٣٨ غير القابل للانشطار . ومن ثم فان اليورانيوم الطبيعي يحتاج الى اجراء عملية صناعية ضخمة من اجل تركيزه الى ما يزيد عن ٩٠ ٪ حتى يصبح مادة صالحة لصنع سلاح ذري . أما البلوتونيوم ٢٣٩ فهو عنصر ينتج عن احتراق اليورانيوم الطبيعي في المفاعل النووي ، وله خصائص كيميائية مختلفة تماما عنه ، ولذلك لا بد من فصل العنصرين عن بعضهما البعض ، بعد عملية الاحتراق ، في مصنع فصل كيميائي خاص . ويوجد اليورانيوم الطبيعي كمادة خام في الطبيعة ، كما انه يمكن استخراجه من الفوسفات أو الذهب . ويلزم تركيزه الى أن يصل الى تركيب اليورانيوم ٢٣٥ ، ويتم هذا التركيز ، او « الاخصاب » كما يسمونه احيانا ، باحدى طريقتين :

١ ــ الطريقة الاولى ، وتعرف بطريقة الانتشار الغازي ، وهي تتطلب نفقات انشائية ضخمة واستهلاكا كبيرا للكهرباء خلال التشغيل (تكلفت محطات الانتشار الغازي الامريكية الثلاث الموجودة في الولايات المتحدة توظيفات اولية بلغت ٢٣٠٠ مليون دولار ، وهي تستهلك ٦٠٠٠ ميغاواط في السنة عند تشغيلها بطاقتها القصوى)(٢) .

٢ ــ الطريقة الثانية ، وتعرف بطريقة الطرد المركزي الغازية لفصل النظائر ، وتتميز بقلة نفقاتها الاقتصادية سواء من حيث التوظيف الاولي او التشغيل (اذ تقل تكاليف الانشاء عشر مرات وتكاليف التشغيل عشرة الاف مرة ، اذا ما قورنت بطريقة الانتشار الغازي ، وذلك بالنسبة لفصل ما لا يزيد عن ١٠٠ كلغ من اليورانيوم ٢٣٥ في السنة) ، فضلا عن أن أخفاء مصنع الطرد المركزي يعد اسهل نسبيا من مصانع الانتشار الغازي او مفاعلات انتاج البلوتونيوم . ولكن تظل عملية فصل البلوتونيوم ٢٣٩ عن اليورانيوم ٢٣٨ المستخدم كوقود للمفاعلات النووية (التي يجري تشغيلها لانتاج الطاقة الكهربائية مثلا) اسهل نسبيا من عمليات تركيز اليورانيوم ٢٣٥ ، رغم أن مصانع الفصل الكيميائي من الصعب للغاية اخفاؤها عن العين المدربة والاقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع بسبب ما تتميز به عادة من شكل ابنيتها الطويلة العالية العديمة النوافذ وبعدها عن المناطق المأهولة بالسكان ، ولذلك تعمد الدول الذرية الى استرداد اليورانيوم المستخدم كوقود في المفاعلات النووية التي تنشئها لحساب الدول الاخرى غير الذرية لاهداف الحصول على طاقة كهربائية أو للبحث

---

* تتألف نواة اليورانيوم ٢٣٥ من ٩٢ بروتون (وهو العدد الموجود في جميع نويات انواع اليورانيوم الاخرى) و١٤٣ نيترون ، وهو النوع الوحيد من اليورانيوم القابل للانشطار . أما اليورانيوم ٢٣٨ فتتألف نواته من ٩٢ بروتون و١٤٦ نيترون .

العلمي . وتحتاج المفاعلات النووية ليس فقط لوقود ذري (أي اليورانيوم الطبيعي) وانما أيضا الى الماء الثقيل (أي الهيدروجين الثقيل) كمعدل ومهدىء للتفاعلات الجارية في قلب المفاعل ، نظرا لان ذراته خفيفة الوزن ومستقرة وتستطيع بالتالي ان تقلل من سرعة النيترونات التي تقذفها نواة اليورانيوم(٤). وقد تستعمل مادة « الغرافيت » كمعدل ومهدىء بدلا من الماء الثقيل الذي يتوفر بسهولة اكبر ، ويتطلب انتاج قنبلة ، أو قنابل ذرية ، مصنوعة من « البلوتونيوم ٢٣٩ » ، وهو الاسلوب السائد في انتاج هذه القنابل ، توفر القدر اللازم من اليورانيوم الطبيعي المستخرج محليا او المستورد كوقود للمفاعلات (في حالة عدم وجود رقابة دولية عليه) ، ومصنع لتهيئة اليورانيوم للاستعمال في المفاعل النووي كوقود ، ومفاعل نووي تتم فيه عملية الاحتراق بالطاقة الكهربائية ، ومركز فصل كيميائي لاستخلاص قلب مادة البلوتونيوم ٢٣٩ القابل للانشطار ، ويتم بعد ذلك تصميم السلاح النووي (الامر الذي يتطلب معرفة الكتلة الحرجة للمادة المتفجرة) الذي يشتمل على الزناد المفجر للبلوتونيوم . وليست هناك ضرورة مطلقة في جميع الحالات لاختبار القنبلة الذرية الاولى ، ما دام تصميمها وتجميعها يتم وفقا للطرق المألوفة في تقنية صناعة القنابل الذرية دون اي تجديد جوهري من قبل الدولة الذرية الجديدة المنتجة لها .

وعلى أي حال فقد امكن في احدى التجارب النووية الامريكية (اختبار هاتسبرغ في ١٩٦٦/١٢/٣) تفجير قنبلة ذرية على عمق ١١٠٠ متر في باطن الارض دون أن يكتشف الاختبار ، وذلك بتعليق القنبلة في فجوة جوفية محاطة بالهواء تعمل كملطف بامتصاص آثار الاهتزازات الرئيسية التي يحدثها الانفجار ، وكلما كانت الفجوة اوسع كلما كان الانفجار الذي يتم دون أن يكتشف اقوى . (فالانفجار الذي قوته ١٠ كيلو طن يتطلب فجوة قطرها نحو ١٢٠ مترا ، على حين ان الانفجار الذي قوته ١٠٠ كيلو طن يتطلب فجوة قطرها نحو ٢٥٦ مترا ، علما بأن قنبلة هيروشيما كانت قوة انفجارها ٢٠ كيلو طن) ، كما انه يمكن اجراء هذه العملية قرب سطح الارض نسبيا بشرط ان تكون الفجوة اوسع(٥).

وقد قدرت مجموعة من الخبراء العالميين عام ١٩٦٦ تكاليف انتاج القنبلة الذرية الاولى لدولة غير نووية بنحو ٢٠٠ مليون دولار . كما قدرت مجموعة اخرى من الخبراء الاستشاريين لدى الامم المتحدة عام ١٩٦٨ أن انفاق ١٢٨٠ مليون دولار خلال عشر سنوات سيتيح لاي بلد صناعي ذى برنامج نووي مدني ان يطور ويبني قوة تضم ١٠٠ قنبلة ذرية مصنوعة من البلوتونيوم ٢٣٩ و ٥٠ صاروخا متوسط المدى و ٣٠ — ٥٠ قاذفة صالحة لحمل القنابل المذكورة(٦). (وذلك نظرا لانخفاض كلفة صناعة البلوتونيوم نسبيا ، بالقياس الى اليورانيوم ٢٣٥ ، والتي تقدر في هذه الحالة بنحو ٢٠٠ مليون دولار باسعار عام ١٩٧٢ بالنسبة لمائة قنبلة)(٧).

● القدرة العلمية والتقنية على انتاج الاسلحة النووية في اسرائيل :

بدأ الاهتمام بالابحاث النووية في اسرائيل قبل الانتهاء من حرب ١٩٤٨ ، اذ كان « حاييم وايزمن » ، رئيس الدولة ، من كبار علماء الكيمياء العضوية وله صلات وثيقة بكبار علماء الذرة في العالم ، وكان مدركا لاهمية ايجاد مصدر للطاقة النووية في اسرائيل نظرا لانعدام وجود النفط فيها ولحاجتها الماسة لتحلية مياه البحر . ولذلك شكلت وحدة علمية تابعة لفرع البحث والتخطيط في وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وقامت هذه الوحدة العلمية بدراسة مفصلة للمصادر المعدنية الموجودة في صحراء النقب أدت الى اكتشاف اليورانيوم الطبيعي في رواسب الفوسفات بنسبة ٠,٠١ — ٠,٠١ في

المائة . ثم ارسل الى الخارج عدد من المبعوثين لدراسة العلوم الذرية خلال عام ١٩٤٩ ، كما انشأت دائرة للبحث في النظائر بمعهد وايزمن في مستعمرة « رحوبوت » خلال السنة نفسها . وفي ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٥٢ تألفت لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية ضمن اطار وزارة الدفاع وزودت بميزانية مستقلة ومختبرات خاصة ، وترأسها الدكتور « ارنست دافيد بيرغمان » رئيس فرع البحث والتخطيط السابق ، الذي اكتشف اليورانيوم في فوسفات صحراء النقب .

وفي ١٩٥٣ بدأ المبعوثون يعودون من الخارج ، واسست فور وصولهم دائرة للفيزياء النووية في معهد وايزمن ، وكان بين اعضاء هذه الدائرة الدكتور « اسرائيل دوستروفسكي » الذي استطاع ان يطور عملية لانتاج الماء الثقيل اللازم في تشغيل المفاعلات بطريقة كيميائية لا تعتمد على القوة الكهربائية كما كان متبعا في انتاج الماء الثقيل ، الذي كانت النروج تحتكر انتاجه من قبل . وفي منتصف ١٩٥٣ وقعت اسرائيل اتفاقا للتعاون مع فرنسا في مجال الابحاث النووية ، اشترت فرنسا بموجبه براءة طريقة دوستروفسكي لانتاج الماء الثقيل واعداد خام اليورانيوم المنخفض المرتبة من الفوسفات ، وفي المقابل فتحت فرنسا مؤسستها الذرية للعلماء الاسرائيليين وتدريبهم فيها . وهكذا بدأت رحلة الابحاث النووية المتطورة في اسرائيل ، وبدأ اعداد الكفاءات البشرية اللازمة في هذا المجال .

وفي ١٩٥٥ عقدت اسرائيل اتفاقية مع الولايات المتحدة الامريكية ، وفقا لمشروع ايزنهاور المسمى « الذرة من اجل السلم » ، وحصلت بمقتضاها على مفاعل نووي طاقته ٥ ميغاواط اقامته في وادي نهر سوريق على مسافة ٢٠ كلم جنوب تل ابيب ، ويستخدم اليورانيوم كوقود ولكنه لا ينتج البلوتونيوم نظرا لاعادة اليورانيوم بعد احتراقه الى الولايات المتحدة ، وقيمته الاساسية انه مركز لتدريب العلماء والفنيين وللبحث النووي وتطويره . كما حصلت اسرائيل ايضا من الولايات المتحدة نتيجة للاتفاقية المذكورة على مكتبة علمية ضخمة ضمت ٦٥٠٠ تقرير عن البحوث الذرية الامريكية ، و ٤٥ مجلدا عن النظرية الذرية وخلاصات تقارير ومقالات متصلة بها ، فضلا عن تدريب نحو ٥٦ اسرائيليا في المنشآت النووية الامريكية . كما انشأ مفاعل نووي اخر ، امريكي ايضا ، بعد ذلك في معهد « التخنيون » بحيفا تبلغ طاقته ٨ ميغاواط ويستخدم اليورانيوم الطبيعي كوقود ، ويساعد هذا المفاعل في ابحاث المعهد المذكور التي يقوم بها طلبة الدكتوراه في مواضيع الفيزياء والكيمياء النووية(٨) .

وقد انشأ مفاعل امريكي ثالث يعرف بمفاعل « ريشون ليزيون » عام ١٩٥٨ تبلغ طاقته ٥ ميغاواط ، وفي عام ١٩٦٦ بدأ في انشاء مفاعل امريكي رابع في منطقة « بني روبين » تكون طاقته ٢٠٠ ميغاواط ويهدف الى انتاج ١٢٠ مليون متر مكعب من الماء العذب يوميا من مياه البحر الابيض المتوسط ولكن بناء هذا المفاعل لم يتم حتى الان ، على ما يبدو ، بسبب صعوبات مالية ، وبسبب مطالبة الولايات المتحدة بحق التفتيش على مفاعل « ديمونا » .

الا ان اهم واخطر الخطوات الفعالة التي خطتها اسرائيل على طريق انتاج الاسلحة النووية ، هي انشاؤها مفاعل « ديمونا » الواقع على منتصف الطريق الصحراوية بين « بئر سبع » و « سدوم » على البحر الميت قرب بلدة « ديمونا » وفي اسفل الجبل المعروف باسمها . وهو مفاعل بني بمعاونة فرنسا بمقتضى اتفاق سري عقد عام ١٩٥٧ ، ووضع تحت الاشراف المباشر لوزارة الدفاع الاسرائيلية (وكان لشمعون بيرس دور كبير في التوصل الى الاتفاق الخاص به بحكم منصبه وقتئذ كمدير عام لوزارة

الدفاع) وقد قدرت نفقات انشائه عام ١٩٦٠ بنحو ١٣٠ مليون دولار ، ويستخدم هذا المفاعل اليورانيوم الطبيعي كوقود ، وتبلغ طاقته ٢٤ ميغاواط ، ويمكنه انتاج غرام واحد من البلوتونيوم ٢٣٩ يوميا لكل مليون واط حراري ، أي ٢٤ غراما يوميا ، ويبلغ انتاجه السنوي حوالي ٩ كلغ ، وهو غير خاضع لاي رقابة دولية ، ويعمل ٢٤ ساعة يوميا ويعطل ٥ ايام كل ٣ اشهر(٩). ويستخدم مادة الغرافيت كمعدل ومهدىء، وقد حصلت اسرائيل على اليورانيوم اللازم لتشغيله في السنة الاولى (يقال انه بدأ انتاجه الفعلي في اواخر عام ١٩٦٤) ويبلغ ٢٤ طنا ، بواقع ١٠ اطنان اشترتها من جنوب افريقيا و ١٠ أطنان انتجت محليا و ٤ اطنان من مصادر فرنسية ، فضلا عن ٣ أطنان اخرى اشترتها من كندا . وابتداء من عام ١٩٦٥ استطاعت اسرائيل أن توفر حاجتها من اليورانيوم اللازم كوقود لمفاعل ديمونا من انتاجها المحلي المستخرج من مناجم الفوسفات في جنوب غربي البحر الميت (حيث يوجد ثاني اوكسيد اليورانيوم بنسبة ٠،٠٥ ٪) ومن مناجم النحاس في « تيمنا » بالقرب من ميناء ايلات (حيث يوجد ثالث اوكسيد اليورانيوم بنسبة ٠،٠٣ ٪) ، فضلا عن استمرار حصولها على اليورانيوم من جنوب افريقيا والارجنتين(١٠).

واذا افترضنا جدلا ان انتاج المفاعل بكامل طاقته بدأ عام ١٩٦٥ (هناك اقوال اخرى بانه بدأ انتاجه عام ١٩٦٢) فانه يكون قد انتج حتى نهاية عام ١٩٧٤ نحو ٨١ كلغ من البلوتونيوم ٢٣٩ الصالح كمادة اولية لصنع القنابل الذرية ، وهي كمية تكفي لصنع نحو ٨ قنابل ذرية من نوع القنبلة التي القيت على « ناغازاكي » في اليابان عام ١٩٤٥ (على اعتبار ان الكتلة الحرجة اللازمة لصنعها تساوي ١٠٤٤١ غراما)(١١) ، الا انها قد تكفي لصنع نحو ١٤ قنبلة ذات انشطار واحد « A - Bomb » التي تكفي لصنعها كمية من البلوتونيوم وزنها ٥،٥٠ كلغ فقط(١٢).

وبهذا تكون اسرائيل قد انجزت خطوتين اساسيتين على طريق انتاج الاسلحة النووية . الاولى ، هي وجود المفاعل النووي القادر على انتاج الكميات اللازمة من البلوتونيوم ، وغير الخاضع لاي رقابة دولية . والثانية ، هي توفير اليورانيوم اللازم كوقود لهذا المفاعل . وتبقى بعد ذلك الخطوة الرئيسية الثالثة ، وهي الخاصة بمصنع الفصل الكيميائي الذي تتم فيه عملية فصل البلوتونيوم ٢٣٩ النقي عن نظائر اليورانيوم ٢٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ . ويقول تقرير صحفي نشرته مجلة « درشبيغل » الالمانية في ٥ ايار (مايو) عام ١٩٦٩ ، ان اسرائيل قد اقامت مصنعا لفصل البلوتونيوم بالقرب من «ديمونا» وانه محاط بسرية تامة الى حد ان وسائل الدفاع الجوي الاسرائيلي اسقطت طائرة اسرائيلية من طراز « ميستير » عندما حاولت ان تهبط هبوطا اضطراريا على مقربة منه في اليوم الاول من حرب ١٩٦٧(١٣) . ويقول التقرير المذكور أن هذا المصنع يشرف عليه عالمان من كبار علماء الذرة في اسرائيل ، وهما : الدكتور ج. رافه ، والدكتور ارنست دافيد برغمان ، وان اسرائيل قد اشترت معدات هذا المصنع بطريقة مجزأة لا تثير الشكوك من عدة بلاد غربية ضمت الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، والمانيا الغربية ، وبلجيكا ، والسويد ، واليابان . أما الخطوة الرابعة والاخيرة فهي تصميم السلاح النووي نفسه ، وهذه خطوة تعتبر سهلة بالنسبة الى اسرائيل بالقياس للخطوات الثلاث السابقة ، نظرا لان لديها المعلومات الفنية والتقنية اللازمة فضلا عن توفر الخبراء ، وقد صرح عالم الذرة الامريكي المعروف بأبي القنبلة الهيدروجينية ، الدكتور « ادوارد تيللر » في ١٩٦٥/١٢/١٢ اثر زيارته لاسرائيل بانه لا شيء يمنع اسرائيل من صنع القنبلة الذرية ما دام كل ما تحتاجه في هذا السبيل متوفر لديها سواء بالنسبة الى الخبراء او المعدات او البلوتونيوم(١٤).

كما اشار تقرير « درشبيغل » المذكور بأن اسرائيل اصبح لديها ٥ أو ٦ قنابل ذريـــة (وذلك حتى منتصف عام ١٩٦٩) . وقالت صحيفة « التايمز » اللندنية في تعليق لهـــا يوم ١٩٧٤/١٢/٣ حول تصريحات « كتسير » الاخيرة « ان النشاط الذري في اسرائيل ضئيل ... ولكن هذا النشاط مكن اسرائيل من أن يكون لديها رصيد من ست أو سبع قنابل خلال السنوات الاخيرة »(١٥) كما سبق للجنرال « اندريه بوفر » ، عميد معهـــد الدراسات الاستراتيجية الفرنسي ، ان قال في حديث له مع « محمد حسنين هيكل » ، نشر في ١٩٧٣/١١/٢٤ ، انه يعتقد « ان اسرائيل لديها امكانية صنع قنابل ذريـــة ، واذا اتخذت حكومتها قرارا سياسيا بصنع مثل هذه القنابل ، فان هذه القنابل يمكـــن أن تكون جاهزة في مدى ستة شهور . وانني لا استبعد اطلاقا ان يكون هناك في قبو ما بمكان من اسرائيل عدد من القنابل الذرية ، وان كنت اتصور ان هـــذه القنابل ، اذا كانت موجودة ، فانها ستكون انواعا بدائية عندما كانت القنبلة في طفولتهـــا ... اي قنابل « سمينة » في حجمها محدودة في قوتها »(١٦). ونحن نعتقد من جانبنا ، بنـــاء على التقديرات العلمية السابقة ، ان لدى اسرائيل نحو ١٢ قنبلة ذرية او اكثر قليلا (وغالبا ما ستكون من احجام صغيرة ، بها ٥٠٥٠ كيلو غرام من البلوتونيوم ، او من تشكيله تضم عددا من القنابل التكتيكية للاستخدام الميداني وبعض القنابل الاخرى من حجم قنبلة « ناغازاكي » للاستخدام ضد المدن او الاهداف الاقتصادية الهامة مثل السد العالي في مصر) . أما بالنسبة الى تجربة السلاح النووي ، فانهـــا لم تعد تشكـــل ضرورة علمية كما سبق ان اوضحنا ، كما ان هناك دلائل قوية تشير الى أن اسرائيل قد اجرت تجربة نووية في باطن صحراء النقب (على عمق ٨٠٠ متر تقريبا) في الفترة بين اواخر ايلول (سبتمبر) واوائل تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٦٦(١٧). خاصة وأن مجموعة من ١١ مهندسا نوويا اسرائيليا كانت قد اوفدت الى الولايات المتحدة قبل ذلك بوقت قصير للتدرب على تقنية التفجير النووي تحت سطح الارض ، وذلك ضمن ما عرف باسم مشروع « فلوشير » ، ثم عادت الى اسرائيل حيث باشرت على الفور العمل في صحراء النقب من اجل انشاء النفق والحفرة اللازمين لمثل هذه التجارب . وقد لاحظ عالم امريكي كان يعمل على ظهر سفينة للابحاث البحرية في مختبر التكسير النظائري لتعيين كمية التريتيوم في مياه البحر الابيض المتوسط ، في خلال شهري ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٦ ، ان نسبة تركيز الاشعاعات في ميـــاه البحر قد ارتفعت . وسجل الملاحظات نفسها مجموعة من ثلاثة علماء اخرين (امريكيين والماني) كانوا يعملون في ابحاث مماثلة في خليج العقبة ، وترجع هذه الظاهرة في رأي هؤلاء العلماء الى حدوث تفجير نووي تحت سطـــح الارض ادى الى ارتفاع مستوى شدة الاشعاعات في مياه البحر العميقة(١٨).

وبناء على كل ما تقدم فانه يصبح من شبه المؤكد ان اسرائيل لديها بالفعل اسلحة نووية ، او لديها القدرة على انتاجها بسرعة كبيرة متى ارادت ذلك ، ومن ثم فـــان الاستراتيجية العربية يجب ان تضع في اعتبارها هذا الفرض كحقيقة واقعة .

● دور الاسلحة النووية في الاستراتيجية الاسرائيلية :

السلاح الذري لا يقارن بأي سلاح تقليدي من حيث قدرته ، ذلك لان اي انفجـــار نووي سواء كان في الجو او على سطح الارض او على سطح البحر لا بد ان ترافقه كرة نارية من اللهب تنشر حولها حلقة من الاشعاع الحراري (يبلغ نصف قطر الكسرة النارية بالنسبة لقنبلة قوتها ٢٠ كيلو طن ٢٣٠ مترا ويصل ارتفاع الانفجار في الجـــو الى ٦٠٠ متر) بالاضافة الى موجة صادمة تحمل الضغط والرياح الى مسافات معينة

(وفقا لحجم القنبلة) كما تحمل اشعة غاما الميتة والغبار الذري الذي يتساقط بصورة متتابعة ، وتؤدي الاشعة المذكورة الى موت الانسان او اصابته بامراض خبيثة ، كما يؤدي الاشعاع الحراري الى اشعال حرائق ، وتسبب موجة الضغط التدمير في المباني والمنشآت (بدرجات متفاوتة من الشدة وفقا لتفاوت حجم القنبلة وطبيعة المباني وبعدها عن مركز الانفجار) ، كما ان للغبار الذري اخطاره الصحية على المدى الطويل* وهو يشمل دائرة نصف قطرها ٥٠٠ كلم بالنسبة لقنبلة ذرية متوسطة من عيار ٢٠ كيلو طن (وهذا هو احد الاسباب الرئيسية لامتناع اسرائيل عن اجراء تجربة نووية فوق سطح الارض) . وتعتبر قوة تفجير القنبلة الذرية التي استخدمت في « هيروشيما » عام ١٩٤٥ (٢٠ كيلو طن) مساوية للقوة المتفجرة التي تحدثها صلية ٤ مليون مدفع ميدان عيار ٧٥ مم ، مضافا اليها آثار الاشعة الميتة والغبار الذري . ونتيجة لتطور الصواريخ ارض — ارض ، وجو — ارض ، سواء الاستراتيجية منها او العملياتية او التكتيكية (تعتبر صواريخ «سكود» من النوع العملياتي، وتعتبر صواريخ « لانس » من النوع التكتيكي) فقد اقترنت هذه القوة النارية الهائلة للسلاح النووي بحركية شبه كاملة « وهكذا نرى أن السلاح الذري يحدث بحكم هذه الميزة المزدوجة (القدرة والمدى) ، ظاهرة جديدة كل الجدة : فليس هناك من علاقات بين الطاقة والكتلة (الاعداد الكبيرة) . وبالامس كنا نحتاج الى ١٠٠٠ طائرة لتدمير مدينة كمدينة هامبورغ ومدفعية جيش بكامله لتدمير مدينة كمدينة برلين ، اما اليوم فتكفي قذيفة واحدة لتدمير احدى هاتين المدينتين »(١٩) وقد خلق السلاح النووي ، نتيجة لميزته هذه من حيث القدرة والمدى ، امكانية هائلة ، لدى الطرف الذي يمتلكه في مواجهة خصم لا يمتلك سلاحا نوويا ، لحسم الصراعات السياسية والعسكرية بمجرد قصف مدينة او اكثر من مدن الخصم (أو حتى التهديد الجدي بذلك) ومن ثم فرض ارادته عليه بأكبر قدر شهده التاريخ العسكري الحديث من تطبيق مبدأ الاقتصاد في القوى .

ورغم كل هذه الميزات الاستراتيجية للسلاح النووي ، خاصة في حالة احتكاره من جانب احد طرفي الصراع ، فان اسرائيل ما زالت حتى الان تنفي وجود اسلحة نووية لديها ، وتؤكد انها لن تكون البادئة بادخال الاسلحة النووية الى المنطقة ، مع تهديد العرب في الوقت نفسه بأن لديها القدرة على صنع هذه الاسلحة في وقت قصير نسبيا اذا ما دعت الضرورة الى ذلك ، وهي ضرورة قد تظهر في رأى الرئيس الاسرائيلي « كتسير » « على ضوء التغيرات التي تطرأ على سياسات كل من مصر وسوريا والاردن والاتحاد السوفييتي في المستقبل »(٢٠).

وقد سبق لايغال آلون ، (باعتباره اوضح المعبرين عن استراتيجية اسرائيل) أن حدد سياسة اسرائيل المعلنة بصدد موضوع الاسلحة النووية فقال « لو كان لنا الخيار بين امتلاك الجانبين للاسلحة النووية لاستخدامها كرادع متبادل ، وبين حرمانهما من ان يضعا اليد عليها ، لوجب علينا ان نختار بصورة قاطعة توازنا للقوة يقوم على الاسلحة التقليدية ... ومع ذلك ، فقد كان هناك دائما الخطر في أن يتمكن العدو اخر الامر من انتاج اسلحة غير تقليدية ، أو أن تزوده بها احدى الدول النووية . ولذلك فقد كان من الضروري على اسرائيل أن تتابع عن كثب التطورات في العالم العربي ، وفي مصر بصفة خاصة ، وأن تحافظ في الوقت ذاته على مستوى عال

---

* يشكل اللهب وامواج الضغط حوالى ٥٠٪ من طاقة الانفجار والاشعاع الحراري ٣٥٪ والغبار الذري المشع ١٥٪ .

من الابحاث والتكنولوجيا في الحقل النووي على الخطوط المتبعة في دول العالم المتقدمة . وقد كان هذا في المقام الاول لازما لتطوير البلاد نفسها اقتصاديا وعلميا وسياسيا . ومن المعروف جيدا ان الخبرة العلمية والتكنولوجية لدولة ما هذه الايام تشكل قدرتها على انتاج الاسلحة النووية ، واذا كانت اسرائيل لا تريد ان تمسك وهي نائمة ، فليس امامها خيار الا ان تحافظ على قدرتها »(٢١).

وعلى هذا الاساس اعتبر « آلون » أي هجوم جوي عربي على المنشآت الذرية الاسرائيلية يعتبر سببا كافيا لشن حرب عامة فورية ضد الدولة او الدول العربية المهاجمة .

وفي الوقت الذي كانت به اسرائيل تعلن عدم امتلاكها لاسلحة نووية وانها لا تنوي انتاجها ، ما لم تقدم الدول العربية على ذلك ، الى حد ان البروفسور « شمعون يفتاح » ، المدير العلمي لبرنامج التطوير في وزارة الدفاع ، قال في مؤتمر صحفي عقد في حزيران (يونيو) ١٩٦٣ « ان اسرائيل لن تقيم معمل فصل كيميائي لاعداد البلوتونيوم الذي ينتجه مفاعل ديمونا »(٢٢)، فانها عملت دائما على جعل العرب في موقف الشك القوي بأن لديها اسلحة نووية واستخدام هذا الشك بطريقة غير مباشرة لتدعيم قوة الردع الاسرائيلي في نفوسهم . ففي تموز (يوليو) ١٩٦٦ جرى نقاش في الكنيست الاسرائيلي، بين بعض نواب اليسار والحكومة حول نزع السلاح النووي في المنطقة وتهرب اسرائيل من هذه المسألة وتحديد موقفها بدقة من الاتجاه نحو التسلح النووي ، وقد رد « شمعون بيرس » وقتئذ قائلا « انني لا ارى سببا لاقدام دولة اسرائيل على طمأنة ناصر من هذا المنبر ، والسماح له بأن يعرف ما نفعله وما لا نفعله، انني أعرف ان العرب يشكون في نوايانا النووية ، واعرف ان هذا الشك قوة رادعة . فلماذا نخفف هذه الشكوك ؟ ولماذا نعمل على ايضاحها »(٢٣). وجاءت تصريحات « كنسير » الاخيرة ، لتؤكد قدرة اسرائيل على ممارسة الخيار النووي في فترة زمنية قصيرة اذا ما شعرت بالحاجة الى ذلك ، ولتقدم في الوقت نفسه جرعة جديدة وقوية من التصعيد في استراتيجية « الردع من خلال الشك » ، التي تتبعها اسرائيل في المجال النووي ، وهي في الحقيقة جرعة لها مغزاها في الظروف السياسية التالية لحرب ١٩٧٣ . وقد استخدمت اسرائيل مسألة التهديد بقدرتها على صنع الاسلحة النووية ، من اجل الحصول على مزيد من الاسلحة التقليدية المتطورة التي تجعلها ممسكة بقصبة سبق التسلح في المنطقة العربية . كما وجدت الولايات المتحدة الامريكية في هذا التهديد الإسرائيلي مبررا كافيا لها في الاستجابة للمطالب الاسرائيلية المتعلقة بالاسلحة التقليدية المتطورة ، وتجلت هذه السياسة الاسرائيلية وذلك التبرير الامريكي بوضوح عام ١٩٦٨ ، عند بدء تزويد اسرائيل بطائرات « الفانتوم » ، وفي عام ١٩٧٤ عند الموافقة على تزويدها بطائرات « ف ــ ١٤ » أو « ف ــ ١٥ » وصواريخ « لانس » .

وفي تقديرنا ان اسرائيل قد لجأت بالفعل الى الخيار النووي في السنوات القليلة التي سبقت نشوب حرب ١٩٦٧ ، بحكم انها اصبحت تشعر بعد تجربة حرب ١٩٥٦ بضرورة توفر قدرة عسكرية ذاتية مستقلة قدر الامكان عن حماية اي دولة غربية ، خاصة وان تصاعد قوة القومية العربية في ظل القيادة الناصرية ، عقب النصر السياسي الذي احرزته عام ١٩٥٦ ضد دول العدوان الثلاثي ، كان يحمل في طياته احتمالات قوية بخلق دولة الوحدة العربية في مستقبل غير بعيد ، وليس من المضمون دائما بالنسبة الى اسرائيل في مثل هذه الاوضاع ان تقف القوى الغربية ، بما في ذلك الولايات المتحدة ، الموقف المماثل تماما لموقف اسرائيل ، وتضمن لها الامن والتوسع

بالصورة التي تريدها . وقد عبر « آلون » عن ذلك الاتجاه المتضمن في الواقع للخيار النووي فقال « ان اسرائيل يجب الا تسمح ، مهما كانت الظروف ، بأن تجعل وجودها يعتمد عسكريا على أي ضامنين له من الخارج لاسباب عديدة مقنعة . اولا : لان ذلك يقتضي اعتمادا عليهم يؤدي الى املاء سياسي حول طـرق ووسائـل حـل النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، مما قد ينتهي في صالح الاعداء . ثانيا : ان الدولة الضامنة قد لا تكون متفقة معنا دائما بالضرورة في تقييمنا للموقف الفعلي . ثالثا : انه في يومنا وزماننا هذه تتحدد نتيجة الحرب في الايام القليلة الاولى . . . وعليه فأن معونة حلفائنا قد تصل بعد ان يكون الاوان قد فات للاستفادة منها . واخيرا فنحن نعيش في عالم « اصنعها بنفسك » ، واستمرار بقاء دولتنا يعتمد على قدرتنا الخاصة في الدفـاع عن انفسنا دون معاونة »(٢٤) .

ان اقوال « آلون » هذه تتضمن ضرورة لجوء اسرائيل للخيار النووي ، ذلـك لان « آلون » يعرف قبل غيره ان اعتماد اسرائيل على الدول الخارجية في استيراد الاسلحة التقليدية مسألة لا غنى عنها مهما بلغ تطور حجم وتقنية السلاح التقليدي في اسرائيل ، ولكن السلاح النووي وحده هو الذي يمكن ان يصنع محليا (بقدر محدود نسبيا ، ولكنه كاف لاحداث ردع او تدمير مروع لدى الدول العربية) وهو الذي يمكن ان يشكـل ، في تقدير الذهن الاسرائيلي الصهيوني ، نوعا من الضمانة الاحتياطية الاخيرة للحيلولة دون حدوث « مسادة » جديدة في العصر الحديث . ولكن رغم المزايا الردعية النسبية التي كان من الممكن ان يوفرها اعلان اسرائيل بصورة قاطعة وصريحة بوجود اسلحة نووية لديها ، او بلجوئها الى الخيار النووي ، فأن اسرائيل لم تقدم حتى الان علـى مثل هذه الخطوة لعدة اسباب :

١ ــ أن الصراع العربي ــ الاسرائيلي يدور في منطقة حساسة من العالم ، تتصارع فيها قوى دولية مختلفة ذات مصالح استراتيجية متناقضة ، والاعـلان عن وجـود اسلحة نووية لدى اي طرف من الاطراف المحلية سيخلق حتما وضعا بالغ الخطورة ، ولن تقف منه الاطراف الدولية المعنية موقفا سلبيا .

٢ ــ ان الاعلان القاطع الصريح عن امتلاك اسرائيل للاسلحة النووية سيدفـع الدول العربية (خاصة مصر) الى تطوير بحوثها الذرية ، وامتلاك الاسلحة المماثلة ان آجلا او عاجلا ، ومن المعروف ان مصر تستطيع متى توفرت لديها الامكانات المالية ان تصنع سلاحا نوويا خلال فترة تقدر بنحو ٧ ــ ٨ سنوات(٢٥) . الامر الذي قد يؤدي بعد ذلك الى خلق الرعب النووي في المنطقة ، وهو رعب سيخدم العرب في نهاية الامر ، على الاقل من حيث انه سيخلق ردعا قويا فعالا ضد التوسع الاسرائيلي ، فضلا عن انه قد يساعد في تحييد قدرة اسرائيل النووية ، ويسمح للقوة العسكرية التقليديـة العربية بتحقيق منجزات هامة ضد الجيش الاسرائيلي ، نظرا لان الدول العربية تتمتع موضوعيا بقدرة اكبر من اسرائيل على امتصاص نتائج الضربات النووية ، حال تبادل مثل هذه الضربات بينها وبين اسرائيل .

٣ ــ ان الجيش الاسرائيلي ، كجهاز عسكري مسلح باسلحة تقليدية متطورة ، كان قادرا في حرب ١٩٦٧ على تحقيق اهداف السياسة الاسرائيلية في الامن والتوسـع ، اي في العمل والردع ، ومن ثم لم تنشأ ضرورة للاعلان عن وجود اسلحة نووية لديه او نية في اللجوء الى الخيار النووي .

بيد أن ثقة اسرائيل في قدرة الاسلحة التقليدية على تحقيق سياسة الامن والتوسع ، بما تولده من قدرة ردع لدى العرب ، قد اهتزت بدرجة خطيرة مؤخرا نتيجة لحـرب

١٩٧٣ التي اظهرت قدرة العرب على رفع كفاءتهم العسكرية في المستقبل بدرجة كبيرة، ومن ثم بدأ ردع السلاح التقليدي يفقد مفعوله ، خاصة بعد ان تأكد مدى احتياج اسرائيل للدعم العسكري الخارجي (على الاقل في صورة امدادات عاجلة بالسلاح والذخيرة وقطع الغيار) للاستمرار في حرب تقليدية يطول زمنها نسبيا بالقياس لحرب ١٩٦٧ الخاطفه .

ومن هنا أصبح من الملائم لاسرائيل ان تمضي بخطوات اكثر جدية وسرعة على طريق الخيار النووي تحسبا لمستقبل لم يعد مشرقا كما كان عليه الحال في اليوم السابع لحرب ١٩٦٧ ، وان ترفع من درجة الشك العربي في قدراتها النووية ، ومن ثم يرتفع مستوى التصديق العربي لهذه القدرات ، الامر الذي قد تصبح معه القيادات السياسية العربية (في تصورها) اكثر قابلية للتمشي مع مشروعات التسوية السلمية الاسرائيلية ــ الامريكية اذا ما سار قطار التسوية السلمية قدما ، أو أن تصبح معنوياتها مهتزة وارادتها القتالية مضطربة اذا ما نشبت الحرب الخامسة نتيجة لتعثر التسوية السلمية .

هذا بالاضافة الى أن التهديد باللجوء الى الخيار النووي ، عمل قد تراه اسرائيل داعما لحرية حركتها السياسية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، ويرفعها الى مستوى الشريك الاصغر مرة اخرى ، بعد أن أفقدتها حرب ١٩٧٣ هذه الصفة . حين اضطرت لطلب الجسر الجوي الامريكي لانقاذ وضعها العسكري المتعرض للخطر . كما انه من المحتمل ان تعتقد اسرائيل ان زيادة تشكيك الاتحاد السوفييتي في احتمال لجوئها الى الخيار النووي ، قد يمثل عنصر ضغط غير مباشر عليه حتى يخفف من سياسته في دعم القدرات العسكرية العربية ، حتى لا يشجع دول المواجهة العربية على اللجو الى القوة العسكرية مرة اخرى ، بحكم ان ذلك قد يجره الى مواجهة نووية مع الولايات المتحدة حال استخدام اسرائيل لسلاح نووي ضد الجيوش العربية واضطراره الى مساندتها باسلحة نووية مماثلة .

وخلاصة القول ان اسرائيل قد لجأت بالفعل الى الخيار النووي ، من حيث امتلاك الاسلحة النووية باعداد محدودة نسبيا ، لتقاتل بها اذا ما شعرت انها تقف في الخندق الاخير ، الا انها لم تعلن ذلك صراحة ، وما زالت تمارس سياسة الردع عن طريق الشك التي تراها ضرورية لخدمة اهدافها الاستراتيجية الراهنة . وهذا ما يحتم على الدول العربية أن تسير بخطوات جادة فعالة على طريق توفير القدرات العلمية والتقنية اللازمة لانتاج الاسلحة النووية حتى لا تجازف بتحمل مخاطر اي مغامرة اسرائيلية في هذا الصدد ، او تسمح بخلق وضع يجمد الصراع العربي ــ الاسرائيلي في موقع غير ملائم للغاية يفرضه ردع نووي من جانب واحد لفترة طويلة .

---

١ ــ صحيفة **المحرر** اللبنانية في ١٩٧٤/١٢/٣ .

٢ ــ جابر، فؤاد ، **الاسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل** ، بيروت ، م.د.ف. ، ١٩٧١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩١ .

٤ ــ مصطفى، حسن، **اسرائيل والقنبلة الذرية** ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦١ ، ص ٥٣ .

٥ ــ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص ٩٩ .

٦ ــ تقرير « **المسح الاستراتيجي ١٩٧٢** » ، معهد الدراسات الاستراتيجية ، ترجمة بيار عقل ، بيروت ، المؤسسة العربية ، ص ١٥٥.

٧ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٦٠ .

٨ ــ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤ ، ٤١ .

٩ ــ مروة، يوسف ، **الابحاث الذرية الاسرائيلية**، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٦٩ ، ص ١٠ .
١٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ٦٣ .
١١ ــ **المرجع السابق** ، ص ٦٢ .
١٢ ــ « تقرير المسح الاستراتيجي عام ١٩٧٢ »، **المرجع السابق** ، ص ١٥٦ .
١٣ ــ مروة ، يوسف **المرجع السابق** ، ص ٦٣ .
١٤ ــ **المرجع السابق** ، ص ٦٤ .
١٥ ــ نشرة « ر.ا.ا. » ، العدد ٦٩٧ ، ١٢/٤/ ١٩٧٤ ، ص ٦٥ .
١٦ ــ **الاهرام** ، القاهرة ، عدد ١٩٧٣/١١/٢٤.
١٧ ــ مروة ، يوسف ، **المرجع السابق** ، ص ٦٦ .
١٨ ــ مروة ، يوسف ، **أخطار التقدم العلمي في اسرائيل** ، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٦٧ ، ص ٨٣ ، ٨٤ .
١٩ ــ بوفر ، اندريه ، **مدخل الى الاستراتيجية** ، ترجمة أكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٠ .
٢٠ ــ صحيفة **المحرر** اللبنانية في ١٩٧٤/١٢/٣ .
٢١ ــ آلون ، ايغال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ترجمة عثمان سعيد ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
٢٢ ــ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص١٤٨.
٢٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ٥١ ، ٥٢ .
٢٤ ــ آلون ، ايغال ، **المرجع السابق** ، ص ١٨١ .
٢٥ ــ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٨ .

يصدر قريبـــا

القوات المدرعة الاسرائيلية عبر أربع حروب

بقـــلم

محمود عزمي

نحو ٤٠٠ صفحة بأربع ليرات لبنانية ، يضاف اليها أجور البريد الجوي :
١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢١/٢ ل.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

التمييز ضد المرأة الاسرائيلية

الدكتور اياد القزاز

هناك خرافة منتشرة على نطاق واسع، تزعم ان النساء في اسرائيل يتمتعن بمساواة تامة مع الرجال . بل ان الناس في اسرائيل وخارجها على السواء ، يسلمون بهذه الخرافة ويصدقونها .

ولقد بين مسح للآراء في اوساط طلبة علم الاجتماع قام به كاتب هذا البحث ، اجري في جامعة ولاية كاليفورنيا ، في سكرامنتو عام ١٩٧٢ ، الى اي حد هناك قناعة بهذه الخرافة . فلقد طرحت على حوالي مائة طالب ، اسئلة تتعلق بالشرق الاوسط ، وكانت ثلاثة من هذه الاسئلة تتعلق بمسألة وضع المراة في اسرائيل ومساواتها بالرجل مقارنة مع الوضع في الولايات المتحدة . كان نص احد الاسئلة : « هل تعتقد بأن النساء الاسرائيليات يساهمن في قوة العمل (كأيد عاملة) اكثر من النساء الامريكيات ؟ » ... وكان جواب ثمانين بالمائة من الطلبة « نعم » .

وأبعد من ذلك ، فحين كان السؤال : « هل تعتقد ان النساء الاسرائيليات يتمتعن — على وجه الاجمال — بقدر اكبر من المساواة من النساء الامريكيات ؟ » ... كان جواب سبعين بالمائة من الطلبة كذلك « نعم » .

وكان السؤال الاخير : « في أية نواح تتمتع النساء الاسرائيليات بمساواة مع الرجل اكثر من النساء الامريكيات ؟ » ... فان خمسة وسبعين بالمائة كشفوا عن اعتقادهم بأن دور النساء الاسرائيليات ومكانتهن في الكيبوتس وفي الجيش ، كانا العاملين الرئيسيين في تقرير أن النساء في اسرائيل يحظين بقدر من المساواة أكبر مما تتمتع به الامريكيات .

تكشف هذه المعطيات ، انه حتى الطلبة الجامعيون دارسو علم الاجتماع ، الذين يفترض أن يكونوا اكثر اطلاعا على احوال العالم من الرأي العام ، يحملون مفاهيم مغلوطة عن دور النساء في المجتمع الاسرائيلي .

وبالاضافة الى ذلك ، فان دراسة قامت بها مؤخرا سينثيا ابشتاين لوضع النساء في الولايات المتحدة ، تكشف المدى الواسع لانتشار هذه المفاهيم المغلوطة . ولدى طرحها اسرائيل كمجتمع تحظى نساؤه بقدر أكبر من المساواة ، تقرر السيدة ابشتاين ما يلي : « انه لمن المذهل انه في المجتمعات التي يسمح فيها للنساء بالمشاركة بالاعمال المأجورة، كالمجتمع الاسرائيلي ، فان النساء ينلن قدرا أكبر من المزايا بصورة عامة » . (انظر — مكانة المراة — ص ٤١) .

وهكذا يبدو انه حتى علماء الاجتماع ، الذين مهمتهم ان يدرسوا المجتمعات ويتمعنوا بأحوالها ، يسلمون بأن النساء يتمتعن بقدر من المساواة في اسرائيل ، أكبر مما هو الوضع في بلدان أخرى . انهم ينظرون الى هذا كحقيقة مسلم بها .

على انه لأمر مهم أن نميز بين الحقيقة والخرافة بالنسبة لمكانة النساء في اسرائيل ، قبل أن نعلي شأن المجتمع الاسرائيلي كهدف منشود أمـــام الراغبين باصلاح أوضاع النساء في هذه البلاد (الولايات المتحدة الامريكية) . ان خرافة المساواة ، فيما يتعلق بدور ومركز النساء في المجتمع الاسرائيلي ، ستكون موضوع هذا البحث .

ولفحص هذه الخرافة ، يتعين علينا أن نلقي نظرة عن كثب على المؤسسات التي تتحمل أكبر قدر من المسؤولية عن انتشار الخرافة وديمومتها ، في ضوء تغيراتها عبر السنين منذ انشاء اسرائيل كدولة . فاذا فعلنا هذا ، فاننا نكون في الواقع ، قد حصدنا حصيلة طيبة من المعرفة والمعلومات عن الدرجة الحقيقية من المساواة التي تتمتع بها نساء اسرائيل في وقتنا الحاضر .

على انه ينبغي علي قبل الشروع بمناقشة تفاصيل خرافة المساواة في اسرائيل ، أن أتحدث بايجاز عن المصادر التي يقوم عليها هذا البحث . فبينما هناك آلاف من الكتب والمقالات حول المجتمع الاسرائيلي ، فان المادة المنشورة حول نساء اسرائيل ، وعلى وجه التحديد ما تعلق منها بالجوانب التي يتناولها هذا البحث بالذات ، محدودة الى أبعـــد الحـــدود . ولهـــذا فان هـــذا البحث ، مجرد محـــاولة اوليـــة لتـــركيب صورة من قطع وشظايا متناثرة من المعلومات ، مبعثرة هنا وهناك ، بحيث نخرج منها بمفهوم ذي معنى يستهدف وضع دور نساء اسرائيل في حجمه الصحيح .

النساء والجيش

ان أحد العناصر الاساسية في تكوين خرافة المساواة ، هو الدور التاريخي للنساء في الجيش . ان بعض الحقائق تدعم هذه الخرافة . وعلى سبيل المثال ، فان النساء لعبن في حرب ١٩٤٨ دورا فعالا ومساويا الى حد ما لدور الرجال . فلقد قاتلت النساء في الميدان جنبا الى جنب مع الرجل . على ان هذا كان **نتيجة للحاجة أو الضرورة ، أكثر مما كان دلالة على موقف المساواة** . لقد كان الصهيونيون بأمس الحاجة الى عون كل قادر على حمل السلاح ، بما في ذلك النساء . اما الان فلقد تغير الوضع بصورة كبيرة . فان اسرائيل لم تعد في الوضع الحرج نفسه الذي كانت عليه قبل خمسة وعشرين عاما . ولم تعد هناك حاجة للنساء ليقاتلن في الميدان الى جانب الرجل ، مثلما فعلن سابقا في أيام الهاجاناه العصيبة .

ومع ذلك ، فلا يزال هناك نقص كبير في القوة العاملة في الجيش الاسرائيلي . وان هذا هو السبب الرئيسي لكون اسرائيل البلد الوحيد في العـــالم الذي يفرض الخدمة العسكرية الالزامية على كلا الجنسين الرجال والنساء ، في الحرب وفي السلم على السواء . هذا الامر ، يستخدم في الغالب كدليل على المساواة بين الرجال والنساء في اسرائيل ، لانه يوحي بأن كلا الجنسين من رجال ونساء يتشاركان على صعيد واحد في الواجبات العسكرية . ثم ان النساء الاسرائيليات المعاصرات ، اللواتي تظهر صورهن في الصحف والمجلات في وقفة تأهب ، والبندقية على الكتف وحزام الذخيرة يلتف على الصدر ، هؤلاء ليس نسخة طبق الاصل للنساء الرائدات الاوائل في اسرائيل . ومن هذه الزاوية ، فان نسبة الخسائر بالارواح في صفوف النساء دليل كاف . هناك آلاف الرجال القتلى ، انما امرأتان اثنتان فقط قتلتا في المعارك ، احداهما في حرب ١٩٦٧ ، والثانية في حرب ١٩٧٣ ـــ ان هذا رقم شديد التدني بعد ٢٥ عاما من الاشتباكات ، خاصة اذا كان المرء يفترض أن النساء يعاملن فعلا على قدم المساواة مع الرجال في الجيش الاسرائيلي .

ثم ان النساء لا يشتركن في القيادة العليا للجيش الاسرائيلي . ففي حقل الممارسة العملية ، لا تختلف واجبات النساء في الجيش الاسرائيلي سوى بصورة طفيفة ، عن مثيلاتها في جيوش البلدان الاخرى . « انهن يوفرن مقداراً كبيرا من المال على المؤسسة العسكرية ، وبالتالي على الحكومة ، بقيامهن بأعمال كان يقتضي انجازها استخدام مدنيين مأجورين كما في البلدان الاخرى » (أنظر — فريدمان — ص ٧٩) .

ان الاعمال التي تقوم بها النساء في الجيش هي الاعمال التقليدية ، كأعمال السكرتاريا والوظائف الكتابية ، والخدمة ، والتمريض ، والتعليم ، وواجبات مماثلة لتلك التي تلقى على النساء في قطاعات الاقتصاد الاخرى ، سواء في القطاعين العام أو الخاص . فالنساء يتعاطين الاعمال « المنحطة » ، ويقوم الرجال بالعمل « الحقيقي » في الجيش ، عمل القتال والتخطيط ورسم استراتيجية الجيش الاسرائيلي وتكتيكاته — (القزاز) .

وانه لمن المهم أن نسجل ان الخدمة الالزامية ليست شاملة . فان هذه الذريعة تستخدم في الغالب من قبل الكتاب والصحف للمبالغة بمدى مساهمة النساء في الخدمة العسكرية ، وبالتالي للاطناب بخرافة المساواة . فبالرغم من أن الخدمة العسكرية الاجبارية أمر واقع ، فان تدابير وسياسات الاعفاء المتنوعة ، تقود في النهاية الى عدم تناسب اطلاقا بين حجم الجنسين في الجيش . فاذا كانت الخدمة العسكرية تتعارض مع معتقدات المرأة الدينية ، يمكن اعفاؤها من الخدمة العسكرية اذا ما اقسمت على ذلك أمام رجلي دين . واذا كانت المرأة متزوجة و/او حامل فانها تعفى ايضا ، وعلى خلاف الرجال ، فاذا أظهرت عدم قدرة على التكيف مع الحياة العسكرية ، فانها تنال الاعفاء . وتكون النتيجة ان نسبة النساء اللواتي يلتحقن بالخدمة العسكرية منخفضة للغاية ، بسبب الطرائق العديدة التي يمكن اعفاؤهن بها . ولو ان الخدمة العسكرية فرضت على الرجال والنساء على قدم المساواة حقيقة ، لكان يتعين علينا أن نتوقع ، نظريا ، أن تكون النسبة خمسين بالمائة للرجال وخمسين بالمائة للنساء . لكن نسبة عدد النساء في الجيش ، نتيجة لسياسات الاعفاء ، لا تتجاوز الثلاثين بالمائة في العادة .

وهناك فارق كبير آخر بين الرجال والنساء ، ويتمثل في الوقت الذي يتعين عليهم قضاؤه في الخدمة العسكرية ، بعد القبول . فعلى الرجال قضاء ثلاث سنوات ، بينما تخدم النساء اربع وعشرين شهرا فقط . ومن ناحية ثانية ، يبقى الرجال في وحدات الاحتياط حتى سن الخامسة والخمسين ، أما النساء فيتم تسريحهن عند سن الرابعة والثلاثين . واذا تزوجن وانجبن أطفالا ، فانهن يسقطن من سلك الاحتياط . ثم ان النساء تحرم عليهن أنواع كثيرة من الاعمال . فنظرا للعجز عن تأمين مأوى منفصل ، لا تستطيع النساء الخدمة في سفن الاسطول . ثم انه لا يجري تدريب النساء ليصبحن طيارات ، لاسباب عملية جدا هي مع ذلك ذات طبيعة تمييزية . فان تدريب الطيار يكلف حوالي مائة الف دولار الى مائتي الف دولار . وان للمرأة حقا قانونيا في أن تتزوج وان تترك الخدمة من أجل تكوين عائلة . ولو ان هذا حدث مع الطيارات ، لخسرت الحكومة مبلغا لا يستهان به من المال (انظر القزاز) .

النساء في الكيبوتس

ان صورة المرأة الكيبوتسية ، ساهمت أيضا في انماء وترسيخ خرافة مساواة النساء مع الرجال في اسرائيل . وكما هو الحال بالنسبة للاضاليل المتعلقة بوضع المرأة في الجيش ، فان الاضاليل المتعلقة بوضع المرأة في الكيبوتس ، تقوم أيضا على شيء من الحقيقة التاريخية ، مع ان هذه الحقائق قد أسيء فهمها وتعرضت لشطط المبالغة .

من الصحيح أن النساء في الكيبوتسات ، خلال مرحلة تأسيس دولة اسرائيل ، أعطين مركزا مساويا نسبيا لمركز الرجال ، مع انه ليس ذلك المركز الشائع في التصورات المطروحة . فلقد كان على نساء موجة الاستيطان الاولى ، أن يقاتلن من أجل حقوقهن ، حتى ومن أجل حقهن بالعمل خارج المنزل . فرغم النقص في القوة العاملة ، فلقد كان الرجل مع ذلك ينكر على المرأة حقها في العمل . فلم يكن الرجل يؤمن بأن المرأة مؤهلة جسديا أو مدربة بصورة كفية لاحتمال مشاق العمل الزراعي . لكن النساء آخر الامر انتصرن في معركتهن ، وسمح لهن بالعمل في الحقول جنبا الى جنب مع الرجال (الى أن تحمل الواحدة منهن فتلزم منزلها لتعتني بشؤون الاسرة) . هؤلاء الطلائعيات من جيل النساء الرائدات ، تمتعن حقا بـ « المساواة » كما يعرفها ويحددها الرجل . (انظر فريدمان — ص ٨٤) .

لقد أعطيت النساء دورا مزدوجا : لقد ناضلن من أجل حقهن بالعمل في الحقول وظفرن بهذا الحق ، ومع ذلك كان مطلوبا منهن مواصلة حمل أعباء ومسؤوليات المرأة التقليدية من رعاية الاطفال ، وغسيل الملابس وما شابه ذلك . ولعل هذا هو السبب الذي حدا بعدد كبير من هاته النساء ان يتنازلن طوعا عن نشاطاتهن في «عالم الرجال»، حين أصبحت اسرائيل أكثر قوة ، وأصبح يمكن انجاز تلك النشاطات بجهود الرجل وحده ، فمعظم النساء لم يتخلين كليا عن واجباتهن « الانثوية » في المقام الاول . فان مشقة أعمالهن « الانثوية » ، مضافة اليها نشاطاتهن في عالم الرجل ، دفعت الكثير من النساء الى تفضيل حصرهن ضمن نطاق الواجبات النسائية التقليدية وليس العكس .

وان مرور الوقت قاد دور المرأة في الكيبوتس شيئا فشيئا نحو أعمال المرأة التقليدية . ولقد سجل الكتاب المحدثون الزخم المتزايد لظاهرة هذا التغير . « تميل النساء بصورة متزايدة ، الى البحث عن الواجبات النسائية التقليدية والارتداد اليها ، هذه الواجبات ذاتها التي ناضلت أمهاتهن بعزم من أجل الخلاص منها » (انظر كاهان — ص ٢٣) . وهناك عدد من العوامل (بالاضافة الى ازدواجية الاعباء المذكورة آنفا) قادت الى هذه التحولات السريعة في اتجاه الدور التقليدي للمرأة .

لقد كان لعدم رضى النساء عن مداخيلهن المتدنية لقاء الاعمال المتدنية — أو المنخفضة الشأن — تأثير بارز . ولقد كانت هناك شكاوى مرة من الارهاق الحاصل للمرأة نتيجة العمل في المطبخ وأعمال غسيل وكي الملابس ورعاية الاطفال وهلم جرا .

وكشفت دراسة قام بها الدكتور فاليير في كيبوتس ماييم كارين ، انه بين ٨٤ امرأة راشدة عشن في الكيبوتس ، امرأة واحدة فقط كانت تعمل في الحقول بصورة منتظمة . وبين باقي نساء الكيبوتس الراشدات ، واحدة تساعد في تربية الدواجن ، وأخرى في جلب المواشي . أما الباقيات فكن يعملن في نواحي الخدمات ، كتجهيز الطعام ، والتنظيف ، وغسل الثياب ، وتعليم الاطفال ورعايتهم (انظر القزاز — الكيبوتس — تقويم نقدي) . ان معظم الاعمال الملقاة على كاهل النساء هي اعمال رتيبة وغير انتاجية ، وينظر اليها على انها متدنية الشأن ومنحطة الاهمية ، ليس فقط في عيون النساء انفسهن بل في عيون جميع أعضاء مجتمع الكيبوتس أيضا .

وبالاضافة الى ذلك ، فان التفوق العددي للرجال على النساء ، يخلق مشكلات حادة للنساء في الكيبوتس . فان الاعمال الادارية داخل الكيبوتسات تتولاها قلة قليلة من النساء . وفيما يتعلق بكمية التأثير او الفعالية في عملية اتخاذ القرارات ، فان

الرجال متفوقون على النساء بصورة كبيرة. وينعكس هذا في عملية الاقتراع في الشؤون السياسية ، مثلما يظهر في تعبئة المراكز القيادية التي تحكم هذه الكيبوتسات .

لقد ظهرت مقالة في « اسرائيل دايجست » عدد ٤ أيلول ١٩٧٣ ، تصف الحياة في الكيبوتس الاسرائيلي في الوقت الحاضر . عنوان المقـــالة « الطلائعيات في الجولان مشغولات بتربية الديك الرومي والقمح والاطفال ». اسم الكيبوتس رامات ماجشيميم.

يناقش مجرى المقابلة الاوضاع السياسية مع الزوج ، ويذكر ان الزوجة تتفق مع زوجها في الآراء السياسية . وللمفارقة ، فان الحديث مع الزوجة لم يتركز على الامور السياسية ، بل حول دورها كأم وكزوجة . « انها تجد نفسها دائما مشغولة برعـــاية زوجها وأطفالهما الستة ، وهي تشعر بأنها وجدت في هذا المكان افضل معنى لمسته في حياتها » . وفي عرض موجز عن الكيبوتس ، يقول الكاتب ان الكيبوتس « مكان مثالي لتكوين أسرة : فالام تستطيع أن تهب نفسها كليا لمنزلهـــا واطفالها ، والزوج يقوم بالاعمال الزراعية بالتعاون مع الاعضاء الآخرين في الكيبوتس » . ان هذا نموذج جيد لمقدار المساواة السائدة بين الجنسين في مجتمع الكيبوتس .

ان النظرة الغالبة للكيبوتس ، انه مثال نموذجي للمساواة الكاملة التي تتمتع بها النساء في أي مكان في العالم . ومع ذلك فلقد رأينا انه حتى في الكيبوتس ، الذي يمثل اكبر قدر من المساواة في المجتمع الاسرائيلي من ناحية النساء ، كيف انه لا وجود للمساواة مع النساء . وحتى لو توفرت هناك مساواة بين الجنسين في الكيبوتس ، افتراضا ، فان هذا لن يكون في أي حال تعبيرا عن واقع الحال في المجتمع الاسرائيلي بصفة عامة ، حيث ان مجمل عدد سكان الكيبوتسات ينوف قليلا عن الثلاثة بالمائة من مجمل عدد سكان اسرائيل .

فلنلق نظرة على واقع السبعة والتسعين بالمائة الآخرين من السكان ، لنتلمس بعض جوانب الحياة التي تعنينا في هذا البحث . فهناك عدة معايير يمكن للمرء استخدامها لقياس مقدار المساواة بين الجنسين في مجتمع من المجتمعات . ولقد اخترنا بعض الجوانب من المجتمع الاسرائيلي تمثل موقف المجتمع وممارسته من ناحية المساواة مع النساء .

النساء والسياسة

لدى استعراضنا لاثرين من الآثار المكتوبة عن قادة اسرائيل ، أحدهما نشر عـــام ١٩٤٨ ، والآخر عام ١٩٧٠ ، اكتشفنا ان امرأة واحدة فقط قد ذكرت في كليهما ، وان كتاب « القادة في اسرائيل » أورد أسماء ستة وثلاثين قائدا باعتبارهم الاعظم أهمية عام ١٩٤٨ . وفي الكتاب الآخر الذي صدر بعد الاول بفتـــرة ، والذي أصدره الجيش الامريكي عن اسرائيل ، بعنوان « دليل اسرائيل » عام ١٩٧٠ ، فان الفصل الثامن عشر مخصص لسيرة عدد من الشخصيات المهمة المختارة . ان المرأة الوارد اسمها في كلا الكتابين هي جولدا مئير رئيسة وزراء اسرائيل السابقة . انها واحدة من القلة النادرة في التاريخ التي تولت مثل هذا المنصب في السلطة السياسية . ومع ذلك ، فان من غير السليم أن نستنتج من هذا ـــ أي من كون رئاسة الوزارة في يد امرأة ـــ ان النساء يتمتعن بمساواة تامة في جميع الميادين . فلقد كان تولي جولدا مئير رئاســـة الوزارة عملا فريدا في ذاته . وهي نفسها اعترفت بأن على المرأة ان تثبت جدارتها أكثر مـــن الرجل بكثير ، كي يتاح لها أن تتولى مركز الرجل نفسه . بل ان بن جوريون ، رئيس وزراء اسرائيل الاول ، أشار اليها في احدى المرات ، علـــى « انها الرجل الوحيد في الحكومة » ـــ (أنظر سان فرنسيسكو كرونيكل ٧٣/٨/١٥) .

لقد كان على السيدة مئير ان تضحي بأسرتها من أجل نشاطها ، وهي التضحية التي تؤكد انها ليست مطلوبة من الرجل . ان كون رئاسة الوزارة تولتهـــا امراة ، ظاهرة تساعد في اخفاء الحقيقة ، حقيقة ان هناك اختلالا حادا في تمثيل النساء في الحكومة .

ومن دراسة التركيب الجنسي للمؤسسات السيـــاسية الثـــلاث الابرز اهمية في اسرائيل ـــ الحكومة ، والكنيست ، والاحزاب السياسية ـــ نجد أيضا أن دور النساء فيها قليل الشأن الى ابعد الحدود . فمنذ تأسيس دولة اسرائيل ، هناك امرأتان فقط تولتا مناصب حكومية ، هما جولدا مئير وشولاميت آلوني . ولقد أصبحت شولاميت آلوني وزيرة في الحكومة التي شكلها الجنرال يتسحاق رابين مؤخرا* . أي بمعنى آخر ، فحتى الخامس من حزيران من العام (١٩٧٤) ، تمكنت امراة واحدة فقط من الحصول على مركز وزاري .

فيما يتعلق بجولدا مئير ، فلقد كانت وزيرة للعمل (١٩٤٩ ـــ ١٩٥٦) ، ووزيرة للخارجية (١٩٥٦ ـــ ١٩٦٦) ، وأصبحت رئيسة للوزارة بعـــد موت رئيس الوزراء اشكول في ٢٦ شباط ١٩٦٩ ، وحتى الخامس من حزيران ١٩٧٤ . لقد وقع الاختيار عليها كمرشح تسوية لتجنب انقسام حاد بين السياسيين الاسرائيليين . على ان مجرد كون امراة واحدة استطاعت الوصول الى الوزارة ، لغاية الخامس من حزيران ١٩٧٤ ، دليل على سجل سيىء للغاية ، حتى بالمقارنة مع بلدان عربية كالعراق ومصر . فان امرأتين في كل من هذين البلدين ، وصلتا الى مقاعد الوزارة خلال الخمسة والعشرين عاما الاخيرة . ففي العراق أصبحت نزيهة الدليمـــي وزيرة للبلديات عـــام ١٩٥٩ ، والدكتورة سعاد القصاب أصبحت وزيرة للثقافة في ١٩٧٠ . وفي مصر تولت الدكتورة حكمت ابو زيد وزارة الشؤون الاجتماعية في ١٩٦٠ ، والدكتورة عائشة راتب تولت وزارة الشؤون الاجتماعية في ١٩٧٠ .

ثم ان سجل النساء في الكنيست ، ضعيف الشأن كذلك . ان الجدول المرفق يبين عدد النساء اللواتي جرى انتخابهن للكنيست منذ ١٩٤٩ وحتى ١٩٧٣ . وان نظرة عابرة تكشف ان نسبة عدد النساء كانت أقل من عشرة بالمائة ، وان هذه النسبة في حالة تدن . فبينما كان عدد النساء احدى عشرة في الكنيست الاول ، فانه هبط الى سبع نساء في الكنيست السابع (١٩٦٩) . على أن من الطريف والمفيد ان نؤكد في هذا المقام ، على ان لجنتي الخارجية والامن ، والمالية ، أخطر واهم لجنتين في الكنيست ، لم تدخلهمـــا امراة قط . وان احدى النساء التي انتخبت حديثا لعضوية الكنيست ، صرحت بأنها شديدة الاستياء لان عددا قليلا للغاية من النساء وصل الى المراكز العليا في السلطة . وحين سئلت عن تمثيل النساء بالمقارنة مع السنوات المنصرمة ، قالت : « لم يتحسن تمثيل النساء على الاطلاق في السنوات الاخيرة . واذا اردت الحقيقة فان هذا التمثيل تدهور » ـــ (انظر جيروزاليم بوست ـــ ٢٢ يناير ١٩٧٤) .

ولقد كشفت دراسة اعدتها مؤخرا الدكتورة « شيوالش وايز » المحاضرة في جامعة حيفا ، عن النساء في الحقل السياسي ، ان مشاركة النساء في جميع أصعدة الحياة السياسية ، شبه معدومة . والواقع ان مشاركة النساء المحدودة في الكنيست ، هي أكبر قدر من المشاركة تلعبه النساء في السلطة .

---

* التحريـــر : اســتقـــالت شولاميت آلوني (زعيمة حركـــة حقوق المواطن المنشقة عن حزب العمل) بعد ضم المعدال الى الائتلاف الحاكم .

جدول النساء في الكنيست

رقم الكنيست	التاريخ	عدد النساء
١	١٩٤٩/١/٢٥	١١
٢	١٩٥١/٧/٣٠	١١
٣	١٩٥٥/٧/٢٦	١١
٤	١٩٥٩/١١/٣	٩
٥	١٩٦١/٨/١٥	١٠
٦	١٩٦٥/١١/٢	٩
٧	١٩٦٩	٧
٨	١٩٧٣/١٢/٢١	١٠*

* الكاتب : استقالت جولدا مئير مؤخرا من عضوية الكنيست ، وهكذا هبط عدد النساء في الكنيست الى تسع .

ان الوضع في الاحزاب السياسية ، يدعم القناعة بعدم وجود المساواة في الحقل السياسي . وان معظم النساء يملن الى احتلال مراكز في الصفوف المتدنية . وان امراة واحدة فقط تمكنت حتى الان من ان تحتل مركز الامانة العامة لحزب من الاحزاب . تلك المراة هي ، مرة اخرى ، جولدا مئير ، التي اصبحت سكرتيرة ماباي عام ١٩٦٧ .

المرأة والقوة العاملة

مؤشر آخر للمساواة النسبية بين الجنسين ، هو المقارنة بين نصيب كل منهما في القوة العاملة . ان ثلاثين بالمائة فقط من نساء اسرائيل يعملن ، بينما تشكل نسبتهن في الولايات المتحدة ٤٢ بالمائة . وتبين الارقام ان النساء يحصلن على اجور اقل من الرجال بنسبة ٤٢ بالمائة كمعدل عام . مع ان هذا الرقم يمكن الانتقاص منه بحقيقة ان النساء يتجهن الى التركز في الاعمال ذات الاجور الاقل ، فالحقيقة رغم ذلك هي أن النساء حتى حين يقمن بأداء أعمال مشابهة لاعمال الرجال ، فانهن يتلقين — كمعدل عام — حوالي ٧٥ ٪ من الاجور التي يتلقاها الرجال . ويتوقف هذا على نوع العمل . فالنساء في الصناعة يدفع لهن ٥٥ بالمائة من معدل ما يدفع للرجال ، والنساء في الخدمات الاجتماعية يحصلن ٩٠ بالمائة مما يكسبه الرجال (انظر — فريدمان) .

ولقد لاحظت ايفرون في مقالتها المعنونة « النساء في اسرائيل » ، تزايدا بارزا في الفروقات بين مداخيل النساء ومداخيل الرجال في حقل النقليات في السنوات الثلاث الاخيرة . وفي عام ١٩٧٠ كان معدل دخل المراة ٦١ بالمائة من دخل الرجل . أما اليوم (١٩٧٣) فان معدل دخل المراة هو ٤٢ بالمائة .

ان النساء في الولايات المتحدة يدفع لهن أيضا اقل من الرجال . وتبين الاحصائيات ان ما تحصل عليه المراة يتراوح بين ٤٨ و٧٥ بالمائة من أجر الرجل ، تبعا لطبيعة الحقل المهني (انظر بيزنس هوريزونز — شباط ١٩٧٣) . ان هذه الارقام قريبة — لكنها أعلى قليلا — من الارقام الخاصة باسرائيل والتي تتراوح بين ٤٢ و٦٧ بالمائة .

ان الارقام الخاصة باسرائيل ، ذات أهمية خاصة ، من حيث كونها تتجاوز قانونا سن عام ١٩٦٤ ينص على أجر متساو للعمل المتساوي . ولقد اعتبر هذا القانون من قبل العديدين — على ضوء الحقيقة — قانونا « رمزيا » لم يؤد الى أي تحسين في حل مشكلة عدم المساواة في الاجور في اسرائيل . فباعطاء الاعمال المتشابهة أسماء وعناوين متباينة ، يستطيع أرباب العمل في اسرائيل ، أن يدفعوا للنساء أجرا أدنى . زد على ذلك أن وزير العمل في اسرائيل أقر بأن قانون الاجر المتساوي لا يمكن تطبيقه لانه لم يرفق عند تشريعه بأية اجراءات او تدابير تطبيقية (انظر — فريدمان) .

أضف الى ذلك أن هناك تمييزا ضد النساء العاملات فيما يتعلق بالضرائب والمعاشات التقاعدية . فان الضريبة التي تستوفى من مرتب الزوجة اكبر من الضريبة التي تستوفى من مرتب الزوج . والتبرير الذي أعطي لذلك ، ان مرتب الزوجة اعتبر كـ « مصروف جيب » اضافي ، بينما اعتبر مرتب الزوج حاجة ضرورية (انظر سكرامنتو بي) .

وليس في وسع المراة أن تنتظم في الضمان الاجتماعي ، كما لا يمكن تصنيفها كرب أسرة ، طالما كان زوجها قادرا على العمل . وابعد من ذلك ، فمن الواضح من هذه المصادر الموثوقة ان النساء لا يتمثلن على قدم المساواة في وظائف ذات شأن . ان قلة من النساء فقط ، تتولى وظائف بارزة في المؤسسات الاسرائيلية العامة ، أو المصالح الوطنية . وعلى المرء أن يستنتج ان النساء في حقل العمل لا زلن بعيدات للغاية عن المساواة مع الرجال .

التعليم

ان التعليم مؤشر قوي على موقف أي من المجتمعات تجاه مكانة المراة . وفي سلك التعليم الجامعي في اسرائيل تمثيل جيد للنساء . على ان تمثيلهن ليس أعلى مما هو الحال في الولايات المتحدة . وعلى العموم فان النساء يتلقين ٤٥ بالمائة من درجات التخرج ب.ع.في اسرائيل ، بينما النسبة في الولايات المتحدة هي ٤٢ بالمائة . ان نسبة النساء العالية في سنوات ما قبل التخرج من الجامعة (٤٩ ٪) قد تقود المرء الى أن يتوقع أعدادا مرتفعة في دوائر التعليم العليا ، وكذلك في القوة العاملة . لكن ١٣ بالمائة فقط من نساء اسرائيل حصلن على درجة دكتوراه وهو رقم أعلى بقليل من مثيله في الولايات المتحدة (١١٪). لكن ما يلقي ظلالا على هذا، ان ٢ بالمائة فقط من هيئة التدريس الجامعي من النساء في اسرائيل ، مع ان حوالي ٢ ٪ من هيئة التدريس الجامعي ممن يحملون درجة الاستاذية الكاملة في الولايات المتحدة ، هن من النساء . ويبدو — فيما يتعلق بالتعليم — ان النساء في الولايات المتحدة في وضع أفضل من النساء في اسرائيل .

التشريعات الدينية والنساء

« ان التشريعات الدينية في اسرائيل ، التي تحكم أحوال الاسرة وشؤون الزواج ، متخلفة بصورة غير اعتيادية » (انظر — ايفرون — ص ٦٢) . ان جميع شؤون الاحوال الشخصية (قضايا الزواج والطلاق) تتولاها المحكمة الدينية التي تتخذ موقفا شديد التخلف من مسألة مكانة المراة في الاسرة وفي المجتمع عامة . ان المراة غير التقليدية ، اذا ما مثلت أمام محكمة رجال الدين ، فانها بالتأكيد سوف تتعرض للانتقاص من حقوقها ومصالحها . والواقع انه محظور على النساء الادلاء بشهادات أمام المحكمة الدينية . وليس في وسع المراة الحصول على الطلاق بغير موافقة زوجها،

اذ لا تستطيع التقدم بشهادتها . وان الارملة التي لم تنجب أولادا ، ملزمة بالحصول على موافقة أخي زوجها غير المتزوج ، كي تتمكن من الزواج . أمـــا النساء اللواتي هجرهن أزواجهن ، فلا يستطعن الزواج في أي حال من الاحوال (وهو المعروف بقانون أجوروت) . ويجب تمييز الهجران عن موت الزوج في حال توفر دليل على الموت . والدليل على الموت يعني العثور على الجثة، وبوسع المرء ان يتخيل المشكلات العويصة التي تبرز في حالات الحرب حين يصنف الرجال على انهم مفقودون (انظر زوكر) . ولعل هذا يوضح سبب الاهمية البارزة جدا التي أولتها اسرائيل في الحرب الاخيرة ، لمشكلة أسرى الحرب ، اذ رفضت الشروع بفك التحام القوات قبل أن توافق مصر على تسليمها قائمة بأسماء أسرى الحرب . وكان التأخير والتأجيل المتواصل لفك التحام القوات على الجبهة السورية ، بسبب عدم تقدم سوريا بقائمة بأسماء أسرى الحرب عندها . ان من المبادىء الشديدة الاهمية في القوات المسلحة الاسرائيلية ، ان عليها أن تفعل كل ما في وسعها لاستعادة جميع الجنود الجرحى وجثث الاموات بعد كل معركة أو غارة . ولقد أصبح واضحا لنا الان الدافع وراء هذه السياسة .

ثم ان المحاكم الدينية تسيطر كذلك على مسائل تنظيم النسل والاجهاض . وفي وقتنا هذا ، لا تتلقى النساء حتى النصح أو المشورة بالنسبة لتنظيم النسل ، من قبل مراكز الخدمة الاجتماعية التي تشرف عليها الدولة أو من قبل الخدمات الصحية الحكومية . فالمجتمع الاسرائيلي ، نظرا لحجمه الصغير، يولي مسألة انجاب الاطفال أولوية كبرى. ولقد نتج عن هذا اضطهاد للمرأة وذلك بالزامها بالقيام بالواجبات الانثوية التقليدية كزوجة وكأم . ولقد جرى اعلان تحريم الاجهاض من قبل المحكمة الدينية . ويتعين على النساء الاسرائيليات أن يحقرن انفسهن باعلان عدم أهليتهن العقلية ، أو بدفع مبلغ باهظ من المال (٢٠٠ دولار) كي يحصلن على ترخيص بالاجهاض (انظر ـــ سكرامنتو بي) .

من الواضح ان هذه القوانين ظالمة ، وان معظم الاسرائيليين يحبذون الاصلاح ، الى درجة معينة على الاقل . ان هناك الكثير من الاسرائيليين غير متدينين ، ويشعرون بأن الاحوال الشخصية (قضايا الاسرة والزواج والطلاق) يجب أن لا تكون تحت هيمنة المحاكم الدينية . وليس هناك غير قلة من الاسرائيليين الارثوذكس الذين يسلمون بهذه القوانين كليا . وعلى المرء أن يتساءل كيف تتمكن أقلية من فرض كل هذه السيطرة على جميع المواطنين في دولة ديموقراطية كاسرائيل . جواب هذا كامـــن في طبيعة النظام السياسي الاسرائيلي .

ينتخب الاسرائيليون ممثليهم بأسلوب الانتخابات النسبية . وهذا يواكب نظام تعدد الاحزاب . فالحزب الذي يتمتع بالاكثرية بين مقاعد الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) المائة والعشرين ، يسيطر على الحكومة . لكن لم يحصل اي حزب من الاحزاب في الخمسة والعشرين عاما الماضية التي تشكل تاريخ اسرائيل ، على أغلبية واضحة . ولقد كان حزب العمل الاسرائيلي، «العلماني والمعتدل»، أكبر حزب في تاريخ اسرائيل حتى الآن . وكي يتمكن هذا الحزب من تأليف الحكومة ، كان ينبغي عليه دائما أن يشكل حكومات ائتلافية . ولقد كان أقوى ائتلاف هو ذلك الذي يقيمه حزب العمل مع الحزب الديني القومي (المفدال) الذي يحتفظ بعشرة مقـــاعد في الكنيست على الاقل على الدوام . وحين يتشكل ائتلاف ، يصبح الحزب الاصغر في مركز من القوة أكبر بكثير من نسبة حجمه . وفي هذه الحالة ، وكي ينال حزب العمل دعم الحزب الديني القومي ، فلقد وافق على ابقاء بعض قطاعات المجتمع والسلطة ، للمحاكم الدينية . هذا هو

الوضع في معظم سنوات تاريخ اسرائيل . ومنذ وقت مبكر للغاية ، عام ١٩٥٣ ، تركت شؤون الزواج والطلاق كليا لايادي الزعماء الدينيين ، وذلك بتحريم الزواج المدني . ولقد استمرت هيمنة المحاكم الدينية على هذه المسائل حتى يومنا هذا .

من هذا العرض يتبين ان غالبية الاسرائيليين قد لا تحبذ القوانين الرجعية المتعلقة بالزواج والطلاق وتنظيم النسل والاجهاض ، وبقية الاحوال الشخصية والعائلية ، ومع ذلك فان هذا الامر باق بسبب طبيعة النظام السياسي القائم . على انه ، من ناحية أخرى ، لو ان اكثرية من سكان اسرائيل شعرت بأن هذه القوانين ليست هي القوانين التي تريدها فعلا ، فلقد كان بوسعها ، بضغط كاف عبر الانتخابات ، ان تطبق ما تريد بالغاء الحاجة الى الائتلاف . واني أرى أن الاهمية المحدودة المعطاة لحقوق المرأة كانت عاملا رئيسيا في استمرار العمل بهذه القوانين .

حركة تحرر النساء

ان هناك وعيا يتكون بين النساء لوجود هذا التناقض بين مظهر المساواة الشائع ، وبين حقيقة وضعهن الفعلي . ان اجتماعات أسبوعية تعقد في بعض المناطق . وتناقش النساء في هذه الاجتماعات مشكلاتهن المشتركة ، كعدم المساواة في العمل ، وتنظيم النسل ، والاجهاض ، ومراكز رعاية الاطفال . ويطلق على هذه الاجتماعات في الغالب اسم « جلسات التوعية » (انظر نيويورك تايمز) ، اذ انها تستهدف خلق الوعي اللازم للمبادرة بالاصلاحات الخاصة بقضية المساواة .

ان دعاة تحرير المرأة ، يقتفون في خطواتهم آثار منظمات تحرير المرأة في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان . ولقد تمكنت منظمة محاربة التحيز الجنسي التمييزي ، من اخراج بعض النساء من موقفهن السلبي ودفعهن الى الحركة والنشاط . شولاميت آلوني على سبيل المثال ، كاتبة ومحامية وعضو برلمان ووزيرة سابقة ، وسيدة متزوجة ولها ثلاثة أبناء ، رفضت القاعدة المجتمعية الداعية الى انجاب عدد كبير من الاولاد .

لقد أعطى المجتمع الاسرائيلي قدرا ضخما من التركيز على ضرورة انجاب الاطفال ، بسبب الحاجة الى نمو سريع تقتضيه عملية بناء الجيش من أجل حماية الدولة . وفي رفضها لتبريرات هذه السياسة ، قالت السيدة آلوني لصحيفة نيويورك تايمز : « ان النساء اللواتي ينجبن عشرة أطفال يحصلن على اعانة من الحكومة . لكني آسفة . اني أرفض النظر الي وكأنني ماكينة (آلة) لانجاب الاطفال من أجل الجيش . اني أريد أن أعامل باعتباري كائنا انسانيا ، وفقا لطبيعة عملي ، وقدرتي ، ومعرفتي » .

انما لا يجب المبالغة بمدى تأثير حركة تحرير النساء . فرغم حصولها على شيء من التعاطف العام ، فان مجمل أعضاء الحركة يمكن وضعهن جميعا في غرفة متوسطة المساحة . فالنساء الاسرائيليات — على وجه الاجمال — لا يبغين أن « يعلن الحرب » في عالم الرجال . والواقع ان حركة تحرير المرأة جوبهت بمعارضة من النساء انفسهن .

ان دراسة قام بها فريق من علماء الاجتماع في الجامعة العبرية عام ١٩٧٢ دلت على ان ثلثي عدد النساء يفضلن انجاب عدد كبير من الاطفال . بل وأبعد من ذلك ، فان ٧٥ بالمائة منهن يعتقدن بأن الهدف السامي الذي ينبغي بلوغه والحرص عليه ، هو أن تكون المرأة أما وربة منزل جيدة . وأن ثماني بالمائة فقط عبرن عن شعورهن بأن الحصول على عمل خارج المنزل قد يكون وسيلة للتعبير عن النفس أو لتجسيد الذات . ان هذه الاحصائيات تتعارض مع صورة المرأة المحررة العاملة والمقاتلة جنبا الى جنب وعلى قدم المساواة مع الرجل . وان ما حدث مؤخرا من اجراء مباريات للجمال في

الكيبوتسات يوضح ان النساء يرغبن بالعودة الى الوراء نحو دور تقليدي أكبر . جولدا مئير عبرت عن موقفها حين ذكرت ان الرجال هم الطرف الذي يجري التمييز ضده بسبب عدم قدرتهم على حمل الاطفال . وهي القائلة أيضا : « ان حركة تحرير المراة ليست سوى حماقة سخيفة » (انظر نيوزويك — ٢٣ اكتوبر ١٩٧٢) .

ان الكثيرات ممن يعين وجود المشكلة فعلا ، لا يرغبن بالمساهمة بجهدهن بشكل نشيط وبتنظيم انفسهن . والاخريات يشعرن بأن اسرائيل بريئة من التمييز بين الجنسين ، ويستخدمن جولدا مئير كحجة . وهناك عامل آخر يساعد في هذا الاتجاه ، وهو كون ٦٥ بالمائة من النساء الاسرائيليات من الشرقيات ، وانهن يحملن في قرارة نفوسهن نهج المجتمع الابوي (البطريركي) بصورة قوية ، حيث المكان الطبيعي للمراة هو المنزل . وان هؤلاء يجدن أن المجتمع الاسرائيلي هو بالفعل أكثر تحريرا للنساء ، اذا قورن بالمجتمعات التي أتين منها . وهناك طبعا رجال اسرائيل ، الذين لا يأخذون حركة تحرير المراة على محمل الجد .

خلاصة واستنتاج

كي يصل هذا البحث الى مبتغاه ، ينبغي أن نتساءل عن الاسباب التي رسخت أسطورة مساواة النساء بالرجال في اسرائيل . لقد تتبعنا دور النساء الاسرائيليات في مختلف المؤسسات والقطاعات في المجتمع الاسرائيلي ، وتوصلنا الى انعدام المساواة بالنسبة للنساء في اسرائيل . لقد تمتعت النساء — كما أشرنا لدى عرض وضع المراة في الكيبوتس وفي الجيش — بقدر فعلي من المساواة قبل انشاء دولة اسرائيل ، وفي سنوات التأسيس الاولى . لقد كانت أياما عصيبة للغاية ، وكانت الحاجة ماسة لعمل النساء في حقول الزرع وفي ميادين القتال على السواء . ومع انقضاء الوقت ، أصبحت اسرائيل أكثر قوة ، وتولى الرجال تلك الاعمال التي تطلبت الحاجة ايكالها للنساء من قبل . ولهذا فان مكانة المراة انحطت وانحدر مركزها بشكل بطيء . ولقد كانت هناك على مدار السنين حركة نسائية قوية . ورغم ضآلة هذه الحركة عدديا ، فلقد كان لها شيء من الفعالية نتج عنها على سبيل المثال ذلك القانون القاضي بدفع أجر متساو للعمل المتساوي ، والصادر عام ١٩٦٤ . وكانت هذه الحركة استمرارا للايام المبكرة حين تمتعت النساء حقا بدرجة معينة من المساواة . وبالتالي ، جرى اقناع نساء اسرائيل بطريقة انتقائية بأساطيرهن الخاصة عن مساواة النساء الطلائعيات أو الرائدات . وعلى أي حال ، فان هذه الفترة القصيرة التي شهدت المساواة بين الجنسين ، والتي ربما سادت قبل ستة وعشرين عاما ، جرى استبدالها ، بالواقع ، « بوضع جنسي ، وليد الطبقة الوسطى ، بورجوازي » (انظر نيويورك تايمز) .

على ان الحكومة الاسرائيلية تسعى لترسيخ وتعميم هذه الخرافة . فان هذه الاسطورة عن المساواة ، مهمة لجهاز الدعاوة الاسرائيلية من عدة وجوه ، يعنينا منها هنا وجهان : الهجرة والسياحة .

ان الهجرة عامل اساسي شديد الاهمية في دولة اسرائيل . وينص « قانون العودة » الذي هو أحد أبرز المبادىء التي تقوم عليها اسرائيل ، والصادر عام ١٩٥٠ ، على انه لكل يهودي الحق بأن « يعود » الى اسرائيل . وان صورة مجتمع المساواة بين الجنسين ، تجعل اسرائيل اكثر جاذبية للمهاجرين المحتملين ، الذين لو أتيح لهم الاطلاع على المشكلات الحقيقية التي يعاني منها المجتمع الاسرائيلي ، فربما امتنعوا عن الهجرة . ان اسرائيل بحاجة الى الرجال من أجل جيشها ، حيث ان اعداءها يتفوقون عليها عدديا بنسبة واحد الى خمسين . ومع ان اسرائيل هي الآن في حالة

تفوق عسكري ، فان العرب سوف يكونون أقوى عاجلا أو آجلا . ولهذا فان الهجرة شديدة الاهمية لاسرائيل .

أضف الى هذا ما تدره خرافة المساواة من خير مادي في حقل السياحة . ان السياحة صناعة مهمة في اسرائيل ، وان كل ما يشجع السياحة ، ينبغي الترحيب به بحرارة . وهكذا يجري استخدام خرافة مركز المرأة ومكانتها في الكيبوتس ، وفي الجيش ، وكذلك في المجتمع بصفة عامة ، لجذب السياح . وان هذا الاستغلال واضح في البطاقات البريدية الاسرائيلية الاكثر مبيعا ، والتي تمثل احداها امرأة مظلية ، وصورة أخرى تمثل شابة في الكيبوتس تقطف الثمار . ان المرأة المظلية ، هي عضو في جماعة صغيرة ومعزولة ، يحتفظ بها من أجل الاحتفالات بعيد الاستقلال . والمحتمل بالنسبة للمرأة في الصورة الثانية ان تكون عاملة متطوعة ، اذ ان معظم النساء لا يعملن في الحقول .

ان النساء في اسرائيل ، لسن في أي وضع افضل من اوضاع النساء في المجتمعات الغربية الاخرى . والحقيقة ان صورة المساواة المستقرة في نفوسهن، مدعمة بالاساطير التي عززت الصورة (كجولدا مئير) ، بالاضافة الى الخدمة العسكرية الاجبارية ، قد تجعل النساء في اسرائيل أسوأ حالا على المدى البعيد . وانه لمن الصعوبة بمكان ، كما يبدو في نقص الاهتمام بحركة تحرير النساء ، ان يتولد الوعي اللازم لدفع الاصلاحات في حقل المساواة قدما .

ففي بلدان أخرى ، حيث التمييز ضد النساء أكثر صراحة ، وحيث هو جزء من التركيب الثقافي ، يكون من الايسر توعية النساء ليناضلن من أجل احداث تغيير في أوضاعهن . أما في اسرائيل ، فان الاتجاه هو مناصرة قضية المساواة بقدر كبير من التباهي ، بينما التمييز ضد النساء هو السائد . وكما تستخلص السيدة آلوني ، في تقويمها للمجتمع الاسرائيلي ، اذ تقول : « لقد تراجعنا عن الثورة الاجتماعية التي أرست أسسها الرائدات ، واستبدلناها بتملق المساواة لفظيا » — (أنظر نيويورك تايمز) .

ثبت المراجع

القزاز ، أياد

١٩٧٢ « الجيش والمجتمع الاسرائيلي » ، شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١ .

١٩٧٣ « الكيبوتس — تقويم نقدي » غير منشور ، قدم للاجتماع السنوي الثامن والستين للجمعية الامريكية لعلم الاجتماع، نيويورك، ٢٨ — ٣١ آب .

١٩٧٣ « التوجيه الحربي للمجتمع الاسرائيلي » — بحث قدم للاجتماع السنوي السادس للخريجين العرب من الجامعة الامريكية ، واشنطن دي. سي ، ١٧ — ١٩ تشرين الاول ونشر في شؤون فلسطينية العدد ٣٩.

بيزنس هوريزونز

١٩٧٣ عدد شباط .

ايفرون — نورا

١٩٧٣ « النساء في اسرائيل : خرافة التحرر » ، نيويوركر ، المجلد رقم ٦ ، العدد رقم ٤٧ ، ١٩ تشرين الثاني .

ابشتاين ، سينثيا

١٩٧١ « مكانة المرأة » ، منشورات جامعة كاليفورنيا ، بيركلي ، كاليفورنيا .

فريدمان ، مارسيا

١٩٧٣ « المرأة على التراكتور ، أين هي الان ؟ »، اسرائيل ، المجلد رقم ٥ ، عدد ٩ أيلول .

اسرائيل دايجست

١٩٧٣ « رائدات الجولان منهمكات بتربية الديك

الرومي ، والقمح والاطفال » ــ ١٤ أيلول.

كاهان ، دكتور هازل

١٩٧٣ « تحرير النساء في المنظور الاسرائيلي » ، نيو اوت لوك ، المجلد رقم ١٦ ، عدد رقم ٥ ، حزيران .

نيوزويك

١٩٧٢ « تحرر النساء سخافة » ــ اكتوبر .

نيويورك تايمز

١٩٧٣ « عدد متزايد من النساء الاسرائيليات يصبحن مناضلات من أجل المساواة بين الجنسين » ، ١٨ حزيران .

بوياس ، سوزان

١٩٧٣ « اسرائيل : هل يتقلص دور النساء ؟ » ، سان فرنسيسكو كرونيكل ، ١٥ آب .

سكرمنتو بي

١٩٧٢ « احدى نساء حركة التحرير في اسرائيل تقول ان الصورة الشعبية لمعمرة الصحراء، خرافة » ، نشاطات النساء ، ٢٩ تشرين الاول .

١٩٧٣ « نساء اسرائيل يتبلن ضغوط النزاع بلا شكاوى » ، ٨ تشرين الثاني .

سميث ، ايتال

١٩٧٠ « دليل اسرائيل » ، واشنطن ، مكتب النشر للحكومة الامريكية .

زوكر ، نورمان ل.

١٩٧٣ « الازمة المقبلة في اسرائيل » ــ كامبردج ــ ماساشوسيتس .

المقاومة في الفولكلور الفلسطيني (١٩٦٧ــ١٩٧٤)

نمر سرحان

تأتي دراسة الكاتب الحالي للفولكلور الفلسطيني المقاوم في الفترة من عام ١٩٦٧ ــ ١٩٧٤ بعد دراسته للفولكلور الفلسطيني المقاوم بعد عام ١٩١٧ ، والتي تناول فيها ما فاض عن الوجدان الشعبي الفلسطيني من اغان ، اهازيج ، هتافات مظاهرات وقصائد مسيرة عبر فيها عن تمسكه بحقه في أرضه واصراره على النضال من أجل تحرير فلسطين واقامة سلطة وطنية تدحر الاحتلال وتحقق استقلال الشعب وحريته .

وقبل أن نخوض في تفاصيل دراستنا للفولكلور الفلسطيني المقاوم في الفترة من عام ١٩٦٧ ــ ١٩٧٤ ، لا بد من ان نوضح الاعتبارات التالية :

أولا : ان حالة الشتات التي يعيشها شعبنا تجعل من الصعوبة بمكان دراسة كافة النصوص التي فاض عنها وجدان شعبنا ، فهناك أهلنا وراء أسوار الاحتلال ، وهناك الاهل المشتتون عبر الاراضي العربية في مخيمات المنفى في الاردن وسوريا ولبنان ، واشتات اخرى في الارض العربية والعالم . ولا يمكن القول بأن الباحث الحالي قد تمكن من جمع كافة النصوص ذات الدلالة . ومع ذلك فانني أرى أنه لا بد من نشر النصوص المتوفرة ضمن هيكل تقريبي لدراسة الفولكلور المقاوم كواجب تسجيلي يفرضه الاحساس بضرورة ابراز موقف شعبنا من خلال اكثر مواقفه صراحة وجراة وعفوية ، وان الكاتب الحالي ليأمل بأن تسهم اقلام فلسطينية اخرى في سد ثغرات هذه الدراسة واكمال نشر مجموعات النصوص التي فاض عنها وجدان شعبنا في لحظات الحزن ولحظات النشوة ، وعبر مواكب الثوار الحاشدة في ساحات القرى والمدن العربية والفلسطينية ، سواء منها تلك المواكب الهاتفة الهازجة في تظاهرات الرفض عبر احداث التغيير في الوطن العربي ، أو مواكب تشييع شهداء الثورة الفلسطينية ... وما اكثرها !

ثانيا : ان الكثير من النصوص التي فاض عنها وجدان شعبنا تحمل مضامين ذات حساسية مفرطة بالنسبة للانظمة والزعامات العربية ، وان اغفال مثل تلك النصوص بداعي وحدة التحرك العربي يهمل مواقف ذات وهج ونكهة خاصة وتشكل معلما من معالم افكار وحياة شعبنا الذي امضى حياته على طريق النضال والثورة ، ومن جهة أخرى فهي تحدد فكر الطبقات الشعبية المسحوقة ازاء الظروف الشديدة القسوة التي يتعرض لها شعبنا والتي تتحدى وجوده وبقاءه .

ثالثا : وبسبب حالة الشتات التي يعيشها شعبنا ، وبسبب المناخات التي يتعايش في أجوائها ، يصعب على الباحث ان يعطي النصوص الفولكلورية التي تعكس روح المقاومة ، صيغة الشمول والعمومية من حيث تمثيلها لوجدان الجماعات

الفلسطينية ، ذلك ان ما يمكن ان تقوله جماعة في مخيم الرشيدية في لبنان يختلف عما يمكن ان يصدر عن جماعة فلسطينية في المغازي او عين السلطان او في مخيم الوحدات ، وذلك عائد لطبيعة المعاناة اليومية التي يعانيها سكان مثل سكان الرشيدية من حرب المخيمات والاستنفار اليومي ورائحة الدم التي تفوح من كل بقعة وناحية .

رابعا : ان النظرة التقليدية للفولكلور تصنف النتاج الفولكلوري على أنه ثقافة الطبقات المتخلفة في مجتمع متحضر ، لكن مثل هذه النظرة لا تصدق على الكثير من النصوص التي تعتمد عليها هذه الدراسة ، فقد قمت بجمع النصوص من جماعات الاشبال وشبيبة مكاتب الثورة في مخيمات البقعة ، سوف ، غزة ، والحصن . ومن خلال مسيرات فصائل الثورة في احياء عمان . وبالطبع لا يمكن أن يوصف اولئك الافراد بالضبط بأنهم طبقات متخلفة اذ بينهم طلبة ومدرسون ومهندسون ومحامون وأطباء ... الخ . ومن ناحية اخرى فقد اعتمدت في دراستي على بعض النصوص الغنائية التي تذاع من خلال اذاعة « صوت فلسطين ــ صوت الثورة الفلسطينية » .

ان طبيعة المرحلة التي يجتازها شعبنا ، وهي مرحلة القتال من أجل التحرير ، تجعل الدارس ينظر لشعبية النص الفولكلوري بمنظار غير حرفي ، ذلك لان الاغاني التي تجسد الوجدان الشعبي هي اغان شعبية ، وان لم تصدر بالضرورة عن « الطبقات المتخلفة في المجتمع » مباشرة . ان اغاني الثورة الفلسطينية سواء منها ما شاع بين صفوف الاشبال والشبيبة الثورية المقاتلة ، او ما اذيع منها عبر راديو الثورة الفلسطينية ، ان تلك الاغاني التي تجسد آمال وتطلعات شعب فلسطين هي أغان شعبية . ومما يؤكد شعبية مثل هذه النصوص هو ان الجماهير تتلقف مثل هذه الاغاني وتتداولها وتتوارثها لتصبح جزءا من ثقافة الجماعة الشعبية .

ان الكثير من الاغاني والاهازيج الوطنية بدأت كنص مكتوب وذو مؤلف واحد . وحصل ان سمع الشعب هذا النص على لسان قوال في موكب من مواكب التظاهرات الفلسطينية في أحد الشوارع في مدينة عربية . وما لبث النص ان تحول لنص شعبي تناقلته الجماهير في مناسبات أخرى من مناسبات الطفرات الشعبية .

وهناك سبب اخر يدفعنا الى تصنيف هذا النوع من الاغاني ضمن قائمة الاغاني الشعبية هو أن تلك الاغاني ، رغم انها مكتوبة بكلمات غير دارجة ، ورغم انها صادرة عن جهات مثقفة ، فانها مبنية على اصل فولكلوري عرفه الشعب ، وصب في قالبه اغانيه عبر الزمن ، وعلى سبيل المثال فان أغنية :

بارودتي ذراعي اليمين / ورصاصي حبات العيون

وابوي قال لي يوم ما مات / اتعلموا من الزيتون

وكذلك أغنية :

يا أم الشهيد وزغرتي / كل الشباب اولادك

هما أغنيتان من الاغاني التي تذاع من اذاعة صوت فلسطين ــ صوت الثورة الفلسطينية . وقد كتبهما مؤلف معروف ، وادتهما المجموعة بمرافقة اوركسترا رسمية ... ان هاتين الاغنيتين مبنيتان على لحن اغاني المسيرة ــ المحورية ــ الفلسطينية ، والتي تؤدي عند زفة العريس ، وبكلمات مثل هذه الكلمات :

عريسنا عنتر عبس / عنتر عبس عريسنا

ويمكننا أن نطرح مثالا اخر وهو هذا البيت من الدلعونا :

على أرض الضفة في شعب يناضل / ومن أجل السلطة أوقد مشاعل
وانت يا فلاح وانت يا عامل / واطرد عن أرضك جيش الصهيونا

لقد سمع هذا البيت لاول مرة في ربيع عام ١٩٧٤ . وسجل كأداء لاحد مناضلي الجبهة الشعبية الديموقراطية بالقرب من مخيم صبرا في بيروت ، وهو يطرح قضية تكتيكية جديدة ، تلك هي شعار السلطة الوطنية في الضفة الغربية . ومؤلف البيت فرد معروف ، وبالطبع فليس هناك ما يمنع من تصنيف هذا النص كنص فولكلوري لسبب بسيط جدا هو أن في حقيقته مجرد كلمات جديدة في قالب لحني شعبي أصيل هو : « الدلعونا » .

* * *

وننتقل الان للحديث عن طابع المرحلة (١٩٦٧ — ١٩٧٤) كما تنعكس في الوجدان الشعبي الفلسطيني على اعتبار ان الشعر الشعبي واحد من مصادر المؤرخ ، وهو احد المصادر التي تصور بصدق حياة الجماهير الشعبية وآمالها وتطلعاتها للمستقبل. وقد سجلت الاغنية الشعبية الفلسطينية ملاحظات على العديد من الاحداث التي واجهها شعبنا داخل الارض المحتلة وعلى الساحة العربية ، ورصدت بعفوية صادقة طابع المرحلة . وفيما يلي نستعرض اهم ملامح المرحلة كما انعكست في آغاني الشعب وطرق تفكيره :

١ — رفض الهزيمة

عندما انتهت أيام حرب حزيران الستة ، أفاق الانسان الفلسطيني على حقيقته مرة يصعب على وجدانه ان يستوعبها ، تلك هي ان كل فلسطين أصبحت وراء أسوار الاحتلال بما في ذلك « صخرة القدس » ، وان المدافع العربية صمتت . وأخذت الجماهير الشعبية تسمع تبجحات راديو الاحتلال عن الطرق المفتوحة الى دمشق وعمان والقاهرة . ترى ماذا كانت حقيقة الموقف الشعبي الفلسطيني ازاء هذه النكسة التاريخية ؟

لنر ردة الفعل من خلال الفولكلور الغنائي المقاوم :

كان الجواب : لا ... للهزيمة . وكان الجواب مزيدا من التمسك بالبندقية ، بذلك يوحي مضمون أهزوجة القاها احد اشبال فتح ، في معسكر الاشبال بالقرب من مخيم البقعة :

والله لانزل دوريه
واقطع من غرب اليه
واهجم ع الصهيونيه
واذبحهم ذبح الجديان
والله لاحمل ديكتريوف
وقلوبنا ما تحمل خوف
تحت حماية جرينوف
ما بنهاب الطياره
ولا بنخاف الغاره
وان متنا مش خساره
هذه ثورة شعبيه
والله لاضرب صواريخ

واخلي العدو يصيح
والكل منا مريح
ابطال فتح الثوريه

ومن خلال أغاني المرأة في مناسبات الافراح الشعبيـــة ، انطلـق صوت المـــرأة الفلسطينية ، يحيي الطلائع الثورية الفلسطينية . كان ذلك في اواخـــر عـــام ١٩٦٧ واوائل عام ١٩٦٨ عندما بدأ الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يسمعون ان هناك تنظيمات فدائية فلسطينية ترفض وقف اطلاق النار وتغير على اسرائيـــل عبر الاردن وسوريا ولبنان . وبدأ الناس يشاهدون في شوارع بعض القـــرى والمـــدن العربية الشبان الفلسطينيين يرتدون الملابس المبرقعة ويتلثمون بحطـــات بيضـــاء مخططـــة بالسواد ويحملون اسلحة جديدة ذات مخازن معقوفة تعرف بالكلاشنكوف لم يعتـــد الانسان العادي رؤيتها من قبل ، وان هؤلاء الشبان يعرفون بالفدائيين . وكان مجرد رؤيتهم في الشـارع يجسد تطلع كل المهزومين الى أرضهم المحتلة . وقد دفع هذا المنظر المرأة في الوسط الشعبي المحافظ للخروج عن التقليد والتصريح بحبها للفدائي مـــن خلال هذا النص الغنائي النسوي :

هالفدائي يا ما احلاه / دخلك يما اعطيني اياه
في ايدي باروده / وفي ايده باروده / وع الحدود أنا واياه .

×

في أيدي مدفة / وفي ايده مدفه / وعلى برقه انا واياه

وقد تجاوزت المرأة الفلسطينية حدود الاعجاب بالفدائي الى اعلان رفضها للواقع والدعوة المباشرة للتحرير ، تقول أغنية أخرى بهذا المعنى :

ع الرمانيه ع الرمانيه / واحنا ما بنطيع لهالرجعيه
واطلعنا بسلاح ونزلنا بسلاح / حرروا ارتاح يا فدائيه
واطلعنا ببارود / وانزلنا ببارود
يلله ع الحدود / يا فدائيه

×

واطلعنا بلبس / وانزلنا بلبس
حرروا القدس / يا فدائية .

واعتقد ان اغنية :

ع الرباعية ع الرباعية / واحنا ما بنام ع الغلوبية

والتي تذيعها اذاعة [صوت فلسطين ـــ صوت الثورة الفلسطينية] مبنية على هذه الاغنية . واكثر من ذلك فربما كانت الاغنيتان تنبعان من اصـــل أغنية خليلية شعبية مطلعها :

ع الرباعية ع الرباعية

* * *

أما الاطفال ـــ أطفال فلسطين ، فقد حملوا الرد ايضا . ونأخذ هذا النموذج لـــرد الفعل على لسان الاطفال في رفض الهزيمة وهو أغنية هازجة علمهم اياها الفدائيون . وقد سجلت اهزوجتهم هـــذه في بيادر وادي السير حيث اقـــامت الجبهة الشعبيـــة

الديموقراطية خيمة للميليشيا بالقرب من موقف هزاع بالبيادر ، وأخذ شباب الجبهة يدربون الاطفال الفلسطينيين من أبناء ابو ديس ، دير ابان ، الولجة ، المسمية ، اكزازة ... وغيرها على التمرينات الرياضية والمصارعة وحمل السلاح والجري الطويل وهم يهزجون :

أنا وحش / جلت أناضل
من أجلك / أنت يا عامل
من أجل اخواني النازحين / والفقراء القادحين

وراحت أغنية اطفال أخرى يبدو أن مبدعها الاول من رجال الجبهة الشعبية :

شعبية شعبية / جبهتنا شعبية
والله لاعيدك يا بلادي / من اليه للميه

وفي هذه الاثناء ، وبعد مضي أشهر وجيزة من الهزيمة أخذت اذاعة صوت فلسطين ــ صوت الثورة الفلسطينية تستقطب انتباه الفلسطينيين واهتمامهم الشديد . وقد شدت هذه الاذاعة الجماهير الشعبية بتوجيهاتها الجريئة والمباشرة وأغانيها التي تضرب على اوتار قلب حزين . وكانت تلك الاغاني شعبية من حيث الشكل والمضمون تارة ومن حيث المضمون فحسب تارة أخرى .

ويجوز لنا القول بأن أغاني اذاعة « صوت فلسطين ــ صوت الثورة الفلسطينية » أصبحت البديل لدى جماهير « مخيمات المنفى » عن سهرات الافراح الشعبية . وصار الناس في الوسط الشعبي يرددون ويتناقلون تلك الاغاني كما كانوا يتناقلون أغاني الافراح الشعبية ، وعلى الاخص ما كان منها مبنيا على أصل شعبي .

وصارت تلك الاغاني هي المادة الغنائية الشعبية المكملة لاغاني الاشبال والنساء والاطفال التي تحمل مضمونا واحدا هو : « لا ... للهزيمة » . وفضلا عن ذلك فقد حملت أغاني الثورة ــ أقصد أغاني صوت فلسطين الميزات التي تجعلني ادرجها ضمن الاغاني الشعبية ذات الطابع الوطني ، وهي :

١ ــ المضمون المباشر ، شأنها في ذلك شأن النص الفولكلوري الذي يتوجه الى هدفه دون مقدمات ، مثل :

« يا قاتلين / دمكم حلال علينا »

ومثل :

« قدم / يا خسارة اللي بيده السلاح / وما يقدم »

ومثل :

« لاعمل سلاح / من صدري / واحمي رفيقي »

ومثل :

« أنا يا أخي / آمنت بالشعب المقيد والمكبل
وحملت رشاشي / لتحمل / بعدنا / الاجيال ... منجل »

٢ ــ مطابقتها لاهازيج المظاهرات الشعبية ، مثل :

« يا جماهيرنا الشعبيه / فجرنا الحرب الثوريه
بحجار وطواري / برصاص وشباري »

٣ ــ البناء الفني لهذه الاغاني على أصل شعبي ، اذ أن كاتبي كلمات أغاني الثورة الفلسطينية بحكم توجههم الى الجماهير الشعبية ، وبحكم انتمائهم الى الطبقة الشعبية المسحوقة ، فقد صبوا كلماتهم الجديدة في القوالب اللحنية الشعبية لتكون أقرب الى ذوق الجماهير واكثر تأثيرا في نفوسهم ، ومثال ذلك :

* **من لحن الدلعونا :**

« يا حيا الله ... رجال الله / وهذا هم الفلسطينيه » .

* **من لحن « المسيرة » :**

« يا شعب كبرت ثورتي / كبرت واحنا ثوارها
من قريتي لمدينتي / من نهرها لبحرها
يا أم الشهيد وزغرتي / كل الشباب اولادك » .

* **من لحن « أغاني العمل »**

« بايدي رشاشي / وبدي اظل ماشي
رشاشي ع اكتافي / فرشتي ولحافي
وارضنا المحتلة / ما بترجع بلاش » .

* **من لحن « يا احليوة طاب رماني »**

« جر المدفع فدائي / لا تستنى السياره
جرد علينا صهيون / اكتر من ميت طياره »

* **على لحن « أغاني النساء في العرس »**

« هي يا أحبابي / هنوني لا تعنوني
وجوزنا الليله مصيطف / نور اعيوني »
« حين يلوح البروتي / ما في عوقي
كلاشنكوفي يسابقني / يطير من شوقي »

* **على لحن « الطلعة »**

« طل اسلاحي / من جراحي / يا ثورتنا
طل اسلاحي / ولا يمكن / قوة في الدنيا
تنزع من ايدي سلاحي . »

٤ ــ تعبير هذه الاغاني بصدق وجرأة عن هموم الجماهير الآنية ومعاناتها اليومية ، ومسايرتها لنضال هذه الجماهير وطبيعته المرحلية . وذلك واضح في كل نصوص أغاني الثورة بلا استثناء .

٢ ــ بروز المنظمات الفدائية والفكر السياسي الفلسطيني

في هذه المرحلة تعكس لنا الاغاني الشعبية ذات الطابع الوطني بروز المنظمات الفدائية وافكارها السياسية وايديولوجياتها بوضوح . وصحيح أن منظمة التحرير الفلسطينية قد ظهرت للوجود بقرار من مؤتمر القمة العربي قبل حرب حزيران ، وصحيح أن حركة فتح انطلقت ايضا قبل حرب حزيران « مع شمس الخمسة والستين » ، لكن الاغاني الشعبية اعلنت قيام الثورة متأخرا وعلى الاخص بعد حرب عام ١٩٦٧ للاسباب التالية :

١ ــ اليد الحديدية للانظمة العربية قبل الحرب والتي منعت احتفاء الجماهير بظهور ثورتها .

٢ ــ تأخر تصاعد العمل الفدائي لاسباب عديدة ، مما كان له الاثر في تأخر الاحتفاء الشعبي .

٣ ــ بروز البندقية الفدائية وحدها في الساحة بعد صمت المدافع العربية بعد هزيمة حزيران مما ألهب مشاعر الجماهير وجعل الثورة « نجمها » الوحيد .

٤ ــ تأخر التأييد العلني للانظمة العربية لقيام الثورة واحتفائه بتصعيد اعمالها ، فمثلا سمعت اذاعة صوت فتح ــ صوت العاصفة بعد الحرب [١٩٦٧] وليس قبلها . واشاد عبد الناصر برجال الكرامة بعد معركة الكرامة ووصف اعمالهم بأنها بطولية وخاصة ملاحظته حول استعمالهم أسلحة بسيطة مثل ر. بي. جي اذا ما قورنت بأسلحة الجيوش العربية .

٥ ــ النصر المؤزر يوم الكرامة والذي جعل الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يسمعون بوضوح بوجود الثورة وبانتصارها على « دايان » مما اعتبره ذلك الوسط ردا له وزنه على الهزيمة . كما بدأ الناس يسمعون بوجود زعيم فلسطيني يذكرهم بزعامة « سيف الدين الحاج امين » ، وهو أبو عمار ــ ياسر عرفات .

وتتحدث الاغاني الشعبية عن ثلاثة من التنظيمات الفدائية : فتح ، الشعبية والديمقراطية . ولم أدون أية نصوص تتحدث عن تنظيمات أخرى . وتمتاز هذه النصوص بجرأتها اذا ما وضعنا في الاعتبار ان التنظيمات هذه نشأت بصورة اجمالية في مناخ لا يسمح بظهور التنظيمات الشعبية المسلحة . وأفضل مثال على ذلك هذا النص الذي سجله أحد مناضلي الجبهة الشعبية في مخيم سوف في ١٩٧٠/٧/٦ :

انا ابن الجبهه الشعبيه ... وعندي اراده قويه
وبهجم ع نص الجنزير ... ومدفع هالخمسميه

××

انا ابن الجبهه في سينا ... أنا ابن الجبهه في اثينا
وانت ابن الجبهه ع المينا ... وفوق الهضبه السوريه

××

أنا ابن الجبهه مخيم سوف ... تع تفرج تعال شوف
أعلناها ع المكشوف ... جبهتنا ماركسيه

××

انا ابن الجبهه ماركسي أصيل ... أنا ابن الجبهه ع اسرائيل
وانت ابن الجبهه مش بخيل ... عربي حامي اميه

وتظهر الاغاني الشعبية فخر الفدائي بنفسه ومجاهرته ، بموقفه وافكاره السياسية ، وتوضح هذه الاغنية مثل هذه المعاني ، وهي بعنوان « عنترة » ، والاغنية مبنية على لحن شعبي كان قد استعاره عبد الرحيم عمر كاتب كلمات أغنية « غندره » عن نص شعبي شبيه شائع في قرى طولكرم . تقول كلمات الاغنية :

عنتره مشي الفدائي عنتره
واللي يحب الموت يمشي عنتره

×

لاقتني جماعه ... وكلهم قناعه
بالطبقات الكادحه ... وقيادة الفقرا

×

وأنا من الشعبيه ومبادئي اشتراكيه
وانت يا اقطاعي كفايه سمسره

×

لاقتني دوريه من الجبهه الشعبيه
ودمرت دبابه ونص مجنزره

×

لا يزال بنذاكـر عبد الرحيم جابر
هو بسجنه صابر مهما صار وجرى

اما هذه المقاطع من هتافات المظاهرات والتي سجلهـا احـد مناضلي الجبهـة الديمقراطية ، فهي تحدد الخط اليساري خطا سياسيا ، وتوضح مبدأ اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة تحت ظل راية اليسار ـــ راية الحرية ، وتنادي بحـق الشعب وحده في تقرير المصير . اما النص فسجل في ربيع عام ١٩٧٤ بالقرب من مخيم صبرا ، مع بداية طرح فكرة « السلطة الوطنية الفلسطينية على أي جزء يتم تحريره من فلسطين » . ولقد رأينا كيف تحول هذا الشعار الشعبي الى مبدأ أقرته الثورة ، ثم اعترف به العرب في مؤتمر الرباط واخيرا اقرته الامم المتحدة . تقول كلمات هـذه المقاطع :

راية اليسار يا راية الحريه / من غار الغار يا جبهه ديموقراطيه
راية اليسار طيري لفوق وعلي / ومن كـل الارض لنطرد المحتل
نبني السلطه الوطنيه المستقله
راية اليسار علي لفوق وطيري / شعبي وحده اللي يقرر المصير

وكما أن فتح طرحت شعار « الفكر ينبع من فوهة البندقية » فان أغاني انصارهـا تدور حول رفض الهزيمة ومعانقة البندقية كوسيلة وحيدة للتحرير . وهذا نموذج لذلك المنطلق الفكري والذي سجل في صيف عام ١٩٧٠ في معسكر اشبال فتح بالقرب من مخيم البقعة :

لا تحزني يا فلسطين / عندك أشبال مدربين
عندك أشبال تريد الموت / واللي يموت خليه يموت
خليه يزور المقبره / يكون شهيد العاصفه

٣ ـــ الترحيب الجماهيري بالثورة

كثيرة هي الاشعار الشعبية التي أشادت بالثورات الفلسطينية المتعاقبة منذ عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٦٤ . وكثيرة هي المواقف التي أبرزت التعاطف الشعبي مع النضال الوطني ضد الانتداب البريطاني والاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي . أمـا الثورة الحالية التي يخوضها شعبنا وحرب التحرير الشعبية الطويلة الامد التي يخوضها ضد الاحتلال فقد لاقت تعاطفا جماهيريا بشتى الاشكال سواء على الساحة الفلسطينية او الساحة العربية . وأصبح الحكام العرب يقدرون أهمية العمل الفدائي في حماية شرف الامة العربية فضلا عن أنه دفاع عن فلسطين . ووجدت « ثورة الفاتح من كانون ٦٥ »

ترحيبا لا حد له من جماهير شعبنا والجماهير العربية في كل مكان . وحتى في أسوأ أيام الثورة وعندما كانت تتعرض للتصفية سواء وراء أسوار الاحتلال أو على الارض العربية كانت الجماهير العربية تشكل درعا واقيا للثورة ، وكانت الانظمة العربية مدفوعة بتململ جماهيرها تسارع لتحمي الثورة ، أو لترفع صوتها على الاقل في وجه دعاة التصفية . ولولا الترحيب الجماهيري الفلسطيني والعربي واستعداد الجماهير للموت من أجل حماية الثورة لما عاشت « ثورة الفاتح من كانون — ٦٥ » السنوات العشر من عمرها ، ولولا تلك الحماية الشعبية لاجهضت تلك التجربة كما أجهضت من قبلها تجارب القسام وأبو درة والحسيني ... الخ . ويجب أن نعترف بأن الترحيب الجماهيري والتعاطف الشعبي الذي تجلى بعشرات الالاف من الشهداء الذين استجابوا لنداء الثورة : « احم الثورة بدمك احم ... يا خوي ... واكسر باب الحل السلمي »، هؤلاء الشهداء الذين خرجوا من صفوف الطبقات الشعبية المسحوقة ، نقول انه لولا ذلك الترحيب والتأييد الشعبي لما رأينا « ثورة الفاتح من كانون — ٦٥ » تتحدث الى المجتمع الدولي عبر منصة الامم المتحدة من موقف حركة تحرير قوية مدعومة وفي شخص ياسر عرفات باني الخلية الاولى من خلاياها . ويجب القول بكل ثقة ان الجماهير الشعبية كانت تنتظر ميلاد ثورة لتهديها كل الحب والتعاطف والدم ، فما أن أعلنت « ثورة الفاتح من كانون — ٦٥ » عن هويتها :

هذه الثوره للملايين / للي شربوا الظلم سنين
للي جاعوا / للي مريو / لليتامى ... للثكالى
للي بسوق الذل انباعو

أقول ما أن سمع الجياع العراة والثكالى من الملايين بميلاد ثورتهم حتى أسرعوا يبنون كيان الثورة من أجسادهم ويمدونها بزخم لا حد له أوصلها بعد مضي عشر سنوات الى الموقع الذي يشرف على « مرحلة التحرير وبناء السلطة الوطنية على أرض الآباء والاجداد » .

ونحن ندعم ما نقول بهذه الطلعة التي سجلها الفنان الشعبي حسن وهدان عام ١٩٦٨ معبرا عن اندفاع جماهير الوسط الشعبي للتطوع في صفوف الفدائيين معللا هذه الرغبة الكامنة لديهم بأن كلا منهم « قلبه ملوع ع فلسطين » :

ايدي وايدك نطوع فدائيين / ع العوده قلبي ملوع لفلسطين

×

ايدي بايدك نصبح ثوار / ونخوض بحور الميه ونوصل للدار
وانا قبلك ضحيه نمحي للعار / نرجع أرض العروبة من الغاصبين

×

انت احمل رشاشك وانا المدفع / وطننا الغالي حتما لازم يرجع
بكره فجر الحريه لازم يطلع / نزرع تربة قريتنا نرجس مع تين
وشبل بلادي بيتعلم ع كلاشنكوف / وجيش الصهيوني سلم في قلبه خوف
اسأل عنا الاعادي ندحر الوف / ما بنهاب المنيه في الميادين

×

الثائر حامل لسلاحه اجتاز الانهار / العالم سجل لكفاحه بعز واكبار
ثوار العاصفه طاحوا وين الغدار / لازم نرجع وطننا نقسم يمين

×

اسأل عنا شعشاعة مع بيت فوريك / نهر الاردن الجاري عنا ينبيك
عنا مروا النشاما مثل البريق / ضربتهم قويـــه والها رنين

×

وع حيفا مروا وغاروا ع تل أبيب / وبترول وأشعل ناره شوق اللهيب
الثائر وجه صاروخه يضرب ويصيب / الحرب الشعبية امتدي مدى السنين
الشكوى والمذله ما بتنفع حد / الثائر أقدم ع العوده ومش راح يرتد
لازم أسلح عيلتنا امي والجد / حتى تصير كل العيله فدائيين

ويعكس الشاعر الشعبي الفلسطيني عبداللطيف العجاوي فرحة الجماهير بقواتها المناضلة التي « دمرت الاعدا تدمير » ، وتؤكد هذه الفرحة فرضية انتظـــار الشعب لبزوغ ثورته التي تدمر جلاديه وغاصبي أرضه وصانعي نكبته . وقد سجلت هـــذه المقاطع من هذه الطلعة في مبنى مؤسسة التلفزيون في جبل عمان في شتاء عام ١٩٦٩ ، واذيع جزء منها ضمن برنامج « فنون شعبية » . وفي هذه المقاطع يقدر الشاعـــر الشعبي الجماعات المؤازرة للثورة بأنها « في المية تسعة وتسعين » :

بالله ورسله ومؤمنين وبنصر قضيتنا / لازم ترجع فلسطين بقوة الله وقوتنا

× ×

شبابك يا فلسطين كلتهم فدائيين / في الميـــه تسعه وتسعين بيآزر قضيتنا

× ×

الفدائيه المغاوير دمروا الاعدا تدمير / سوف اتشوفو المصير ونرجع يا خي لديرتنا

× ×

عجاوي عبر تعبير ... الفدائي دق النفير / حمس كل الجماهير تا تستوي طبختنا

ويبدو التعاطف الشعبي بصورة اخرى مع الثورة عندمـــا تتعرض قوات الثـــورة ومخيمات اللاجئين لغارات العدو الحاقدة . ونرى هنا المغني الشعبي يعبر عن سخرية الجماهير المؤيدة من صوت المدفع المعادي والطيارة الغازية ، فكلاهما « ما بهدي الشعب الثائر » . وقد سجل هذا المقطع في سهرة عرس شعبي بمخيم الوحدات بعد الغارة الاسرائيلية بالمدفعية على مدينة اربد يوم ٤ حزيران ١٩٦٨ :

ثورتنا ثوره جباره تشبه ثورة الجزائر / صوت المدفع والطياره ما بهدي الشعب الثائر

ومن مظاهر التعاطف الشعبي مع الثورة تحيـــة مناضليها البارزين ، فأشـــارت العشرات من النصوص الى تحية أبطال الكرامة وبيت فوريك . كما تحدثت النصوص عن اكبار الفدائيين الذين تصدوا للهجوم على شاطىء الاوزاعي . ولا شك ان البحث المستفيض سيكشف عن العديد من النصوص من الاغاني الشعبية التي تحيي الرجال الذين زرعوا الرعب في قلوب المستوطنين الاسرائيليين واقضوا مضاجع الاحتلال . ومن أبرز الامثلة على ذلك قصيدة يحيي فيها الشاعر الشعبي محارب ذيب « البطلة الفدائية ... ليلى خالد » وهي تدل على تعاطف الجماهير وتأييدها اللامحدود للثورة، تحمل في ثناياها اشارات الى الدافع الوطني الذي يدفع فتـــاة عربية لان تركب المركب الصعب . ومطلعها :

حيوا لي بليلى خالد البطله الفدائيه

×

ليلى نزلت ع بيروت / راحت ع القياده تفوت
قالت والله لو بموت / لاسجل فدائيه

وهذا مثل آخر على التعاطف الشعبي مع الفدائـــي في بيت الدلعونا الذي يصور شهيد الكرامة وقد استقر في قصر في الجنـــة « مقصور بشيد » دلالة على النقـــاء والطهارة :

شهيد الكرامة غنى قصيده / وقصري في الجنة مقصور بشيد
أنا طالب من ربي العالي المجيد / تتحرر بلادي بأسرع ما يكونا

٤ ــ الزعيم الشعبي للمرحلة

كانت موافقة عبدالناصر على مبادرة روجرز السلمية المناسبة الوحيدة التي بدا فيها الرئيس جمال عبدالناصر على غير صورته الطبيعية في الاغنية الشعبية الفلسطينية لهذه المرحلة ، تلك الصورة المشرقة التي تبرز الزعيم الراحل بصفته المدافع الاول عن حقوق شعب فلسطين وأمله في التحرير والعودة . وفي تلك المناسبة ورد الحديث عن موقف عبدالناصر على انه موقف أمريكي في أهزوجة مظاهرات في عمان ١٩٧٠ أثناء زيارة سيسكو للاردن عام ١٩٧٠ ، وعندما هبت الجماهير الشعبية بقيادة الثورة تحتج على مبادرة روجرز وزيارة سيسكو . وبلغت ذروة اعمال الاحتجاج في احراق المركز الثقافي الامريكي في جبل عمان :

هذا الموقف مش تكتيكي / هذا الموقف صنع أمريكي

وكانت تلك الاهزوجة ترد على ما قيل في حينه مـــن أن مصر وافقت على مبادرة روجرز موافقة تكتيكية فحسب .

وفيما عدا ذلك ظلت صورة عبدالناصر مشرقة في وجدان الشعب الفلسطيني ، وظل اسمه يعطر الاغنية الشعبية الوطنية الفلسطينية ، على اعتبـــار ان نصير الشعب الفلسطيني وحامي حماه ومعلمه الثورة ، وهذا مقطع مـــن أهازيج مظاهرة تشييع جنازات شهداء ١٧ ــ ٧٢/٩/١٨ في جنوب لبنان يتحدث عن عبدالناصر المعلم الثوري:

علمنا عبد الناصر ضرب النار / النار النار ع القنال / والنار النار في الجنوب

× ×

مين اللي رد العدوان / غير الثوار
غير الاخوة الفدائيه / ع خط النار
في لبنان ... في القنال / حتى تعيش العروبيه
سلاح وتنظيم / نربح في الميه ميه

وقد فجع الشعب الفلسطيني فجيعة كبرى بوفاة الرجل الذي ظلوا يعتبرونه زعيمهم وزعيم الامة العربية . وقد ربطت الاغنية الشعبية الفلسطينيـــة بين الفجيعة بوفاة الزعيم والآمال التي كانت مبنية عليه في تحرير الارض المحتلة . لقد ذهب الزعيم تاركا المدافع مشرعة على القناة ، وترك الشعب في الارض المحتلة بين اليهود بلا سند :

كل المدافع ع القناه خلاها / يهود قدامه غنم طحاها

×

كل المدافع ع القناه مرميه / يهود قدامه غنم مطحيه

×

رئيسنا يللي عليك المعتمد / خليتنا بين اليهود بلا سند
رئيسنا يللي عليك اللوم / خليتنا بين اليهود والقوم

وكثير من الناس في الوسط الشعبي اعتبروا وفاة عبدالناصر مفاجئة وغير طبيعية ، وانها جاءت في غير أوانها . وان الزعيم مات حزنا وكمدا على ما قاساه شعب فلسطين وطلائعه المقاتلة ، وهذه الاغنية تجسد تلك المعاني وقد ربطت بين وفاة الزعيم واخر عملية سياسية قام بها في حماية العمل الفدائي من التصفية :

ركبوا المدافع على ظهر الميه / صارت يا قشلكن ع الفدائيه
ركبوا المدافع ع ظهر النهر / جمال يا قشلكن انقهر قهر

ولا يرى الانسان الفلسطيني — كما تعكس أغانيه الشعبية — بعد وفاة عبدالناصر من يملأ كرسي الزعامة ، ولذلك تصور هذه الاغنية الشعبية النسوية كرسي «أبو خالد» مجللا بالجوخ والسواد لعدم وجود من يملأها :

كرسي أبو خالد جللوه بالجوخ / بعد الرئيس ما حلي لي شيوخ
كرسي أبو خالد جللوه بسواد / بعد الرئيس ما حلي لي جواد

وحتى بعد وفاة الزعيم العربي عبدالناصر ظل في وجدان الشعب الفلسطيني حاميا لاهداف الجماهير وطلائعها الثورية ، وبذلك تقول مقاطع من أهازيج المظاهرات :

يا نميري قول يا زين / عبد الناصر راح وين

وتقول الاهزوجة على لسان النميري مطمئنة الجماهير :

عبدالناصر وصى وصيه / ديروا بالكو ع الفدائيه

وفي وقت ما بعد وفاة عبدالناصر بدأت تفرخ أغنيات تتحدث عن زعيم جديد يتوجه الوجدان الشعبي نحوه بالتحية والاكبار ، ويعلق عليه آماله . ونجد أن الزعيم هذا هو ياسر عرفات زعيم فتح ثم رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والشخصية التي تجمع كافة زعامات فصائل المقاومة على انها تجسد آمال الشعب الفلسطيني في العودة والتحرير . ولهذا الزعيم يغني الفنان الشعبي محارب ذيب مرسلا له ثلاث مرحات من داخل الارض المحتلة . وقد سجلت له هذا البيت من العتابا في عمان (١٩٧٤) :

لاهل الشرق أنا لاتم يسير / وخلوا لي موكبي للفن يسير
أوف تلات مرحات مني لك يا ياسر / يا ابن عرفات قائد ع الشباب

وفي هذا البيت من العتابا يعبر الشاعر عن فخره بالزعيم ياسر عرفات ورجاله الذين حطموا أسطورة الفانتوم بصاروخ سام :

يا ابن عرفات قل لي كيف أنتم / جيوش الخصم في الجولان كفنتم
قال أعدانا شكلوا طائرات فانتوم / وعند « سام » الفتح ما الهن حساب

٥ — لوم الانظمة العربية

ينطلق عتب الشعب الفلسطيني على الانظمة العربية في دعمها له من موقف شعبي بدائي يفترض أن « ابن العم » ملزم بنجدة ابن عمه عندما يكون في ضيق أو بحاجة للعون ، وحتى لو كان العون مجرد مساعدة في « عقد سقف بيته » .

وبهذا المعنى يغني الفعلة عند العقد كلمات تحمل معاني العتب على أبناء عمومتهم اذا تأخروا في الحضور للمعونة :

عيب على اللي دشر ابن عمه / ما بين نارين واقع
يا بيط لا ترغبنش / يا لابسات البراقع

وتبدو الانظمة العربية في الاغنية الفولكلورية الفلسطينية المقاومة لهذه الفترة بمظهر الانظمة المقصرة . وهذا المظهر هو امتداد لتصورها منذ معركة عام ١٩٤٨ وما قبل ذلك . وقد لام المغني الشعبي الفلسطيني كل الانظمة العربيـــة في شخص الجامعة العربية بعد اجهاض ثورة ١٩٣٦ . بذلك قال :

لومي ع الجامعه / ما تمدنا بسلاح
احنا علينا الحرب / وجيوشها ترتاح

ومن القصائد الطويلة التي تنحي باللائمة على الانظمة العربية هذه القصيدة التي سجلها مسؤول مكتب الجبهة الشعبية في مخيم غزة (جرش) في صيف عام ١٩٧٠ بعنوان يا قوى اليسار :

يا قوى اليسار / يا قوى اليسار / يلله نثار للعروبه / ونحرر الدار

×

قادة ثورتنا / قادة ثورتنا / بروليتاري هالحكيم / اشلون انام
خلي هالرجعي يولي / ويلاه ويلاه / من قوى اليسار / يا قوى اليسار

وبعد ذلك تأخذ الاغنية في تعداد الانظمة العربية نظاما نظاما تلومها وتقرعها على تقصيرها ازاء مقاومة الاحتلال .

ومن نوع اللوم الموجه لكافة الانظمة العربية ، دون تخصيص بالاسم ، هذا العتاب الشديد الموجه للاشقاء العرب بمناسبة الهجوم الاسرائيلي الوحشي علـــى مخيمي البداوي والبارد ونسف الطائرة الليبية في الجـــو بالقرب من قناة السويس و« الليلة الاسرائيلية » المشهورة ، ليلة اغتيال كل من قادة الثورة : محمد يوسف النجار ، كمال ناصر وكمال عدوان . وتقطر لهجة الاغنية الشعبية بالسخرية المريرة دون أن تصرح بمن تسخر ، تقول كلمات الاغنية التي سجلت في ربيع عام ١٩٧٤ بالقرب مـــن مخيم صبرا :

يوم البداوي والبارد / ونسف الطائره الليبيه
مندوبهم في وشنطن قاعد / ينتظر حل القضيه
ويوم صبرا والاوزاعي / أعلن أسفه في برقيه

أما مندوبهم هنا، فقد قصد به مندوب أي دولة عربية في الامم المتحدة سمع بالاحداث الجسام ، وظل يواصل اتصالاته من أجل الحل السلمي . وبالطبع فان المعنى العام للأغنية يشير للأنظمة العربية التي شاهدت وسمعت بملء آذانها كيف يذبح الشعب الفلسطيني في مخيمي البداوي والنهر البارد ، وكيف يذبح قادته في بيروت عندما أنزل العدو رجاله من الشاطىء الى المدينة ، دون أن يبادر أي نظام عربي للرد العسكري ، بل استمروا يتابعون الحوار في أروقة الامم المتحدة ... في وشنطن !

وتكمل كلمات الاغنية موضحة كيف أن البندقية الفلسطينية ظلت وحدها ترد :

شفتو الثوار عملوا أيش / دافعوا بذلوا الارواح
هربوا العدا وتركوا سلاح / صوره في الصحف اليوميه

وهذه الاشارة لما حصل يوم الانزال على شاطىء الاوزاعي واغتيال قادة الثورة ،

عندما هرب المعتدون الاسرائيليون تاركين سيارات العدوان على الشاطىء واسلحتهم التي ظهرت صورها في صحف اليوم التالي في بيروت .

وتصف الاغاني الشعبية الفلسطينية الانظمة العربية بأنهـا « أنظمة الصمت » وتتهمها بأنها ترى الثوار يذبحون في الداخل والخارج وتصمت . ويكون الصمت اما على شكل ستار اعلامي يحجب الحقيقة عن أعين الجماهير العربية أو بالتقاعس عن نجدة الثورة وهي في أحلك مواقفها ، بهذا المعنى تقول أهزوجة سجلها سالم ، أحد شباب الجبهة الديموقراطية في مخيم صبرا :

الصمت العربي يخدم مين / غير أهداف المحتلين
يا أنظمة الخامس وينك / وحل الغاصب غطى عينك
يا أنظمة الصمت ابتعدي / ويا ثورتنا اشتدي اشتدي

وربما كانت أكثر عبارات اللوم مرارة هي التي قيلت في هتافـات تظاهرة ثوار فلسطين وانصارهم اللبنانيين عند تشييع جنازات قادة الثورة الذين اغتيلوا في ١٠/٤/ ٧٣ ، في بيروت :

ما اجو بالغواصات / ولا اجو بالطيارات / دبروا لهم سيارات

وتشير كلمات الهتافات الى أن العناصر التي اغتالت كمال ناصر ، كمال عدوان وأبو يوسف لم تكن من قوات العدو التي نقلتها غواصاته او طياراته بل مـن العملاء السريين الذين كانوا في بيروت ووضعت تحت تصرفهم سيارات محلية .

هذا ما رسمته الاغنية الشعبية الفلسطينية من صور للأنظمـة العربية في هذه المرحلة . وما من شك في أن أغانينا ستتحدث بلسان الشكر والعرفان للموقف العربي المشرف في مؤتمر الرباط وأثناء مناقشة الامم المتحدة للقضية الفلسطينية في أواخر عام ١٩٧٤ ، عندما وقفت كافة الوفود العربية بلا استثناء موقفا مشرفا أدى الى الاعتراف على المستويين العربي والدولي بمنظمة التحريـر الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني وحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم واقامة سلطتهم الوطنية ، ودخول مندوبي المنظمة الفلسطينية في كافة أجهزة الامم المتحدة كمراقب .

٦ ــ الدعوة لمواصلة القتال

ظلت الاغنية الشعبية ذات المضمون الوطني تصور الانسان الفلسطيني داعية لمواصلة القتال ، على اعتبار انه واقع تحت تأثير قضية ظلم اجتماعي وسياسي مريع ، وانه لا مجال للتفاهم مع ذلك النوع من الاستعمار الاستيطاني الذي مارسته الامبريالية الامريكية من خلال رأس الحربة الصهيونية . وكذلك فليست القضية خلاف عقائدي أو خلاف حدود ، بل هي قضية مصير شعب بأكمله في أن يكون أو لا يكون ، وهي قضية استعباد الامة العربية كلها واخضاع ثرواتها لنهب رجالات الرأسمالية الامريكية ، وقضية وجود اسرائيل كجسم غريب على الارض العربية . ولذلك أحس الوجدان الشعبي الفلسطيني بأن لا أمل هناك بالتفاهم مع اسرائيل وأن مواصلة القتال هي الحل الامثل . ولذلك رفعت الثورة شعار : « ثورة حتى النصر » .

ومن ذلك الحشد الهائل من الاغاني الداعية لمواصلة القتال هذا البيت من العتابا الذي ارتجله عطية النعليني أمام جمهور حاشد في الكلية الاسلاميـة بعمان في أمسية الفولكلور الفلسطيني ضمن الاسبوع الثقافي لفلسطين والذي أقيم في أيار ١٩٦٩ :

اذا تردوا على شوري ورايي / لترفع للحرب بيرق ورايه
أنا قدامكو وامشو ورايي / وأنا اول ضحية للعرب

وعندما انتهى عطية النعليني من القاء بيت العتاب زلزل التصفيق وهتاف الاستحسان جنبات قاعة الكلية الاسلامية لان الشاعر « حك لهم على جرب » .

وقد حسم الانسان الفلسطيني موقفه من قضية الحلول السلمية ، بذلك تشهد هذه المقاطع من أهازيج تظاهرة تشييع شهداء الثورة بعد العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان في ١٧ ــ ٧٢/٩/١٨ :

ما بيمحي العار الا النار الثوريه / لا مجلس أمن / ولا حلوله السلميه

ثم تجلى الاصرار على مواصلة القتال مهما كانت النتائج ، وتوحي كلمات الاهازيج بأن مواصلة القتال مكلفة ، لكنها خط مبدئي لا رجعة فيه ، وهي أيضا مواصلة للقتال من أجل الشهداء الذين رحلوا ، ومن أجل القادة الذين ظلوا يحملون الراية ... وهكذا تقول مقاطع أخرى من أهازيج التظاهرة نفسها :

يا أبو علي / لعيونك والعكازه
ما راح نوقف / لو في كل يوم جنازه
يا أبو عمار / لعيونك والكوفيه
ما راح نوقف / كلنا فدائيه .

وفي أغاني الثورة التي تذاع من اذاعة صوت فلسطين ، تبدو المعادلة نفسها التي رأيناها في أهازيج الشعب العفوية ، وهي الاصرار على القتال حتى لا نعيش طول العمر ونحن نحمل اسم « لاجئين » ، والاغنية من الكلمات الجديدة المصبوبة في قالب لحني فولكلوري فلسطيني هو لحن « المحورية ــ المسيرة » :

بارودتي ذراعي اليمين / ورصاصي حبات العيون
وابوي قال لي يوم ما مات / اتعلموا من الزيتون
وقاتلوا وانتو واقفين / ولا تعيشوا لاجئين
تتحقق النصر المبين

نعم ... انها نفس الدعوة « قاتلوا ... تتحقق النصر المبين » . وحتى الشهيد الذي يسقط على الثرى الفلسطينية أو ساحة النضال الفلسطيني في اي مكان من العالم ، نسمع صوته مجلجلا ينادي بالاستمرار في القتال ... من أجل أن يرى لحظة الانتصار بعيني رفيقه :

استمروا / يا رفاقي / استمروا
وأضيئوا من دماتي شموع النهار
واستمروا / لا يهم المقاتل / حين يضحي / ان يرى لحظة الانتصار
سأرى لحظة الانتصار
بعيني رفيقي واستمروا

ونسمع الفدائي ينادي رفيقه من وراء الحجب ، داعيا اياه للاستمرار :

قلبي مر / وقلبك مر

وفي أغنية أخرى تتحدث على لسان الشهيد وتقول ان الشهيد البطل يريد منا لنضمن استمرار المعركة استعمال عظامه ولحمه في صنع أسلحة النصر :

سئوا عظامي / سنوها / سنو سيوف
وعبوا لحمي / عبوني / قنبلة مولوتوف

والاغنية مبنية على لحن فولكلوري فلسطيني من أغاني المسيرة تقول كلماته : « يا ويل اللي نحاربه ، بالسيف نقطع شاربه » .

ومن **الحكاية الشعبية الفلسطينية** نستمد شاهدا اخر على اصرار الشعب على مواصلة القتال في هذه الحكاية ، وقد روى الحكاية خضر الديرباني في بيادر وادي السير في عام ١٩٧٣ .

قال خضر الديرباني :

« هذا يوم صارت في الكرامة ... يوم الفدائية اعتلقوا مع اليهود . عاد تاني يوم مات ناس ... من أهل المخيم وفدائيه .. جابوا واحد من الشهدا ع الوحدات . عاد جابوه ع الدار . بمدينت بدهم يطلعوه ع مقبرة الشهدا هاي اللي من جاي الاذاعة . اجوا جابوا روفر من تبعون الفدائية مشان يحملوه . طلع فدائي مشان يسوق السيارة..ما بدهاش تمشي . جربوا غلبوا...ما فش فايدة . السيارة ثقيلة .. كانها حملة الف طون . قعد الفدائي يدعس ع تبعة البنزين تامنها لزقت ع الصاجة . مـا فش فايدة . الناس استغربت . قالوا كنها السيارة خربانة . بدلوها . وحطوا الشهيد في روفر جديد طخ . وطلع شفير أخو أخته ... دعس ع البنزين ... جرب ... غلب ... ما فش فايدة ... بدهاش السيارة تمشي . مش راظية تعشق.... أكثر من ميت فدائي دفعوا السيارة مشان تدحل وتشتغل . ولا قدروا يزحزحوها سانتي ازغير . السيارة ثقيلة زي الجبل . بعدينت شو بدهم يسووا تحيروا .

اجا اختيار كاهن . قالهم انا بقول لكم شو لازم تسووا .

قالوا له : هات تا نشوف

قال : اسمعوا

كل هالناس نصتت

قال جيبوا ابن الفدائي . ولبسوه بدلة اشبال ... وحملوه كلاشنكوف .

قالهم قعدوه في السيارة .

قعدوه في السيارة بجنب أبوه .

طلع فدائي يسوق السيارة . لحس نتنة بنزين . مشت السيارة .

شايف يا ابو خالد ما بدوش مسكين يروح ع المقبرة تامنيته يعرف ان ابنه لازم يصير فدائي مثله . هذه صارت في الوحدات . وأنا شفت الشهيد . »

وخلاصة الحكاية ان الفدائي لم يرد الذهاب الى القبر الا بعـد أن تأكد ان ابنه سيأخذ مكانه .

وذكرت لي الحاجة تودد عبد الهادي ما يلي : « أنا كنت في السلط ... كنت مكلفة باستقبال الفدائيين بعد معركة الكرامة . كنت أول انسان بلاقيهم بعد المعركة . حكوا لي أن طيور بيضا ... وأشباح بيضا ... وحمام أبيض كانت تحارب معهم . أكثر من فدائي حكى لي هذه الحكاية » .

كما أكدت لي أم اسماعين من العيزرية (٦٥ عاما) ان هذه الرواية شاعت بعد معركة الكرامة . ولا يسع أي دارس للمسألة الا أن يصدق ان مثل تلك الحكايات يمكن أن تتناقلها السنة الناس في الوسط الشعبي . ويمكننا تفسير ذلك بأن الناس الذين بهرهم النصر يوم الكرامة أرادوا أن يعزوا النصر الى معونة ملائكة الله لابنائه البررة

الكرامة ، بأن أرسل الله ملائكته لتحارب مع جند الحق . وكان من الصعب على الوجدان الشعبي أن يستوعب فكرة انتصار عشرات من الفدائيين على « جيش الحرب الصهيوني » الجرار المحمول والمدعوم بالطيران وخطوط الامداد الهائلة .

ومن ناحية أخرى فانه يجب أن نذكر أنه من الثابت تاريخيا ان شهداء الكرامة لم يرسلوا الى الوحدات ، بل رأسا الى مقبرة الشهداء في جنوبي عمان . وهذا يدل على ان الحكاية هي مجرد انموذج عن الفكر الشعبي وتصوره بأن الشهيد ينادي بكلمات غير مسموعة بفكرة استمرار الثورة ، وانه اذا مات شهيد يجب ان يحل محله آخر ، وكأننا نسمع الشهيد يقول لابنه : « أنا ان سقطت ... فخذ مكاني » وبهذا المعنى تقول احدى أغاني الثورة الفلسطينية المبنية على أصل شعبي :

وان مات منا شهيد واحد / بيجي في مكانه ميه ...
يا حيا الله / رجال والله / وهذا هم الفلسطينيه

أما ترحيب شعبنا بحرب اكتوبر ، فهو اكبر دليل على الرأي العام الذي يتبناه في « مواصلة القتال من أجل التحرير » ، لقد هز العبور المصري الى سيناء والاستبسال السوري والمشاركة العربية الاردنية والكويتية والسعودية والمغربية والليبية واليمنية ... هز كل ذلك وجدان شعبنا ... وأثار في نفسه الامال في تحطيم دولة العدوان الاسرائيلي واستعادة الارض المغتصبة . وبرزت حرب اكتوبر كنقطة انعطاف في تفكير الناس بأن دولة العدوان ستسقط يوما ما ، وان المسألة مسألة وقت . وقد رفعت الحرب معنويات شعبنا وساهمت في تشاؤم مستوطني العدو وتوقعهم لمصيرهم المحتوم في الانهيار . وحول هذه الحرب لدينا قصيدة من شعر محارب ذيب سجلت في تشرين الثاني من عام ١٩٧٤ في عمان وفيها يشير الشاعر الى أن الحرب كانت من أجل تحرير الاقصى ، وفيها تجلت وحدة الامة العربية . والشاعر يشير من طرف خفي الى صلابة الموقف العربي المدعوم بثرواته النفطية ؛ ففي قدرة ابن سعود كما يقول الشاعر ان « يحرق وشنطن حريق » . ويختم قصيدته بتحية « رجال الصواريخ » الذين دمروا طائرات العدوان الاسرائيلي وحطموا أسطورة التفوق الجوي للعدو . ويجب أن تؤخذ ملاحظة الشاعر هنا من زاوية صلتها بناحية ظلت تؤرق وجدان الشعب ابتداء من حرب حزيران ٦٧ عندما سيطرت على وجدان الجماهير عقدة الخوف من « طيارات دايان » . يقول محارب :

يا أقصى أعط الايعاز / واحنا رجالك بنلبيك
يا أقصى يا اقصانا / ان انسيناك ما بتنسانا / قصدنا احنا ومانا / يوم العيد نصلي فيك

×

تحيا ليبيا والجزائر / بحيوا في الشعب الثائر
أقسموا بعبدالناصر / يا أقصى لازم نحميك

×

فليحي شعب المغرب / حقيقه شعب بينحب / سكروا باب المندب

×

يا نكسون خنت العهود / مليت الدنيا نقود
اذا يزعل ابن سعود / بحرق واشنطن حريق

×

أمير الكويت أنشد وقال / شدوا الهمه يا أبطال
من الغرب اسحبوا الاموال / لا تخلوا ولا متليق

×

سجل واكتب يا تاريخ / حي ارجال الصواريخ
الخائن لنه في المريخ / لازم يطوق تطويق

وتتجسد رغبة شعبنا الجارفة في مواصلة القتال وتحطيم دولة العدوان والاحتلال بهذه التحية التي يبعثها الفنان الشعبي راجح السلفيتي « للجندي المصري » الذي عبر قنال السويس في معركة اكتوبر ، والذي حطم خط بارليف كما تحطم الفخارة . وراجح السلفيتي فنان شعبي فلسطيني ملتزم بقضية شعبنا يسمع صوته عادة كتعبير عن موقف شعبي في لحظات النشوة والمحنة، اما هذا المقطع من الشعر الشعبي الذي قاله راجح السلفيتي فأرويه عن منير ناصر (حزيران ٧٤) :

خط بارليف ابتجهيزه العمري / وبتحصيناته الجباره
تحت أقدام الجندي المصري / تحطم زي الفخاره .

ونحس بمدى الاهمية العظمى التي يعلقها الوجدان الشعبي على مسألة مواصلة القتال من ردود الفعل التي يبديها النـاس ازاء معارك المواجهـة التي يخوضهـا الفدائيون ، وتخوضها القوات العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي . ومن هذه المعارك :

معركة الكرامة : لقد سجل الوجدان الشعبي الفلسطيني يوم الكرامة كيوم من أيام النصر العربي المؤزر ، واعتبره يوم بداية التحرير وانهاء اقامة الغاصب والخلاص من عقدة الفرارية لدى المقاتل العربي أمام الجندي الاسرائيلـي . كما اشاد بالصمود الرائع والبسالة العظيمة التي أبداها الفدائي الفلسطيني والجندي الاردني في ردع العدوان الاسرائيلي يوم الكرامة :

بأرض الكرامه / سطرنا النصر
بأرض الكرامه / ما في اقامه
للجيش الغاصب / ما في اقامه

وقد لاحظ المغني الشعبي ان الفدائيين حاربوا كقوة انتحارية يوم الكرامة ، ولذلك فهو يحيي تلك الطلائع التي ردت اعتبار الامة وكرامتها بتضحياتها البالغة ، وهو يقول بهذا المعنى :

لولا الفدائي ما ظل النا كرامه / المولى أوهبه من عنده كرامه
هو اللي صان الشرف يوم الكرامه / ولولاه الاعادي ما تحسب حساب

وقد اعتبر الوجدان الشعبي معركة الكرامة كنقطة انطلاق للثـورة وبدء مرحلة استقطاب الجماهير حولها . كما يتضح في المرويات الشعبية الفلسطينية المبكرة في الفترة التي ندرسها احساس بأن هذه الثورة ـ ثورة الفاتح مـن كانون ـ ٦٥ ـ سيكتب لها النجاح ، وانه لن يقف في وجهها تآمر « الاعور مع ويلسون » ، وان هذه الثورة ستكون جارفة ومدوية تملأ أسماع العالم . وهذا هو الذي حدث ، لقد سمع هذا البيت من الدلعونا بعد فترة قصيرة من معركة الكرامة عام ١٩٦٨ وعندما كانت الثورة في مهدها ... وقد اثبتت السنـوات اللاحقة ان البطـولات الفدائية فـوق الساحتين الفلسطينية والعربية ، وفوق كل مكان من هذا العالم جعلت قضية الشعب المشرد تصل الى أسماع العالم وتحتل الصدارة في محادثات الشرق والغرب ... ثم

نكتسب خمسة وتسعين من أصوات ممثلي العالم في الامم المتحدة الى جانبها باعتبارها قضية حقوق شعب يطالب بتقرير المصير على أرضه ، وتلك هي نبوءة شاعرنا الشعبي :

انطلقت ثورتنا ويسمعها نيكسون / نحرر وطنا وع ترابه نسكن

سافر الاعور يحكي لويلسون / خايف ثورتنا تشمل الكونا

معركة جويا : جويا بلدة في جنوب لبنان صمد فيها الفدائيون الفلسطينيون اثناء العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان (٧٢/٩/١٨) وقد ترك الفدائيون الجيش الاسرائيلي يدخل القرية ويصل الى وسطها دون أن يحركوا ساكنا ، وبعد ذلك « فتحت جهنم كل أبوابها » كما قالت الغارديان البريطانية في ٧٣/٩/٢١ . وسقط فورا تسعة من القتلى والجرحى الاسرائيليين . وهذه المقاطع من هتافات مظاهرة تشييع جنازات الشهداء الفلسطينيين بعد الحادث تسجل فرحة الجماهير وتحيتهم للرجال الذين حموا جويا من الاحتلال ، والذين يقفون في « وسط اجويه » وفي الجنوب اللبناني بالمرصاد لقوات الاحتلال ، ومن هناك ينطلقون ليقضوا مضاجع جنود الاحتلال على الثرى الفلسطينية :

وحدة ثوار	فدائيه
على الجنوب	فدائيه
في وسط اجويه	فدائيه
في الهباريه	فدائيه
ع الخوانين	فدائيه
ع الصهيونيه	فدائيه
ع المتآمرين	فدائيه
ع السفاحين	فدائيه
ردوا اليهود	فدائيه
بنار وبارود	فدائيه

٧ ــ الصمود في وجه الاحتلال

قليلة هي النصوص الغنائية الشعبية التي تتوفر لدينا عن صمود شعبنا في وجه الاحتلال الاسرائيلي ، لكن الاخبار الشعبية المتواترة تدل على ان الشعب يمارس رفض الاحتلال في كل مناسبة . ومن الامثلة على ذلك تلك الزحوف الشعبية التي توالت على بلدة بير زيت في اليوم الذي تلا « الليلة الاسرائيلية في بيروت » والتي اغتيل فيها زعماء الثورة محمد يوسف النجار ، كمال عدوان وكمال ناصر . وقد توافدت الوفود الشعبية على آل ناصر في بير زيت لتقديم التعازي بوفاة المناضل كمال ناصر . وقد ظل جنود الاحتلال يمنعون الوفود من الدخول الى البلد حتى بعد ظهر ذلك اليوم . واخذت تتزايد الجموع الشعبية في مداخل البلد والحقول المحيطة بها قادمة من كل مكان من الضفة المحتلة الى أن اضطر جنود الاحتلال للسماح للناس بدخول البلد . ثم سار الجميع في مظاهرة صامتة توجهت الى الكنيسة لاداء الصلاة على روح ابن بير زيت كمال ناصر والشهداء رفاقه .

وهناك مثل آخر ... حكاية تلك المرأة العجوز العمياء التي جاء جنود الاحتلال لينسفوا بيت ابنها عقابا له على تعاونه مع الثورة الفلسطينية . ونفذت عملية النسف .

ثم طلبت المرأة العجوز ممن كانوا حولها أن يجعلوها تقترب من جنود الاحتلال ... حتى أمسكت بكتف واحد منهم وأخذت تنشد ما وعته ذاكرتها من انشودة : أنا صامد ، التي تذاع من اذاعة صوت فلسطين :

أنا صامد / صامد / أنا صامد
ان هدموا بيتي / يا بيتي في ظل خطاك أنا صامد

وهناك حكاية اخرى ، حكاية المقاومة السلبية التي أبداها طلبة كلية بير زيت ، وتحدث عنها الشاعر الشعبي راجح السلفيتي . والحكاية أن سلطات الاحتلال أغلقت كلية بير زيت بحجة انها تقوم بنشاطات ضد الاحتلال . وبادر طلبة الكلية بالذهاب الى رام الله (مركز اللواء) وأخذوا يكنسون شوارع المدينة بالمكانس كتعبير عن احتجاجهم على اغلاق الكلية ، وكذلك للتدليل على انهم لا يقبلون ان يقبعوا في البيوت ، بل انهم خلقوا للخدمة العامة مهما كانت . وبهذه المناسبة قال الشاعر الشعبي راجح السلفيتي :

شفتك بالشارع بتكنس / والهيه ما انت زبال
هاي مكانس مش مدافع / وليش خايف يا احتلال

ويعكس الشاعر الشعبي محارب ذيب روح التحفز للتحرير والصمود في وجه الاحتلال بهذه المقاطع من قصيدة طويلة سجلها في عمان في خريف ١٩٧٤ :

لو ما عنا غير القوت / ابنصمد في أراضينا
وبدنا نجاهد حتى نموت / لاخر رجل فينا

×

اسمعوا مني الكلام / القدس يا دار السلام
ع الذل احنا ما بنام / الموت ببوز المرتينا

×

أي ما ننسى الرملة واللد / امبكره العرب بتستعد
الكل بسلاحه بهد / وبنجازي أعادينا

×

وما ننسى حيفا ويافا / ابنرجعهن بشرافه
بكره العرب بتتصافى / وبنحرر أراضينا

×

لازم يوم من الايام / ندعس عركات الظلام
ادربنا على الالغام / وكلاشنكوف بيدينا

وجدير بالملاحظة ان نسجل هنا تفسير أهل الارض المحتلة لمسألة الصمود . ان استجواب العديدين من القادمين من وراء أسوار الاحتلال يشير الى أن احساس الفلسطينيين بالصمود يتزايد تبعا للانتصارات التي تحققها القوات العربية والفدائيون في المناسبات المختلفة . وكذلك فان الروح المعنوية التي يتحلى بها الناس هناك تتأثر بمدى ما يحققه الفدائيون والعرب من انجازات على درب التحرير سواء على المستوى القتالي أو السياسي . ومن المناسبات التي ذكرها القادمون على انها تعين على صمودهم : حرب اكتوبر ، معركة الاستنزاف السورية للجيش الاسرائيلي بعد اكتوبر ،

قرارات الرباط ٧٤ ومعارك المواجهة المشرفة التي يخوضها الفدائيون ضد قوات الاحتلال . وهاتان اغنيتان سجلتهما صبية غزاوية في مخيم نازحي قطاع غزة بالقرب من جرش ، تربطان مسألة الصمود بقوة الفدائي :

تتحدث الاغنية الاولى بافتخار وسعادة عن الفدائي الذي يتنقل عبر الارض العربية، مبرزة سعادة الشعب بطلائعه المقاتلة التي أخذت تبرز وتنمو وتثبت وجودها على الساحة العربية . وكأن الاغنية تقول لنا ان الشعب صامد بفضل دعم وقوة اولئك الابطال ــ الفدائيين . تقول كلمات الاغنية :

بالقناني يا زارعات الورد / بالقناني فتح وما شاء الله
ع لبنان سافر الفدائي / ع لبنان الله معه الله
بالجكيت يا زارعات الورد / بالجكيت فتح وما شاء الله
ع الكويت سافر الفدائي / ع الكويت الله معه الله
في القوارة يا زارعات الورد / في القواره فتح وما شاء الله
ع حواره سافر الفدائي / ع حوارة الله معه الله

وفي الاغنية الثانية نحس باعتزاز الفلسطيني ببلده وتصميمه على العودة اليها ويقينه ان العودة والتحرير هي « بهمة الفدائيين » كما تشير الاغنية للاعتزاز بسوريا التي تضحي في حربها ضد الاعداء وبهمتها وهمة الفدائيين تتم العودة ، وقد سجلت الاغنيتان في مخيم نازحي قطاع غزة بالقرب من جرش في ٧٠/٧/١٦ :

بلدي يا بلدي وانا عايز اروح بلدي / يا عزيز عيني وانا عايز اروح بلدي

× ×

بلدي فلسطين الحرب فيها بسكاكين / بهمة الفدائيين انا عاوز اروح بلدي

× ×

بلدي بلد أمجاد الي فيها ثلث أولاد / واحد شهيد وواحد استشهد وواحد فدا بلدي
بلدي دير ياسين الحرب فيها بسكاكين / استعدوا يا لاجئين للعودة لبلدي
بلدي سوريا الحرب فيها غيته / بهمة الفدائيين أنا عاوز اروح بلدي

وحول مدى شعبية هذا النص وصلته بالفولكلور الفلسطيني لا بد من ايراد هذه الملاحظات . لقد ولد هذا النص في فترة الحرب العالمية الثانية وتوحي بعض مفرداته مثل « عاوز » انه من أقصى جنوب فلسطين ، وكان شائعا في مصر . ويبدو انه كان شائعا في شمال فلسطين فقد عثرت على نسخة من هذا النص في مجموعة الاغاني التي جمعها الباحث الاثري الفنلندي آيلي ساريزالو والتي نشرها في كتابه : « أغاني الدروز ، هلسنكي ١٩٣٢ » وقد نشرت النصوص بالانجليزية والعربية ــ بالحرف اللاتيني . واذكر أن ساريزالو قد استقبلني بترديد بعض مقاطع من هذه الاغنية عندما زرته في بيته في هلسنكي عام ١٩٧١ . واذا ما لاحظنا ان ساريزالو قضى كل فترة اقامته في شمال فلسطين ، فلا بد ان يكون النص محليا .

ملاحظات أخرى على فولكلور المرحلة الفنائي :

* نحس بصدى ثقل الالة العسكرية الاسرائيلية ، كما في هذه المقاطع من أغاني النساء :

ولك ديان / يلعن صلانك
خذ طياراتك / وطنا غالي / خذ طياراتك

* النقد الذاتي الذي يمارسه الرفاق لبعضهم البعض ، ومن ذلك ما جاء على لسان مسؤول مكتب الجبهة الشعبية في مخيم غزة (١٩٧٠) عندما كان يؤدي طلعة طويلة . قال :

برأيي العنصر ما بنفع / اذا بده يلبس مبرقع
واذا بده سلاحه يلمع / ويحط بجيبه هوية

* تصوير طبيعة النضال الوطني الذي يخوضه شعبنا : من المعروف انه بعد حرب حزيران ١٩٦٧ اصبحت كل الارض العربية الفلسطينية وراء اسوار الاحتلال ، وبغض النظر عن انطلاق المقاومة ضد العدو الصهيوني من نقاط ما في الداخل، فقد ظلت قيادة الثورة واجهزتها الاعلامية والدعائية تعمل من الخارج ومن الارض العربية المواجهة للكيان الصهيوني . ولذلك فاننا نحس في ثنايا الاغاني الشعبية ما يرمز لطبيعة العمليات القتالية على أنها اعمال دورية وعبور :

والله لا نزل دورية / واقطع من غرب المية

وكذلك فليس هناك احساس بوجود حدود وطن يدافع عنها المقاتل ، بل هو يعبر حدود الوطن ليدمر القوة العسكرية المحتلة ، وبالاضافة لتلك المهمة فان مهمته هي حماية رفيقه :

لو ميت دبابة قدامي / لو ميت طيارة من فوقي
لاعمل سلاح من صدري / واحمي رفيقي

كما صورت الاغاني معارك الفدائيين على انها معارك مفاجئة وحرب شوارع :

طالع لك يا عدوي طالع / من كل بيت وحارة وشارع
حربنا حرب الشوارع / طالع لك يا عدوي طالع

* احساس الانسان الفلسطيني بأنه استعاد هويته ، وبهذا المعنى ينطق بيت العتابا بفرحة الانسان الفلسطيني باليوم الذي ما عاد فيه مجرد انسان لاجيء ذليل بل أصبح ابن شعب له قيادة معترف بها عربيا ودوليا وينادي أغلب زعماء العالم بحفظ « حقوق الوطنية » وحقه في تقرير المصير . بهذا قال الفنان الشعبي الفلسطيني:

قال بقينا للاعادي نذل ونطيع / ومحرومين من حمل السيف ونطيع
بقيت لاجيء بقيت نازح بقيت اطيع / وصرت اليوم فلسطيني بمدافع مع اطواب

وبالامس كانت أغنية رائجة تقول :

والله لابيع اللاجيء / بنتة خبزة وقماجة

وقال أحد النور مخاطبا زوجته :

باكون لاجي اذا ما طلقتك

وهو بذلك يضع اللاجيء في مرتبة دون مرتبة النور وكان يضرب المثل باللاجيء فيقولون :

وجهك مثل اللاجي المقطوع كرته

ذلك ان اللاجيء الذي توقف وكالة الغوث بطاقة تموينه يبدو وجهه في غاية التعاسة التي ما بعدها تعاسة ، فليس له اي مورد رزق اخر . وقال عبد العزيز كتكت بهذا المعنى :

واللي بتعنقل كرته / مقنعص ز الصوص المسكين
ومش عارف يرجع ع الدار / خلى اولاده جعانين
وحامل كيسه راح ع الخان / قاله اطلع من هان
كن جره من عرق الذان / قاله كروتك مقطوعين

تلك كانت صورة اللاجيء ابن ٤٨ — ٦٥ ، أما هذا الانسان ابن ٦٥ — ٧٤ فأصبح « فلسطيني بمدافع مع اطواب » .

استقراء استنتاجي لنصوص المرحلة

ان فترة السنوات السبع التي تلت حرب حزيران ١٩٦٧ ، تعكس فترة من أسوأ وأعصب الفترات في حياة الشعب الفلسطيني . تعكس أغاني المرحلة كبرياء حزينة واصرارا لا متناهيا على مواصلة حمل البندقية والتحرير ، ومن جهة فهو يثبت انه لا يكل ولا يمل ولا يستسلم ولا ينسى :

قال المثل عمر الاسى ما ينتسى / وع شط بحر الفن مركبنا رسى
هالطير على بالامس جنحه انكسر / بحاول الفرار او ريشه كسا

ومن جهة أخرى فقد واكبت اغاني الصمود اساليب الصمود الفعلي داخل الارض المحتلة وخارجها وواكبت الاعمال القتالية للفدائيين والجيوش العربية . ونحن نتلمس من خلال الموقف الذي آل مع ختام عام ١٩٧٤ أن صمود الشعب الذي تجلى بالالاف من الضحايا وعشرات الالاف من المشردين أدى الى اسماع صوت هذا الشعب عاليا في كل مكان من هذا الكوكب الذي نعيش عليه .

وفوق ذلك فان هذا الشعب قد عودنا في كل مرة يتعرض فيها للسحق بأن يحني رأسه للعاصفة ريثما تمر ، ويواكب هبوبها بأنات الحزن وأغاني الانين المر ... ثم بعد أن تمر و« يكسي » الريش ينطلق المارد في ذاته معلنا :

طل اسلاحي / من جراحي
يا ثورتنا / طل اسلاحي
ولا يمكن قوة في الدنيا / تنزع من ايدي سلاحي

واذا نزع السلاح من يد وجدت غيره في يد أخرى ، فهذا هو « شعب الفدائية ... الموت يزيده تضحية » .

واخيرا فان المرحلة موضوع الدراسة تختتم ببروز نصوص متفائلة . ونلمس هذا التفاؤل في ناحيتين :

* المديح الذي يكيله الفنان الشعبي في اواخر المرحلة لكافة الزعامات والانظمة العربية متأثرا بالموقف العربي الجماعي المشرف في حرب اكتوبر ومؤتمر الرباط ٧٤ .

* والفرحة الغامرة باستعادة الفلسطيني لهويته وانتظاره لقيام كيانه الوطني الذي يلوح في الافق :

على ارض الضفة تبني سلطتنا / وفي عنا ثورة تمثل قيادتنا
وفرحتنا احنا بوحدة امتنا / وتحرير ترابك يا فلسطينا

اسرائيل ، وقرارات اليونسكو ، والحملة الاسرائيلية المضادة

ادريس الخالدي

في نوفمبر ١٩٧٤ ، اتخذ المؤتمر العام لليونسكو ثلاثة قرارات ، **كان يجب** أن تخدم قضية فضح وادانة السياسة الكولونيالية الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، أمام الرأي العام العالمي ، وخاصة سياستها في القدس . ان انتهاكات اسرائيل لاتفاقيات جنيف الصادرة في ١٩٤٩ ، تواصلت بلا هوادة او انقطاع منذ العام ١٩٦٧ ، ورغم حصول بعض التقدم فيما يتعلق بتقديم الحقائق للعالم ، فان قطاعا مهما من الجمهور الغربي ، لا يزال على غير دراية بحقيقة الموقف في المناطق المحتلة .

لهذا السبب ، ان قرارات اليونسكو ، وبالذات تلك المتعلقة بالقدس ووضع التعليم والثقافة في المناطق المحتلة ، هي مادة دعاوية — اعلامية ذات شأن حيوي للغاية في خدمة القضية العربية .

وبينما كان هذا هو بالذات مقصد الحكومات العربية التي ادارت ببراعة الحملة التي ادت الى اتخاذ القرارات في نوفمبر الماضي ، فاننا افتقدنا تماما أي اعلام كان يمكن أن يتلو وان يترتب على اتخاذ هذه القرارات ، في الشهور التالية . والواقع ، كما يبين التقصي الدقيق للتعليقات على القرارات في أوساط الصحافة الغربية والدوائر الثقافية الغربية ، قرارات اليونسكو تحولت لتصبح **نصرا اعلاميا لاسرائيل !**

كيف حدث ذلك ؟ كيف تمكنت اسرائيل من تحويل ما تعتبره جميع الدوائر العربية « انتصارا » عربيا ، الى هزيمة نكراء للموقف العربي ؟ وهل كان يمكن تلافي ذلك ؟

ان الغاية من هذه المقالة هي ان نجمل بايجاز ، الموضوعات والاحداث الرئيسية في نزاع اليونسكو / اسرائيل ، ووصف الحملة الاسرائيلية المضادة وتأثيرها الفعال ، وان نقدم في النهاية أفكارا تتعلق بالكيفية التي كان يمكن بها تدارك الرد الاسرائيلي ، والتصدي لها جزئيا على الاقل .

القرارات الثلاثة بشأن اسرائيل ، اتخذت في الدورة الثامنة عشرة للمؤتمر العام ، بخصوص **القدس ، والمناطق المحتلة ، والمحاولة الاسرائيلية للانضمام الى المجموعة الاقليمية الاوروبية لليونسكو .**

ان خلفية ومضمون كل قرار على التفصيل التالي :

أولا : بشأن القدس : اتخذ القرار بتأييد ٥٩ ومعارضة ٣٤ ، وامتناع ٢٤ ، وينص : « رجع المؤتمر الى ثمانية قرارات سابقة ، وأصر على تنفيذها ، وادان — باعتبار ذلك مناقضا لغايات المنظمة — تصميم اسرائيل على تبديل المعالم التاريخية ، ومواصلتها عمليات الحفر التي تشكل خطرا على الآثار التاريخية ، ودعا المدير العام الى أن

يحبس عن اسرائيل المساعدات في حقول التربية ، والعلوم ، والثقافة ، الى ان تبدي بشكل دقيق احترامها للمقررات والقرارات السالفة الذكر » — (من بيان صحافي أصدرته اليونسكو ، نيويورك ، ١٩٧٤/١٢/٢) .

ان القرارات الثمانية الوارد ذكرها في الفقرة المقتبسة اعلاه ، تتضمن قرارا اتخذ في ١٩٦٨ ، دعا اسرائيل على وجه الخصوص الى الابقاء على شخصية القدس التاريخية ، والى الكف عن اية حفريات اثرية فيها ، تماما مثل القرار الصادر عام ١٩٧٢ الذي لاحظ ان اسرائيل تجاهلت كليا قرارات اليونسكو السابقة .

ثانيا : القرار بشأن المناطق المحتلة بني على تقرير لمدير اليونسكو العام الذي لاحظ ان سكان المناطق المحتلة « لا يتمتعون بحقوقهم الثابتة وغير القابلة للانتهاك ، في تربية وطنية وحياة ثقافية » . وطالب القرار المدير العام « بفرض رقابة تامة على عمليات مؤسسات التربية والثقافة » في المناطق المحتلة ، ودعاه الى ان يتعاون لمساعدة سكان هذه المناطق ليتمتعوا بهذه الحقوق ، وان يحافظوا على هويتهم الوطنية — اتخذ القرار بتأييد ٥١ ومعارضة ٥ وامتناع ٢٢ .

ثالثا : القرارات المتعلقة بمحاولة اسرائيل الانتساب الى مجموعة اقليم اوروبا ، كانت على صيغة هزيمة لاقتراع اسرائيل يحمل تعديلا لقرار ناجح يتيح لكندا والولايات المتحدة حق الانضمام الى المجموعة الاوروبية ، ويتيح للاتحاد السوفياتي واستراليا ونيوزيلند الانضمام الى المجموعة الاسيوية . هذه الهزيمة للمحاولة الاسرائيلية للانتساب الى المجموعة الاوروبية ، جعلت اسرائيل الدولة العضو الوحيدة في اليونسكو ، التي لا تنتمي الى اية مجموعة اقليمية . على ان القرار لم يكن يعني طرد أو عزل اسرائيل من اليونسكو . وبناء للبيان الصحافي لليونسكو المشار اليه آنفا « ان بوسع اسرائيل ان تشارك في النشاطات على الصعيد العالمي ، كما كان في الماضي ، وان تبعث بمراقبين الى الاجتماعات الاقليمية كما في السابق ، وان تتعاون في توفير الخبراء كما كانت تفعل على مدار اعوام من قبل » .

رد الفعل الصهيوني الدولي

لم تستسلم اسرائيل لمضامين هذه القرارات . وبينما كان المعلقون العرب يواصلون الاشادة بـ « الانتصار » الجديد للموقف العربي على الصعيد الدولي ، كانت الدعاوة الاسرائيلية المحتفظة بقوتها ، وجهاز الضغط الاسرائيلي ، يتوجهان نحو العمل . ولقد اشارت هآرتس الاسرائيلية في تعليق لها في اوائل ديسمبر الى المجرى الذي ستسير فيه المبادرة الاسرائيلية : « هناك الكثير مما يمكن فعله بواسطة مجموعات اسرائيلية متعددة للانتفاع من الردود الغاضبة على قرارات المنظمة الدولية [اليونسكو] . وهذه الخطوات من شأنها اكثر من ذلك ، ان تخلق وضعا تشعر فيه اليونسكو بانها مجبرة على اتخاذ قرارات معاكسة . ان السكوت على قرارات اليونسكو قد يضيف جديدا الى الشكاوى [في اسرائيل] القائلة — ان العالم كله يقف ضدنا — ان المراحل التالية بعد اليونسكو ، قد تقود اسرائيل الى أن تأخذ أوضاع جنوب افريقيا وتايوان وكمبوديا في المؤسسات الدولية . ان هناك من لا تخيفهم هذه الاحتمالات ، انما هناك البديل : فبدلا من رفع الايدي بالتسليم ، ان يوسعنا ان نلوي ذراع اليونسكو » .

وذلك بالضبط ما شرعت اسرائيل بفعله . لقد استخدمت الحملة الاسرائيلية المضادة عدة **تكتيكات** مميزة وفعالة ومتنوعة للتأثير في الراي العام العالمي ، فيما يخص المعنى « الحقيقي » لقرارات اليونسكو . ولقد ارفقت هذه التكتيكات بعدة **اطروحات**

دعاوية اكثروا من « الدق » عليها عبر الصحافة الغربية ، وعبر الانصار الرسميين وغير الرسميين لاسرائيل . ويمكن وصف التكتيكات الاساسية التي استخدمها الصهاينة بما يلي ، مع الامثلة :

اولا : تعبئة الانتلجنسيا الغربية : باستخدام الصلات الوثيقة بالمثقفين الغربيين ، والسحب من الخزان العميق للمشاعر المؤيدة للصهيونية ، وللشعور بالاثم تجاه اليهود الذي لا يزال يختلج في عواطف هذه المجموعات ، شن المخططون الصهاينة حملة من الرسائل ، والعرائض ، والتصريحات التي يدلي بها عدد من البارزين والمشهورين من العلماء والفنانين والممثلين والروائيين والمربين واخرين ، مساندة لاسرائيل ، وهجوما على قرارات اليونسكو .

وفي الوقت نفسه ، تشجعت اعداد كبيرة من هذه الشخصيات ، لتعلن على الملأ سحبها لخدماتها ولمساهماتها من اية نشاطات لليونسكو ، او تشرف عليها اليونسكو . وفي حالات كثيرة ، اتخذت عدة خطوات في هذا النشاط ، ربما بقليل من الجهد الصهيوني ، حيث ان قرارات اليونسكو اثارت فعلا غضبا حقيقيا بين نسبة كبيرة من النخبة الثقافية والعلمية في الغرب .

وفيما يلي تضرب أمثلة لبعض هذه الخطوات التي اتخذت بين نوفمبر ١٩٧٤ وبين اوائل يناير ١٩٧٥ :

ـ الوزيرة الفرنسية لشؤون النساء تقاطع اجتماع اليونسكو .

ـ جان بول سارتر وثلاثون غيره من المثقفين الفرنسيين البارزين يحتجون على قرارات اليونسكو في اعلان نشر في لوموند .

ـ مجموعة من ٢٢ امريكيا ، من العلماء والكتاب والممثلين وحملة جائزة نوبل ، تعلن تخليها عن اي دعم لليونسكو في اعلان ظهر في عدد من كبريات الصحف .

ـ مجموعة من حملة جائزة نوبل في الولايات المتحدة وبريطانيا ، تحذر الامين العام فالدهايم . بانها ستقاطع اليونسكو ، وتهدد بالاستقالة من جميع أنشطة اليونسكو .

ـ ظهر كتاب في **التايمز** اللندنية القوية التأثير ، بتوقيع ١٣ من مثقفي بريطانيا المشهورين ، وبينهم جوليان هكسلي أول مدير عام لليونسكو ، يعترض على القرارات .

ـ ثمانون من الموسيقيين البارزين في العالم يتعهدون بمقاطعة اليونسكو .

ـ كتاب نشر في **الاوبزرفر** البريطانية من اساتذة جامعيين كبار في بريطانيا يشجبون قرارات اليونسكو .

ـ مؤتمر للكتاب من ٢٦ بلدا ينعقد في بريطانيا ، ويتخذ قرارات تشجب قرارات اليونسكو .

هذه بعض الامثلة لا غير لهذه الخطوات غير الرسمية التي اتخذتها انتلجنسيا الغرب ضد قرارات اليونسكو . وهناك امثلة اخرى عديدة .

ثانيا : الضغط على مؤسسات الحكومة : واكب الانشطة والخطوات الموصوفة اعلاه ، ان عدة حكومات او اجهزة حكومية في الغرب ، اتخذت خطوات ، او هددت باتخاذ خطوات ضد اليونسكو بسبب قراراتها المعادية لاسرائيل . ونعود الى القول ان هذه الاجراءات اتخذت من ناحية استجابة للضغط الصهيوني المباشر ، ومن ناحية

أخرى كانت خطوات تلقائية خلقها المناخ او الجو الذي نجح الصهاينة باشاعته ، جو التشويه والانفعال العاطفي .

وبين الاجراءات الحكومية :

— قرار لمجلس الشيوخ الفرنسي بتقليص ما يدفعه لليونسكو بنسبة ١٠٪ .

— قرار مماثل للبرلمان السويسري .

— حكومة هولندا تطلب الى المدير العام لليونسكو — رسميا — الغاء القرارات الصادرة ضد اسرائيل . وفي الوقت نفسه ، اعلن وزير الشؤون الخارجية عزم حكومته على توثيق العلاقات الثقافية مع اسرائيل .

— قرار للجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ الامريكي بالموافقة على تعديل لقانون المساعدات الخارجية لعام ١٩٧٥ يسمح بقطع المساهمة المقررة بمبلغ ١٦ مليون دولار لليونسكو ، ما لم تلغ هذه القرارات .

— البابا في روما يناشد اليونسكو ان تستعيد صفتها « غير السياسية » .

ثالثا : التشويه المنهجي للموضوعات في الصحافة الغربية : اظهرت تعليقات الصحافة الغربية ، خلال هذه الفترة ، حول قرارات اليونسكو ، ومعانيها وخلفياتها ، وردود الفعل عليها ، التشويه المتعمد للحقائق . ولقد ظهر التشويه والتحريف ، في المقالات الافتتاحية سواء بسواء كما في الزوايا الاخبارية التي تغطي احداث اليونسكو/ اسرائيل . بل وفي حالات كثيرة ، اقتفت هذه التغطيات الصحافية للقضية ، اثار الخط الاعلامي الاسرائيلي تماما .

وسوف نتتبع فيما يلي عمليات التشويه الحقيقية ، لدى طرحنا مسألة الموضوعات الدعاوية التي استخدمها الصهاينة في حملتهم .

موضوعات الدعاوة الصهيونية في النزاع مع اليونسكو

في الاحتجاجات المذكورة آنفا ، وكذلك في التغطية الصحافية لمجمل النزاع ، يمكننا ان نسجل التماثل اللافت للنظر في مضمون ونغمة الهجمات التي شنها الصهاينة على اليونسكو خلال هذه الفترة . هذا التماثل او التطابق هو بلا ريب نتيجة للتعليمات الدقيقة التي يصدرها مخططو واعلاميو « اللوبي » الصهيوني ، بشأن الخط الصحيح الذي يجب التزامه في الحملة ، سواء عند الاحتجاج على « ظلم » اليونسكو ، او تغطية المسألة اعلاميا .

وهكذا نجد أمامنا عدة موضوعات او محاور اعلامية تتكرر في ركام الحملة كلها ، سواء ما كان منها احتجاجا واعتراضا وشجبا ، او تغطية تقريرية اعلامية .

وسنلخص فيما يلي ابرز هذه الاطروحات :

أولا : ما صاحب القرارات ضد اسرائيل من تسييس لليونسكو :

هذا هو المحور الرئيسي في الحملة الاسرائيلية المضادة . وانه المحور الذي تقوم عليه بقية الاطروحات . ووقف هذا الخط (الذي رسم بما يستجيب لمثقفي بورجوازية الغرب) ، فان قرارات اليونسكو هي الى حد بعيد قرارات سياسية في دوافعها وفي مضامينها ، ولهذا فانه لا محل لها في منظمة مكرسة رسميا للعلم والتربية والثقافة . لقد كانت هذه هي الحجة او الذريعة الرئيسية التي أمكن بواسطتها حشد تأييد

الانتلجنسيا الغربية التي تزعم انها على الحياد ، وبتحريضها على مقاطعة اليونسكو .

وعلى سبيل المثال ، فان كتاب الاساتذة الجامعيين في بريطانيا يحتج على « اساءة استعمال وظائف اليونسكو الثقافية والتربوية وتحريضها عن غايتها ، وسوء استخدام مواردها المالية ، وذلك بتفجير هذا النزاع السياسي بطريقة متحيزة وغير مسئولة » ــ انظر الاوبزرفر ١٢/٢٢ .

أما القرارات التي اصدرها مؤتمر الكتاب (نادي القلم) فلقد وصفت تدابير اليونسكو بانها « اهانة لقضية الثقافة بالذات » ــ انظر الجارديان ١٢/٢٠ .

وزعم رينيه كاسين الرئيس الفخري للمجلس التنفيذي للمنظمات اليهودية في فرنسا ، ان اليونسكو « اصبحت ضحية لروح متحيزة لاناس من شأنهم ان يحولوا المنظمة الدولية الى اداة في الحرب السياسية » ــ انظر لوموند في ١٩ و ٢٠/ » .

هذه الدعاوى ذاتها واردة بصيغة اكثر تهذيبا الى حد ما ، في التغطيات الاخبارية لقضية اليونسكو . وعلى سبيل المثال ، **التايمز** اللندنية في ١٢/١٦ اذ يزعم لفيف من الكتاب في تحليله للقرارات ، انها كشفت عن « تصميم عدة حكومات على الجري وراء مصالحها القومية على حساب ما تمثله منظمة ثقافية عالمية من قيم معنوية » .

ويمكننا ان نضرب امثلة على تلك التقارير الصحافية الموازية التي تأخذ من الخط الصهيوني نقطة انطلاق لتغطياتها . انظر على سبيل المثال « القصة » كما نشرتها الهيرالد التريبيون الدولية ١٢/٤ .

ثانيا : الانكار المستمر للاتهامات الموجهة الى اسرائيل ، بالاعتماد على التحريف وتشويه الافكار : الحجة القائلة ان قرارات اليونسيو « سياسية » في طبيعتها ، جرى تدعيمها واستكمالها بالزعم القائل انه لا يوجد **اي أساس** للاتهامات ضد اسرائيل التي قادت الى اتخاذ القرارات المعادية لاسرائيل فيما يتعلق باجراءات اسرائيل في القدس والمناطق المحتلة .

وحيث ان اسرائيل تجاهلت بشكل مفضوح قرارات اليونسكو الثمانية السابقة التي طالبتها بالكف عن كل الحفريات الاثرية في مدينة القدس ، ووقف عملية تغيير معالمها التاريخية والثقافية ، قد يبدو للوهلة الاولى ان الصهاينة وانصارهم سيتكبدون مشقة عظيمة في تقديم رد مقنع في هذا المجال . هذا صحيح . ومع ذلك ، فانهم اعتمدوا في هذه الحملة ــ بصورة رئيسية ــ على التشويه الكامل للوقائع ، وقمع الافكار والحقائق .

وعلى سبيل المثال ، مجلة **نيوزويك** الاسبوعية الامريكية ذات الصلات الوثيقة بالمؤسسة الصهيونية ، قالت في موضوع صحافي في عدد ١٢/٢ بشأن قضية اليونسكو ، ان اسرائيل « **طردت** » من المنظمة (وهذا كذب) « بذريعة واهية وهي ان اسرائيل تدع **الخرائب** التاريخية في القطاع العربي من القدس تتجه نحو مزيد من التلف » . لا ذكر هنا لقرارات اليونسكو السابقة ، ولا ذكر ايضا للحفريات الاسرائيلية التي تشكل انتهاكا صارخا لتلك القرارات .

نيويورك تايمز في ١١/٢٢ ، احجمت كذلك عن ايراد هذه الحقائق حين اكتفت بالقول ببساطة ان الاجراءات المعادية لاسرائيل يجب النظر اليها على ضوء « ما فعلته اسرائيل للكشف عن الكنوز الاثرية في الاراضي المقدسة ، والمحافظة عليها » .

وان هذا التشويه الصريح المتعمد للحقائق ، واغفال الوقائع ، وارد ايضا في ما طرحته الانتلجنسيا من عرائض واحتجاجات .

ان اعلان جان بول سارتر في **لوموند** (١١/٦) يصف الاتهامات ضد اسرائيل بانها « موارية وبدون اساس » . وان كتاب الاساتذة الجامعيين البريطانيين يزعم ان الاتهامات ضد أنشطة اسرائيل في القدس « دحضها محققو اليونسكو انفسهم » (هذه بالطبع كذبة كبيرة) . وان رسالة هكسلي (التايمز ١٢/٥) تصف الاتهامات الموجهة لاسرائيل بانها « مزاعم » . ويمكننا تقديم المزيد من الامثلة ، وفيها جميعا اغفال كامل لحقيقة ان اسرائيل تجاهلت وانتهكت قرارات اليونسكو السابقة .

هذا باستثناء حالة **واحدة** ، بين كل ما توفر لنا من تغطيات صحافية غربية على امتداد شهري نوفمبر وديسمبر واوائل يناير ، ذكر فيها ان هناك **اساسا ما** للاتهامات ضد اسرائيل فيما يخص القدس . وكان هذا في **التايمز** في الفقرة الاخبارية يوم ١٢/٦ التي اقتطفنا بعضها آنفا ، حيث يقول الكاتب إنه رغم ان بعثات الخبراء للتحقيق في نشاط اسرائيل ، عادت « بتقارير مؤيدة في كثير من الاحيان » ، فلقد كانت هناك « تحذيرات كافية من الاخطار على المساجد الاسلامية ، ومن التطوير المديني العصري، لابقاء النزاع قائما مع ذلك » . ومع ذلك فان ما يقوله الكاتب هو أقل من الحقيقة بكثير ، فيما يتعلق بتأثيرات الحفريات الاسرائيلية والتطوير المديني في القدس .

وهناك اختلافات واكاذيب اخرى ادخلت في النزاع بواسطة الصهاينة وانصارهم . ولعل أهمها قولهم ان اسرائيل عزلت او طردت من المنظمة ، وهي « حقيقة » كرروها واعادوها وركزوا عليها ، برغم تصريحات النفي المتواصلة والتوضيحات التي ادلى بها رسميو اليونسكو .

ثالثا : اسرائيل الصغيرة امام ضخامة الاموال العربية ، والثقافة امام أعداء الثقافة، وتهديد الابادة الجماعية : هذه الموضوعات الثلاثة ، بفجاجتها التي قد تكون بادية للعيان ، كانت ملاحق اضافية مساعدة للذرائع الصهيونية الرئيسية التي أجملناها آنفا . وفي حين أنها جميعا لا تحمل على قرارات اليونسكو مباشرة ، فان رجال الاعلام الصهاينة البارعين ، نجحوا بربط هذه الموضوعات الثلاثة بنزاع اليونسكو . وهكذا فان كتاب المقالات الافتتاحية وغيرهم ، لا يفتأون يشيرون الى « قوة دولارات النفط » في كسب الاصوات لصالح قرارات اليونسكو . هذا الخط الدعاوي مألوف ولا حاجة للعودة اليه هنا .

وبموازاة هذا الخط ، قدم المعلقون الصهاينة ومساندوهم ، بمن فيهم المثقفون والعلماء ، هذا النزاع على انه كفاح بين « القوى الديموقراطية المتحضرة المستنيرة » وبين انظمة الحكم في الشرق « الرجعية والتوتاليتارية » .

ويقول تعليق لنيويورك تايمز في ١٢/٢٧ ان عمل اليونسكو « أثار ردود فعل على امتداد العالم **المتمدن** » (خط التشديد من عندنا) . « ويرجع ذلك الى ان اليونسكو تفقد « مواردها الثقافية » وانه « لا توجد أية كمية من دولارات النفط يمكنها ان تستعيض عن العلماء والاخصائيين والاكاديميين » الذين يقاطعون اليونسكو الان .

وان هذه الموضوعات تتردد على نطاق واسع في أماكن أخرى . من ذلك رسالة الى **التايمز** (١٢/٢٠) من مندوب اسرائيل في اليونسكو يحيي فيها نشاط الانتلجنسيا في « العالم المستنير » .

وهكذا فانهم دائبون على تصوير البلدان المساندة لقرارات اليونسكو على انها تضع كليا الاعتبارات **السياسية** فوق **القيم الثقافية** . ودائبون كذلك على تصوير قرارات اليونسكو على انها خطوة اخرى على طريق تدمير اسرائيل وابادة الشعب اليهودي . ومن هذا ان نواب البرلمان السويسري وهم يقررون الاقتطاع من المساعدة لليونسكو « اكدوا ان سويسرا يجب ان تعبر عن تضامنها مع بلد صغير يتعرض لخطر التهديد » — انظر لوموند ٨ — ١٢/٩ .

وبالمثل ، فان اعلان لوموند في ١١/١٦ الموقع من قبل مثقفين فرنسيين يقول ان « رفض اسرائيل روحيا الذي تضمنته قرارات اليونسكو « يبرر كخطوة لاحقة تصفيتها جسديا ، انها عملية افناء ، يتولاها مستبدو (او طغاة) القرن العشرين » .

هذه المشاعر تتردد في أماكن اخرى ، وان بصيغة ألطف عادة .

الاخفاق العربي ودروس للمستقبل

لقد تفحصنا أسس الحملة الصهيونية على اليونسكو . ورأينا كيف ان الحملة ، على وجه العموم ، نجحت باقناع الرأى العام الغربي بان قرارات اليونسكو ضد اسرائيل كانت ظالمة ، وذات حوافز سياسية ، وبدون أسس حقيقية ، وانها لا تنسجم اطلاقا مع منظمة مثل اليونسكو .

ويجب ان نلاحظ هنا ، انه لا يمكن على الاطلاق ، العثور على اي « مقال رأي » ليس محبذا لاسرائيل في كل المادة الصحافية الغربية المتوفرة لدينا ، على امتداد كل هذه الفترة . ولم يحدث أبدا ان نهضت أية مجلة او صحيفة لتتبنى الموضوعات التي تطرحها قرارات اليونسكو ، لتطالب اسرائيل باتخاذ خطوات او تدابير لتغيير سياساتها في المناطق المحتلة . فعلى الصعيد المثالي ، ذلك ما كان يجب ان يحدث نتيجة لقرارات اليونسكو ، انما حدث تصعيد عام في تقدير صحافة الغرب لاعمال اسرائيل غير المشروعة وغير الاخلاقية في القدس والضفة الغربية .

ويمكن قياس مدى قوة تأثير الحملة الاسرائيلية في الولايات المتحدة على الاقل ، ان رسميي **اليونيسيف** هناك أفادوا ان اعدادا كبيرة من الاميركيين يرفضون شراء نصيبهم السنوي من بطاقات عيد الميلاد التي تصدرها اليونيسيف .

ومن الجلي ، ان كثيرين من هؤلاء الاميركيين الذين يرفضون شراء البطاقات الان ، يفعلون ذلك لانهم يخلطون بين اليونسكو واليونيسيف ، وهي منظمة الامم المتحدة المختصة برعاية الاطفال ، او انهم بكل بساطة غاضبون على هيئة الامم المتحدة برمتها (انظر مجلة تايم الامريكية ١٢/٣٠) .

من الجلي ان الحملة الاسرائيلية المخططة الموصوفة في هذه المذكرة ، كان لا بد لها من قطف بعض النجاح . فالموضوع بحد ذاته ، حيث ربط بمسائل الثقافة ، كان في غاية الملاءمة لتلك الانماط من الاستجابات التي هيأها الصهاينة لانتلجنسيا الغرب . وكذلك بسبب ان القضية اشتملت على ثلاثة قرارات منفصلة ، لكل منها خلفياته الخاصة ، وكذلك بسبب الطبيعة التقنية الظاهرة للحجج الواردة ، فان الموضوع ذاته زود الصهاينة بمجال لممارسة التشويش والارباك والخلط ، بنجاح واضح .

ومع ذلك فان نطاق النجاح الصهيوني كان يمكن تضييقه الى حد بعيد ، لو ان العرب شنوا حملة متابعة لقرارات اليونسكو ، حملة كان ينبغي اعدادها من قبل ، واطلاقها في الوقت المناسب .

حقيقة انه لم يجر تخطيط حملة عربية من هذا القبيل ، وأقل من ذلك تنفيذها ، تشير الى اخفاق خطير في جانب وسائط الاعلام العربية الرسمية وغير الرسمية . وبكلمات اخرى ، ان حقيقة ان الحكومات العربية كانت تهيىء للحصول على القرارات المعادية لاسرائيل والتي اتخذها المؤتمر العام الاخير لليونسكو ، كان يجب ان تكون نقطة انطلاق لاستعدادات عربية مكثفة لملاقاة الرد الصهيوني . وان هذا الامر يقتضي وجود قدر من **التنسيق** بين الحكومات العربية وبين المؤسسات الاعلامية العربية غير الرسمية . فهذه المؤسسات هي وحدها التي كانت قادرة على ان تعرض ضد اسرائيل قضية القدس والمناطق المحتلة ، بالطريقة الملائمة ، بما يجابه الحملة الصهيونية . وعلى سبيل المثال ، فان اية واحدة من المؤسسات الاعلامية العربية العديدة في بيروت ، كان بمقدورها ان تعد مذكرة موجزة انما شاملة لاعمال اسرائيل في القدس والمناطق المحتلة .

وعلى اساس هذا الرأي ، كان ينبغي خوض مجال الاعلانات في الصحف الغربية الرئيسية ، تماما في اعقاب اتخاذ اليونسكو لقراراتها . الاعلانات ذاتها يمكنها ان تعطي التفاصيل الاساسية للقضية العربية ، وان تحيل قارئها الى المذكرة الاوفى التي يمكن تزويده بها عند الطلب .

ان تحويل هذه الجهود يمكن ان يأتي من الحكومات العربية ، حيث ان نشر اعلانات على صفحة كاملة في الخمس عشرة صحيفة الكبرى في الغرب ، يكلف مبالغ تتجاوز قدرات اية مؤسسات او منظمات خاصة . وبهذا كان يمكن استباق الكثير من الحجج الصهيونية بصورة فعالة .

قبس على ذلك ، انه كان يمكن الرد على رسائل وعرائض المثقفين المساندين للصهيونية برسائل وعرائض معاكسة من قبل مجموعات مؤيدة للعرب ، كما حدث في **أوموند** (١٩ ــ ٧٥/١/٢٠) . (هذا البيان ، الذي يحتج على الحملة الاعلامية الصهيونية على اليونسكو ، وقعه مئات من الفرنسيين المؤيدين للعرب من مثقفين وحرفيين ونشطاء سياسيين . انه البيان الفريد من نوعه الذي ظهر في اي مكان في الصحافة الغربية على امتداد الفترة كلها ، ولقد ظهر تماما بعد ان انطفأت حمى النزاع) .

ان جدوى هذه الاقتراحات ، ان تكون مجرد دليل للمستقبل . ان المطلوب قبل كل شيء درجة اقوى من التنسيق بين سياسة الحكومات العربية على الجبهات السياسية والدبلوماسية ، وبين وسائط الاعلام العربية غير الرسمية . فمثل هذا المقدار الكبير من التنسيق حدث بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين بعض المؤسسات غير الرسمية في بيروت قبيل اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة ، وأسفر عن ثمار طيبة . وانه لمن الضرورة بمكان ان نسارع بلا تأخير الى معالجة هذا الوضع وتصحيحه ، بغية ان يصبح مثل هذا التنسيق سياسة ثابتة على الصعيد الحكومي العربي .

تنشر شؤون فلسطينية فيما يلي تقريرا تلقته من أحد مكاتبيها ، الاخ خليل السواحري ، حول المؤتمر التاسع والثلاثين لنادي القلم الدولي الذي عقد في القدس ودار معظم الحديث فيه على قرارات اليونسكو:

عقد في فلسطين المحتلة في الفترة من ١٥ الى ٢٠ كانون الاول ١٩٧٤ المؤتمر الدولي التاسع والثلاثون لنادي القلم الدولي بحضور عدد من الكتاب العالميين ومعظمهم من اليهود او المشايعين للصهيونية او ممن ضللتهم الدعاية الصهيونية واجهزة اعلامها الكثيرة في دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية .

وقد زعمت اجهزة الاعلام الاسرائيلية (جريدة الجروسالم بوست في ١٩٧٤/١٢/١٧) ان عدد الكتاب الذين حضروا هذا المؤتمر بلغ حوالي (٣٠٠) كاتب من ثلاثين بلدا من بينهم ثلاثة من الكتاب المعروفين بتعصبهم الصهيوني الصارخ وهم يوجين اونسكو وهنريش بيل الالماني الغربي الحائز على جائزة نوبل للاداب ١٩٧٢ وسول بلو أحد الكتاب الصهاينة من الولايات المتحدة الاميركية .

وقد افتتح هذا المؤتمر اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي بكلمة كرسها للهجوم على منظمة اليونسكو التي كانت قد اتخذت قبل عدة أيام قرارا بادانة اسرائيل لمواصلتها تشويه الثقافة العربية في المناطق المحتلة وزعم رابين في خطابه الافتتاحي ان منظمة اليونسكو قد خضعت للضغط العربي باقدامها على قرار تجريد اسرائيل من عضويتها . ومن الطبيعي ان يكرس رابين خطابه للهجوم على القرار العادل رغم كونه متأخرا لمنظمة اليونسكو ولكن الامر غير الطبيعي أن يكون المؤتمر كله مكرسا للهجوم على منظمة اليونسكو وان يتحول كتاب ، كنا نعتقد انهم يحترمون أنفسهم وعقولهم للهجوم على هذه المنظمة وعلى قرارها الاخير .

والحقيقة انه لم يكن مستغربا تماما ان يأخذ كتاب من امثال اونسكو وهنريش بيل على عاتقهم مهمة تحريك هذا المؤتمر وتحريض المشتركين فيه رغم صهيونيتهم وتمثيلهم لدول معظمها ذات علاقات ودية مع اسرائيل (ملاحظة : قاطعت دول اوروبا الشرقية ومعظم الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث هذا المؤتمر) ذلك لان كاتب مثل اونسكو قد سبق له وان أعلن انخراطه في سلك الفاشية الجديدة (الصهيونية) منذ أمد طويل ، ففي نيسان ١٩٧٣ قدم اونسكو الى اسرائيل ليتسلم من زلمان شازار (رئيس دولة اسرائيل في حينه) ومن غولدا مائير (رئيسة الوزراء في حينه) جائزة الدولة التي اعتادت اسرائيل ان تمنحها للكاتب العالمي الاكثر تأييدا لها* وقد استحق اونسكو هذه الجائزة على مسرحيته الكركدن والجوع والعطش اللتين عرضتا على مسارح تل ابيب في مطلع عام ١٩٧٣ .

أقول لم يكن مستغربا ان يحرض امثال اونسكو وهنريش بيل المؤتمرين على مقاطعة منظمة اليونسكو الى حين العدول عن قرارها بطرد اسرائيل من عضويتها . كما انه لم يكن مستغربا كذلك ان يدعو كاتب المانيا الغربية الصهيوني الذي منح جائزة نوبل لمواقفه الرجعية والمعادية للتقدم العلمي والتطور الحضاري والتكنولوجي الى قيام مقاطعة عالمية لمنظمة اليونسكو على غرار الدعوة التي سبق وان وجهها نفر من رابطة الكتاب الفرنسيين من ذوي الميول الصهيونية (على رأسهم يوجين اونسكو) وطلبوا فيها مقاطعة اليونسكو.

ولعل اكثر ما يثير السخرية لدى المتتبع للكلمات التي القيت في جلسة الافتتاح المطالبة التي وجهها هنريش بيل للولايات المتحدة الاميركية بتجميد دعمها لمنظمة اليونسكو ونقل مقر الامم المتحدة من نيويورك (بلد الصهيونية العريق) الى اوغندا . ولماذا ؟ لحرمان مندوبي دول العالم الثالث من التبرك والحج الى مدينة نيويورك التي يعبدها هؤلاء الممثلون على حد تعبيره !!

ولعل أكثر الاقوال مثارا للسخرية والاستهجان، بل وحتى الاستخفاف بسلامة عقل من ادلى بها ،

---

* ملحق جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية ١٩٧٣/١/١٢ ترجمة ابراهيم خليل جريدة الرأي الاردنية ١٩٧٤/١٢/٣٠ .

ما جاء على لسان بوجين اونسكو حين قال أن قرار اليونسكو الاخير ضد اسرائيل كان قرارا ظالما لبلد (اسرائيل !) قدم الكثير من الثقافة والمعرفة للعالم . والعجيب في هذا التصريح ان يدلي به اونسكو بعد الجولة التي قام بها المؤتمرون الى الحفريات الاسرائيلية التي ما تزال جارية تحت المسجد الاقصى واسوار مدينة القدس وكأن اونسكو لم يشاهد بأم عينيه التشويهات التي الحقتها هذه الحفريات ليس بالمقدسات الاسلامية فحسب وانما بالمدينة المقدسة بشكل عام . وكأن اونسكو لم يسمع كذلك بما الحقته السلطات الاسرائيلية المحتلة من تشويه بالثقافة العربية والمناهج التدريسية في المناطق العربية المحتلة ، وكأنه لم يشاهد كذلك مدى ما ألحقه الاستيطان الاسرائيلي ببناياته الشاهقة من تشويه لمعالم المدينة المقدسة.

واعجب ما في هذا المؤتمر كذلك ان تكون منظمة اليونسكو التي كرس المؤتمر للهجوم عليها ممثلة باخذ الكتاب الفرنسيين اليهود وهو جان بلوت والذي جاء كما يبدو الى هذا المؤتمر لا ليدافع عن عدالة قرارات اليونسكو وصحتها وانما ليشارك في الهجوم عليها واتهامها .

وعلى العموم فلقد كان هذا المؤتمر ، شأن كل المؤتمرات التي تعقد في دولة الاحتلال تشويها صارخا لمعنى الثقافة والتراث الثقافي خاصة وانه عقد كما هو مفترض فيه لمناقشة « التراث الثقافي والانتاج الادبي المعاصر » .

لسنا نملك الكثير من المعلومات عن نادي القلم وعن مؤتمراته الثمانية والثلاثين التي عقدت حتى الان ولكنه بدا واضحا تماما من كلمات المشتركين فيه، ومن هوياتهم ومن الكلمة التي القاها رئيس هذا النادي (الكاتب البريطاني و. غريست) انه واحد من النوادي التي تهيمن عليها الاتجاهات والتوجيهات الصهيونية البحتة .

مراجعات

فيليتسيا لانغر، **بمو عيناي،** (بأم عيني) — بالعبرية (الناشر: المؤلفة، تل ابيب، ٧٤).

« الاحتلال اللبرالي » و « الاحتلال الانساني » و « الاحتلال المستنير » ، هي بعض الاوصاف ، التي أطلقتها السلطات الصهيونية ، وأبواقها الدعائية ، على احتلالها للاراضي العربية منذ عدوان حزيران ١٩٦٧ ، لكي تغطي ، من جهة ، على أساليب الاحتلال البشعة التي مارستها وتمارسها على أرض الواقع ، ولكي تحاول ، من جهة اخرى ، تبرير الاحتلال واستمراره ، في أراض قررت مسبقا انها تريد البقاء فيها ، وضمها الى الكيان الصهيوني القائم منذ العام ١٩٤٨ .

والكتاب الذي بين أيدينا ، يسقط من جهة ، قناع التستر والكذب والتضليل ، عن وجه المؤسسة الصهيونية البشع، ويقدم من جهة اخرى، صورا ونماذج حية لاكثر أساليب الاحتلال فظاعة وبربرية ، ويروي لنا قصة الارض المحتلة ، كما رأتها شاهدة عيان خلال سبع سنوات من الاحتلال: منذ حزيران ١٩٦٧ الى حزيران ١٩٧٤ .

فمؤلفة الكتاب ، هي المحامية الاسرائيلية المعروفة فيليتسيا لانغر ، التي كرست معظم وقتها وجهدها منذ العام ١٩٦٧ حتى اليوم ، للدفاع عن ضحايا الاحتلال في المحاكم العسكرية الصهيونية داخل الكيان الصهيوني ، وفي المناطق المحتلة . وهي كمحامية تروي ما شهدته وما سمعته داخل قاعات المحاكم العسكرية ، وداخل سجون الاحتلال ومعتقلاته ، وتروي كيف استخدمت السلطات الصهيونية القضاء كوسيلة لتكريس الاحتلال واضفاء الشرعية عليه ، وكأسلوب من أساليب القمع والارهاب والسيطرة ، لخدمة أهداف المحتل التوسعية . والكاتبة ، من خلال تنقلاتها داخل الارض المحتلة ، سمعت الكثير من قصص الاحتلال الرهيبة ، وشاهدت الكثير من صوره المروعة في مختلف الميادين ، فسجلت ما رأته وما سمعته ، بعد أن تحققت من صحته ، فجاء الكتاب وثيقة صارخة ، تفضح الاحتلال وطبيعته العنصرية النازية ، وأهدافه التوسعية .

والكاتبة اذ تفضح الاحتلال الصهيوني ، وتدينه، وتقاومه ، كمواطنة يهودية في الكيان الصهيوني ، فانها تفعل ذلك ، كما يتضح من قراءة الكتاب ، بدوافع ايديولوجية وسياسية وانسانية . انها تريد ان تظهر للشعب العربي « الوجه الاخر » لشعبها، وتحرص على التذكير انها لا تقف وحدها ، بل تقف معها « القوى التقدمية » في اسرائيل ، ويقف معها مثلا ، يونه اليهودي من أصل عراقي ، الذي يساعدها في عملها ويحاول تقديم أي مساعدة واسداء أي نصح الى المعتقلين العرب وعائلاتهم. ويقف معها جيورا نويمان وغيره من الشباب اليهود ، الذين رفضوا الخدمة الاجبارية في جيش الاحتلال . انها تدافع عن مواقف حزبها الشيوعي « راكاح » ، المعادي للصهيونية ، والداعي لانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني ، وكذلك « للشعب الاسرائيلي » في فلسطين . انها تخاطب ضمير الاسرائيليين وعقولهم ، فتقول لهم من على غلاف الكتاب : « على صفحات هذا الكتاب ، نصادف وجها لوجه المطرودين من وطنهم ، والجالسين في أقفاص الاتهام في المحاكم العسكرية ، والرازحين في السجون بعد أن هدمت بيوتهم ... ان وراء الارقام الجافة أناس من لحم ودم ، تنطبع ملامحهم في الذاكرة بحيث لا يمكن نسيانهم ... » . انها تعتبر اليهودي العادي ، الموجود في اسرائيل ، ضحية هو الاخر للحركة الصهيونية وحليفتها

الامبريالية ، فتقول له : « منذ نعومة أظفارك ، كانوا يعرفون ان السلاح الحديث لن ينتقصك عندما يحين الاوان ، فمزودو السلاح فيما وراء البحار ، سيزودونك به على اساس من التبادل : سلاح مقابل دمك أنت ، من أجل مصالحهم هم . ولكن لكي تحسن استعمال السلاح ، ولكي لا ترجف يدك عندما تريد الضغط على الزناد ، يجب أن تكره أولئك الذين أعدوك لمحاربتهم — العرب — ويجب أن تحتقرهم بكل ما أوتيت من قوة . لذلك بدأوا ينمون فيك مشاعر التعالي القومي ، من خلال تحقير قيم الشعب الاخر ، والقيم السامية لشعبك أنت . الا تذكر دروس التوراة ، وقصص البطولة فيها ، مثل حكاية « شعب الله المختار » ، وعجائب يشوع بن نون الذي « أمر الشمس أن تقف فوق جبعون ، والقمر أن يقف فوق سهل ايلون »...». انها تعرض قصص المئات ممن مثلوا أمام المحاكم العسكرية الصهيونية ودافعت عنهم . منهم الفدائي الاسير ، ومنهم الشيخ الذي وجدت لديه بندقية تركية ولم يحاسبه البريطانيون على حيازتها ، أو الذي فتح بيته لولده « المشبوه » بأعمال المقاومة ولو لليلة واحدة ، ومنهم الام التي أعطت ولدها المطارد كسرة خبز ، والطفل الذي سار في مظاهرة ضد الاحتلال والطفلة التي وزعت منشورا . منهم الشيوعي ومنهم رجل فتح أو الجبهة الشعبية أو غيرها من منظمات المقاومة الفلسطينية . انها تدافع عنهم دون تمييز اقرارا منها لحق شعب احتلت أرضه في اختيار وسائل النضال ضد المحتل ، ولكنها لا تخفي عاطفتها الاقوى تجاه الشيوعيين في الاراضي المحتلة وخاصة نعيم الاشهب ، الذي وصفته على انه أحد قادة الحزب الشيوعي الاردني ، والذي أفردت لقصته في سجون الاحتلال أكبر فصل من الكتاب (ص ١٧٧ — ١٩٢) .

ان كل صفحة في هذا الكتاب تحمل قصة او أكثر تستحق الوقوف عندها ولكننا سنقدم نماذج فقط لمختلف صور الاحتلال التي يقدمها ، ويمكننا وضع هذه الصور في ثلاثة أطر رئيسية : (١) ممارسات سلطات الاحتلال في الارض المحتلة ، بما في ذلك عمليات الطرد الجماعي والفردي ، الاعتقالات والمحاكمات الصورية ، عمليات الابادة الجسدية خلال وبعد حرب حزيران ، هدم البيوت والعقوبات الجماعية ، مصادرة الاراضي والاحياء السكنية بالقوة ، عمليات الابادة ضد الوجود السياسي والحضاري للعرب ، عمليات التهويد . وكل ذلك ، من خلال خرق معاهدات جنيف وقرارات الامم المتحدة وكل القيم الانسانية . (٢) المقاومة الايجابية والسلبية للاحتلال ويدخل في ذلك صمود الرجال والنساء والاطفال والشيوخ ، صمود المعتقلين وسخريتهم من المحتل ومحاكمه ، صمود ذوي المعتقلين وخاصة أمهاتهم ، التشبث بالوطن والارض والبيت وانقاض البيوت المهدومة . (٣) ادانة الكاتبة وتعليقاتها على أساليب الاحتلال ومعارضة غيرها من اليهود للاحتلال وأساليبه .

ويقع الكتاب في ٣٣٠ صفحة وهو مقسم الى أجزاء عددها كعدد سنوات الاحتلال وكل جزء مقسم الى فصول قصيرة ، وكل فصل عبارة عن قصة من قصص الاحتلال التي وقعت خلال تلك السنة ، ومعظمها مستقى من ملفات المحاكم التي تحويها مكتبة المحامية . ولكن المؤلفة تقدم هذه الملفات بصورة قصصية وصفية شيقة ، لا تخلو من اللمسة الادبية ويطغى عليها طابع السخرية المرة . ومع ذلك فهي معززة بالتواريخ والارقام والاماكن . انها مثلا تحكي قصة « ام صبحي » الام الصامدة ، ومن خلالها تتعرض لمحاكمة ابنها .

وتتخلل صفحات الكتاب صور عن هدم البيوت والمحاكمات والمظاهرات ، وظهرت في آخره مجموعة لصور بعض المعتقلين وملحق يضم بعض فقرات معاهدات جنيف بما يتعلق بالحرب والاحتلال .

الناشر هو المؤلفة ، فالمعروف ان دور النشر في اسرائيل ترفض نشر مثل هذا الكتاب او توزيعه. والغلاف الذي صممه الرسام عبد عابدي يحمل وجه امرأة باللون الاسود برزت فيه العينان الواسعتان الناظرتان الى أمام ، بما ينسجم مع عنوان الكتاب « بأم عيني » .

وفي المقدمة تتحدث المؤلفة عن « حرب الايام الستة » وتسخر من هذا الاسم ، لان تلك الحرب في اعتقادها كانت «البداية لاطول حرب اسرائيلية»، وكانت الفصل الاول من مسرحية طويلة ، ولكن المخرج ظن ان المسرحية انتهت بانتهاء الفصل الاول « مع انه هو مخرجها » . وتصف الويلات التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في هذه الحرب

فتقول : « ويل للمغلوبين ! » وتصف ظلم المحتل ومقاومة شعب الارض المحتلة المستميتة فتنهي المقدمة قائلة « ويل للمنتصرين ! » .

الممارسات الصهيونية في الاراضي المحتلة

الشهادات التي تقدمها الكاتبة عن ممارسات قوات الاحتلال في الارض المحتلة منذ حرب حزيران ليست ، على كثرتها ، تسجيلا لكل ما حدث خلال سنوات الاحتلال السبع ، ولكنها تعد نماذج معبرة عن مجموعة الاساليب التي اتبعت والتي اتجهت نحو هدف واحد : الغاء الوجود العربي في الاراضي المحتلة بكل صوره واشكاله ، واحلال الوجود الصهيوني في الارض « النقية من العرب ».

١ ــ **عمليات الطرد الجماعي والفردي** : تتعرض الكاتبة لعمليات الطرد الجماعي والفردي في أكثر من مكان في الكتاب . ففي كلمة المؤلفة التي ختمت بها الكتاب تقول : « ... فيما يلي مجموعة ارقام رسمية تتحدث عن نفسها : عدد سكان المناطق المحتلة قبل الاحتلال الاسرائيلي ، كان حوالي ١ر٥ مليون نسمة . وفقط خلال أيام الحرب والايام التي تلتها مباشرة هرب وطرد من الاراضي المحتلة نصف مليون نسمة بمن فيهم سكان هضبة الجولان ... ».

وتفضح الكاتبة نية قوات الاحتلال في تكرار ما حدث عام ١٩٤٨ : « ... كانوا يريدون ، كما صرحت بذلك غولدا مئير ، الحد الاقصى من الاراضي والحد الادنى من السكان ... الحلم تحقق في الجولان المحتلة ، حيث نزح بسبب ويلات الحرب حوالي ١٥٠ الفا من السكان . ونزح عن الضفة الغربية ايضا عشرات الالوف ، قسم منهم طرد بالقوة ... ولكن ذلك لم يكن من شأنه أن يغير الخارطة الديمغرافية للمناطق المحتلة ... ». (ص ٨) .

وتصف الكاتبة كيف هدمت سلطات الاحتلال أثناء الحرب قرى اللطرون والجولان وبلدة قلقيلية التي اضطرت الى ايقاف عملية هدمها ، بسبب ضغط الرأي العام . بعد ذلك لجأت سلطات الاحتلال الى قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥ وبدأت تطرد السكان بموجب هذه القوانين ثم لجأت الى هدم البيوت والاحياء بكاملها بحجة العقوبات الجماعية وبهدف التخلص من سكانها العرب .

وتشير الكاتبة الى أن أوامر الطرد استخدمت بشكل خاص ضد المثقفين ومعلمي المدارس . وفي منطقة رفح وحدها طردت ١٢٠٠ عائلة . وبلغ عدد البيوت التي هدمت حتى بداية ١٩٧٤، ١٨ الف بيت . (ص ٢٢٣) .

وتتحدث الكاتبة بمرارة عن قوانين الطوارىء التي ورثها المحتل الصهيوني من سابقه البريطاني والتي يستخدمها لطرد العرب بعد اعتقالهم الاداري أو فرض الاقامة الجبرية عليهم ، لان المحتل يعتقل ويطرد بموجب هذه القوانين بدون توجيه أي تهمة او اعطاء اي سبب . « ... الكثيرون طردوا تحت جنح الظلام الى الضفة الشرقية ... وفي ٦٨/١١/٢٥ طرد ثمانية معلمين من معارضي الاحتلال من نابلس والقدس ، ولم يسمح لهم بحمل معطف دافىء او بوداع عائلاتهم التي لم تسمع خبر الطرد الا بواسطة الاذاعة ... » (ص ٣٢) . واستمرت عمليات الطرد خلال كل سنوات الاحتلال حيث تقدم الكاتبة نماذج من المطرودين سنة بعد سنة ، وتصف بالتفصيل كيف تم طرد ٣٠ معتقلا دفعة واحدة عام ١٩٧٠ فنقلوا وهم معصوبي الاعين من سجن الخليل الى سجن بئر سبع ومن هناك نقلوا الى وادي عربه وأجبروا على السير حفاة على رمال الصحراء الملتهبة في اتجاه الاراضي الاردنية « على أمل أن يقتلهم الجيش الاردني ظانا انهم دورية عدوة ... » (ص ١٥٦) . وتفضح الكاتبة في اكثر من مكان اصرار المحتل على طرد السكان العرب عن طريق هدم بيوتهم وحرمانهم من أي امكانية للعيش لكي يطلبوا النجاة خارج الارض المحتلة . وكيف يفضل المحتل طرد الشباب خاصة المثقفين منهم على ابقائهم في سجونه كما حدث لاسعد عبد الرحمن مثلا في عام ١٩٦٨ . فقبل أن تنتهي فترة العقوبة التي أصدرتها المحكمة ، أخبر في سجنه انه سيطرد في اليوم التالي الى الضفة الشرقية ، فطلب المكوث مع عائلته فترة ما قبل طرده ورفض طلبه هذا . عندها طلب البقاء في السجن الى آخر مدة الحكم لكي يبقى مع عائلته بعد ذلك ، خاصة وان المحكمة أصدرت حكما بسجنه وليس بطرده فرفض طلبه هذا . وفي ٦٨/١١/٢٩ ، تم طرده الى الضفة الشرقية دون وداع اقاربه .

وتقدم الكاتبة مثالا آخر عن رغبة المحتل

الشرسة باخلاء السكان العرب من ارضهم : فقد ميزت المحكمة العسكرية بين معتقلين من رفح ، متهمين بالتهمة نفسها فحكمت على الاول حكما جائرا وعلى الثاني حكما مخففا . واما السر في هذا التمييز فهو أن المتهم الثاني أبرز في المحكمة أوراقا تثبت انه سيهاجر مع عائلته الى هندوراس ، « ... فلم يكن هذا حكما تصدره محكمة ، بل كان جائزة لتشجيع النزوح » (ص ١٢٥) . واما من يعود الى الضفة الغربية ويحاكم بسبب ذلك فتكون عقوبته أشد اذا قال للقضاة : « لم اقترف جريمة . لقد عدت الى وطني ! » .

٢ ــ **الاعتقالات والتعذيب** : ان قارىء كتاب غيلبتسيا لانغر لا يملك الا أن يسأل نفسه بعد كل محاكمة تروي قصتها : كيف تستمر هذه المحامية بعملها بعد هذا الفشل المتكرر . ولا تدل مرافعاتها وحججها على انها محامية فاشلة ، ولكن سلطات الاحتلال قررت لها ان تكون كذلك ، لان هذه السلطات في الواقع تصدر الاحكام بدون حاجة الى المحاكمة او محامي الدفاع والادعاء. هناك سياسة مرسومة تنفذ بدقة والمحاكمات لا يقصد منها الا التستر بقناع القانون والقضاء من اجل تنفيذ سياسة الاحتلال .

ان الكاتبة تقدم البرهان القاطع على ان كل معتقل من المعتقلين العديدين الذين رافقت عنهم وزارتهم في السجن بعد عناء شديد ، تعرضوا هم وزملاؤهم لابشع أنواع التعذيب اثناء التحقيق . ولم يحدث أن صدق القضاة العسكريون كسلام المعتقلين او محاميهم ولو لمرة واحدة ، بل « صدقوا » دائما شهادات شرطة التحقيق والمخابرات حتى اذا صدف ان كانت علامات التعذيب ما زالت ظاهرة على جسم المعتقل، وعندها يقول شهود الادعاء مثلا ان المعتقل « تزحلق على قشرة موز » او انه « فقد توازنه وضرب رأسه بالجدار » (ص ٣٩) . والقضاة « يصدقون » هذه الشهادات . وحتى اذا قدمت المحامية شكوى الى وزراء الشرطة والدفاع والداخلية ، يأتي الجواب دائما : « بعد التحقيق تبين ان الشكوى لا أساس لها من الصحة » ! . والواضح من عرض المحاكمات الكثيرة التي روتها لانغر ان المخابرات (شين بيت) هي التي تقرر كل شيء بالنسبة للمعتقل ، والقضاة العسكريون هم مجرد ممثلين في مسرحية المحكمة العسكرية .

لقد صرخ بشير الخيري بالقضاة العسكريين اثناء محاكمته : اذا كنتم لا تصدقوني ، تعالوا معي الى سراديب بناية الحكم العسكري في رام الله على بعد امتار قليلة من قاعة هذه المحكمة لكي تروا بأنفسكم صنوف الضرب والتعذيب ، فرفض القضاة طلبه مدعين ان « هذا ليس من شأن القضاة » ! (ص ٨٠) .

وتصف الكاتبة « فنون » التعذيب التي يلجأ اليها المحققون : المعتقلة العربية تدخل الى غرفة للموسسات اليهوديات فيضربنها حتى فقدان الوعي بعد تمزيق ملابسها . الشباب يضربون بالهراوات والايدي والارجل ، يعلقون من أيديهم لساعات طويلة ، يعذبون بالتيار الكهربائي وغير ذلك مما يدفع سلطات السجن الى منع المحامية من زيارتهم أشهر طويلة ، حتى تزول آثار التعذيب . البعض ماتوا في السجن بسبب التعذيب مثل قاسم ابو عكر من القدس والبعض اصابهم الجنون مثل نظمي جاد عيد من بيت لحم والبعض أصابهم الشلل الدائم مثل لطفيه الحواري وغيرهم .

وفي أحد ايام العام ١٩٦٩ شاهدت المحامية احد القضاة العسكريين في المحكمة العسكرية في رام الله وقد أعياه التعب واحمرت عيناه فسألته عن السبب ، فأجاب ، انه سهر الى ما بعد منتصف الليل ، حيث كان يحاكم طلاب المدارس الذين تظاهروا في تلك الايام ويقال لها ان هذه المحاكمة لا تفيد « بل يجب اطلاق الرصاص عليهم ! » . هذا هو « الحل » الذي يقترحه القاضي بالنسبة لطلاب المدارس الذين يتظاهرون ضد الاحتلال ، ومع ذلك يستمر في الجلوس على كرسي القضاة ويحاكم ويصدر الاحكام .

وتصف المحامية الفترة التي تحاول خلالها مقابلة المعتقل في السجن قائلة انها تسير في « طريق العذاب » حتى تصل الى المعتقل وحتى عندها يمنع المعتقل من التحدث اليها « خارج الموضوع » ، كأن يصف لها مثلا أنواع التعذيب التي لاقاها . وكثيرا ما ينكر رجال الشرطة والحكم العسكري وجود المعتقل لديهم ولا يسمحون لها بمشاهدة

الكثيرين منهم الا بعد اللجوء الى محكمة العدل العليا .

وتذكر المحامية في فصول كتابهـا انها ليست الوحيدة التي تدافع عن ضحايا الاحتلال في المحاكم فقد سار معها في « طريق العذاب » المحامي علي رافع والمحامي حنا نقاره والمحامي صبري جريس والمحامي غازي كفير وعدد قليل من المحامين في الضفة الغربية . وتذكر لاتغر ان سلطات الاحتلال كانت احيانا تمنع المحامين العرب في اسرائيل من دخول الاراضي المحتلة بهدف الدفاع عن موكليهم في المحاكم العسكرية في مناطـق الاحتلال وذلـك بموجب قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥ .

٣ ــ الابادة الجسدية : تتعرض الكاتبة في اكثر من مكان الى حقيقة ان القتل لم يكن مجرد رغبة كامنة في نفوس المحتل وقضاته ، بل انه نفذ كلما سنحت الفرصة لذلك ، فأثنـاء الحرب وبعدها مباشرة « احمرت مياه نهر الاردن » بدماء كل من حاول العودة الى بيته من النازحين الى الضفة الشرقية . وبعد الحرب بأيام « ... جاء الجنود الاسرائيليون الى رفح الشرقية . طرقوا الابواب ، وأخرجوا الرجال وساقوهم الى مسافة أمتار من البيوت . بعد ذلك سمعنا طلقـات الرصاص ، وعندما خرجنـا شاهدنا جثثهـم وهم يرتـدون البيجامات ... » (على لسان مواطنة من رفح — ص ٢٤١) .

وتتعرض الكاتبة الى محاولات ابادة الوجـود السياسي العربي في الاراضي المحتلة . فقد صدرت أحكام جائرة ضد كل من حاول تأسيس « أكثـر التنظيمات براءة » وقمعت المظاهرات بالقوة مهما كانت سلمية . وشوهت مناهج التعليم وغير ذلك.

في نفس الـوقت تصف الكاتبـة كيف مارست سلطات الاحتلال غرس الوجود الصهيوني فـي الاراضي المحتلة . وأكثر ما أثار اشمئزازها صورة المستوطنين اليهود الذين أقاموا في بناية الحكم العسكري في الخليل وأقاموا الحفلات قرب غرف السجن على مرأى ومسمع السجناء العرب ، ولعب أولادهم في ساحة المعتقل ، وكان هؤلاء النواة لما عرف بعد ذلك بمستوطنة « كريات اربع » التي اقيمت على أرض العرب في الخليل . وتسجل الكاتبة ان السلطات الصهيونية أقامت حتى منتصف العام ١٩٧٤ أكثر من ٥٠ مستعمرة يهودية في الضفة الغربية والجولان وغزة وسيناء .

وتسجل الكاتبة أيضا عمليات سلب الاراضي ومصادرتها بالقوة وبكل الحيل والوسـائل في أنحاء الاراضي المحتلة ، وتذكر ان بعض الذين مارسوا سلب اراضي العرب في المثلث والجليل بعد العام ١٩٤٨ نقلوا بعـد عـام ١٩٦٧ الـى أراضـي « الامبراطورية » الجديدة لكي يستخدموا خبرتهم السابقة في سلب الاراضي ومن أمثلة هؤلاء حايم كهيتي الذي يمارس سلب اراضي العرب في منظمة بيت لحم . وهكذا لم تسند المهمات الى رجـال الاحتلال وخدمـه بالصدفة ، بل ان « الرجـل المناسب وضع في المكان المناسب ! » .

وتبرز المحامية مدى تعارض كل أساليب الاحتلال هذه ، مع معاهدات جنيف وقرارات الامم المتحدة ولكن في كل مرة حاولت اقتباس هذه المعاهدات أو القرارات في قاعات المحاكم العسكرية ، منعها القضاة من ذلك وسخروا منها .

مقاومة وصمود

تقول غليتسيا لاتغر عن العرب انهم « شعب قوي الشكيمة لا يفهم لغة القوة » وفي فصول الكتاب تقدم صورا عديدة من صـور المقاومة والصمود وتنقل الى القارىء الاسرائيلي عكس الصورة التي حاولت وسائط الاعلام الصهيونية رسمها له عن العرب . الكثيرون من المعتقلين وقفوا في وجـه القضاة بعد ان أصدروا الاحكام الجائرة ضدهم وأنشدوا بصوت واحد : « بلادي ، بلادي ! » ، ولم تنقل الصحف الاسرائيلية هذه الحقيقة الى قرائها ، والكثيرون رفضوا طلب اي استرحام من المحكمة التي أعلنوا عدم اعترافهم بها . المعتقل محمد خليل علي حسـن ، مثلا ، قال لقضاته : « انني لم أحضر اليكم في تل أبيب ، بل أنتم جئتم الي في نابلس فأنا اذن يجب أن أحاكمكم ! » . (ص ٢١٣) .

الصبي صبحي من رام الله ، قال للمحكمة التي حاكمته على سلسلة من الاعمـال الفدائيـة التي نفذها : « لست مذنبا لادافع عن نفسي ، لقد قمت بواجبي المقدس ... » (ص ٨٠) .

ونبيل قبلاني ، الذي طرد من رام الله الى الضفة الشرقية واعتقل بعـد ذلك خلال عملية

فدائية في عام ١٩٦٩ ، قال لقضاته في المحكمة العسكرية : « لقد طردتموني من وطني عندما كنت رجلا مسالما . علمتموني انكم لا تعرفون الا لغة السلاح ، فعدت الى هنا والسلاح في يدي » (ص ٩٤) . وقال زملاء قبلاني في نفس المحاكمة : « اننا لسنا نادمين على ما فعلناه وكل ما يؤسفنا اننا (منذ اعتقالنا) تعرقل عملنا لخدمة قضيتنا العادلة» . وقال بدر دعنه للمحكمة العسكرية في القدس : « كعربي فلسطيني اريد تحرير العرب وتحريركم انتم اليهود، ايضا من الصهيونية والامبريالية ..»(ص ١١١). وقال محمد درويش من قرية العيسوية في قضاء القدس لقضاته — جلاديه: « ... انني أفخر بانتمائي الى فتح . انه لشرف عظيم لي أن أقاتل من أجل وطني وضد الاحتلال الاسرائيلي لارضي ... » (ص ١٦٨) .

هذه أمثلة قليلة فقط لمواقف الصمود التي ترويها المؤلفة . وهي تقف أيضا عند مواقف الصمود التي أبدتها امهات المعتقلين ، مثل ام جابر وأم صبحي وغيرهما . لقد قلن للمحامية عندما علمن ان سلطات الاحتلال مستعدة لاطلاق سراح أولادهن بشرط أن ينزحوا : « قولي لاولادنا اننا نفضل الموت هنا على النزوح » !

ووالدة يوسف عاجوري مثلا قالت للمحامية مبتسمة بعد أن أصدرت المحكمة حكما جائرا ضد ولدها : « عندما تقابلين يوسف في السجن قولي له انني لم أبك . انك لن تجدي لدي دمعة واحدة » ! (ص ١٢٠) .

وتسجل المؤلفة بطولة الاولاد والشيوخ والنساء في مقاومة الاحتلال ، وتذكر على سبيل المثال ، قصة الطفل رياض امين جابر الذي وضع العبوات الناسفة قرب مبنى قيادة الجيش الاسرائيلي في القدس فانفجرت العبوات في يده ومزقته اربا . ولم يكن عمره حينذاك الا عشر سنوات .

وتروي الكاتبة قصة نضال السجناء العرب في السجون الصهيونية ، اضراباتهم وتضامنهم ، ومن جهة اخرى تفضح سلطات الاحتلال في أنها لا تكتفي بالحكم الجائر بالسجن بل تحاول الانتقام من المناضلين بعد سجنهم وتحاول قتل نفسهم . هذا بالاضافة الى استغلالها لهم كقوى بشرية عاملة « لاغناء اقتصاديات اسرائيل » ! وتشغلهم طوال اليوم مقابل عدد من السجائر . ولا يفوت المؤلفة ان تذكر ان سلطات الاحتلال جعلت من المحاكم العسكرية مصدر ربح لها فهي « تستخدم المحاكم للاثراء من الغرامات الباهظة » .

معارضة بعض اليهود

تبرز الكاتبة دور القوى التقدمية في اسرائيل وخاصة الشيوعيين في معارضة الاحتلال وتدعو الى زيادة عددهم . فهي تقول لليهودي العادي الذي تستغله السلطات الصهيونية في حمل السلاح وقيادة البلدوزر ضد العرب وبيوتهم وأرضهم :

« ألا تفكر بمستقبل أولادك في هذه المنطقة ؟ ألا تفكر بالبيت الذي قد يحاولون بناءه هنا وأنت تعمل الان على هدم أساساته بيديك . ألا تعي أن معلميك هم أعداؤك ؟! » (ص ١٣) .

انها تسجل أسماء وأعمال من يمارسون القمع والبطش ضد العرب في الارض المحتلة وتصفهم على انهم يعملون على « توسيع الهوة بين الشعبين » ، وفي نفس الوقت تبرز أعمال القلائل من اليهود الذين قد تؤدي أعمالهم الى « اقامة الجسور بين الشعبين » وهي تريد ان يكون كتابها هذا « خدمة للنضال من أجل فتح صفحة جديدة في العلاقات الاسرائيلية العربية على اساس العدل لكل الشعوب » .

انها تخاطب العربي مبينة له « الوجه الاخر » لشعبها وتخاطب اليهودي شارحة له انه لن تكون له حقوق ومستقبل في المنطقة الا اذا ضمنت حقوق ومستقبل الشعب الاخر . « مقاومة الاحتلال لم تتوقف ولو لدقيقة واحدة . ولكن المحتل خدع ببعض مظاهر السكوت الخارجية ، وهدأ عندما رأى ابتسامة مصطنعة هنا او هناك . ولم يستمع الى هدير البركان تحت السطح ... » وهي تريد هنا تذكير الاسرائيليين انها وغيرها من اليهود التقدميين حذروا من البركان قبل وقوعه كنتيجة حتمية للاحتلال .

وتعرب الكاتبة عن خيبة أملها لان طبيعة المحتل لم تتغير حتى بعد درس اكتوبر وتقول محذرة في خاتمة الكتاب : « ... ان الذين لم يسمعوا الخطوات المقتربة للسادس من اكتوبر والذين تبلد حسهم حتى بعده ، ربما سيفتحون عيونهم في يوم جديد ... في يوم احتلال جديد » .

يوسف حمدان

Edgar O' Ballance, **Arab Guerilla Power 1967 - 1972,** (Faber and Faber, London, 1974).

يقدم هذا الكتاب مساهمة جدية تستدعيها ضرورة كتابة تاريخ فلسطين الحديث . وهو وان كان لا يسد هذه الحاجة ولا يكفيها الا أنه يؤكد ضرورة طرحها كمهمة ، في المدى الراهن وفي المستقبل القريب على عاتق المثقفين الثوريين العرب .

يعتبر ادجار اوبالانس من اشهر المؤرخين المعاصرين المعروفين بالدقة والامانة ورجاحة الرأي العسكري . وقد أرخ لاكثر الحروب المعاصرة ، وله اهتمام خاص بحركة التحرر العربي ، فقد وضع كتبا مهمة في هذا المجال ونذكر منها « الثورة الجزائرية » و« حرب اليمن » و« الحرب الثالثة بين العرب واسرائيل » الذي اعتبر بحق من أهم الكتب التي صدرت عن حرب حزيران وأكثرها انصافا بحق العرب . اما الكتاب الذي نحن بصدده فهو كما يقول المؤلف في المقدمة « عرض شامل لبزوغ وامتداد وتراخي قوة الفدائيين العرب ونشاطاتهم الرئيسية في فترة زمنية تمتد بين عامي ١٩٦٧ — ١٩٧٢ » . وهو يقف في تأريخه للعمل الفدائي عند أحداث ميونيخ في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، لان هذا التاريخ يشكل بنظره بداية مرحلة جديدة استخدمت فيها أساليب مختلفة عن السابق .

وقد عمد المؤلف الى تقسيم كتابه الى عدة فصول مميزة ، بيد ان التداخل القوي بين موضوعاتها يجعلنا نستنتج ان هذا التقسيم منهجي في أساسه ويهدف الى التبسيط . ومن الملاحظ ان هذا الكتاب كتب بطريقة مركزة وكثيفة ، دون ان يترك اية « شاردة او واردة » الا وضمنها كتابه ، ولهذا فان اي عرض للكتاب لا بد وان يراعي هذا الاعتبار ، وبالتالي لا بد وان يصطدم بالصعوبات المعروفة في عرض مثل هذه الكتب التفصيلية التي تعتمد على ايراد اكبر قدر ممكن من المعلومات ، دون اية عملية نقدية تقييمية ظاهرة . الا ان هذا لا يمنع القارىء من اكتشاف موقف المؤلف من خلال ملاحظاته اثناء عرضه للاحداث ومن خلال تقييمه النهائي . لذلك فان من المفيد ان نعمد في المرحلة الاولى الى عرض مفصل للكتاب ، ومن ثم ابداء ملاحظات نقدية شاملة عليه .

يؤرخ اوبالانس في الفصل الاول من الكتاب لنشأة النضال الفلسطيني منذ حرب ١٩٤٨ وحتى حرب حزيران ١٩٦٧ . ويشير الى ان هذه الحرب قد ولدت مشكلتين الاولى المشكلة الفلسطينية السياسية والثانية مشكلة اللاجئين العرب « وان كلا المشكلتين متشابكتان ولا يمكن الفصل بينهما ». ويقول ان غارات الفدائيين تميزت خلال تلك الفترة « بالشمول والفاعلية » ، واثبتت عدم قدرة اسرائيل على حماية حدودها ، مما حملها على مواصلة اتباع سياستها العدوانية ، فعمدت الى ضرب مخيمات اللاجئين القريبة من الحدود في غزة وغيرها . ويذكر اوبالانس ان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر بدأ في تشجيع الغارات الفدائية اثر مقتل ٣٨ مصريا أغارت عليهم القوات الاسرائيلية قرب غزة عام ١٩٥٥ . كما سمح للفدائيين باستخدام مخيمات التدريب التابعة للجيش المصري واصبح الجيش يمولهم ويشرف على نشاطاتهم . وقد أغارت اسرائيل على معسكرات التدريب وقتلت ٤٠ جنديا مصريا وجرحت ٤٠ آخرين . بيد ان الغارات الفدائية على اسرائيل استمرت وشملت الحدود الاردنية . ويذكر المؤلف أن أحد أهداف حملة السويس عام ١٩٥٦ كان القضاء على الفدائيين في قواعدهم قرب غزة (ص ٢١) .

وقد دفع النجاح الاسرائيلي الحكومات العربية الى الحد من نشاط الفدائيين الى أدنى درجة ممكنة (الردع غير المباشر) . ولكن بقي الفدائيون وفكرتهم يسيطرون على اذهان الشباب العربي الصاعد ومخيلاتهم .

وخلال تلك الفترة ظهر العديد من المنظمات السرية التي كانت تدعو لاستعمال العنف لحل المشكلة الفلسطينية ، ولم تقابل هذه الفكرة بالاستحسان من جانب الدول العربية المجاورة لاسرائيل . وقد اختفى معظم هذه المنظمات الى

ان ظهرت منظمة فتح عام ١٩٦٥ . وبالطبع سبق ظهور « فتح » انشاء منظمة التحرير الفلسطينية بموجب قرار اتخذه مؤتمر القمة العربي الاول في عام ١٩٦٤ . وقد سمح الرئيس جمال عبدالناصر لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية الاستاذ احمد الشقيري بانشاء وحدات عسكرية صغيرة اطلق عليها اسم « جيش التحرير الفلسطيني » وكان الهدف من انشاء هذا الجيش ان يكون طليعة للتحرير ، ويشن الغارات المتواصلة على اسرائيل . ويشير اوبالانس بعد ذلك الى ظروف انشاء المنظمة والمصاعب التي اعترضتها ، ثم يتحدث عن منظمة فتح التي يرجح ان تكون قد تأسست في أواخر الخمسينات على يد الطلاب الفلسطينيين المقيمين في الخارج . وهو يذكر منهم ياسر عرفات وهاني الحسن وخليل الوزير. وقد قام الاخير (ابو جهاد) بفتح مكتب فلسطيني في الجزائر ، واستطاع ان يمد نفوذ فتح هناك ، لا سيما بين صفوف الاساتذة الفلسطينيين . وفي رأي اوبالانس ان فكرة « فتح » الاساسية كانت تلخص في كلمتين « تسخين المنطقة » وبالتالي توريط الحكومات العربية في حرب مع اسرائيل ، ولكن المؤلف ينسى او يتناسى ان حركات التحرير تضع أهدافا أشمل وأسمى من ذلك . ويتابع المؤلف بالقول ان حركة فتح اختارت سوريا كقاعدة للعمل ، وأسست الجناح العسكري المعروف بقوات العاصفة . وشن فدائيو العاصفة اولى عملياتهم على أنابيب توزيع المياه قرب مدينة عيلبون في ١٩٦٥/١/١٤ ، وتلى ذلك هجمات على كفرهس في ١٢/٢٨ ، أراد في ٣/٣ ، برامات هاشارون ٥/٢٥ حيث قتل ٣ اسرائيليين كما هوجمت في الليلة التالية العفولة . واعترفت اسرائيل بوقوع ٣١ اغارة خلال عام ١٩٦٥ . وأدت الاغارات الفدائية الى تدهور العلاقات السورية الاردنية نتيجة لقيام اسرائيل بضرب المواقع الاردنية للانتقام بدلا من ضرب الاهداف السورية .

وقد نجحت فتح في كسب تأييد الرأي العام العربي خلال تلك الفترة . وبالرغم من لجوء إسرائيل الى اجراءات احترازية مثل اقامة اجهزة تحذيرية ، ونصب الكمائن ، وتسيير الدوريات ، فان الاغارات الفدائية استمرت من الاردن ، ثم من لبنان ، وتصاعدت في قوتها وفي التأييد الشعبي لها . ويقدر اوبالانس عدد افراد العاصفة عشية حرب حزيران بـ ٥٠٠ مقاتل . ونظرا للتأييد الشعبي العارم الذي لاقته قوات العاصفة بدأت جماعات اخرى بمحاكاة فتح فنشأت جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة علي بشناق وأحمد جبريل وفضل شرورو ، ثم ابطال العودة وغيرها. وبعد غارة السموع ازدادت العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة فاصبحت يومية . وينهي اوبالانس الفصل الاول بالقول بأن فتح نجحت خلال الثمانية عشر شهرا الاولى من العمل برفع المعنويات الفلسطينية العربية ، وارباك اسرائيل . ولكن النجاح الذي حققته فتح قابلته هزيمة عربية سريعة في الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثالثة .

يبدأ الفصل الثاني الذي يحمل عنوان « السمك والبحر » ــ وهذا تعبير شهير لماو تسي تونغ ــ بالقول بأن قرارات مؤتمر الخرطوم ، ومناداة بعض الدول التقدمية بضرورة خوض حرب التحرير الشعبية ، شجعت الفدائيين على القيام بأعمالهم. ثم يتحدث اوبالانس عن احوال منظمة التحرير ومصير جيش التحرير الفلسطيني بعد حرب حزيران ، وكيف تحول قسم من هذا الجيش الى قوات التحرير الشعبية . ويسرد بشيء من التفصيل نشاط حركة فتح في جمع الاسلحة واقامة خلايا داخل الاراضي المحتلة ولا سيما في قطاع غزة . وقد نشطت اعمال المقاومة في الداخل وعلى الجبهة الأردنية مع العدو بحيث أصبح تبادل اطلاق النار عملا يوميا . وكانت اسرائيل تقوم بتدمير المنازل كرد فعل انتقامي ضد كل من يشتبه بأنهم يقدمون المساعدة للمقاومة . ومع مطلع عام ١٩٦٨ ازدادت العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة واضطرت اسرائيل الى استخدام سلاح الجو والمدفعية والدبابات للرد على الغارات الفدائية مما حمل السفير الاميركي في عمان الى التدخل واستطاع ان يتوصل الى وقف اطلاق النار .

ويتطرق اوبالانس الى معركة الكرامة ويصفها بدقة مستفيدا من خبرته العسكرية الواسعة . ويقول ان الاسرائيليين اضطروا الى الانسحاب بعد عجزهم عن التقدم ، رغم تكرار محاولاتهم واستخدامهم لجميع انواع الاسلحة . وهو يعتبر معركة الكرامة علامة بارزة على طريق النضال الفلسطيني وتصاعده ، ويقول ان الملك حسين ،

أجبر على امتداح الفدائيين بعد المعركة وهو لم يكن يريد ان يدخل المعركة الا ان بعض الجنود فتحوا النار خلال القتال مخالفين بذلك الاوامر التي أعطيت لهم . ويذكر المؤلف بأن النصر العربي في معركة الكرامة كان نصرا معنويا . أما بالنسبة لاسرائيل فقد منيت بخيبة أمل ، وتعرضت لموجة من النقد ، ويعود ذلك الى عدم تحقيق أهداف الحملة في القضاء على الفدائيين ، والى الثمن الباهظ الذي دفعته اسرائيل لمغامرتها ، اضف الى ذلك بأن المعركة أحدثت ثغرة في سمعة الجيش الاسرائيلي ، وأثبتت فشل اسرائيل في اجبار الحكومات العربية على الحد من نشاط الفدائيين.

يستهل اوبالانس الفصل الثالث — امتداد الفدائيين — ان معركة الكرامة كانت نقطة تحول مهمة أنهت مرحلتين من مراحل النضال الفلسطيني: مرحلة حرب العصابات الثورية التي لم تنجح ومرحلة الاعداد التي كانت اكثر نجاحا. وقد اشتملت مرحلة الاعداد على اقامة مخيمات التدريب ، وجمع المال والسلاح ، وكسب النفوذ السياسي وحرية الحركة داخل الدول العربية . أما المرحلة الثالثة ، مرحلة التوسع والانتشار ، فقد ظهر فيها الفدائي بلباس الميدان ، وهو يحمل بندقية سوفياتية AK 47 (الكلاشينكوف) وتحيط به هالة من المجد والتأييد وانهالت الاموال من كل صوب ، لدرجة ان فتح استطاعت ان تعوض أهالي الشهداء ، وتشتري المعدات والادوية الطبية . وواكب ذلك تدفق المتطوعين ، فازداد عدد المقاتلين بين ليلة وضحاها من ٦٠٠ قبل معركة الكرامة الى اكثر من ٢٠،٠٠٠ مقاتل .

وخلال هذه الفترة ظهر العديد من المنظمات الفدائية . ويتحدث اوبالانس بايجاز عن نشأة منظمة « الصاعقة » ، و« الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، ويتطرق الى الحديث عن نشاط الجبهة وعملياتها في غزة والقدس ، وعن المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في القاهرة من ١٠ — ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، ثم يتابع موقف الاتحاد السوفياتي خلال تلك الفترة ويقول ان الاتحاد السوفياتي كان يفضل التعامل المباشر مع الحكومات العربية ، وقد أعلن في شهر كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٦٨ بأنه لن يسمح بتجدد القتال في الشرق الاوسط . فالاتحاد السوفياتي ، حسب رأي المؤلف ، كان يفضل الحرب النظامية على حرب العصابات ، لذلك تردد في تقديم العون للمقاومة ، واكتفى بالمناداة بتوحيدها تحت قيادة توافق عليها مصر .

وبعد الامتداد السريع ، مرت حركة المقاومة بمرحلة تعزيز الصفوف وتطوير وسائل الاعلام والمواصلات والحصول على المتطوعين . وسمح لفتح باستخدام اذاعة القاهرة لمدة قصيرة كل يوم. ويقول اوبالانس ان الجماهير العربية كانت تستجيب لاذاعة « صوت فتح » المتشددة التي كانت تعبر عن امانيها وتطلعاتها . ثم يتطرق لقضايا متنوعة مثل الاشبال وتدريبهم ، وأسر الشهداء ، وجمع الاموال . وهنا ينتقد اوبالانس بعض أساليب جمع الاموال لا سيما عن طريق بيع الطوابع ، ولكنه يخطىء عندما يردد بأن الرسائل لم تكن ترسل لاصحابها ما لم توضع عليها الطوابع الفلسطينية. وينسى ان الموظفين في الاردن كانوا يخضعون للحكومة ، وان كثيرا العديد منهم يتعاطف مع المقاومة .

بعد ذلك ينتقل اوبالانس لموضوع العلاقات الفدائية — الاردنية ، ويقول ان الوجود الفدائي في الاردن ازداد نموا بعد معركة الكرامة مما ادى الى زيادة الاحتكاك مع السلطة . ولكن بعض القادة في حركة المقاومة كانوا يعتقدون ان الزمن يعمل بجانبهم ، ولذلك حرصوا على تجنب الاصطدام مع السلطة في الاردن. ومع هذا فقد وقع الاصطدام في ٦٨/١١/٤ ، وكان الصدام في البداية ، مع كتائب النصر المشبوهة ، ثم لسم يلبث ان امتد وشمل منظمات مقاتلة اخرى ، وفي النهاية طوق الحادث بعد سقوط عدد من القتلى والجرحى . وقد ترك الصدام ذيولا عديدة ، واتهمت المقاومة السلطة بتدبير الحادث . وكان من نتائج الصدام توقيع اتفاقية بين الجانبين ، وتعهد الفدائيون بالالتزام بالقوانين المعمول بها ، وتراجع الملك حسين بالمقابل عن طلبه بتجريد المخيمات من السلاح ، وضرورة استشارة الجيش قبل القيام بالعمليات الفدائية ، وتلى ذلك تأليف وزارة جديدة ضمت عناصر متطرفة ومعروفة بعدائها التاريخي للحركة الوطنية . وفي نهاية الفصل الثالث يتعرض المؤلف لحوادث خطف الطائرات ، ولعملية الهجوم على مطار بيروت وردود الفعل الدولية في ذلك

الحين ، ويستنتج ان الاغارة جاءت بنتائج عكسية بالنسبة الى اسرائيل وأدت الى تصاعد النشاط الفدائي في لبنان . ولكن المؤلف اغفل ان يذكر ان الجنرال ديغول فرض حظر قطع غيار الطائرات الفرنسية الى اسرائيل على اثر هذه العملية التي استخدم فيها الكوماندوس الاسرائيلي طائرات هليكوبتر فرنسية .

يبدأ المؤلف الفصل الرابع ـ تصعيد الفدائيين ـ بالقول بأن حركة المقاومة بلغت ذروة قوتها خلال عام ١٩٦٩ ، ويتطرق الى المجلس الوطني الفلسطيني الخامس الذي عقد في القاهرة في أوائل عام ١٩٦٩، ويقول ان ياسر عرفات أصبح شخصية ذات نفوذ واسع بعد انتخابه رئيسا للجنة التنفيذية .

بعد ذلك يتحدث اوبالانس عن الخلافات التي وقعت داخل صفوف « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » وعن انشقاق الجبهة لعدة تنظيمات مستقلة . كما يتطرق الى مسألة الصراع على السلطة في سوريا ، والى ظروف انشاء « جبهة التحرير العربية » ، والى العلاقات العربية الفلسطينية ، ويعود ليذكر بالموقف السوفياتي المتناقض خلال تلك الفترة ، فقد كان الاتحاد السوفياتي يدعو سوريا ، على حد تعبيره ، لكبح جماح الفدائيين ، ويوعز للحزب الشيوعي اللبناني، في الوقت نفسه ، بدعم المقاومة في لبنان .

وينتقل اوبالانس لشرح نشاط الفدائيين العسكري وردود فعل اسرائيل خلال تلك الفترة ، ويقول ان « فتح » كانت تحظى بنصيب الاسد من هذه العمليات ، وقد أجبرت اسرائيل على الاعتراف بعملياتها اليومية .ويورد المؤلف احتلال قوات العاصفة لبلدة « الحمة » . ويقول أن معركة الحمة اثبتت ان فتح أصبحت أكثر تدريبا وتنظيما وقدرة . كذلك يذكر عملية « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ضد خط أنابيب التابلاين ، وتهديد الملك فيصل بقطع المساعدة على الفدائيين كرد فعل على العملية .

وقد أدى تزايد الغارات الجوية الاسرائيلية الى قبعثر القواعد الفدائية لتلافي الضربات ، ولكن الطائرات الاسرائيلية استطاعت ان تغير على قاعدة لفتح قرب مدينة السلط ، وأن توقع خسائر في الارواح . وخلال تلك الفترة اعتقلت اسرائيل عددا كبيرا من العناصر التي اشتبه بنشاطها في الاراضي المحتلة ، ودمرت العديد من المنازل . وينتقل اوبالانس بعد ذلك للحديث عن تسليح الجيش السوري وتجهيزاته ، وعن الرئيس عبد الناصر وتحفظه النسبي في تأييد الفدائيين لا سيما في البداية ، والتطور الذي طرأ على سياسة الرئيس عبدالناصر فيما بعد .

ويذكر اوبالانس حريق الاقصى ومظاهرات القدس ، فيقول ان الفدائيين تبنوا أسلوب الفيتكونغ في اطلاق الصواريخ خلال تلك الفترة ، وتطرق الى الجبهة الشرقية مشيرا الى ان معظم القوات العربية انسحبت ما عدا فرقة عراقية ولواء سعودي . ولكن العراقيين ارسلوا وحدات اخرى الى الجبهة السورية استجابة لنداء حافظ الاسد وزير الدفاع السوري عندئذ ، ولا ينسى اوبالانس في تاريخه لتلك الفترة ان يذكر « حرب البيانات » Communique War بين « فتح » و« الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، ويذكر بعض العمليات التي كانت موقع خلاف بين المنظمتين . كما يشير المؤلف الى الميليشيا ويذكر تطورها من حيث التدريب والتوعية السياسية ، واستخدامها في جمع الاموال والحصول على المعلومات والمؤن . وعلى الصعيد السياسي يقول اوبالانس ان وفد منظمة التحرير استطاع ان يحصل على مكسب كبير عندما وجهت اليه الدعوة لحضور مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط . ولقد وافقت كل من ليبيا والكويت والسعودية على دفع مبلغ ١١٠ ملايين جنيه استرليني سنويا لمنظمة التحرير (ص ٨٨) . وفي نهاية الفصل ، يلخص اوبالانس حصيلة عام ١٩٦٩ فيقول ان فتح كانت تأمل في تثوير الجماهير الفلسطينية والعربية ولكنها لم تنجح في ذلك ، وان كانت قد كسبت تأييد اليساريين في الضفة الغربية ، وأعطت مثلا يحتذى في الوحدة الفلسطينية .

يتناول الفصل الخامس من الكتاب ـ « أرض فتح » المراحل الاولى من الوجود الفدائي في لبنان عام ١٩٦٩ . ويقول أوبالانس ان عددا من مقاتلي « فتح » و« الصاعقة » دخلت الى لبنان في شهر تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٦٨ بتشجيع من اللواء فؤاد شهاب . وعلى اثر الغارة الاسرائيلية

على لبنان ، تحركت قوات اخرى من « الصاعقة » و« فتح » الى لبنان ، وتمركزت على سفوح جبل الشيخ . وقد اطلق على هذه المنطقة التي تبلغ مساحتها ٢٠ — ٥٠ ميلا مربعا اسم ارض فتح (Fatah Land). وقد اصبح الوجود الفدائي في منطقة العرقوب قويا لدرجة ان الشرطة المحلية اضطرت الى مغادرة المنطقة. ويذكر المؤلف العرض الذي تقدم به ياسر عرفات لرشيد كرامي ، رئيس الوزراء آنذاك ، لتحصين قرى الجنوب مقابل حرية الحركة للفدائيين ، ولكن السلطات اللبنانية رفضت اقتراحه في ذلك الحين . ومع ان نشاط الفدائيين العسكري كان متواضعا ، فقد نشطت المقاومة داخل المخيمات الفلسطينية في لبنان ، ووقعت خلال تلك الفترة صدامات مسلحة بين السلطة والفدائيين يذكرها المؤلف بالتفصيل ، ثم يتحدث عن لبنان السياسي ، ويذكر أنواع السلاح التي يمتلكها الجيش اللبناني .

وتابع الفدائيون عملياتهم في الجولان والجليل الاعلى وكانت اسرائيل تقوم بعمليات انتقامية مثل الهجوم على قريتي حلتا وعيترون وغيرهما . ولكن النشاط الفدائي استمر داخل المخيمات بالرغم من الحواجز والقيود المفروضة عليه . ويذكر المؤلف بالتفصيل الصدامات التي وقعت بين الجيش والمقاومة في تلك الفترة ، وتدخل سوريا في القتال باعلانها اغلاق الحدود مع لبنان وارسال قواتها للمرابطة على حدوده . وقد أدى التدخل الشخصي للرئيس الراحل عبدالناصر للتوصل الى عقد « اتفاقية القاهرة » التي وقعها العماد اميل البستاني وياسر عرفات . وقد بقيت تفاصيل الاتفاقية سرية . وفي رأي اوبالانس ان اتفاقية القاهرة أرضت الجانب اللبناني عندما أتاحت له مراقبة النشاط الفدائي ، وأرضت الفدائيين بمنحهم حق الوجود على الارض اللبنانية . ولكن اوبالانس يخطىء الحكم عندما يقول ان قوة الفدائيين ونفوذهم في لبنان أصابهما الوهن بسبب الصدامات المسلحة مع السلطة ، ولعدم تأييد الاهالي لهم . فهو ينسى ان كل الشخصيات والقوى الوطنية والتقدمية وقفت موقف التأييد والدعم . ويتابع اوبالانس حديثه المتسلسل ، ويتطرق الى بعض القضايا وأهمها مؤتمر الرباط ، وخطاب عرفات فيه ، ومواقف وزير الداخلية كمال جنبلاط المؤيدة للفلسطينيين ، وحادثة الكحالة ، ومعركة العرقوب ، وقيام الفدائيين بشن الهجمات بعد المعركة مباشرة، واخيرا قيام « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » (القيادة العامة) بعملية ضرب باص طلاب المدارس قرب مستعمرة افيعيم في ٢٤ أيار (مايو) ، والتي أثارت بعض الخلاف ضمن صفوف حركة المقاومة . ويشير اوبالانس في نهاية الفصل الى النشاط السوري على جبهة الجولان ، ويقول ان السوريين صعدوا من ضغوطهم العسكرية خلال تلك الفترة . وفي الثاني من نيسان (ابريل) وقعت أكثر المعارك شراسة على جبهة الجولان منذ حرب حزيران ، وقد أسقطت سوريا خلالها ٧ طائرات ودمرت ٢٥ عربة مسلحة مقابل خسارة طائرتين و١٦ قتيلا .

ويخصص اوبالانس الفصول الثلاثة التالية لمجزرة ايلول او الحرب الاهلية كما يحلو له ان يسميها . وهو يركز في البداية على مقتضيات الحرب ومسبباتها ، مثل عملية خطف الطائرات التي قامت بها « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين »، ومرسوم الملك حسين يوم ٢/١٠ الذي شمل ١١ بندا كانت ترمي الى السيطرة على العمل الفدائي، وقيام الشريف ناصر بن جميل بتأليف الميليشيا من البدو (الشعبة الخاصة) ، ودخول اللواء المدرع الثالث بقيادة زيد بن شاكر للعاصمة ، وهجوم فتح على مركز البادية في جبل الوحدات . بيد ان اوبالانس ينفي ان الملك حسين او الفدائيين كانوا يريدون القتال . فبالنسبة الى الفدائيين ، كان خلع الملك حسين سيؤدي الى صراع بينهم حول من يخلفه . واما بالنسبة للملك فقد كان يشك في ولاء صغار الضباط الفلسطينيين له . وفي ١٣ نيسان (ابريل) تراجع الملك حسين عن بيان ٢/١٠ ونفى ان يكون في نيته القضاء على الفدائيين ، لذلك وافق على ابعاد محمد رسول الكيلاني عن وزارة الداخلية . وفي ٤/١٥ انسحبت القوات الاردنية من العاصمة . وقد أغضب ذلك زعماء البدو . اما بالنسبة الى المقاومة في عمان ، فقد تأسست القيادة الموحدة ، وتم التنسيق بين المنظمات الفدائية ، وفرض عليها شيء من الانضباطية . وخلال تلك الفترة زار ابو عمار روسيا والصين وهانوي حيث التقى بالجنرال جياب . ويتابع اوبالانس سرد مقدمات « الحرب الاهلية » فيذكر زيارة سيسكو ، والمظاهرات الجماهيرية الساخطة التي واجهتها ، وحوادث

الزرقاء وسقوط عدد من القتلى بين صفوف المقاومة، وتعرض الملك حسين ، حسب رواية السلطة ، لاطلاق النار قرب صويلح ، وحجز عدد من الاجانب في فندق فيلادلفيا والاردن (كونتيننتال) والتهديد بقتلهم ما لم يستجب لمطالب الفدائيين مثل : التوقف عن قصف المخيمات ، وابعاد الشريف ناصر ومحمد رسول الكيلاني وزيد بن شاكر . وقد استجاب الملك لذلك ، مرحليا على الاقل ، الامر الذي اثار حنق حشود اللـواء المدرع الثالث الذين أعلنوا بأنهم سيدخلون العاصمة ولكن تدخل اللواء مشهور حديثة رئيس الاركان الاردني آنذاك حال دون ذلك. وتلى ذلك تشكيل لجان أردنية ــ فلسطينية مشتركة للحفاظ على حالة الامن . وأعقب ذلك ظهور مشروع روجرز سيىء الذكر الى سطح الاحداث السياسية، وما نتج من خلافات بين الرئيس جمال عبد الناصر والمقاومة وبعض الدول العربية . وقد انعكست هذه الخلافات على الوضع العسكري في الجبهة الشرقية . وبعد زيارة سريعة للقاهرة عاد ابو عمار الى عمان في ٢٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ وحضر الاجتماع الطارىء للمجلس الوطني الفلسطيني . وفي ٢٩ آب (اغسطس) زار الملك حسين القاهرة وأعلن بعدها على شاشة التلفزيون قبول الاردن بمشروع روجرز ، وهدد الفدائيين وطالبهم بعدم التدخل في حـرية الجيش الاردني في التحرك . وينهي المؤلف الفصل بالقول ان خطاب الملك كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير ، فبعد الانتهاء من القاء الخطاب كانت صليات الرصاص تلعلع في سماء عمان .

في الفصل الثامن يواصل المؤلف متابعة سير الاحداث في الاردن ، فيتطرق الى تعيين وصفي التل رئيسا للحكومة ، وما رافق ذلك من اشتباكات كان يتلوها اتفاقـات بين الطرفـين : الحكومة والمقاومة . ويذكر اوبالانس بمواقف وصفي التل المعادية للحركة الوطنية ، ويشـير بالتحديد الى مسؤوليته عن هزيمة الفدائيين . وهنا يوجه المؤلف بعـض الانتقـادات الى المقاومـة مثل فقـدان الاستراتيجية الواضحة Discerrible Strategy وانعـدام الوحـدة بين الفصـائـل المختلفـة Lack of Unity ، واختلاف وجهات النظر السياسية . ومع ذلك فان المؤلف يذكر محاولات ياسر عرفات بعد أيلول (سبتمبر) لدمج المنظمات المختلفة ويشير الى أن هذه المحاولات انتهت عند المنظمات الى (٥) . ومن الاحداث الهامة التي يتوقف عندها المؤلف مصرع وصفي التل على يد فدائيي « منظمة أيلول الاسود » في القاهرة . ويروي على لسان احد كبار الضباط الاسرائيليين قوله « ان وصفي التل قتل من الفدائيين في عام واحد أكثر مما قتلت اسرائيل في عشرة اعوام » . ويلقي المؤلف الضوء على التغيرات التي حدثت داخل فتح وجيش التحرير ، والتي ادت الى تعيين العقيد مصباح البديري مكان العميد عبد الرزاق اليحيى . وينهي اوبالانس الفصل الثامن بالقول ان عام ١٩٧١ شهد انحسارا في نشاط الفدائيين بشكل عام ، فيما عدا قطاع غزة ، حيث تركز الانتباه الاسرائيلي هناك لعدة شهور .

يخصص اوبالانس الفصـل التاسع للتحـدث بالتفصيل والتسلسل التاريخي عن صمود قطاع غزة في وجه الاحتلال الاسرائيلي . ويقول المؤلف ان اسرائيل عجزت عن تحقيق نجاح يذكر . ويعزو أسباب ذلك الى طبيعة السكان وتململهم وكثرتهم . ويقول ان اسرائيل لجـأت الى أساليب عديدة للقضاء على المقاومة منها : فرض منع التجول مع ما يصاحبه من تفتيش للبيوت ، وهدم المنازل ، وترحيل الرجال من عائلاتهم ، وتعذيب الاسرى من الفدائيين ، وإغراء الاهـالي بالعمل وتحسـين أحوالهم المعيشية . وحاولت اسرائيل ان تقيـم المستوطنات للحد من نشاط المقاومة . ولكن هذه الاساليب فشلت حتى ان الحاكم العربي للقطاع ، والذي كان مواليا لاسرائيل ، رفض بعض الاوامر التي أعطيت له ، مما حمل اسرائيل على عزله واستبداله بضابط اسرائيلي .

في الفصل العاشر والاخير يقول المؤلف ان عام ١٩٧٢ شهد تحولات جذريـة في أساليب العمل الفدائي ، فازداد خطف الطـائرات ، وارسال الرسائل الملغومة . ويشير الى عدد من الاحداث أهمها انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني العاشر في القاهرة ، واعتقال اسرائيل لعدد من الضباط السوريين خلال زيارتهـم للحدود اللبنانيـة ــ الاسرائيليـة ، والانتخابات البلديـة في الضفة الغربية ، وعمليتي مطار اللد ، والجيش الاحمر . وفي نهاية الفصل يشير اوبالانس لعملية ميونيخ وردود الفعل المختلفة التي واكبتها .

في التقييم النهائي لكتاب اوبالانس نجد احكاما متناقضة حول مسيرة الثورة الفلسطينية . فبعد ان يعتبر المؤلف ان الثورة استطاعت ان تكون مبعثا للامل وتجسيدا للوحدة ، وانها استطاعت ان تضع أمام الفلسطينيين في الداخل والخارج هدفا يتطلعون اليه ، نجده يسارع الى القول بأن الثورة فشلت في تحقيق اهدافها كليا . ويعزو اوبالانس ذلك الى الاسباب التالية : ١ — عجز الفدائيين عن استيعاب ماهية حرب العصابات ، ٢ — تعدد فصائل المقاومة وتناحرها ، ٣ — فقدان القائد الفذ الذي يستطيع توحيد كافة الفصائل ، ٤ — فقدان روح المسؤولية . وهنا يلتقي مفهوم اوبالانس للمسؤولية مع مفهوم الحكومات العربية الرجعية التي تريد أن تضع القيود في يد المقاومة وتحد من حريتها .

ويخلط المؤلف بين « فتح » و« منظمة التحرير الفلسطينية » عندما يقول (ص ٢٣٠) ان « فتح » حظيت بقائد سيىء الحظ في بداية عملها ، وهو أحمد الشقيري . اما عن ياسر عرفات ، فيصفه المؤلف بأنه استطاع ان يبقي حركة الثورة حية ، ولكنه يقول ان قدراته العسكرية اقل من موهبته السياسية .

ويبقى الكتاب ، رغم بعض أخطاء المؤلف في تهجئة الاسماء والاماكن العربية ، مرجعا لمن يريد ان يدرس مسيرة الثورة الفلسطينية . بيد ان بعض الملاحظات والاراء الشخصية للمؤلف ، وان كانت قليلة ، قد تضلل القارىء لا سيما الغربي ففيها أحكام جائرة وغير صحيحة ، ولكن خلفية المؤلف العسكرية ساعدته على تفهم الاحداث واعطاء الاراء الصائبة عنها .

ماهر كيالي

سامي حكيم، **اسرائيل والدول الشيوعية** (بيروت ، دار الكاتب العربي ، لا . ت .)

اسرائيل والدول الشيوعية كتاب جديد أنزل مؤخرا الى الاسواق عن دار الكاتب العربي ، التي قدمت قبل ذلك سلسلة من الكتب المشابهة لقدري قلعجي الشيوعي السابق والدكتور معروف الدواليبي رئيس وزراء سوريا ابان الانفصال ، وسعد جمعة رئيس وزراء الاردن خلال هزيمة حزيران . وهذا الكتاب ، كأي دراسة أخرى لها صلة بعلاقات اسرائيل الدولية ، تكتسب أهمية خاصة ، للطبيعة الخاصة للكيان الصهيوني كجسم غريب مزروع في المنطقة ، يحاول ان يعوض غربته المحلية ، بتحالفاته وعلاقاته الدولية .

يتناول الكتاب وقائع تاريخية يعود بعضها الى ما يزيد على قرن مضى وتشتمل على اخبار ووقائع مأخوذة عن صحف أجنبية ووثائق يسميها الكاتب سرية بالاضافة الى قدر كبير من الوقائع التي لم يذكر الكاتب مصدرها . وليس من السهل ولا من الممكن التأكد من صحة مصادر الكاتب لان مصادر المعلومات المذكورة غير دقيقة . فكثيرا ما يحيل القارىء الى « وثائق الجامعة العربية » و« وثائق الامم المتحدة » بدون ذكر تاريخ او رقم لتلك الوثائق ، مما يجعل التحقق من صحة أي واقعة او استشهاد امرا غير ممكن . ولقد كانت الوسيلة المثلى ، مقارنة الوقائع المذكورة في هذا الكتاب بما كان الكاتب نفسه قد أورده في تاريخ سابق عبر مؤلفين له ، احدهما بعنوان « اميركا والصهيونية » والاخر بعنوان « اسرائيل والدول النامية » ، وكلاهما صادران عن المكتبة الانجلو — المصرية في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ على التوالي .

يحدد الكاتب هدف الكتاب بالكلمات التالية التي وردت على الغلاف « نشأت الصهيونية والشيوعية في بيئة واحدة ، وفق تخطيط مجموعة من المفكرين اليهود تعمل على خطين متوازيين ... وبعد ان وقعت الصهيونية العالمية في القضاء على الحكم القيصري في روسيا ... انطلقت تعمل في كنف

الماركسية ... على انشاء دولة اسرائيل ... وكان الاتحاد السوفياتي والدول السائرة في فلكه اللسان الداعي الى اقامة دولة اسرائيل والمدافع عن حقها في الوجود على حساب الحق العربي » . ويقول الكاتب في مقدمة الكتاب عن العلاقة بين الصهيونية والماركسية « فقد ولدا في جحر واحد وتغذيا من ثدي واحد حتى اذ اشتد عودهما سارا معا في دروب الحياة ... وليس أدل على ذلك من ان ممثل الحزب الشيوعي السوفياتي خطب في احد المؤتمرات الدولية فقال « اذا تعرض الكيان الاسرائيلي الى الزوال ، فان الحزب الشيوعي السوفياتي سيحارب دفاعا عنه وحفاظا عليه ». (ص ٣) ولكن في أي مؤتمر ؟ وأي مكان ؟ واسم الشخص القائل ؟ هذا ما لا يذكره الكاتب .

ان الثدي الواحد الذي تحدث عنه الكاتب عام ٧٤ هو غير الثدي الذي كان عام ٦٧ . والثدي والرعاية يقول عنهما ساسي حكيم ١٩٦٧ تحت العنوان « بداية الضلال » ، اميركا واسرائيل ، كلمتان مترادفتان تؤديان في النهاية الى معنى واحد هو السيطرة الاستعمارية ،فالصهيونية والاستعمار رضعا من ثدي واحد وسارا في درب واحد حتى وصلا الى فلسطين العربية في ظلال الرعاية الاميركية » (اميركا والصهيونية ص ٧) . وكان الكاتب قد قال في مقدمة كتابه المذكور « فاسرائيل الحديثة هي ثمرة الصهيونية وكل ثمارها محرمة ، غرستها أيدي ملوثة بالدماء وعدم النقاء ، وتعهدتها بعض الدول وفي مقدمتها اميركا التي عقدت مع بريطانيا اتفاقا عام ١٩٢٤ بشأن ما ادعته من حقوقها في فلسطين ، وسارت اميركا منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم وهي تدعم هذه الحقوق المزيفة بما قدمته وتقدمه من عون منهمر لم يكن آخره هذا التشجيع السافر للاعتداء على الاراضي العربية في الاردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة . وقد أجملت في صفحات هذا الكتاب قصة التلاحم الاميركي الصهيوني ... » (المرجع السابق ، ص ٦) .

وعن العلاقة بين الصهيونية والشيوعية يقول الكاتب : « الصهيونية والشيوعية اختمرتا في بيئة واحدة ... واستهدف القائمون عليها فكرة السيطرة والاستعمار » (ص ٤) . ولتأكيد فكرته تلك يسوق الكاتب الدلائل الاتية : « ففي بون بألمانيا نشأ موسى هس الاب الحقيقي لليهودية القومية السياسية ... وفي بون ايضا نشأ كارل ماركس ... وجمعت بين هس وكارل ماركس صفات مشتركة هي اولا التنكر للدين ... ثانيا حب السيطرة ، فهس دعا الى سيطرة اليهود ... ونادى كارل ماركس باخضاع المجتمع الى قيادة طليعية ماركسية » (ص ٤ — ٥) . وبالرغم ان الكاتب قد قال قبل أسطر قليلة ان ماركس تنكر للدين .. لقد ساق الكاتب أدلة على « يهودية ماركس التي ولدت معه حتى انه أطلق لحيته وأطال شعر رأسه تشبها بحاخامي اليهود » (ص ٥) . ولكن الكاتب يطلق على فكرته رصاصة الرحمة عندما يقول : « ورأى كارل ماركس ان اليهودية في هذا الاطار تشكل عنصرا معاديا للاشتراكية ولذلك نادى بتحرير الانسانية من اليهودية » (ص ٦) . وبالرغم ان ماركس ساند الحركات القومية في ايرلندا وبولندا ، « ولكنه لم ير في تصرفات اليهود ودعوة زعمائهم ما يشير الى بعث حركة قومية في صفوفهم ... لذلك طالب بحل مسألتهم عن طريق القضاء على النظام الرأسمالي في العالم » (ص ٧) . وتحت عنوان « اليهودية والماركسية معا » يقول الكاتب : « وانطلقت اليهودية تعمل في كنف الماركسية » (ص ٨) ولكن كيف ؟ لانه « ليس من قبيل المصادفة ان يجتمع المؤتمر الصهيوني الاول في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وينشأ في ذلك الوقت بالذات « الاتحاد العام للعمال اليهود » ... (البوند) وكان ذا ميول ماركسية متطرفة » (ص ٨) . ولكن ما هو موقف لينين ؟ (ص ٩) يقول الكاتب انه عبر عن موقفه من القومية اليهودية بالآتي « هي رجعية كليا لا عندما يدعو لها دعاتها الصرحاء ولكنها كذلك عندما تنطلق من شفاه هؤلاء الذين يحاولون ان يمزجوها بأفكار الديمقراطية الاجتماعية ان فكرة القومية اليهودية هي ضد مصالح البروليتاريا اليهودية لانها تروج في صفوفها مباشرة او بشكل غير مباشر روحا معادية انها روح الغيتو » (ص ٩) . وينقل الكاتب عن ستالين رأيا مشابها لرأي لينين هذا ... « ولكن اليهود رغم هذا الموقف استمروا في تأييدهم لدعوة لينين ... لتقويض الكيان القيصري » (ص ٩) . بل وان « اليهود وراء الثورة » فقد « ذكرت مجلة فرنسا القديمة في عددها ١٦٠ أسماء بعض المصارف اليهودية التي

زودت ثورة البلشفيك بالمال » (ص ١٠ — ١١) .
واذا كان الكاتب قد اعتبر العلاقة « الجغرافية » بين وجود هس وماركس في بون ، كسبب ودليل لعلاقة الصهيونية والشيوعية ، فلقد استند الى علاقة « تاريخية » هذه المرة حيث ربط بين « وعد بلفور الذي صدر يوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، واندلاع الثورة الروسية التي هلل لها اليهود في كل مكان ... » (ص ١٠) . ويؤكد على ذلك « بالغاء جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود » (ص ١١) اذ « لا مكان للاضطهاد القومي في جمهورية روسيا السوفياتية » حيث أعلن مبدأ تقرير المصير للجماهير الكادحة ، أن عدونا هو البرجوازي اليهودي ليس لانه يهودي بل لانه برجوازي » (ص ١٢) و« ان الحركة اللاسامية والمذابح الموجهة ضد اليهود تهدد بالقضاء على مصالح ثورة العمال والفلاحين ... » (ص ١٢) . ولكن الكاتب يقول مباشرة بعد ذلك « يتضح مما تقدم ان الثورة الروسية ووعد بلفور واذا معا في جحر الصهيونية » (ص ١٢) ويسوق أدلة بأنه « تم نقل اليهود من المناطق الغربية التي كانت مهددة بالغزو الهتلري الى منطقة الشرق الآمنة .. حتى بلغ مجموع من انقذتهم الحكومة الروسية من الزحف الهتلري مليونين من اليهود » (ص ١٤) ، وستالين الذي كان معاديا لليهودية في ص ٩ اصبح « مؤيدا للبرنامج الصهيوني » في ص ١٤ . ولكن ما هو الدليل ؟ « زوجته الثالثة روزا هي شقيقة اليهودي لازار ... » وفضلا عن ذلك فان ستالين ومن قبله لينين كانا يتحدثان باللغة اليديشية » (ص ١٤) .

والان ما علينا سوى التساؤل ، اي رأي علينا أن نصدق من الآراء المتناقضة التي أدلى بها الكاتب . فهو يقول ان الصهيونية والماركسية « ولدا في جحر واحد وتغذيا من ثدي واحد » (ص ٣) وفي الوقت نفسه ينقل الكاتب رأي كارل ماركس القائل « بتحرير الانسانية من اليهودية » (ص ٦) ورأي لينين عن فكرة القومية اليهودية بأنها « ضد مصالح البروليتاريا اليهودية لانها تروج في صفوفها مباشرة أو بشكل غير مباشر روحا معادية . انها روح الغيتو ») ص ٩ (وستالين الذي « رد هذا الرأي عام ١٩١٣ في دراسته المعروفة عن الماركسية والمسألة الوطنية » . (ص ٩)

أم أدلة الاتهام التي ساقها الكاتب وهي : نشأة ماركس وهس في مدينة واحدة (ص ٤ — ٥) ، ويهودية ماركس بدليل « انه أطلق لحيته وأطال شعر رأسه تشبها بحاخامي اليهود » (ص ٥) ، واكتشاف الكاتب ان لينين قد ولد من أبوين يهوديين (غير صحيح) وصدور وعد بلفور وقيام الثورة الروسية في تاريخ واحد ، ونقل اليهود « الى مناطق آمنة من أمام الغزو الهتلري وبالتالي انقاذ مليونين من اليهود » وغيرها من الدلائل المشابهة .

ان هذه الادلة الهشة والتي يسوقها الكاتب لاثبات العلاقة بين الصهيونية والماركسية لا تثير سوى الضحك ، فالعلاقة بين حركتين سياسيتين في حجم الماركسية والصهيونية ، لا يمكن ان تقاس بطول شعر ذقن ورأس كارل ماركس الشبيهة بحاخامي اليهود !!... وبالاضافة الى هذا فان ادلة الكاتب هذه تتناقض مع نفسها ومع الآراء التي كان قد نقلها عن لسان ماركس ولينين وانجلس .

سؤال آخر توجهه للكاتب : هل هو ضد قرار الثورة السوفياتية الذي صدر يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٧ بالغاء جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود (ص ١١) ؟ وهل هو ضد حماية اليهود من الغزو الهتلري ، حيث يقول « اتضحت صورة هذا التحالف الصهيوني الشيوعي عندما تم نقل اليهود من المناطق الغربية التي كانت مهددة بالغزو الهتلري الى منطقة الشرق الآمنة .. حتى بلغ مجموع من انقذتهم الحكومة الروسية من الزحف الهتلري مليونين من اليهود » (ص ١٤) ؟ اذا كان هذا هو رأي الكاتب فليأخذ علما ان الثورة الفلسطينية أيضا هي ضد ابادة اليهود ، ونحن مع حق اي انسان في الحياة بغض النظر عن دينه ، فنحن الذين نقاتل من اجل الحياة لا يمكن ان يكون موقفنا حرمان أحد منها . وانتقاد الكاتب لماذا لا يوجهه للحكومات العربية التي ما زال يقيم بين ظهرانيها العديد من المواطنين العرب اليهود . وقطعا فان الكاتب لم يسمع بعد بشعار الثورة الفلسطينية باقامة الدولة الديمقراطية .

ولكن اذا كان الكاتب قد غالط نفسه بنفسه على مدى ١٥ صفحة فقط وخلال فصل واحد بالقدر الذي سبق ايضاحه ، فما هو رأي سامي حكيم ١٩٦٧ ، وسامي حكيم ١٩٦٦ بسامي حكيم ٧٤ ؟ لنقف أمام الفقرات التالية التي وردت في

كتابه « اميركا والصهيونية » لنكتشف من أي ثدي رضعت الصهيونية ومن هو شقيقها بالرضاعة ؟ يجيب الكاتب « فالصهيونية والاستعمار رضعا من ثدي واحد وسارا في درب واحد حتى وصلا الى فلسطين العربية في ظلال الرعاية الاميركية » (ص ٧) . وعن كتابه يقول : « وقد أجملت في صفحات هذا الكتاب قصة التلاحم الاميركي الصهيوني » (المقدمة ص ٦) . ويذكر الكاتب قيامهم « بارتكاب جريمة تهتز لها الدنيا فاشتركوا عام ١٨٨١ في اغتيال الكسندر الثاني قيصر روسيا حتى يكون هذا الحادث وسيلة فعالة لاضطهادهم والتنكيل بهم ، وكان لهم ما أرادوا ، واذ نزل الغضب بساحتهم بوصفهم مجرمين محتالين آفاقين ، مما دفعهم الى الهجرة الى أوروبا الغربية واميركا » (ص ٨) . ولكن اذا كان التنكيل يخدم غرض الصهاينة بدفع اليهود الى الهجرة كما يقول الكاتب ، أليس الشيء الطبيعي ان نعتبر قرار الحكومة السوفياتية في ١٥ نوفمبر ١٩١٧ « بالغاء جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود » (سامي حكيم ٧٤) (ص ١١) متناقضا كليا مع أهداف الصهيونية التي لا تتحقق الا بجو التنكيل باليهود ، والتي وصلت لدرجة (كما يقول سامي حكيم ٦٧) قيامهم باغتيال قيصر روسيا لاشاعة هذا الجو « جو التنكيل يخدم اغراض الصهيونية.. والشيوعيون يلغون جميع القوانين ذات الطابع التنكيلي » . أليس هذا دليلا كافيا يسوقه الكاتب نفسه لتأكيد تناقض قرارات حكومة الثورة مع أهداف الصهاينة ؟ ألم ينقل الكاتب نفسه عن أحد أعضاء المؤتمر اليهودي الاميركي قوله « ان مثل هذا الاضطهاد بركة، وشيء من اللاسامية ضروري لتعزيز الكيان اليهودي » (سامي حكيم — اسرائيل والدول النامية — ديسمبر ١٩٦٦ ، ص ١٤١) ؟ بعد هذا هل يبقى سامي حكيم ٧٤ مصرا على ان الكلام الذي ورد في بيان للحكومة السوفياتية بتاريخ ٢٧ يوليه ١٩١٨ عن لا مكان للاضطهاد القومي في جمهورية روسيا السوفياتية الاتحادية وان الحركة اللاسامية والمذابح الموجهة ضد اليهود تهدد بالقضاء على مصالح ثورة العمال والفلاحين وهو يدعو الشعب الكادح في روسيا الاشتراكية الى مقاومة هذا الشر بكل الوسائل الممكنة » و« الى اتخاذ الاجراءات التي من شأنها أن تقضي بصورة فعالة على الحركة اللاسامية من جذورها ... » (سامي حكيم ، ٧٤ ، ص ١٢) كان لخدمة غرض الصهيونية .. أيهما أصح ؟ شيء من اللاسامية « بركة » كما يقول حكيم ٦٦ أم نقمة كما يقول سامي حكيم ٧٤ ؟ ليستقر لنا الكاتب على رأي .

ولنمض قليلا مع سامي حكيم ٦٦ و ٦٧ لنكتشف الثدي والجحر الذي عاشت عليه الصهيونية ومن هو شقيقها بالرضاعة ؟

عقد المؤتمر الصهيوني الاول يوم الاحد ٢٩ أغسطس عام ١٨٧٨ في مدينة بال بسويسرا ، وأعلن فيه هرتزل « وضع حجر الاساس للبيت الذي سيأوي اليه الشعب اليهودي ، والقيام بنشاط للحصول على موافقة مختلف الحكومات لتنفيذ هدف الصهيونية » (ص ٩ ، اميركا والصهيونية) . ولكن ما هو المكان المناسب للبيت ؟ يجيب سامي حكيم في عام ١٩٦٦ بكتابه « اسرائيل والدول النامية » على لسان ناحوم جولدمان ، انها فلسطين . ولكن لماذا ؟ « لان فلسطين هي ملتقى الطرق بين اوروبا وآسيا وافريقيا ولانها هي المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية والمركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم » (المصدر المذكور ، ص ٤) . ويضيف الكاتب معلقا « وما تقوم به اسرائيل الان في دول آسيا وافريقيا هو تنفيذ لما صرح به ناحوم جولدمان ويكشف القناع عن عمق الترابط السياسي والمالي بين الدول الاستعمارية ومؤسساتها الاقتصادية وبين اسرائيل » (المصدر السابق ، ص ٢٤) . ولكن من هي الدول الاستعمارية التي تحدث عنها سامي حكيم ٦٦ وما هي مصالحها وما هو تصورها وماذا صنعت ؟ يجيب الكاتب « وتعاونت الصهيونية مع الاستعمار على تحقيق هذا المطمع عندما وضع خبراء من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال واسبانيا وايطاليا في سنة ١٩٠٤ التقرير الذي قدموه الى رؤساء وزاراتهم . وجاء في هذا التقرير ان الخطر على الاستعمار يكمن في البحر المتوسط صلة الوصل بين الشرق والغرب وفي حوضه مهد الديانات والحضارات ... ويسكن في هذه المنطقة شعب واحد تتوافر له من وحدة تاريخه ولغته وآماله كل مقومات التجمع والترابط، وما دامت قد تكاملت لهذا الشعب كل هذه

المقومات علاوة على ثرواته الطبيعية ونزعة أهله الى التحرر فلا بد ان تحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية وعندها ستتبخر احلام الاستعمار . ولذلك فعلى الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على ابقاء وضع هذه المنطقة جزءا متخلفا وعلى ابقاء شعوبها على ما هو عليه من تفكك وجهل » .

وبعد ان يثبت الكاتب (عام ٦٦) وحدة اهداف الاستعمار والصهيونية منذ عام ١٩٠٤ ، وعدد الدول المستفيدة من المشروع الصهيوني يتعرض الكاتب لسير الامور بعد ذلك بقوله : « ومع دخول امريكا الحرب ، كانت اذهان المهيمنين على شؤون الحكم في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا محشوة باحلام الصهيونية حتى أن فرنسا وبريطانيا اتفقتا في معاهدة سايكس بيكو على بعض الامور من بينها ان تكون فلسطين تحت سيطرة الادارة الدولية بعد فصلها عن سورية ليتسنى تهجير اليهود اليها والاستيطان فيها توطئة لاقامة الدولة اليهودية فيها » (امريكا والصهيونية ، ص ١٢٠) ولكن اين هو الدور المحدد لبريطانيا ، والولايات المتحدة ؟ يقول الكاتب (... « وصل الى امريكا يوم ٢٠ ابريل ١٩١٧ ارثر بلفور وزير خارجية بريطانيا فالتف حوله زعماء اليهود وعلى رأسهم براندیز قاضي المحكمة العليا واعربوا عن تأييدهم للمطالب الصهيونية كما أن الرئيس ويلسون وعد بتقديم كل عون في هذا المضمار ... وبعد أن تحقق بلفور من تأييد ويلسون واهداف الصهيونية أذاع اثر عودته الى لندن في مايو١٩١٧ (هذا التاريخ سابق لقيام الثورة الروسية) تصريحا اوضح فيه تأييده لاطماع اليهود في فلسطين » ... ثم « اتفقت في النهاية كلمة المتآمرين السفاكين السفاحين على اصدار التصريح البريطاني الذي عرف باسم وعد بلفور يوم ٢ من نوفمبر ١٩١٧ » المصدر السابق ص. ١٤ . وانتهت الحرب و« انعقد مؤتمر الصلح في باريس يوم ٨ من يناير ١٩١٩ برئاسة ويلسون ، واعترف بفصل البلاد العربية عن تركيا و... قرر انها بحاجة الى الاستشارة الادارية ومساعدة دولية وهيئة دولية تقوم بالاشراف على شؤونها ... اذن أين تحرير الشعوب واين حق الشعوب في تقرير مصيرها واين الاستقلال » سامي حكيم ٦٧ ص ١٦ . وعن ما حققه اليهود في المؤتمر المذكور يقول الكاتب « ان اليهود فوجئوا مفاجأة مدوخة من جراء ما احرزوه على حساب العرب ... وعكست الصهيونية ما ارتكبته في فلسطين العربية بتأييد كريه من امريكا عندما تقدم وفدها في فبراير ١٩١٩ الى المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح بمذكرة طالب فيها بانشاء دولة يهودية في فلسطين » (المصدر السابق ص ١٧) .

ولكن ماذا بعد ذلك : يقول سامي حكيم ٦٦ « واعظم المصائب ان يقر مؤتمر الصلح ما لا يقره العرب .. اذ قرر المؤتمر ارسال لجنة الى الديار العربية للوقوف على رأي شعبها » . و« عقد الفلسطينيون في ديارهم اجتماعا قرروا فيه رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية » . و« لقد اتضح للجنة ان الشعور العدائي ضد الصهيونية غير قاصر على فلسطين ... ولا ينبغي لمؤتمر الصلح ان يتجاهل ان الشعور ضد الصهيونية .. بالغ الشدة » . و« البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا بالقوة المسلحة » (المرجع السابق ص. ١٨ — ١٩) .

ولكن ماذا كان موقف المؤتمر ورئيسه ويلسون يجيب الكاتب : « وتنكر المؤتمر العتيد لهذا التقرير اذ خضع لرأي ويلسون الذي رفض كل محتوياته ... ومضى المؤتمر في وضع خريطة جديدة للوطن العربي يقسمه ويوزع ارضه اسلابا وغنائم بين فرنسا وانجلترا واليهود » . (المرجع السابق ١٩) . والنتيجة « وافق المجلس الاعلى على منح بريطانيا الانتداب على فلسطين تأييدا لمطالب الصهيونية وكانت موافقة امريكا على هذا الانتداب نتيجة خطة ورغبة وتصميم ، لان الصهيونية في نظر امريكا في حاجة الى دولة تساندها مساندة سافرة حتى تتمكن في هذه المرحلة من تحقيق اهدافها » (المصدر السابق ص. ٢٠). ويتساءل الكاتب،اي مصير كان يحيق بالفلسطينيين لو أنهم انضموا الى صفوف الاعداء ؟ هل سيكون مصيرهم أسوأ من المصير الذي قذفهم اليه الرئيس ويلسون بعد أن وضع يديه في ايدي الصهيونيين ليحقق لهم غاياتهم الخبيثة ؟ . (ص. ٢١) .

ان المقدمة الخاطئة التي بدأ بها الكاتب كتابه عكست نفسها على كل فصول الكتاب

الاخرى والتي تعرضت لمراحل اخرى من العلاقات، وكان الكاتب يجيب على نفسه بنفسه من خلال كتابيه اللذين اشير لهما سابقا . فكل فكرة سجلها الكاتب نجد نقيضها في كتابيه الاخرين ، وكأن الكاتب قد قام فقط باجراء تبديل في اسماء الاطراف التي تحدث عنها في الاعوام ٦٦ و٦٧ ، مع الاحتفاظ بالافكار الاساسية كما هي ، بحيث أصبحت روسيا هي المقصودة في العام ٧٤ بعد أن كانت الولايات المتحدة عامي ٦٦ و٦٧ .

السؤال الذي يطرح : لماذا هذا الكتاب ؟ وما هو موقفه مما يجري في المنطقة . هل هو انعكاس لجهل الكاتب ، أم يعكس درجة عالية من الوعي الهادف وجزء من حملة واعية ومدروسة تتعرض لها المنطقة لتخريب علاقاتها الدولية ، ووضعها في اتجاه خاطىء مما يخدم في النهاية مصالح القوى المعادية؟ لان الترويج لفهم خاطىء سيقود بالضرورة الى سياسة خاطئة ستؤدي بنا الى خسارة اصدقائنا الحقيقيين .

- أن تحالف قوى الخصم حريص كل الحرص على تقطيع اواصر علاقتنا الدولية ، وموقفه المعلن بطرد الوجود السوفييتي من المنطقة كشرط لتحقيق الانتصاب الاسرائيلي ، خير نموذج لسياسته تلك لفرض شكل معين من العلاقات الدولية على الدول العربية .

ان أخطر المظاهر التي اتخذتها تلك السياسة تمثلت في المحاولات المستمرة لخلق رأي عام عربي متبن لوجهة النظر تلك وغير حريص على استمرار العلاقات مع المعسكر الاشتراكي حيث تمثلت تلك السياسة بالحملات المستمرة على العلاقات العربية السوفييتية ، ونسف الاساس الذي تقوم عليه،بتشويه الدور الذي لعبه المعسكر الاشتراكي في دعمنا وتأييدنا في وجه الحملة الامبريالية — الصهيونية . ولقد كانت تلك المحاولات ذكية بحيث تحاول أن تستفز في المواطن مجموعة من القضايا المقدسة ، وخلق تصادم بين تلك المقدسات والتحالف مع السوفييت والمعسكر الاشتراكي .

لقد تدرجت تلك المحاولات من مستوى لاخر ، على ضوء الاهداف المرسومة لتلك الحملة ، بحيث نستطيع ان نعتبر ان الحد الادنى لها ، انما هو في وضع الموقف السوفييتي والامريكي من قضايانا في (سلة) واحدة ، وان للمعسكرين الموقف نفسه من قضايانا المصيرية ، والحد الاقصى الذي تحاول تلك الحملة الوصول اليه في « ممايزة » الموقف الامريكي عن الموقف السوفييتي وتكون قد وضعت دول المنطقة موضوعيا على طريق تحالفات جديدة ذات طابع مختلف كليا عما سارت عليه الامور حتى الان ، وبمجرد تحقيق حتى الحد الادنى لتلك الحملة ، فان ذلك يعتبر انجازا كبيرا ، لان الولايات المتحدة ، ليس لها ما تخسره من سمعة، ومساواة الصديق بالعدو ، هو في حد ذاته مكسب للعدو .

لقد اتخذت تلك الحملة أشكالا مختلفة ، وعبر عنها بوسائل مختلفة ، فمن كتب ودراسات تاريخية وسياسية تحاول ان تستعيد الى ذاكرة القارىء كل الامثلة السلبية لموقف المعسكر الاشتراكي ، وبحيث تبنى على حقيقة واحدة ، مجموعة كبيرة من الاكاذيب ، مع خلق اكبر قدر من عدم التوازن بين المقدمة والنتيجة ، الى محاولات تبييض وجه الامبريالية الامريكية ورسم صورة متفائلة ايجابية لمواقفها ، وبحيث تلقى الاضواء وبكثافة على أي موقف ايجابي تتخذه تلك الدولة حتى ولو كان صغيرا . ولعل اوضح مثال على ذلك محاولة احد الكتبة تثبيت نظرية تقول بأن الموقف الامريكي معرض للتبدل ، من خلال الاستشهاد بالموقف الامريكي في مجلس الامن الذي ادان في احدى المرات ، العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان .

حسين ابو النمل

ثقافة

الياس خوري

تلك صورتها
وهذا انتحار العاشق

يتابع محمود درويش في قصيدته الجديدة ، محاوراته لصياغة الحلم الفلسطيني ، عبر انسياب اللغة الشعرية وانفجاراتها . بين الندى والانتحار يقف المتكلم الغائب على عتبة الانفجارات ، يرسم بلهب الدماء خريطة الوطن ، انطلاقا من جسده ومن الزمن الذي يرسمه الموت والدم . فالشعر عند محمود درويش هو محاورة للواقع ، واعادة صياغة لعلاقاته . فالزمن الفدائي هو زمن جديد يعطي الاشياء مقاييس جديدة داخل علاقة الشاعر بالقصيدة والوطن . الاساسي في هذه القصيدة هو كونها استكمالا متقدما لعلاقة الزمن بالمكان الفلسطيني ، حيث يأتي وعي الشاعر من داخل لغة الايقاع الشعرية ليصبح نقطة تقاطع العلاقة ، وليعيد ترتيب المكان الفلسطيني في زمنه الذي يتوحد بالفعل المقاتل . محاولة التوحيد هذه التي بدأت في « احبك او لا احبك » ثم اتسعت في « الخروج من ساحل المتوسط » تأتي هنا لتجد محطتها الاساسية ، فالوعي الفني الفلسطيني حين يتحلق حول الارض — المكان ، بنبرة مليئة بالحنين ، فانه يهيء للفعل التاريخي . لذلك يأتي هذا الفعل ليكثف الوعي ويجعله يتحلق حول الانسان ، الذي يقوم بدوره باعادة صياغة للزمن . بين الندى والانتحار ، بين الارض ونقيضها الذي يعيد لها المعنى ، يقف المتكلم الغائب ، في اكثر محاوراته مأساوية واستدارة ، ليرسم اطارات الحركة ، وليضبح وعيه ذاكرة جماعية ، تلتقط من اليومي المباشر ، لحظة الامتداد نحو زمن عربي . فيأتلف صوت البحث التشكيلي واعادة نسج العلاقات بصوت الفعل المأسوي وهو يتقدم من وعي اللحظة الى وعي التاريخ .

المتكلم الغائب .

« واريد ان انقمص الاسوار :

قد كذب النحيل عليه . اشهد انه وجد الرصاصة
انه اخفى الرصاصة
انه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار ».

في ثلاث محاورات بين صيغتي المتكلم والغائب ، يفتتح درويش قصيدته وهو يحاكم الطبيعة والزمن ، ليشهد ضد البداية والنهاية ويمتد الى نهاره الذي تصنعه الممارسة . في لعبة الضمائر والحوار المستحيل هذا ، تنطلق اللغة الشعرية الى تداعيات داخل الذات . تقسم الذات الى نقيضين ، موقفين متحاورين ، لا يوحدهما سوى اللهب الموسيقي الذي ينفجر في نهاية القصيدة وكأنه الحركة الاخيرة في ايقاع الموت — الحياة . هذين الموقفين اللذين يقسمان الذات يكشفان الموضوع من داخل جدل الحوار . لا يضع درويش مباحة بين الذات والموضوع ، فالموضوع هو الحركة الداخلية التي تقسم الذات وتعيد توحيدها . لذلك لا موضوع للقصيدة خارج حركتها الداخلية ، ولا وجود للايقاع خارج استداراته التي تستطيع ان تلخص حركة الصراع في لغة مباشرة ومعقدة ، حادة ومستديرة . لذلك ، فيما يتقدم درويش في تجريبيته الفنية ، يستعيد شعره بأسره . يلخصه داخل محاور

---

* محمود درويش : **تلك صورتها .. وهذا انتحار العاشق** . مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

المستقبل ، ويفتح مستقبله على فضاء شعري بغير مقدمات . هنا نجد الاصوات الدرويشية وهي تتدرج من المباشر الى الغامض ، من الخط المستقيم الى الحركة الداخلية التي توحد الخطوط حول اكثر من مفصل ولحظة . الغنائية تمتزج بالصوت الدرامي ، والسرد الشعري يختلط بالزمن المقبل ، ويصبح المكان الفلسطيني في مجاري المستقبل . انه ليس مكانا يحتله الغزاة ، انه نفي كامل للغزاة، فيما هو محاولة لاعادة شحن المكان بالدلالات .

بين الصوتين المتحاورين ، الشهيد والشاعر ، الشاعر والشاعر ، القصيدة والشاعر ، تقع بنية القصيدة التي لا تتقدم الا لتستعيد ثم تعود الى الوراء حتى تتوحد بالنحن . نحن المستقبل الثوري الذي يصبح الماضية والفعل المغير . نحن مستقبل المكان وعنوان الزمن الجديد . لذلك يخاطبها وينفصل عنها ، يكتب القصيدة ويحاكمها ، يرتديها ويخلع الزمن ، ثم يخلعها ويرتدي الزمن ثم يتوحد في لهب الشعر وقد ابتعد عن كونه جمرا ، ليصبح حريقة.

في شعره القادم من الاسوار ، كانت العلاقة بسيطة ، نحن وهم . نحن الذين اغتصب وطنهم، وهم الغزاة الذين يدفعوننا الى الثورة . كان الخط المستقيم هو اطار المعادلة الغنائية ، المأساوية والحزينة . وفي هذه القصيدة هناك نحن وهم . لكن التركيز هو على نحن على « الفرق بيني وبيني » في هذا الفرق تنقسم الذات الى متكلم وغائب ، ويأتي الانتحار مدخلا الى الوحدة التي تحيل الارض الى جزء من الانسان :

« وصرت أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيد
انا الشظايا والهدايا
ارتديك واخلع الايام » ...

من داخل الانتحار ، ترتفع التساؤلات ، ويحاول الشاعر محاكمة العالم من خلال محاكمته لشعره . يوحد الموضوع بالشكل ويسأل الواقع عن اجوبته . فالقصيدة لا تزال في الخارج ، والجسد لا يزال في العراء : —

« انا ضد المدنية
في زمان الحرب غطني الشظية
في زمان السلم غطني العراء » .

هذا الزمن الذي يتداعى في تضاداته ، الحرب — السلم ، الشظية — العراء ، هو الزمن الذي يفتح افق محاكمة الواقع ارتباطا بنقطة الدم التي تصل الشاعر بواقعه . « الدروب اليك حبل من دمي » . لكنه يعود من جديد الى محاكمة الواقع . فالزمن الفلسطيني ليس فقط ، زمنا فلسطينيا ، انه زمن عربي ، وحين لا يستطيع دمج الواقع العربي الى موقعه ، يحاكمه بحبل الدم وباعادة النظر في مسلماته :

« انا ضد القصيدة
غيرت حزن النبي ولم تغير حاجتي للانبياء »

ثم تنكفيء القصيدة على نفسها ، تلتف في محاولة لاعادة صياغة الحلم الفلسطيني ، تتمسك بالبديل — الارض . وتميد شحنها بالواقع الجديد الاتي على ايقاع الثورة : « لي وجه يحاول ان يراني » .

بين صيغتي المتكلم والغائب ، تقع الفواصل التي يقيمها درويش لقصيدته ، انه ينتقل من صيغة الى اخرى ، يخاطب ويتأمل ، يخرج من ذاته ويمتد الى الحركة الخارجية بكل صيغها ، يحاور البحر والشجر والنخيل ، ثم يعود ليتوحد بالنحن . هنا ، نصل الى مسرح شعري متكامل ، يضج بالابطال والمواقف . لكن القصيدة تختزل المواقف ، وتركز على الحركة . الحركة الداخلية هي في حوار يستطيع ان يمزج عناصر الطبيعة بالذات ، وان يعيد رسم معادلة الخروج من الاسار الرومانسي الى العلاقات الواقعية . فالعلاقة بالارض ليست مباشرة، انها تمر عبر الموت والانتحار . لذلك ليس هناك بداية او نهاية ، هناك حركة لا تنتهي . وعي الواقع لا يعني تجميده ، بل فهمه في حركته ، وحركته الى الامام لا تتوقف ولا تنتهي :

« انا ضد العلاقة
ان تكون بداية الاشياء دائمة البداية
انا ضد النهاية
ان يكون الشيء اوله واخره واذهب ... »

الايقاع داخل جدل الحوار

حين يقيم درويش مسرح قصيدته ، فانه يضع لحركة ابطاله محطات تتكيء على مستويين : — **البنية الموسيقية** التي تستطيع الانتقال من ايقاع

الى آخر من أجل ان تشحن الحوار بمحطات تعيدنا الى منطلقاته « اخرجي من اي ضلع — حنجرا او سوسنة » . **والحوار المندرج** الذي يستطيع الانتقال في الحالتين من مستوى الى اخر، بسرعة، تجعل الجدل جزءا من شخصية واحدة تحاور نفسها . اي تنقل جدل العناصر الى داخلها ، وتبدأ في الامتداد صوب بعضها مختزلة المراجع الواقعية — السياسية في كثافة بالغة الغنى . فحين « تبدأ الارض من يديه » يأتي صوت الشاعر ليقطع التسلسل المنطقي بمقطعين غنائيين مباشرين منتقلا الى وزن آخر ومركزا على أكثر العناصر مباشرة . أي انه حين يستعيد « يوميات الجرح الفلسطيني » هنا ، يستعيدها في سبيل كسر الايقاع والعودة اليه بحركة مختلفة . فتتقدم الحركة ، ويتسارع ايقاع الحوار ، حتى نصل الى توحد الصوتين وهما يتوازيان ، هنا نصل القصيدة ذروة بساطتها وتعقيدها . بساطتها : لانها تستعيد من الذكريات أبسط الاشياء الحميمة في انحياز فلاحي الى العلاقة « قهوة الصبح ، الرغيف الساخن ، النهر الجنوبي ، الاغاني . ونصل الى صور شعرية بالغة البساطة ، تحاذي الصور الرومانسية وتتجنبها « حين تتكيء البيوت على المساء » ، وتعقيدها : لانها توظف هذه البساطة » التعبيرية في بنية درامية متكاملة تختلط فيها الاصوات حتى نصل الى الوطن :

« لكن المغني قال قرب الموت :

ان الفرق بين الضفتين قصيدتي

واراد ان يلغي الوطن

واراد ان يجد الوطن » .

ان الايقاع الذي يوحد هذه القصيدة ، ويقيم لحوارها هذه القدرة المذهلة على التناوب في المواقف يتخذ من الجملة — وحدته الاساسية قاعدة . لذلك تتدرج الجملة الشعرية في جميع اشكالها الممكنة ، من الجملة المستديرة التي تحاول الاحاطة بجميع تدرجات الايقاع ، الى الجملة الحادة والقصيرة التي تسجل موقفا وتنكيء . درويش يستخدم جميع أسلحته دفعة واحدة ، يقذف تاريخه الشعري في الفضاء ويبحث عن لغته الجديدة . لذلك تتدرج جمله في اكثر من ايقاع واحد ، وتشحن من داخلها وخارجها . تتوقف ، تلخص ثم تمتد الى ما لا نهاية . وهي في حركتها تحتضن الصورة الشعرية ولا تتوقف عندها . الصورة هنا هي محاولة للالتفاف داخل الجملة ، لا يبحث عنها لذاتها ، فالجمل الفعلية هي اساس الجملة في القصيدة ، وداخل الجملة الفعلية تصبح الصورة فعلا ، انها ليست محطة. السياق الصوري الذي تنسجه قصيدة درويش يتدرج هو الاخر داخل الجملة ، انه جزء من حركتها . فالشعر ليس كتابة من خلال الصور ، انه كل ايقاعي يعيد تنظيم دلالات الاشياء في احتماليتها ، لذلك ليست الصورة محطة انها سياق . تأخذ الصورة في هذه القصيدة جميع اشكالها الممكنة داخل سياق تطور صوت درويش الشعري ، من الصورة التشبيهية البسيطة التي تنطلق من الاستعارة الغريبة لتصل الى الفعل — « والوقت سرداب وعيناها نوافذ عندما أمشي اليها » . هنا تصبح الاستعارة مشروطة بالفعل — عندما امشي — وتصبح اعادة تركيب العلاقات مشروعة . فبساطة الصورة التشبيهية هي في قدرتها على توظيف الغرابة داخل سياق الفعل . أي ان الشاعر لا يقتنص المدهش ، يأتي المدهش من سياق العلاقة نفسها حين تصبح فعلا . الى الصورة المجردة « والياسمين اسم لامي . والزمن عشب على الجدران ». هنا نأتي الى المجرد ونفقده تجريديته بتقعيره في أبسط الاشياء — عشب على الجدران — هنا نعود الى معادلة الزمان والمكان داخل صيغة اكثر قدرة على الاقناع والاضاءة . حتى نصل الى الصورة المفاجئة التي لا تشبه ولا تستعد ، تشد فقط « نسير نحو عيوننا .. ونسير ضد المملكة » ، هنا في استعادته للمستقبل الذي يعيش في العيون يصل درويش الى اطار مرجعي واقعي ، ضد المملكة . ثم يوسع هذه الاشارات لتحتل القصيدة بثوابت مرجعية هي الاضاءات الواقعية التي تضع للقصيدة قدميها « وأمر بين اصابع الفقراء سنبلة ولافتة ، وصيغة بندقية » .

نتدرج في الايقاع الداخلي للقصيدة حتى نصل الى لحظتين : —

الوطن الذي يصبح في القصيدة عنوان السفر الطويل ، انه الفعل وليس البرتقال او الاشياء . هنا يذهب درويش بعيدا في محاوراته للعلم

الفلسطيني . يدخل تعقيداته ، ويكون واقعيا ، ليس بالمعنى المبسط للكلمة ، بل بمعنى اكتشاف العلاقات الخفية . وعند هذه النقطة ، تكون اللغة الشعرية قد تجاوزت نفسها ، استعادت تاريخها ، ومزجت ذاكرتها بالرؤيا .

الوحدة بين حوارات قصيدته ، نصل الى سرد من نمط شعري خاص (حين انحنت في الريح). فالشاعر يبتعد عن جسد شعره ليصوغ القصيدة لكن رغم السرد الذي يوحد الفواصل ، ورغم تداخل الحوارات ، تبقى الرؤيا مشتتة في ثنايا عناصر الذات التي تنفجر ، حتى يصل درويش الى الوحدة في جماعية الممارسة الثورية . نحن ، هي المتكلم الحاضر . انها الحاضر لانها تلخص المكان المأساوي داخل الزمن الجديد :

« اقول : البحر لا
والارض لا
بيني وبينك نحن
فلنذهب لنلغينا ويمتد الوداع » .

هنا نصل الى الايقاع الخارجي الصاخب الذي يختتم القصيدة . الايقاع الصاخب هو في أساس قدرتها الختامية . انها محاولة امتداد الى الاخرين ، لذلك يتخلى درويش دفعة واحدة عن بنية قصيدته ، ليكتب شعرا مباشرا . هذه النحن هي بداية « نحن الريح نقتلع المراكب والكواكب مع العروش الزائفة » . انها فعل مباشر ، لذلك فهي مباشرة ، تتخلى عن طموح اعادة صياغة العلاقات لتوظف نفسها في هدم العالم القديم . تبحث عن الايصال السريع دون ان تتخلى عن بكارة الصورة « ننشر عار فخذيك السماويين » وتنحني لاعصار الذاكرة التي تعود دائما الى ابسط الاشياء وابسط الكلمات وابسط الموسقة . هنا يختتم درويش قصيدته وصوته لا يزال معلقا بين الطائرات والعرس ، وهو يبحث عن وسيلة لكتابة اخرى . فمعنى الحلم الفلسطيني هو تماما في احد اسطر قصيدته : « فقلت العمر لا يكفي لقبلتها » . فلسطين ليست مجرد ارض تحمل ذاكرة ، انها ارض المستقبل العربي ، وعلى دمائها تكتب ملامح المستقبل .

بين صوت الطائرات المغيرة وفرح العرس ، يقع الصوت الشعري في محاولته صياغة الحلم الفلسطيني . لذلك يصبح الشهيد اكبر من الارض ، ويصبح الفعل اكثر قدرة على الاحاطة بالانسان من الجمود الرومانسي . والفعل ضرورة جسدل ، لذلك يقسم درويش ذاته ويحاورها ، حوارا مدمرا ، ولا يستطيع الخلوص من هذا الحوار الا حين تدخل جماعية الممارسة ، فيعلو الايقاع الخارجي ويخفت البحث الشعري ، ليبدأ البحث داخل الواقع .

ان الميزة الاساسية ، التي لشعر درويش في الحركة الشعرية العربية المعاصرة ، هي انه تلخيص لمراحل هذه الحركة وهجوم على التجربة من جهة ، وتوظيف لها داخل الممارسة الصراعية من جهة اخرى . لذلك حين تلخص قصيدته تاريخه الشعري فانها تلخص كذلك تجربة شعرية عامة وتفتحها على الاحتمالات .

بين الذاكرة والرؤيا ، تقع الممارسة التي توحد . او هكذا تفترض هذه القصيدة ، فلماذا تأتي الممارسة خفوتا في الصوت التشكيلي ؟ ولماذا يجب العودة الى عناصر الايصال المباشرة ؟

هذه هي اسئلة المستقبل ، التي لا جواب عليها خارج الممارسة الشعرية نفسها .

لماذا يموت خميس أولا ؟

مجموعة علي زين العابدين الحسيني ، هي محاولة للاجابة على اسئلة الموت الفلسطيني ، من خلال اكتشاف العلاقة بين ظاهرتي الموت والاقدام عليه . فالموت ـ الظاهرة الطبيعية الاجتماعية ـ يتحول هنا الى مشروع للفعل التاريخي وقد اختلط بآلام فردية وجماعية . فالظاهرة ، لا ينظر اليها من خارجها حيث الايقاع السياسي الاجتماعي يحمل معاناته الخاصة فقط ، بل يجري وضعها ضمن سياق معاناة خاصة هي وعاء هذا الايقاع وحركته الداخلية . فتصبح علاقة الموت بالحياة علاقة جسد من الالم الفردي والجماعي ، تقدمه نماذج انسانية ، صنعتها المقاومة الجماهيرية في لحظات حركتها . هنا يأتي وعي المؤلف ، ليقوم بالتقاط ظاهرات الموت الفردي ويدمجها بنسيج قصصي يجمع البقائية الشعبية الى البناء الاسطوري ، في محاولة لتأليف عناصر الفعل الانساني داخل امتداده في الطبيعة . ان مشروعية الطموح الاسطوري في قصص هذه المجموعة تأتي استكمالا لامتداد فلسطين نحو عناصر الارض التي تشكل محور الصراع ، فيأتي الطموح الاسطوري ـ الفنائي ليعطي هذا الامتداد وقاءة الطبيعي ، ليحيله الى جزء من علاقة الانسان بالعناصر والشجر . هنا ، وانطلاقا من هذا الطموح يجب ان تجري مناقشة هذه المجموعة القصصية ، داخل الحركة القصصية الفلسطينية التي استطاعت ان تقدم عناصر اولية يمكن استكمالها داخل حقل التجربة الفنية .

الفنائية والامتداد الاسطوري :

تواجهنا القصة الاولى (نبي بلا احزان) ببراءة فردية تصل الى حد الانهيار الشامل . ففي علاقة رمزي ، المخمور ، الباحث عن شريفه في صورة زوجته التي احرقت نفسها بعد ان اغتصبها الاعداء ، بسوزي العاهرة ، البديل النقيض الذي لا يستطيع دخول احزان الرجل ، نكتشف المرارة وقد تحولت انهيارا كاملا ، يحطم ذاتية البطل ، الفرد والرمز معا . ويؤشر الى طريق اخرى لا بد من دخولها . هنا يصبح الحوار هو حركة القصة . كل شيء يجري في داخله ، وعندما يراد التأمل الذاتي يكتب المؤلف ، « قالت في نفسها ... » ويتابع . الحوار هو عنصر الحركة الاساسي ، في ثناياه نتعرف على احزان البطل وفشله وعلى استحالة حواره مع سوزي العاهرة. ومن خلال هذا الحوار المستحيل ، نتحسس الالم الذي لا ينفجر ، يبقى رومانسيا ومليئا بالدموع والبكاء . الدموع هي غطاء الحزن الذي يجمده في حالته الرومانسية ولا يطلقه الى الحقد المدمر الذي يصل الى الموت . هذه النزعة الرومانسية التي تطبع القصة سوف تسحب نفسها على بقية قصص المجموعة ، مبقية الامتداد الاسطوري داخل حوار لا ينتهي ، ومغلفة اياه بالدموع التي تعطل تحوله الى عناصر الطبيعة كجزء منها .

نخرج من كابوس الحريق الرومانسي هذا ، لنبدأ محاولة بلورة الصوت الفني مع قصة « هو » . هنا يصبح « هو » رمزا واسطورة في آن . انه الفلسطيني الذي لم يزل طفلا يكتشف ويكشف حول هذه الشخصية الرمزية ، ينسج الحسيني قصته فيبدأ بوصف الطفل ، البطل : « وله عينان حزينتان كحبتين من العنب الرمادي أو كغيمتين صغيرتين استقرتا للابد في سماء عينيه » . وتبدأ علاقة هو بالعناصر والناس ، انه جزء من الطبيعة ، آني ودائم ، موجود في جميع الامكنة ودائم الغياب ، يشم رائحة التراب والمطر ، ويخاطب الصغار ، يتداخل بالبرتقال ويخاف منه متى أينع . ينتهي وصف شبكة العلاقات التي يقيمها « هو » باستدارة تقطع النبض الاسطوري في القصة برمز « النمل الاصفر » الذي يجتاح المدينة . هنا يصبح للامتداد الاسطوري الفنائي مذاق مرارة القسر الواقعي الذي يأتي من خارجه

---

* علي زين العابدين الحسيني : **خميس يموت اولا** . منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ـ ١٩٧٤ ـ من كتب اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

ليحدد اطاراته . اي ان رمز الهزيمة حين يدخل هنا يحدث استدارة داخل استدارة اسطورة « هو » ، ويرفع من انشداد حركة القصة ، دون هدوء المجرى المائي الذي تشقه الشخصية الرئيسية في هذه القصة .

نصل مع قصة « خميس يموت اولا » الى ذروة البناء الاسطوري للمجموعة . القصة هي مجموعة من الحركات المتتالية . انها سياق وليست مجموعة من الاحداث المتتابعة . التتابع يأتي من عاملين : **عامل خارجي** ، تتابع الحركات ، فالحركات هي ايقاع الفعل الثوري وقد دخل حيز الممارسة النضالية . من المطاردة الى العبور والحوار وحتى نصل الى الموت ، الايقاع هو ايقاع الممارسة . او تداعياتها داخل نسيج اسطوري طفولي . سهيلة تحب خميس ، : « مثلما تغلق المحارة صدفتيها على اللؤلؤ السري، خبأت سهيلة خميس . قادته الى الخندق المموه . دهش فقالت ، اعددته قبل ان تأتي فقد كنت اعرف » . هذا العامل الخارجي الذي يوقع الحركة على ايقاع الرصاص هو الذي يضبط القصة ويسمح لتداعياتها الالتفافية بالتحول الى علامة في تطور القصة الفلسطينية . ويفتح كذلك الباب واسعا امام **العامل الداخلي** الموت الذي يوحد سهيلة بخميس ويحيلهما الى جزء من الطبيعة . الاشجار تقاتل معهما ، والحزن لا يدخل رغم الدموع التي يصر زين العابدين الحسيني على ادخالها وسط « العيون الغارقة في فرح طفولي ». هنا يقيم المؤلف منعطفا فنيا ، ولا يقتحمه ، يبشر بولادة استكمال حقيقي لتجربة كنفاني القصصية . يأتي هذا الاستكمال من منطق المعركة الداخلي ، من تحولها عن ارادية القتال الى دمجه بحركة الجسد . هنا يصبح الموت امتدادا للانسان وليس فعلا . انه حركة بالغة العفوية ، يأتي دون معاناة خاصة به . لذلك فحين يموت خميس اولا يأتي الجواب من جسد سهيلة المرمي الى جانبه وقد تحول الى فعل يملأ فجوات الجسد المثقوب برصاص الاعداء .

في قصة « خميس يموت اولا » تصل تجربة الموت الفلسطيني منعطفها الفني ، فهذا الموت الاسطوري الذي توقعه المعارك ، يستطيع صياغة لغته عبر عاملين اساسيين : **الرمز** الذي يقدمه البطل — النموذج : خميس ، والذي ينفي رمزيته فورا متحولا عن الاشارة الى ظاهرة الى التكون فيها ، فيصبح بذلك محاولة نسج اسطوري **والايقاع** الذي يستطيع عبر ضبط الحركة القصصية من خارجها وداخلها ، ان يكثف هذا المدى الاسطوري بقاعدته الواقعية من جهة وان يحوله الى مؤشرات فعل جماعي من جهة ثانية . لكن هذه البنية القصصية التي حاولنا وصفها هنا ، تسقط في حوارات طويلة . أي انها لا تستطيع فيما هي تكسر فردية البطل ان تتشكل من خارج هذه الفردية . فيبقى الحوار اطار صياغة الفعل الانساني ، ومحاولة للابقاء على صيغة القصة كاطار مرجعي . اي تقدم نفسها بفرح طفولي يقوم وعي الصياغة بضبطه حتى لا يتحول الحلم الى اطار يضبط الاسطورة وحده . هنا تأتي الغنائية والنوازع الرومانسية لتقيم حاجزا بين البطل وموته ولتبقى خميس على منعطف البدايات.

اطارات الواقع

في « الفتى الذي لم يقتلوه » و « هذا الشتاء »، نعثر على هامش آخر تلامسه هذه المجموعة القصصية . هنا تبرز العلاقات الواقعية من ضمن خطين : **المواجهة** بكل شراستها وعنفها ، حيث نلاحظ في القصة الاولى حركة الذبابة والجراح في الاسير ، بوصفها الحركة الاساسية التي تضبط ايقاع المواجهة وتحدث التوتر والانعطافات في القصة ، وهناك **التداعيات** التي تفرضها هذه المواجهة حين تقوم باسترجاع الحياة وصياغة احداثها على ضوء المواجهة . يقف الموت هنا بوصفه منقذا ، ويبرز العدو في شراسته ولا انسانيته مضخما ، غولا خارجيا ، يستتبع الغول الداخلي الذي شهدناه في قصة « نبي بلا احزان». وفي « هذا الشتاء » استرجاع للحظات المقلومة، ببطولتها الفردية والجماعية وبمآسيها . فالبطل حين يموت ، لا يصل الى موته هذا عبر شهادة الاخرين له بالبطولة ، بل عبر مأساة فردية مدمرة « .. لماذا يصرون على انه لم يكن وحده ؟ لن يصدقوه .. امه رأت كل شيء ولن يظل السر سرا » . لكن السر بقي سرا ، شهادة على مأساوية الموت ، وعلى معاني البطولة المجانية ومأساتها في آن .

في هاتين القصة ، يتخلى زين العابدين الحسيني عن طموح بناء اسطورة فلسطينية غنائية ، ليرى نفسه دفعة واحدة في لهب المعادلة الواقعية المباشرة ، مستعيدا لحظات البطولة الشعبية في زمن القمع الصهيوني . هكذا تأتي هاتين القصتين وكأنهما القاعدة التي ينتصب عليها طموح تحويل الممارسة الثورية الى حلم اسطوري كامل، الى وعي جماعي حاد وعنيف .

الحركة والحوار

الحركة الاساسية في هذه المجموعة ، يقوم بها الحوار . حتى وكأن السرد القصصي يغيب داخل اشكال الاستنطاق التي تقوم بهـا شخصيات القصص لواقعها . من هنا غياب التشكيل والحجم والتركيز على التداعيات الداخلية في بعض الاحيان. أي أن اللغة القصصية لا تزال اسيرة مقترب خارجي ، لا يوحد الظاهرات باسبابها ، بل تبقى القصة وكأنها محاولة للاجابة على اسئلة يطرحها الواقع ، وليست اسئلة تفرزها تناقضات الواقع.

من هنا نصل مع قصص هذه المجموعة الى مشارف بدايات حقيقية . الى مشارف الحركة الواقعية وقد تحولت في اجساد صانعيها الى فعل انساني ، له قدرة الاسطورة الواقعية النابعة من سواعد الذين يصنعون المستقبل بدمائهم .

« خميس يموت اولا » ، لان الموت هو الفعل الفلسطيني الذي يتوحد بالعناصر ، ويعيد صياغة معادلة الواقع . لذلك يبقى « هو » مؤشرا على فعل مستقبلي القسمات ، وكائنا في جميع الامكنة ، مائتا في جميع الموت ، وحيا في الشجر والماء . انه ليس الحزن الرومانسي ، بل نقيضه ، انه الحزن المدمر الذي هو الوجه الاخر للحب . انه الحقد الثوري الذي يصنع المستقبل . فحين كانت « المهرة » تستقبل اولادها ، الذين يصنعون مستقبلها ، كان خميس يموت في سبيل الوصول الى هذا المستقبل . لذلك تشكل هذه المجموعة علامة على قدرة الممارسة الجماهيرية على التحول الى ادب جديد لا يزال يعاني الام ولادته .

صراخ في ليل طويل

عندما كتب جبرا ابراهيم روايته الاولى « صراخ في ليل طويل » في القدس صيف ١٩٤٦ ، كان يؤسس زمنه الروائي والفني على قاعدة ثابتة ، سوف تبقى اللحن الاساسي في جميع اعماله الفنية . رفض الماضي العتيق والتقدم الى الامام ، تحطيم التقاليد البالية واستشراف مستقبل تلعب فيه القيم الحديثة دورا مقررا . هذا اللحن الاساسي يبرز جنينيا في الرواية الاولى ، الى جانب البطل المثقف — الذي سيبقى باشكاله المختلفة بطلا لجميع روايات جبرا اللاحقة. فالثقافة هنا حين تبدأ تلعب دورها تصفي حساباتها مع الماضي . تنقسم على نفسها ، لترفض اعادة احياء الماضي الميت، ولتنطلق في بحثها عن العناصر الحية ، المستقبلية في ثنايا الواقع .

العلاقة الانعكاسية

تتحلق الرواية حول شخصية امين ، الذي يتكلم بصيغة المفرد منذ السطر الاول وحتى النهاية . فأمين هو انعكاس حقيقي لشروط اجتماعية محددة. انه مثقف ينتمي الى الطبقات الكادحة ، لكن ثقافته تصبح سلما للترقي الاجتماعي . وهو يحمل في داخله جميع تناقضات المثقف ، التي تبدأ بالخيبة والفشل الشخصي (فشل زواجه من سمية) مرورا بعلاقته مع عنايت هانم وتاريخ اسرتها العريقة ، وصولا الى احراق الماضي والتطلع الى المستقبل . داخل هذه الدائرة نعثر على شخصية امين ، بوصفها انعكاسا لشروط أفرزتها ، تحاول من جديد عكس ذاتها (ثقافتها) على هذه الشروط في سبيل تغييرها . فيحترق الماضي متلاشيا (وفاة عنايت هانم) ويبرز المستقبل على ايقاع الحرائق (طرد امين لسمية) . هنا تصبح شخصية امين محطة للانعتاق من الماضي،

---

* جبرا ابراهيم جبرا : **صراخ في ليل طويل** . منشورات اتحاد الكتاب العرب . الطبعة الثانية ، دمشق ١٩٧٤ .

الذي سيتحول الى بداية فعل اجتماعي في رواية « صيادون في شارع ضيق » .

البطل وصيغة المفرد

تدور احداث الرواية باسرها في ذاكرة امين . ففي شارع معتم نرافق امين في رحلة اكتشافه للمدينة واسترجاعه لتداعيات ذكرياته التي تشكل عصب الرواية . نبدأ به يقابل الشرطي . الذي سئم عمله ، ثم ندخل المقهى وفي طريق الخروج نصادف متسولا ، ونتفحص مع أمين ظله الطويل في الليل ... العلاقة التي يقيمها امين مع عالم الشارع الذي يقوده الى منزل عنايت هانم هي علاقة تماس خارجية . انه يلامس الاشياء والناس من الخارج ، دون ان يقيم لهذا النوع من العلاقات أي نظام ضابط. لا نزال امام الملاحظات الاولية التي ترصف الاشياء الى جانب بعضها ، تصفها دون ان تكشفها . لكن هذه العلاقة ليست سوى المبرر لايقاظ عالم البطل الداخلي ، ايقاظ ذكرياته التي تمتزج بهذا النوع من العلاقة بالعالم ، لتثبت عبث ولا معنى نمط معين من الحياة ، في محاولة لرسم اطر تخطيها .

صيغة المفرد ، تختلط بالذكريات ، بل هي مبررها الوحيد . لذلك فنحن امام بطل واحد ، هو مركز التحولات في الرواية . فالتحولات الخارجية العميقة ، ليست سوى محركات لتفجر زمنه السيكولوجي — الفردي . وانطلاقا من هذا يصالح امين الواقع فيما يحاول تغييره .

الفرد ، هو بطل نموذجي ، تأتي الاحداث الواقعية لتؤكد نموذجيته هذه . انه يمثل فئة اجتماعية — المثقف — تحاول التعامل مع الواقع وتغييره . فأمين هو روائي سيكتب قصة حبه لسمية في رواية مستقلة . وهو هنا ، في مخاطبته لنا ، كأنه يرسم مسودات هذه الرواية ، التي لن تكتب ، بل ستصبح مؤشرا واقعيا في تحرره من كابوس الماضي والتقاليد .

عندما يكون البطل ، فردا — نموذجا ، يتحول العالم الموضوعي الى عالم استبطاني ، وتحتل الذكريات ، حيز الممارسة ، فلا موضوعية الراوي هي النتمة المنطقية للاموضوعية اطار الرواية . الاشخاص الاخرون الذين يشاركون امين في عالم الرواية، لا نتعرف عليهم الا في ذاكرته او في استنطاقه لهم . من هنا يحتل الحوار الاستنطاقي هذا الحيز الهام في رواية جبرا . الحوار ليس سوى محاولة ذرائعية ، لوصف نمط من العلاقات الاجتماعية، وللاشارة الى المنزلق الذي وصل اليه امين ورفاقه في المقهى ، حين يقعون ضحية سكونيتهم . هكذا تكون الرواية موقفا ، يتحايل على نفسه بالشكل ، وهذا ما يقوله جبرا بشكل واضح في النص : « اما الرواية فكنت ابغي منها ما اروح به عن ضيق صدري . كما انني جعلت منها ذريعة للتعبير عما اريد قوله ، اذ قسمت نفسي الى اشخاص كثيرين ، يمثل كل منهم جزءا من هذه **النفس الملأى بالمتناقضات** » . والموقف هذا هو من ناحية اخرى محصلة تجربة واقعية ، لكن التجربة لا تتكلم عن نفسها بلغتها الخاصة . انها في مكان استرجاع نفسها من خلال الذاكرة . لذلك تأتي التجربة جاهزة ، اي ان معاناة الشكل الروائي لا تزال على طرف مسألة الشكل . انها تريد فقط تأكيده الاولي من خلال التخلي النهائي عن الوعظية وحكمة القصة . اي انها في سبيل تأكيد الشكل الفني ، تتخلى عن معاناة صياغته. فتأتي الاحداث موضعة في الذات وشبه نهائية . ولا ينقذ سكونية هذا التنميط القصصي سوى صوت الحريق والفصل الختامي الذي يعيد صياغة دلالة الرواية بشكل جديد .

بين ماضيين

يعيش امين في ماضيين . ماضيه الشخصي وماضي اسرة ياسر العريقة . في منزله وفي الجريدة التي يعمل فيها يضع ماضيه بشكل دائم ،فالعلاقة التي ربطته بسمية ، تتحول الى حزن يومي . وفي منزل ال ياسر يعاني كل مساء محاولة كتابة تاريخ اسرة اقطاعية عريقة . يعيش مع عنايت هانم بين الاوراق القديمة والملفات المليئة بالغبار . الاساسي في بنية الرواية هو هذا التوازي الذي يقيمه جبرا بين ماضيين يتقاطعان في شخصية امين. الماضي الاول هو **ماض ذاتي** . حب يبدأ تحت اعصار الريح والامطار بفتاة تنتمي الى طبقة اجتماعية اخرى (برجوازية كبرى) ويستمر هذا الحب في تمرد هذه الطبقة على نفسها ، تمرد سمية على والديها وهربها مع امين والزواج منه. لكن هذا النمط الرومانسي من العلاقة ينهار وحده

تحت ضربات عـــدم القدرة على ايجاد معـادل موضوعي لحب عاطفي . **وماض موضوعي** هـو ماضي الاسرة الاقطاعية التي انتـهى دورهـا ، فتجاول بعث امجادها ببعث التواريخ القديمـة واعادة صياغتها ، وامين يعيش نقطة تقاطع هذين المستويين في زمنين منفصلين : **الزمن الاول** هـو الزمن الذاتي انه الجلد القديم الذي يلتصق على جسد البطل ، ولا يستطيع منه خلاصا . فعلاقـة الحب التي ربطته بسمية ، ثم تحول هذا الحب الى زواج دام سنتين دون ان ينتج عائلة ، اي دون ان يصل الى تأسيس بداية موضوعية للعلاقة بالمقياس الاجتماعي السائد ، هذا الحب المستحيل موضوعيا ، يتحول في ذاتية امين الى احسـاس عارم بالفشل . انه فشل ذاتي ، او هو بمقياس اكثر دقة ، فشل محاولة كسر التقاليد دون اسس ثابتة ، لذلك يتحول من فشل امين الشخصي الى فشل النموذج الرومانسي الذي لا يزال يلعبه . **والزمن الثاني** هو استبتاع ذاتي وموضوعي للزمن الاول . ذاتي : لانه ينطلق من الفشل ليصل الى اليأس ، عند نقطة اليأس هذه تصبح الموهبـة مجرد صنعة يستطيع امين استخدامها وتوظيفهـا في خدمة قضية لا يؤمن بها اساسا . وموضوعي : لانه يوظف في خدمة طبقة انهارت تاريخيا وهي لا تزال تحلم على الاقل بتخليد امجادها . فيتقاطع الذاتي بالموضوعي ، حين يصبح مبرره الوحيد في نقطة اليأس الكاملة . يولد هذا اليأس نمطا رتيبا من الحياة ، ويتشكل من داخل علاقة متوازيـة داخل دائرة محكمة الاغلاق . فما دامت الرواية تعيش في زمنين من الذاكرة ، فان كسر اطارهـا المغلق يصبح عملية مستحيلة . فالفعل الموضوعي الذي يتمثل في الرواية عادة بشبكة من العلاقـات الاجتماعية غابت كليا في هذه الرواية . اي نحن امام علاقة احادية ـــ فرد مجتمع . والمجتمع هنا ضيق الى ابعد الحدود . انه الزوجة في المـاضي وعنايت وركزان في الحاضر . لذلك تنفجر الرواية في مستويين : ـــ المستوى الاول هو مستـوى الحدث الطبيعي . وفاة عنايت هانم وتمرد ركزان على تراث شقيقتها ورفضها لمتابعة كتابة قصـة العائلة ، هذا المستوى الاول يبدو افتعاليا ، فحين يضيق المؤلف بأبطاله او يجدهم في مأزق حقيقي ، فان اسهل الامور هو قتلهم . لكن جبرا حين اختار قتل عنايت هانم من خلال الحدث الطبيعي ، فانه اراد التأشير الى المستوى الثاني : الرمز . داخل الرمز يصبح الحدث الطبيعي اشارة الى المستقبل . تفجير الواقع من داخله على ايقاع رمزين متداخلين : الماء والنار . فاذا كانت سمية قد تخلت عن زوجها بعد طوفان الماء في الحي الشعبي الذي كان يقيم فيه ، فانه حين يرفضها ويرفض ركزان في نهايـة الرواية ، فانه يرفضها على وهج النار التي تحرق الماضي . ركزان تحرق قصرها الكبير وامين يرفض حبه الرومانسي الماضي ويبدأ في اعادة اكتشـاف العالم . « غير ان الطريق لم تظل خالية طويلا ، ما هي الا فترة قصيرة حتى كانت شوارع المدينـة تمتد وتتشعب امامي . تملؤها جموع الناس . ولم يكن من العسير علي ، حين حدقت في عيونهم ، ان ادرك ان الكثيرين منهم كانوا هائمين على وجوههم ، كما كنت هائما لسنتين مديدتين ، يبحثون عن نهاية لليل طويل وبداية لحياة جديدة » . داخل المـاء جرت عمادة أمين في مرارة الواقع ، كأنهـا لتذكره بطفولته البائسة . وداخل النـار جرى تحطيم العالم البائس الذي عاشه . بين الماء والنار ، داخل العناصر الطبيعية الاكثر التصاقا بالانسان ، فجر جبرا الدائرة المغلقة التي حاصرت بطلـه . وخرج من تجربة ذاتية الى كتابة الرواية الاجتماعية التي ستبلغ ذروة احكامها البنائي في « السفينة ».

حصار اللغة

كتبت هذه الرواية لاول مرة باللغة الانكليزيـة (من حوار مع جبرا سوف تنشره شؤون فلسطينية في عدد قادم) ، ثم ترجمها المؤلف بنفسه ونشرها في بغداد بعد حوالي عشر سنوات على كتابتها . مسألة اللغة هي في جوهرها تعبير نموذجي ، عن اشكالية ولادة الرواية العربية الحديثة . واذا كان تضخم هذه المشكلة هنا ، ليس عاما . فانها تؤكد الانقطاع النسبي الذي ادى الى ولادة الروايـة العربية . فرواية « صراخ في ليل طويل » هي من المحاولات التأسيسية الاولى التي استطاعت وضع اطارات التطور الادبي في الرواية داخل حقـل الممارسة الاجتماعية . انه يتخلـى نهائيا عـن الوعظية ، وعن الجملة الغاطية الطويلـة ، ويحاول ان يقيم لغة جديدة ايصالية وواضحـة منذ البداية . فيعكس هذا الطموح على السياق الروائي في ناحيتين : فهنـاك من جهة اولـى

شخصيات واقعية تحاور الواقع وتقف على عتبة تغييره ، وهناك من ناحية اخرى الحوار الذي يسمح للمؤلف بأن يقول افكاره دون اسقاطية او افتعال . غير ان الحوار الطويل الذي جرى في المقهى ، وان كان يؤشر الى الخلفية الفكرية التي وضعها جبرا كأساس لعمله الروائي ، فقد جاء هنا طويلا ولا تبرره احداث الرواية . فمبرره الوحيد هو مرحلة البدايات التي استعاضت بالحوار الموضوعي خوفا من اسقاط وعظي يشل موضوعية الرواية . غير انه في مقابل هذا الحوار الجامد ، هناك حركة بالغة الغنى يشير اليه وصف رقصة أمين الفتى . هنا تتحرك الرواية داخل ايقاع خاص بها ، سوف يسحب نفسه ويحيا من جديد في تلك الرقصة الصاخبة الجميلة التي رقصتها لمى في السفينة . يتشكل هذا البناء الروائي داخل لغة لم تتحرر تماما من ماضيها رغم انها تدخل كلمات عامية في بعض الاحيان ، فلا نزال نعثر على نون التوكيد ، او على كلمات ثقيلة الايقاع — ايسار القلب — فلا نصرفن — لافتة تطقطق ... غير ان هذا لا يحجب الجهد التأسيسي الذي عاناه فنان يولد من خلال اول عمل متكامل له .

في روايته الاولى ، يؤسس جبرا زمنه الفني ، داخل ايقاع مفهوم الثقافة بوصفها عامل تغيير اجتماعي . واذا كانت فلسطين غير حاضرة في الرواية بشكل مباشر ، فانها مستقبلها . اي ان ثورة امين على الماضي ، سوف تنسحب في مستقبل من الغنائية الفلسطينية الموظفة في عملية التغيير الاجتماعي . والتغيير هنا يبدأ باحراق الماضي ، والبحث عن نقاط المستقبل . هذا البحث الذي لن تستطيع رؤية « أمين » او حتى اسمائه في الروايتين اللاحقتين تحقيقه عبر الثقافة التي لم تمتزج بقاعدتها المادية .

عرس اللغة

بين العالم ووعيه ، تقع القصيدة — اللغة — العرس . ثم حين تنسج القصيدة اليافها حول نفسها ، تصبح فراشة تثقب بنيتها الى الموت والطبيعة . انها دائرة الوعي الذي ينفجر باللغة من لا وعي العالم ، او من شبكة العين الطفلة وهي تحاول ان لا تلتقط من الاشياء صفاتها بل علاقاتها . هنا تدخل القصيدة قعر الموت ، وتعيد صياغة نفسها من جديد . هل هذا هو عالم سليم بركات ، ام انه محاولة للتنويع بل شعره الذي يقتحم وينفجر . ولماذا لا يكون الشعر نفسه مجرد علامات على قدرته واستحالته . موسيسانا ، هي العالم الذي يبعثر ، واللغة هي تنظيم هذا العالم ، لذلك يجب ان تبعثر . فلا يبقى سوى عناصر الطبيعة وقد دخلت افق التحولات ، واصبحت علامات على قدرة العناصر على تفتيت نفسها ، تبعثر اشكالها ، وتصبح اللحظة الوحيدة التي توحد . في مجموعة سليم بركات الشعرية الثانية ،

* سليم بركات : **هكذا أبعثر موسيسانا** . منشورات تريونف . الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٥ .

تتقدم اللغة الشعرية على ايقاع جدل العناصر ، ويصبح الشعر مجانيا ، لا يضجر الا لغته . هنا يدخل الشعر العالم فيما يكشف عن أغطيته الوصفية . لا يقول شيئا ويقول كل شيء .

ينطلق سليم بركات من عينيه ، وقبل ارتطام عينيه بالعالم تقع اللغة . نظام الاشياء وتنظيمها . تنحني ، تتداعى وتقف على عتبة الانفجار . لذلك تحتاج علاقة الشاعر بالعالم الى القصيدة ، الى تنظيم اللغة الشعري . تقف اللغة بين الشاعر والعالم ، انها الوسيط ، والحاجز . شفافة وقاسية ، منحنية ومحطمة ، تعيد صياغة علاقات الاشياء . تتمرد على النظر ، تصف ، ثم يجري التقاطها فتكشف . وحين تصبح اللعبة مستحيلة ، يدخل الموت وتتوقف القصيدة . بين الشاعر والقصيدة يقع الشعر ، شكل التداعي والتواتر ، الانحناءة والايقاع . لكن القصيدة ، تعيد تنظيم مجانية الشعر ، داخل عالم تبنيه من عشوائية عناصرها الاولية . تكشف العلاقات الداخلية وتنظمها في مسار عالم يجري هدمه واعادة بنائه . هنا يصبح الشعر موضوع القصيدة ،

لكن القصيدة تبقى منطقة اكتشاف للعالم . هكذا يدخل الشاعر وعيه وهو يصارع مادة هذا الوعي الاولى ، وتصبح القصيدة جدلا لعلاقة التداعي بالاحجام .

الطفولة — الموت

في مجموعته الشعرية الاولى — « كل داخل سيهتف لاجلي وكل خارج ايضا » ، كان سليم بركات يبحث عن لغته بوصفه تنصل الاطفال . لذلك كانت لغته متنصتة من الطفولة ومن انجاز الحركة الشعرية المعاصرة . وكان تنصل الاطفال يبحث في ذاكرته عن موحد للاوعي جماعي ، يأخذ اللغة والريف في وحدة مذهلة . كان شعره يقف على عتبة التحولات الادونيسية ، دون القدرة على الدخول في تحولات الطبيعة . فاكتفى بالتوحد فيها والامتداد اليها ، محاولا مزج السرد الشعري بالشعر الايقاعي — دينوكا — . انه في قصيدتيه الجديدتين ، يتابع محاولة التوحد هذه . لكن براءة الطفولة الاولى ، تلتقي بالحب ، فتقترب من منطقة الموت ، وتدخلها فيها صوت اللغة يصخب ، وكأنه محاولة لتنادي الموت ، او للهرب منه .

« حددت لك الانقاض على زاويتين فتقدم لتوحدنا الانقاض

لنفصل كل حياة ، تتناسل عن زمرتها ، ونصيح أمام عراء

ذكورتنا : انطلقي يا حبوات انطلقي بين ، فجاج الخوف ،

انتظرينا يا حبوات انتظري

نحن نحاذي الارض ، ونضربهما بفراشات ميتة ... »

عالم الطفولة ، هو اشياء الطبيعة ، وقد اصبحت علامات تتحول . فالطفولة لا تستعيد نفسها ، انها تستعيد العالم لتعيد صياغته على ايقاعها الخاص . لكنها تستفيق وقد حضنها الموت ، وتوحدت به . فتعمد الى تدمير العلاقات ، وتحاول من داخل منطقة اللغة اعادة اكتشاف عالم جديد .

تأخذ العلاقة باللغة اكثر من جانب : انها تنحني من داخلها ، تنحني للاصوات . فالايقاع الشامل تجري صياغته بهدوء ، اي من عناصره الاولى الحرف ، ومن ثم الكلمة ، فيأخذ التداعي شكله الخارجي ، لكنه يعيد تشكيل صياغاتها من داخل القصيدة . اي في علاقة القصيدة بالشعر . في القصيدة الاولى « اقتلوا روناشتا » يأخذ حرف واحد في اكثرية مقاطع القصيدة ، حجم التفافاتها :

« نامي ايتها الوردة نامي

نامي ايتها المهدورة مثلي في وقتها نامي

مائة ميل ، مئتان هو القلب ، طين بعد المئتين يدوره

الخرافون جرارا ويدورون بها حول تجليات الروح

وروحي باطلة ، نامي » .

في هذا المقطع ، لا بد من ملاحظة امرين : هناك اولا ، كلمة تفتتح المقطع وتنهيه وتتكرر فيه — نامي — التكرار هنا هو محاولة الانطلاق من كلمة في اكثر من امكانية واحدة تفتتحها . وهذه الكلمة تغلق المقطع على نفسه ، لكنها تصله في الوقت نفسه بجسد القصيدة . وهناك ثانيا ، تداع لحرف واحد يلعب دورا اساسيا في المقطع — حرف الراء — الكلمات التي تتداعى من داخل حرف واحد تلعب دور الانعطافات في المقطع ، تدوره . هكذا يأتي التداعي من داخل اللغة نفسها . اي يجري تطويع اللغة من داخل اطاعة تداعياتها، اي منطقها الداخلي . لذلك تحاول القصيدة ان لا تسير خلف هذا المنطق الخطر — التداعي يدفع الى تداع اخر . فتحاول كسره في مسألتي التحجيم ، والابتعاد . التحجيم هنا : هو الحركة الخارجية التي تحدد للتداعي الداخلي اطاراته . لذلك تقسم القصيدة الى مشاهد ولقطات . هنا يبتعد الانسياب عن كونه تقدما عشوائيا للغة تتداعى من داخلها ، بل يقيم لهذه اللغة الفواصل القادرة على اعادة صياغتها من جديد . اما الابتعاد فانه يحاول كسر التداعي اللغوي من داخله ، اي من خلال اعطاء التكرار حجما جديدا ، عبر كلمة تأتي من خارج سياقه ، فتضعه في مدى جديد لتداعيات جديدة .

هذه اللغة ، في انسيابها وحجمها ، هي المنظار

الذي يحدد نظرة الطفولة الى العالم . فاذا كان العالم مفتتا ، فان الطفولة تحاول توحيد انقاضه : « حددت لك الانقاض على زاويتي فتقدم لتوحدنا الانقاض » .

أو هي ترسم من داخل جموح الموت ، لحظة العبور الى العالم . فالطفولة حين تتوحد بالمرأة ، تتعامل من خلالها مع العالم ، وكأن العالم يتداعى داخل لحظة الموت :

« سبع ليال ذائبة ، وبدانا تستجمع

كل أصابعها الخضراء على رسن الافق وتجذبه حتى يتداعى الافق

فنجتاز خنادقه محمولين ومضى دم ونموت » .

غير ان لعلاقة الطفولة بالموت مدخلا اخر . انه عناصر الطبيعة . فالعالم الريفي الذي يصوغه بركات يبتعد جذريا عن عوالم الريف الرومانسية. انه عالم بدائي وحاد . فهو لا يتعامل مع الاشياء من خارجها ، بل من مناطق الداخل ، فحين تصبح احزان الطفل محورة ، يصبح العالم بأسره دائرة اكتشاف جديدة .

« وانا سرب قطا ينثر فيه الذكر الذكر ، الانثى الانثى

ويدور فراسخ ملتمسا ما يهديه الى فجوات في اغشية الافق

لينفذ منها ابعد من مدى الصبح وموكبه الشيخ، وابعد من

صرخات تيوس تتخبط في سرداب الملكوت » .

هذه العلاقة التي تعيد توحيد عناصر الطبيعة ، تفتح للشعر مداخل الى الاعماق . فالشاعر هو الذي حين يتعامل مع لغة الشعر يمتد الى الدلالات ، دون ان يصبح اسيرها . يعطيها دلالات جديدة يفتحها على الاحتمال . هنا تصبح القصيدة جزءا من التكون حول مناطق التغير ، ويدخل الامر داخل ميدان جديد من التحول . فهو ليس مجرد رجع او استرجاع . انه محاولة اعادة صياغة بشكل جديد .

معنى اللغة الشعرية

تقوم قصيدة بركات ، فيما هي تنحني للاعصار اللغوي الذي يجتاحها ، بالتركيز على مسألتين هامتين : —

— ليست اللغة الشعرية جاهزة . انها تتكون . وهي في تكونها لا نموذج لها من خارج عنصرها المحدد . نظام اللغة — (تنظيم العلاقات داخل فهم عام للدلالة) . لكنها بوصفها شكلا تحاول اعادة تشكيل اللغة . اي اختراق النظام الايديولوجي الصارم الذي يحددها . هنا الانجاز الذي تقدمه القصيدة التجريبية (ادونيس ، درويش) .

— تتكون عناصر القصيدة بوصفها اجزاء من كل . لذلك يحاول سليم بركات الغاء الفاصلة بين الايقاع الخارجي والايقاع الداخلي بين الصورة واللوحة . بين التشبيه والكتابة . يصل الى الرمز ويحاذيه ، يمسه ويعود الى تداعياته .

نحن في هذه المجموعة امام جملة شعرية مستديرة ، تنتهي حيث تبدأ لكنها تتقدم في داخلها . اي في جدل عناصرها الداخلية وليس في جدل يقع خارجها ، لكنها ، كجملة ، تقع بعض اللحظات ضحية صخبها ، فتقع على صورة بالغة الغرابة تكسر الجدل وتجعله حادا . او في المقابل تنحني في جمل غنائية بالغة الشفافية ، حتى وكأنها تصبح قابلة لنفي نفسها .

لا وجود لصورة شعرية تعزل نفسها عن السياق . الصورة هي الايقاع في وجهه الاخر ، وحين تستدير اللغة على صور متداخلة ، يصبح النقد مجرد قراءة اولى لقصيدة تتحول . اما حين تدخل أدوات التشبيه « وجررنا نحو الانسان المدل مثل قماش فوق نوافذ رغبته وطلائه » . فانه ليس سوى محاولة لايجاد توازيات العالم . فهو تشبيه مدهش وغريب وغير قابل لنقاش من خارجه .

من جهة اخرى ، نبحث في القصائد عن منطق داخلي ، لنكتشفه على ابواب الحلم . لذلك تنفتح القصيدة وتفلت من بين ايدينا ، ويحاول الشعر ان يتمرد على القصيدة . هل نصل الى المجانية ام الى البداية ؟ ما معنى المجانية ؟ لا توجد علاقة مجانية بذاتها ، كل علاقة محاولة انخراط ، لكننا نصل في بعض اللحظات الى شعر يتمرد على نفسه ، اي الى منطق اللغة وقد علا صوتها حتى كاد ان يغطي طفولة نقطة الانطلاق .

لكن القصيدة تستطيع ان تمسك بهذه اللحظات في حركة بدايتها الدائمة ، بوصفها مشروعا يحتمل دلالات متنوعة بل متناقضة .

ونجلس حول المنبع ونتساءل :

« مختصرون على المنبع نحن ، ومأخوذون بمنبعنا

مأخوذون بمركز منبعنا

مأخوذون بدائرة المنبع

مأخوذون بنصف القطر ، ومأخوذون بقطر الدائرة

مأخوذون بكل جماد

مأخوذون بانفسنا يا يأس ،

قلقنا » ،

على المنبع يقف الشعر ويرسم اطاراته المستقبلية . حيث اللغة وعاء تجربة عارمة ، وحيث تأتي اصوات الجيل الشعري الجديد ، استكمالا لمنبع التحولات الذي دخلته القصيدة العربية .

صدر حديثا

عن علاقات الدائرة

رواية

بقلم : الياس خوري

في هذه الرواية ، تأخذ العلاقات الانسانية حجم الانفجار ، داخل علاقات تمتد من ميتم الى أقبية واقع دموي . في الميتم يرتسم اطار الدائرة . وخارجه تأخذ علاقاتها شكل حوار طويل بين رجلين ، يبحثان داخل التجربة الواقعية ، عن تكسير هذه العلاقات ، بالممارسة والحلم .

ـ دار الآداب ـ

تقارير

تقرير وثائقي مقارن لقرارات الامم المتحدة المتعلقة بمصير فلسطين

قراران خطيران يتعلقان بمصير فلسطين صدرا عن منظمة الامم المتحدة بفاصل زمني امتد سبعة وعشرين عاما ، حفلت خلالها منطقة المشرق العربي بالاحداث الفلسطينية . القرار الاول بث النشوة والفرح في صفوف الغزاة الصهاينة وتمسكوا به وثيقة استغلوها في نشاطهم الدبلوماسي دوليا . أما الثاني فقد قلب الصورة وعمت النشوة بين المضطهدين الفلسطينيين في جميع مواقعهم ، وتكرست به مرحلة جديدة في موقف الهيئة الدولية وعلاقاتها مع حركات التحرير العالمية . هذان القراران هما قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧ وقرار مسألة فلسطين ١٩٧٤ . ولكن بين هذين القرارين اكدت الامم المتحدة حق تقرير المصير لشعب فلسطين مرات عديدة نسورد الاخيرة منها في هذا التقرير ، مع مقارنة لمواقف الدول اثناء التصويت .

قرار التقسيم :

صدر قرار التقسيم بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ في الدورة الثانية برقم ١٨١ متضمنا اربعة اجزاء نص الاول على انهاء الانتداب في أقرب وقت ممكن على الا يتأخر في أي حال من الاول من اب (اغسطس) ١٩٤٨ وان تنسحب القوات المسلحة التابعة للسلطة المنتدبة من فلسطين تدريجيا على أن تبذل السلطة المنتدبة افضل مساعيها لضمان الجلاء عن منطقة واقعة في أراضي الدولة اليهودية ، تضم ميناء بحريا وأرضا خلفية كافيين لتوفير تسهيلات لهجرة كبيرة وذلك في أبكر موعد ممكن لا يتأخر في اي حال عن الاول من شباط (فبراير) ١٩٤٨ » . ثم تنشأ في فلسطين الدولتان المستقلتان العربية واليهودية والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس . كما تضمن هذا الجزء تفصيلات واسعة عن خطوات الاعداد للاستقلال من تشكيل لجنة دولية تتسلم ادارة فلسطين تدريجيا واجراء انتخابات . واقامة حكومة مؤقتة في كل دولة مقترحة . ونص القرار على ان ترفع كل من الحكومتين المؤقتتين تصريحا الى الامم المتحدة قبل الاستقلال يتضمن حكما عاما تعتبر شروطه بمثابة قوانين اساسية للدولة ، وفصل أول يتعلن بضمانات الاماكن المقدسة والابنية والمواقع الدينية . ويتضمن الفصل الثالث كفالة الحقوق الدينية وحقوق الاقلية ضمن سلطان الدولة القضائي . اما الفصل الثالث فتنص بنوده على حقوق المواطنة والالتزام بالمواثيق الدولية واحترام الالتزامات المالية . ويتطرق الفصل الرابع الى احكام متنوعة تشمل مسائل المرور والاتحاد الاقتصادي لفلسطين وتوزيع موجودات حكومة فلسطين الانتقالية وقضية القبول في عضوية الامم المتحدة . هذا وقد نص الجزء الثاني من قرار التقسيم على رسم الحدود للدولة العربية وللدولة اليهودية ومدينة القدس . أما القسم الثالث والاخير فقد جاء فيه احكام النظام الخاص بمدينة القدس الذي ستقوم بادارته الامم المتحدة ، وشمل هذا القسم رسم حدود المدينة ونظامها الاساسي واغراض الجهاز الحكومي والتنظيم التشريعي بالاضافة الى اجراءات الامن واللغات الرسمية والمواطنة وضمان حرية المواطنين والاماكن المقدسة . كما تقرر ان يمتد هذا النظام الخاص بالمدينة المقدسة لمدة عشر سنوات يكون بعدها لسكان المدينة حرية التعبير عن رغباتهم فيما يختص بالتعديلات الممكن اجراؤها . أخيرا نص الجزء الرابع على دعوة الدول التي كان مواطنوها يتمتعون بامتيازات في الماضي في فلسطين

الى التخلي عن هذه الامتيازات والحصانات في الدولتين العربية واليهودية وفي مدينة القدس .

● **قرار اللجنة السياسية الخاصة عن حق تقرير المصير لشعب فلسطين رقم ٢٣٦٣/ه بتاريخ ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ في الدورة السابعة والعشرين .**

ان الجمعية العامة ،

معترفة بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ناجمة عن انكار حقوقهم الثابتة التي أقرها ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان .

مذكرة بقرارها ٥٣٥٢ ب (الدورة ٢٤) في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، الذي اكدت فيه الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، وقراراتها ٢٧٦٢ ج (الدورة ٢٥) في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ و ٢٧٩٢ د (الدورة ٢٦) في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، التي أقرت فيها بضرورة تمتع شعب فلسطين بالمساواة في الحقوق وممارسة حقه في تقرير مصيره ، بما يتناسب مع الميثاق ، وقراراتها ٢٦٤٩ (الدورة ٢٥) في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ و ٢٧٨٧ (الدورة ٢٦) في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ التي اعترفت فيها لشعب فلسطين بحق الاستقلال الذاتي .

مستذكرة مبدأ المساواة في الحقوق بين الشعوب وحقهم في تقرير المصير ، المكرسة في البنود الاول و ٥٥ من الميثاق ، والمؤكدة حديثا في الاعلان المتعلق بمبادىء القانون الدولي حول العلاقات الحسنة والتعاون بين الدول بما يتلاءم مع ميثاق الامم ٩ وفي الاعلان حول تدعيم السلام الدولي ١٠،

١ — تؤكد ضرورة تمتع شعب فلسطين بالمساواة في الحقوق وممارسة حقه في تقرير المصير بنفسه بما يتلاءم مع ميثاق الامم المتحدة .

٢ — تعرب مرة اخرى عن عميق الاهتمام بعدم السماح لشعب فلسطين بالتمتع بحقوقه الثابتة وممارسة حقه في الاستقلال الذاتي .

٣ — تعترف بان الاحترام الفعال والتحقيق التام للحقوق الثابتة لشعب فلسطين ضروريان لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

● وكررت اللجنة السياسية الخاصة هذا القرار في دورة الامم المتحدة الثامنة والعشرين بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ .

● أما الدورة التاسعة والعشرون للامم المتحدة فقد شهدت في بدايتها موقفا جديدا بتوجيه الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية للمساهمة في الدورة وفقا للقرار التالي :

القرار رقم ٣٢١٠ الصادر عن الجمعية العمومية في ١٤ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٤

ان الجمعية العمومية ،

معتبرة ان شعب فلسطين هو الفريق الاساسي في مسألة فلسطين ، تدعو منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثل الشعب الفلسطيني ، الى المساهمة في مناقشات الجلسات العامة للجمعية العمومية حول مسألة فلسطين .

● **نص القرار رقم ٣٢٣٦ في الدورة التاسعة والعشرين بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .**

ان الجمعية العامة ،

بعد ما درست مسألة فلسطين ، وبعدما استمعت الى بيان منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة للشعب الفلسطيني ، وبعدما استمعت كذلك الى بيانات اخرى القيت خلال المناقشة .

تبدي قلقا عميقا لعدم تحقيق حل عادل لمشكلة فلسطين حتى الان وتعترف بان مشكلة فلسطين لا تزال تعرض السلام والامن الدوليين للخطر ، وتعترف بان للشعب الفلسطيني الحق في تقرير المصير بموجب ميثاق الامم المتحدة ، وتعرب عن قلقها الخطير لان الشعب الفلسطيني منع من التمتع بحقوقه الثابتة وبصورة خاصة حقه في تقرير المصير . ومسترشدة باهداف ومبادىء الميثاق ، ومعيدة الى الذاكرة قراراتها المتعلقة بالموضوع ، التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير،

١ — تؤكد من جديد الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين بما في ذلك :

أ — حق تقرير المصير من دون تدخل خارجي .

ب — حق الاستقلال الوطني والسيادة .

٢ — تؤكد من جديد الحق الثابت للفلسطينيين

بالعودة الى منازلهم وممتلكاتهم التي انتزعوا منها وتدعو الى عودتهم .

٣ ــ تؤكد ان الاحترام الكامل وتحقيق هذه الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني لا غنى عنها لحل مسألة فلسطين .

٤ ــ تعترف بان الشعب الفلسطيني فريق رئيسي في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

٥ ــ تعترف كذلك بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل بموجب غايات ومبادىء ميثاق الامم المتحدة .

٦ ــ تناشد كل الدول والمنظمات الدولية تقديم دعمها الى الشعب الفلسطيني في كفاحه لاستعادة حقوقه بموجب الميثاق .

٧ ــ تطلب من الامين العام اقامة اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية حول كل المسائل المتعلقة بمسألة فلسطين .

٨ ــ تطلب من الامين العام تقديم تقرير الى الجمعية العمومية في دورتها الثلاثين حول تطبيق القرار الحالي .

٩ ــ تطلب ادراج البند المعنون « مسألة فلسطين » في جدول الاعمال المؤقت للدورة الثلاثين .

نص القرار رقم ٣٢٣٧ في الدورة التاسعة والعشرين بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

ان الامم المتحدة ، بعدما ناقشت المسألة الفلسطينية وأخذت في الاعتبار الطابع الشامل الذي ينص عليه ميثاقها ، وبالاشارة الى قرارها الرقم ٣١٠٢ الصادر في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ مع مراعاة قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي ١٨٣٥ في ١٧ ايار (مايو) ١٩٧٤ و ١٨٤٠ في ٢٠ ايار (مايو) ١٩٧٤ ، التي تشير الى المؤتمر الدبلوماسي الخاص باعادة تأكيد وتطوير القانون الانساني الدولي المطبق في حال نشوب صراعات مسلحة وكذلك مؤتمر السكان الدولي ومؤتمر الغذاء العالمي ، وهي القرارات التي دعت بالفعل منظمة التحرير الفلسطينية الى الاشتراك في مداولاتها ، واذ تلاحظ ان مؤتمر الامم المتحدة الثالث الخاص بقانون البحار دعا منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في مداولاته كمراقب .

أولا : تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في جلساتها وفي اعمال الجمعية العمومية بصفة مراقب .

ثانيا : تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في كل جلسات واعمال كل المؤتمرات الدولية التي تعقد باشراف الجمعية العمومية بصفتها مراقبا .

ثالثا : تعتبر ان المنظمة التحرير الفلسطينية الحق في المشاركة كمراقب في جلسات واعمال كل المؤتمرات الدولية التي تعقد باشراف اجهزة الامم المتحدة الاخرى .

رابعا : تطلب من الامين العام اتخاذ كل الخطوات الضرورية لتنفيذ هذا القرار .

اعداد سهيل الناطور

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
		الدورة ٢٩					
١	ــ الجزائر	مع	مع	مع	مع	مع	×(١)
٢	ــ البحرين	مع	مع	مع	مع	مع	×
٣	ــ اليمن الديمقراطية	مع	مع	مع	مع	مع	×

١ ــ الدول التي لم تكن عضوا في هيئة الامم المتحدة اشير اليها بعلامة (×) .

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	الدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
٤	مصر	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٥	العراق	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٦	الاردن	مع	مع	مع	مع	مع	×
٧	الكويت	مع	مع	مع	مع	مع	×
٨	لبنان	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٩	ليبيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠	موريتانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١	المغرب	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٢	عمان	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٣	قطر	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٤	السعودية	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
١٥	الصومال	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٦	السودان	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٧	سوريا	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
١٨	تونس	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٩	الامارات العربية المتحدة	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٠	اليمن	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
	المجموعة الاشتراكية						
٢١	البانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٢	بلغاريا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٣	بيلوروسيا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٢٤	الصين	مع	مع	مع	مع	مع	امتناع
٢٥	كوبا	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٢٦	تشيكوسلوفاكيا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٢٧	المانيا الديمقراطية	غياب	مع	مع	مع	مع	×
٢٨	هنغاريا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٩	منغوليا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٣٠	بولندا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٣١	رومانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٣٢	أوكرانيا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٣٣	الاتحاد السوفياتي	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٣٤	يوغوسلافيا	مع	مع	مع	مع	مع	امتناع
	المجموعة الآسيوية						
٣٥	بوتان	امتناع	غياب	مع	مع	مع	×
٣٦	بورما	مع	امتناع	امتناع	مع	مع	×
٣٧	قبرص	مع	مع	مع	مع	مع	×

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	السدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
٣٨	فيجي	غياب	امتناع	مع	امتناع	مع	×
٣٩	بنجلادش	×	×	مع	مع	مع	×
٤٠	الهند	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤١	أندونيسيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٤٢	ايران	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤٣	اليابان	مع	مع	مع	امتناع	امتناع	×
٤٤	جمهورية خمير	غياب	غياب	مع	مع	مع	×
٤٥	افغانستان	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤٦	سيرالنكا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٤٧	تركيا	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤٨	ماليزيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٤٩	المالديف	مع	غياب	غياب	غياب	غياب	×
٥٠	الفيليبين	امتناع	مع	مع	مع	مع	مع
٥١	سنغافورة	امتناع	مع	مع	امتناع	مع	×
٥٢	تايلاند	امتناع	مع	مع	مع	امتناع	غياب
٥٣	باكستان	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٥٤	لاوس	امتناع	غياب	امتناع	امتناع	امتناع	×
٥٥	نيبال	امتناع	امتناع	مع	امتناع	مع	×
	المجموعة الغربية						
٥٦	الولايات المتحدة الاميركية	ضد	ضد	ضد	ضد	ضد	مع
٥٧	اسبانيه	مع	مع	مع	مع	مع	×
٥٨	اليونان	مع	مع	مع	امتناع	امتناع	ضد
٥٩	مالطا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
٦٠	بلجيكا	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦١	لوكسمبورج	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٢	هولندا	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٣	نيوزيلندا	ضد	امتناع	مع	امتناع	امتناع	مع
٦٤	الدانمارك	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٥	ايسلندا	ضد	امتناع	امتناع	ضد	ضد	مع
٦٦	كندا	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٧	ايطاليا	ضد	امتناع	مع	امتناع	ضد	×
٦٨	استراليا	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٦٩	السويد	امتناع	امتناع	مع	امتناع	امتناع	مع
٧٠	بريطانيا	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	امتناع
٧١	فنلندا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	مع	×
٧٢	فرنسا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	امتناع	مع
٧٣	ايرلندا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	ضد	×

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	الدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
٧٤	النمسا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	امتناع	×
٧٥	النرويج	امتناع	امتناع	مع	ضد	ضد	مع
٧٦	البرتغال	امتناع	امتناع	مع	مع	مع	×
٧٧	المانيه الاتحادية	×	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	×
	المجموعة اللاتينية						
٧٨	شيلي	مع	مع	غياب	ضد	ضد	امتناع
٧٩	غويانا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٨٠	بيرو	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٨١	الارجنتين	امتناع	مع	مع	مع	غياب	امتناع
٨٢	كولومبيا	امتناع	مع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع
٨٣	اكوادور	غياب	مع	امتناع	امتناع	غياب	مع
٨٤	غواتيمالا	ضد	مع	امتناع	امتناع	غياب	مع
٨٥	هوندوراس	ضد	مع	غياب	امتناع	امتناع	امتناع
٨٦	ترينيداد وتوباجو	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
٨٧	نيكاراغوا	ضد	ضد	امتناع	ضد	ضد	مع
٨٨	كوستاريكا	ضد	ضد	امتناع	ضد	ضد	مع
٨٩	الدومينيكان	ضد	امتناع	ضد	غياب	غياب	مع
٩٠	السلفادور	ضد	امتناع	مع	امتناع	غياب	امتناع
٩١	بربادوس	ضد	ضد	امتناع	امتناع	مع	×
٩٢	هايتي	ضد	غياب	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٩٣	بوليفيا	ضد	ضد	ضد	ضد	ضد	مع
٩٤	جامايكا	امتناع	امتناع	مع	مع	امتناع	×
٩٥	باراغواي	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٩٦	اورغواي	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٩٧	المكسيك	امتناع	امتناع	مع	امتناع	مع	امتناع
٩٨	البرازيل	امتناع	امتناع	مع	غياب	مع	مع
٩٩	البهامز	امتناع	غياب	غياب	امتناع	امتناع	×
١٠٠	بناما	غياب	غياب	مع	امتناع	امتناع	مع
١٠١	فنزويلا	غياب	امتناع	مع	امتناع	مع	مع
١٠٢	جرنادا	×	×	غياب	امتناع	مع	×
	المجموعة الافريقية						
١٠٣	مالي	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٤	السنغال	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٥	تنزانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٦	زامبيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٧	غينيا	مع	مع	مع	مع	مع	×

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
		الدورة ٢٩					
١٠٨	نيجيريا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٩	الكونجو	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٠	بوروندي	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١١	أوغندا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٢	الكاميرون	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٣	غينيا الاستوائية	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٤	النيجر	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٥	سيراليون	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٦	كينيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٧	مالاجاسي	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٨	تشاد	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٩	موريشوس	مع	غياب	مع	مع	مع	×
١٢٠	سوازيلاند	مع	غياب	امتناع	امتناع	امتناع	×
١٢١	جمهورية افريقيا الوسطى	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٢٢	ليسوتو	ضد	امتناع	غياب	مع	مع	×
١٢٣	بوتسوانا	امتناع	امتناع	مع	مع	مع	×
١٢٤	مالاوي	امتناع	امتناع	غياب	امتناع	امتناع	×
١٢٥	غينيا بيساو	×	×	مع	مع	مع	×
١٢٦	داهومي	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٢٧	اثيوبيا	امتناع	مع	مع	مع	مع	امتناع
١٢٨	جابون	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٢٩	جامبيا	غياب	مع	مع	مع	مع	×
١٣٠	غانا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣١	ساحل العاج	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٢	ليبيريا	ضد	مع	مع	مع	مع	مع
١٣٣	رواندا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٤	توجو	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٥	فولتا العليا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٦	زائير	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٧	جنوب افريقيا	غياب	غياب	غياب	غياب	غياب	مع
١٣٨	اسرائيل	ضد	ضد	ضد	ضد	ضد	×

تحليل لاصوات المجموعات بالنسبة
لقرار التقسيم ١٩٤٧

المجموعات	مجموع الاصوات	مع	ضد	امتناع	غياب
المجموعة العربية	٦	—	٦	—	—
المجموعة الافريقية	٣	٢	—	١	—
المجموعة الاشتراكية	٨	٥	١	٢	—
المجموعة الاسيوية	٧	١	٥	—	١
المجموعة اللاتينية	١٩	١٣	—	٦	—
المجموعة الغربية	١٤	١٢	١	١	—
المجموع العام	٥٧	٣٣	١٣	١٠	١

تحليل لاصوات المجموعات بالنسبة لقراري الدورتين ٢٧ و٢٨

المجموعات	مجموع الاصوات	الدورة ٢٧ مع	ضد	امتناع	غياب	مجموع الاصوات	الدورة ٢٨ مع	ضد	امتناع	غياب
المجموعة العربية	٢٠	٢٠	—	—	—	٢٠	٢٠	—	—	—
المجموعة الافريقية	٣٤	١٨	٢	١٢	٢	٣٤	٢٨	—	٣	٣
المجموعة الاشتراكية	١٤	١٣	—	—	١	١٤	١٤	—	—	—
المجموعة الاسيوية	٢٠	١٢	—	٦	٢	٢٠	١٣	—	٣	٤
المجموعة اللاتينية	٢٤	٣	٩	٩	٣	٢٤	٩	٤	٨	٣
المجموعة الغربية	٢١	٢	٩	١٠	—	٢٢	٣	١	١٨	—
المجموع العام	١٣٢	٦٨	٢٠	٣٧	٨	١٣٣	٨٧	٥	٣٢	١٠

تحليل لاصوات المجموعات بالنسبة لقرارات الامم المتحدة الثلاثة الاخيرة في الدورة التاسعة والعشرين ١٩٧٤

المجموعات	مجموع الاصوات	القرار الاول				القرار الثاني				القرار الثالث			
		مع	ضد	امتناع	غياب	مع	ضد	امتناع	غياب	مع	ضد	امتناع	غياب
المجموعة العربية	٢٠	٢٠	—	—	—	٢٠	—	—	—	٢٠	—	—	—
المجموعة الافريقية	٣٤	٣١	—	—	٣	٣٢	—	٢	—	٣٢	—	٢	—
المجموعة الاشتراكية	١٤	١٤	—	—	—	١٤	—	—	—	١٤	—	—	—
المجموعة الاسيوية	٢١	١٨	—	٢	١	١٥	—	٥	١	١٧	—	٣	١
المجموعة اللاتينية	٢٥	١٠	٢	٩	٤	٥	٤	١٤	٢	٨	٤	٨	٥
المجموعة الغربية	٢٢	١٢	١	٩	—	٣	٣	١٦	—	٤	١٢	٦	—
المجمـــوع	١٣٦	١٠٥	٣	٢٠	٨	٨٩	٧	٣٧	٣	٩٥	١٦	١٩	٦

— الصوتان الباقيان لاسرائيل وجنوب افريقيا التي طردت من الجمعية العامة هذا العام .
— المجموعة الاسيوية تشمل : قبرص وفيجي واليابان .

تزايد النفوذ الصهيوني في الكونغرس الاميركي ونتائجه على الصراع العربي ــ الاسرائيلي

تركز الصهيونية منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ على الاحتفاظ بالدعم الاميركي الذي ظهرت آثاره الهامة خلال الحرب وبعدها . فالولايات المتحدة اليوم هي الصديق الوحيد لاسرائيل ، والدولة الكبرى الوحيدة التي لا تزال تؤيد أطماعها التوسعية العدوانية ، وتقدم لها كل أنواع المساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . ويعتقد الصهاينة ان استمرار الدعم الاميركي مرهون ، قبل كل شيء ، بالسيطرة على المؤسسات السياسية التي تصنع القرار الاميركي، والمؤسسات الاقتصادية ــ الاعلامية التي تؤثر على صنع هذا القرار بالضغط المباشر وغير المباشر .

ويتمثل التركز الصهيوني بالنشاط الكبير الذي تقوم به اللجان والمؤتمرات والوكالات والمنظمات الصهيونية ، وما تنشره الصحف الصهيونية او المؤيدة لها من مقالات ، وما تصدره المؤسسات من نشرات . وتستخدم الصهيونية في حملتها الدعائية الحالية أسلوب الهجوم ، فهي تضرب كل معارض ، وتوجه اتهاماتها باسم محاربة « اللاسامية » ، وتسخر كل طاقاتها للوصول الى هدف محوري هو : محاربة منظمة التحرير الفلسطينية ، واعادة اسرائيل الى المكانة الدولية التي كانت تتمتع بها قبل حرب ١٩٧٣ .

ولا يعني هذا القول ان الصهيونية كانت تعيش قبل الحرب حالة خمول ، فلقد لعبت دورها الضاغط دائما في الولايات المتحدة وفي مختلف الاوساط العالمية ، ولكنها تجد نفسها اليوم أمام تحديات دولية كبيرة ومن نوع جديد . الامر الذي يدفعها الى تكثيف نشاطها في معركة تعتبرها « معركة بقاء » .

ولقد قام الصهاينة الاميركيون منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ بنشاط محموم لاكتساب الشارع الاميركي . وكانت مظاهراتهم وبياناتهم شبه يومية. ولقد شنوا بالاضافة الى ذلك حملة لجمع التواقيع على العرائض . وكان عملهم هذا بمثابة استفتاء شعبي غير رسمي ، نظرا للاهمية التي يعلقها الاميركيون على توقيع العرائض عندما يريدون التعبير عن رأيهم في القضايا الخطيرة كحرب فيتنام ، ووترغيت ، والمطالبة بتنحية نيكسون .. الخ .

وتركز الصهيونية اليوم ، أكثر من أي وقت مضى ، على تعيين مؤيديها في المراكز الحساسة في الادارة الاميركية ، ابتداء من البيت الابيض (ابراز السناتور هنري جاكسون كمرشح للرئاسة في العام ١٩٧٦) ومرورا بالبنتاغون (محاربة رئيس الاركان الجنرال براون) ، والضغط على كل من يتلكأ في تقديم الاسلحة الى اسرائيل . ولقد وضعت « اللجنة اليهودية الاميركية » مشروعا يرمي الى محاربة « التمييز ضد اليهود » ، وايصال « الاداريين الصهاينة » الى مراكز مرموقة في أهم الشركات الاميركية(١)، وذلك بعد أن شعرت هذه اللجنة بأن « اليهود » غير ممثلين في المراكز العليا من قطاعات التجارة الكبيرة ، والمصارف والخدمات العامة والنقل(٢). وأخذت تضغط بالفعل على شركات الهاتف والبرق مطالبة بزيادة « عدد اليهود المؤهلين » في المراكز الادارية الهامة في الشركة، الامر الذي جعل هذه الشركات تتخذ تدابير سريعة لتحقيق هذه الرغبة . ومن المتوقع ان تستجيب شركات اميركية اخرى للمطالب الصهيونية ، وتعمل على تعيين عدد اكبر من الصهاينة في « المواقع المفتاح » داخل اداراتها .

ولعل من اهم اتجاهات الجهد الصهيوني في المرحلة الحاضرة ، زيادة عدد النواب المؤيدين لاسرائيل في المؤسسات التشريعية . ولقد تجاوب الناخب الاميركي مع الدعاية الصهيونية ، وبدا ذلك واضحا في انتخابات ١٩٧٤/١١/٥ ، اذ انتخب الاميركيون للكونغرس ــ بمجلسيه الشيوخ والنواب ــ عددا اكبر من الصهاينة . وهكذا حصل الصهاينة على ٣ مقاعد في مجلس الشيوخ التابع للكونغرس التاسع والاربعين ، كما حصلوا على ٢١ مقعدا في مجلس النواب للكونغرس نفسه. وهذا يعني انهم حصلوا على عشرة مقاعد اضافية عن المقاعد التي كانت لهم في الكونغرس السابق(٣).

ويلاحظ عند دراسة أوضاع النواب الصهاينة في الكونغرس الملاحظات التالية : **اولا** : ان ثلاثة نواب صهاينة في مجلس النواب جمهوريون ، ويقابلهم ١٨ نائبا صهيونيا ديموقراطيا ، **ثانيا** :

ان النواب الصهاينة المنتخبين من ولاية نيويورك يعادلون ٥٠ ٪ من مجموع النواب الصهاينة المنتخبين في الولايات المتحدة كلها . **ثالثا** : لقد انتخبت ولاية جورجيا لاول مرة في تاريخها نائبا صهيونيا هو الديموقراطي اليوت ليفيتاس . **رابعا** : ان اثنين من النواب الصهاينة في مجلس الشيوخ هما من الوجوه القديمة ، فجاكوب جافيتز ينتخب للمرة الرابعة عن ولاية نيويورك ، وابراهام ريبيكوف ينتخب للمرة الثالثة عن ولاية كونيكتيكات. **خامسا** : لقد انتخبت ولاية فلوريدا لاول مرة في تاريخها نائبا صهيونيا هو ريتشارد ستون ليمثلها في مجلس الشيوخ . وبهذا أصبح ستون اول صهيوني من الجنوب يصل الى مقعد في مجلس الشيوخ .

ويبدو من هذه الملاحظات اتساع السيطرة الصهيونية في نيويورك ، وامتدادها الى العديد من الولايات ، بما في ذلك ولايات لم تنتخب في تاريخها اي صهيوني ، كما يلاحظ تكريس زعامة جافيتز وريبيكوف اللذين أثبتا طوال حياتهما السياسية دعما كاملا لاسرائيل . ولقد اعتبرت الصحف الصهيونية ان نتائج الانتخابات دليل على نجاح المخطط الصهيوني ، وعبرت عن ذلك بعناوين عريضة تقول : « المرشحون اليهود يفوزون في الانتخابات » ، و« جميع المرشحين اليهود الذين تبنيناهم نجحوا » . وتبرز هذه العناوين بوضوح انتماء المرشحين الديني ، مع ان الانتخابات الاميركية تجري باسم الانتماء الحزبي والبرامج الحزبية لا تحت لواء الدين او الطائفة . وعللت الصحف الصهيونية ايضا «بعودة اصدقاء اسرائيل» الى الكونغرس ، ولقد عرف هؤلاء « الاصدقاء » بتأييدهم المطلق لاسرائيل ، وبمطالبتهم الدائمة بهجرة اليهود السوفييت . ومن أبرزهم الديمقراطي شارل فانيك الذي يعود الى مجلس النواب للمرة الحادية عشرة على التوالي ، والجمهوري ريتشارد شويكر ، والديمقراطي ولبور ميلز ، والسناتور الديمقراطي آلان كرانستون ، والسناتور الجمهوري روبرت دول .

ومن أبرز مظاهر النجاح الصهيوني في الانتخابات الاميركية غياب السناتور الديمقراطي وليام فولبرايت الذي خسر مقعده للمرة الاولى منذ ثلاثين عاما ، وذلك خلال الانتخابات الفرعية التي جرت في الحزب الديمقراطي خلال الربيع الماضي. ومن المعروف ان الصهيونية حاربت فولبرايت بشكل محموم ، نظرا لمواقفه السياسية التي تقدم مصلحة الولايات المتحدة الوطنية على مصالح اسرائيل ، وتؤيد وجهة النظر العربية العادلة .

وبالاضافة الى كل هؤلاء النواب الصهاينة والنواب غير اليهود المؤيدين للصهيونية ، فان في مجلس الشيوخ نوابا آخرين مؤيدين للصهيونية ، ولكنهم لم يخوضوا الانتخابات في هذه الدورة لان مدتهم لم تنته بعد(٤). ومن هؤلاء النواب السناتور الديمقراطي هنري جاكسون الذي تحاول الصهيونية تسليط الاضواء عليه واعطاءه أهمية لا تتناسب مع مؤهلاته ، والسناتور الديمقراطي جون باستور وزميله وليام بروكسماير وهما صهيونيان أكثر من الصهاينة انفسهم .

ولم يقتصر ربح الصهاينة على زيادة مقاعدهم في مجلسي الكونغرس ، بل امتد ايضا ليشمل مناصب حكام الولايات المتحدة الذين ظهر من بينهم عدد كبير من الصهيونيين او انصارهم . وأمام هذا المد الذي حققته الصهيونية داخل اجهزة الحكم ، فان علينا ان نقف وقفة تأمل لتحديد أسباب ونتائج ارتفاع نسبة عدد النواب الصهاينة في مجلس النواب من ٢ر٦ ٪ الى ٤ر٨ ٪ ، واسباب وجود صهاينة بنسبة ٣ ٪ داخل مجلس الشيوخ ، مع ان الصهاينة لا يمثلون في الولايات المتحدة سوى ٢ر٦ ٪ تقريبا من مجمل السكان .

لقد كان هناك عدة عوامل واحداث عرفت الصهيونية كيف تستغلها وتوظفها في خدمة مرشحيها . فبالاضافة الى نفوذ الصهيونية في حقول الاعلام والمال والسياسة ، ومعرفتها التامة للعبة السياسية ، واتقانها الكامل لتسيير الآلة الانتخابية ، فقد أفاد مرشحوها (الصهاينة ومؤيدوهم) من العوامل التالية :

العامل الاول : توقيت الانتخابات . فلقد جرت هذه الانتخابات بعد ثلاثة اشهر من استقالة الرئيس ريتشارد نيكسون على اثر فضيحة ووترغيت التي لا تزال محاكمة ابطالها جارية حتى اليوم . وتمت الانتخابات وسط جو عام ، وتراشق للتهم والتبعات ، وفضائح كبيرة اكتشف الاميركيون خلالها ان نظامهم لم يكن مثاليا كما كانوا يظنون ، وان مبادىء حكامهم لم تكن الا على الورق . وأثرت

الازمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد على سير الانتخابات . وكان من أهم مظاهر هذه الازمة الانكماش الاقتصادي ، وأزمة الطاقة ، والتضخم، وارتفاع عدد العاطلين عن العمل ، وافلاس عدد من الشركات ، واحتمال افلاس عدد آخر من الشركات الكبرى وخاصة في قطاع صناعة السيارات .

وبدلا من ان تخلق هذه الاوضاع وعيا سياسيا ، وردة فعل جذرية يأخذ فيها الشارع الاميركي المبادرة الايجابية ضد جهاز الحكم « الفاسد والمفسد » ، حسب تعبير الاميركيين ، فقد لوحظ ان هذا الشارع غارق في السلبية والخمول السياسيين . وكان من ابرز مظاهر الحبوط السياسي لديه ، عزوف ٦٢ ٪ من الناخبين عن التصويت(٥). الامر الذي ترك الساحة خالية أمام الناخب الصهيوني ومؤيديه الذين تحركوا على العكس بديناميكية تمثلت في كثافة التصويت وارتفاع نسبة المدلين بأصواتهم بين صفوف الصهاينة ومؤيديهم ، ولذا فان من الممكن القول بأن نتائج الانتخابات كانت مشوهة ولا تعكس رأي الاكثرية الاميركية ، التي بقيت مرة اخرى صامتة !

ولم يكن لهذا الصمت أي معنى ايجابي ، ولم يحقق الرغبة الكامنة وراءه . لانه لم يكن صمتا مبنيا على قرار سياسي مسبق ، كما لم يكن مقاطعة معلنة او ضغطا جماهيريا للتعبير عن سخط عام ، بل كان على العكس صمتا سلبيا ناجما عن انعدام التنظيم في صفوف الساخطين ، وعدم قدرتهم على مجابهة المعضلات الاساسية ، وانشغالهم بمشاكل جانبية ثانوية . وتقودنا هذه الملاحظة الى القول بأن سلبية الاكثرية الاميركية ، وتقوقعها على نفسها ، وانعزالها عن كل ما يجري حولها داخل الولايات المتحدة وخارجها دون أن يمس مصالحها اليومية ، هي من أهم اسباب نجاح الصهاينة وسيطرتهم على الشارع الاميركي .

العامل الثاني : الاتهامات الموجهة الى الحزب الجمهوري، واعتباره مسؤولا عن فضيحة ووترغيت وذيولها ، والحالة العامة الداخلية المتدهورة . لذا فقد جاءت النتيجة هزيمة للجمهوريين لم يعرفوا مثلها منذ سنين . وخسر كبار الجمهوريين المقربين من الرئيس نيكسون مقاعدهم ، حتى سميت الانتخابات « انتخابات نيكسون الاخيرة »(٦) ولقد اعتبرت هذه الانتخابات عملية تطهير واسعة النطاق . ومن المؤكد ان الشارع الاميركي سيصاب بخيبة أمل كبيرة عندما سيكتشف ان الحزب الديمقراطي لا يتميز عن الحزب الجمهوري ، وان أساس الداء لا يكمن في هذا الحزب او ذاك ، بل في الجهاز السياسي الاميركي ، والسياسة الاميركية في الداخل والخارج على السواء . وان كل ما يقال عن ليبرالية الحزب الديمقراطي وتأييده للسياسة الخارجية المنفتحة وتقديم المساعدات الخارجية ، وكل ما يقال عن الطبيعة المحافظة للحزب الجمهوري ، ليست أكثر من اقوال مجردة من المعاني الحقيقية ، وان جوهر الحزبين واحد ، لانهما يدافعان عن نظام مهترىء واحد ، يخطو خطوات سريعة نحو الازمة .

بيد أن الناخب الاميركي لم يع بعد هذه الحقيقة، لذا وجدناه يصوت للديمقراطيين . وكانت النتيجة صفعة للرئيس جيرالد فورد الذي قام بجولة في عشرين ولاية لتأييد مرشحي الحزب الجمهوري . وقيل بأن من مصلحة فورد والحزب الجمهوري كله ان يستقيل فورد من الرئاسة(٧). ورد الرئيس على ذلك بأن أصدر الناطق باسمه بيانا قال فيه : انه باق حتى نهاية ولايته ، وربما بقي في سدة الرئاسة أكثر من ذلك(٨).

ولقد استغلت الصهيونية تدهور سمعة الجمهوريين ، فقدمت معظم مرشحيها على لوائح الحزب الديمقراطي ، الذي فاز بأكثرية مقاعد الكونغرس الجديد ، وغدا مسيطرا على ٦٣ ٪ من مقاعد مجلس الشيوخ و ٦٦ ٪ من مقاعد مجلس النواب الامر الذي زاد حصة المرشحين الصهاينة ومؤيديهم داخل المجلسين .

العامل الثالث : تمويل الانتخابات . فلقد صوت الناخب الاميركي ، على ما يبدو ، ضد فضيحة ووترغيت ، وما كشفه التحقيق من فضائح تتعلق بتمويل الحملات الانتخابية السابقة. وأراد الانتقام من أصحاب الفضيحة عن طريق استخدام أساليبهم، وانتخاب المرشح الذي استخدم أمواله في المعركة الانتخابية على طريقة ووترغيت . ولقد دلت نتائج الانتخابات على انه كان هناك رشوات ومصروفات ضخمة موّلها الاغنياء لانجاح مرشحين من الاغنياء(٩)، لدرجة جعلت معركة المرشح الصهيوني الديمقراطي أبنر مكفاح في ولاية الينوي من أغلى المعارك

وأكثرها تكلفة . وينطبق هذا القول على جافيتز وغيره من مرشحي الصهيونية .

العامل الرابع : لم تطرح برامج المرشحين خلال المعركة الانتخابية مقولات تتعلق بالقضايا الدولية الهامة (مثل الحرب الفيتنامية) . ومما يلفت النظر أن أسرى الحرب السابقين الاربعة الذين خاضوا الانتخابات فشلوا جميعهم . ولقد أدى انعدام المقولات السياسية الخارجية في برامج معظم المرشحين الى خلو الساحة أمام المرشحين الصهاينة ليطرحوا قضية اسرائيل والخطر الذي يتهددها كمقولة سياسية خارجية محورية .

ولقد شاءت الصدفة ان يقع تاريخ الانتخابات في الفترة الزمنية التي كانت الامم المتحدة تستعد خلالها لاستقبال وفد منظمة التحرير الفلسطينية ، فاستغلت الصهيونية هذا التطابق الزمني لصالح مرشحيها ، رغم أنها كانت تتمنى في قرارة نفسها أن لا تدعى المنظمة أصلا الى الامم المتحدة . ولقد اعترفت « الديلي نيوز بولتن » ، التي تصدر عن « جويش تلغرافيك ايجنسي » ، بأن من العوامل الاساسية التي ساعدت السناتور جافيتز للانتصار على منافسه الديمقراطي رمزي كلارك ، كان تأييده لاسرائيل(١٠). فلقد استطاع جافيتز ان يجعل موقف كلارك من الفلسطينيين محور حملته الانتخابية ، وأن يكتسب أصوات الاميركيين الخاضعين للدعاية الصهيونية ، والمعادين لمنظمة التحرير الفلسطينية . وكان تفسير مؤيدي كلارك لفشل مرشحهم يدور حول ان جافيتز تمكن من « تشويه » موقف كلارك من القضية الفلسطينية . وهكذا أفاد الصهاينة حتى من اكبر هزيمة سياسية لحقتهم على الصعيد الدولي .

العامل الخامس : التكتيك النفسي الذي اتبعه مرشحو الصهاينة . فلقد تبنوا المواقف الهجومية في انتقاداتهم للاوضاع الداخلية المتردية . ولجأوا الى التشهير بخصومهم ، وشتم هيئة الامم المتحدة والتنديد بموقفها الخاص بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية . ولقد استطاع مرشحو الصهيونية حشر منافسيهم في مواقع الدفاع . فبدا هؤلاء وكأنهم واقعون تحت تأثير عقدتي الضعف والذنب معا . وظهر معظمهم خلال المناظرات والمحاضرات، وكأنهم يستجدون عطف الناخبين . وكان ذلك واضحا في ولاية نيويورك بشكل خاص . وبالاضافة الى ذلك ، فقد حاول مرشحو الصهيونية الظهور بمظهر مالك القوة الواثق بالنجاح . وأثر هذا الموقف على الاميركي العادي الذي يؤمن بالقوة والنجاح ، ويحترم العجرفة التي تقارب الفرنجسية، ولا يثق الا بمن يعرف كيف يفرض نفسه كسلعة مرغوبة في السوق الاميركية .

ومن الملاحظ ان الاسرائيليين خاطبوا الشارع الاميركي منذ حرب ١٩٧٣ باللغة التي يفهمها ، فلقد ردد زعماؤهم طوال العام الماضي : « نحن أقوياء » ، « نحن قادرون على قهر العرب لوحدنا شريطة تزويدنا بالسلاح » ، « نحن القوة الوحيدة القادرة على منع التغلغل السوفييتي في الشرق الاوسط » . وكانت أقوالهم تضرب على وتر حساس في أعماق الانسان الاميركي الذي لا يحب الضعفاء ، ولا يحترم المهزومين ، ويؤمن بالنجاح ايمانا دوغمائيا شبه ديني . ولقد لاحظ الخبراء النفسيون هذا « التشوه النفسي » في المجتمع الاميركي ، عندما رصدوا تبدل النظرة الاميركية للعرب بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، رغم عدالة الموقف العربي قبل هذه الحرب وبعدها . وتحول السياسة الاميركية الرسمية بعد الانتصار الساحق الذي حققه الاتراك في قبرص ، رغم النقد العالمي الذي وجه للاسلوب التركي في معالجة الازمة القبرصية .

وقد لا يكون احترام القوة والنجاح ظاهرة اميركية بحتة ، ولكنه يأخذ في الولايات المتحدة حجما مرضيا لا يخلو من السطحية . ويرجع السبب في ذلك الى ان غالبية سكان الولايات المتحدة متحدرة من جماعات وطبقات تعرضت للقهر (الاجتماعي او السياسي او الديني) في وطنها الام ، ثم عرفت البحبوحة في اميركا ، وانشغلت بالمسائل المادية دون الغوص في الثقافة ، فكونت مجتمعا يفتقر الى « النضج الحضاري » و« العمق الفكري » ، ومن هنا جاء اعجابه بالاقوياء وأصحاب الشأن ، أو بالذين يعرفون كيف يبدون كذلك على الاقل . ولقد زاد من ترسخ هذا « التشوه النفسي » اعتماد المواطن الاميركي في تثقيف نفسه على برامج التلفزيون وما تكتبه الصحف اليومية التي تسيطر عليها الصهيونية الى حد بعيد ، وتستغلها في تعبئة الرأي العام الاميركي ضد القضية العربية .

ولقد أمنت هذه العوامل الخمسة مجتمعة — كما رأينا — فوز الصهاينة ومؤيديهم في الانتخابات ، وتزايد عددهم داخل مجلس الكونغرس. ولكن عدد الصهاينة داخل جهازي السلطة التشريعية يبقى رغم كل شيء أصغر من أن يؤثر وحده على المؤسسة التشريعية الاميركية التي تعتبر من أهم مؤسسات الحكم في الولايات المتحدة . والحقيقة أن الصهاينة لا يستمدون قوتهم من نوابهم فحسب، بل يستمدونها أيضا من مؤيديهم ، ومن قدرتهم على ممارسة ضغط قوي على مجمل أعضاء الكونغرس بمختلف الوسائل : كترؤس اللجان الهامة ، وعقد الصداقات المفيدة ، والمشاركة في « التطبيقات » السياسية ، وربط مصالح ممثلي الشعب الاميركي بالمؤسسات الاقتصادية الصهيونية ، والقدرة على العمل في الكواليس ، وتعبئة كل الوسائط وتنسيقها لتحقيق هدف محدد بدقة .

ويمكن القول ان الكونغرس الاميركي الجديد « متصهين » كالكونغرس القديم ، وان كانت نسبة « التصهين » اليوم أشد وضوحا ، نظرا لتزايد عدد الصهاينة في داخله . وسيؤدي هذا الواقع الجديد الى تزايد عدائه للعرب ، وتصعيد الحرب ضدهم ، وعرقلة أي مشروع يستهدف تحقيق التقارب معهم (مساعدات اقتصادية ، صفقات أسلحة ، تقديم مفاعلات ذرية لاغراض سلمية .. الخ) . وليس اتهام الكونغرس « بالتصهين » اتهاما عاطفيا عاما ، ولكنه حقيقة مبنية على واقع مادي ملموس ، يتمثل في مجمل السياسة الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط ، وهي في جوهرها سياسة متعارضة مع المصالح الحقيقية للولايات المتحدة الاميركية . ولقد أشار الى ذلك رئيس الاركان الاميركي الجنرال جورج براون خلال محاضرة القاها في ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ في كلية الحقوق في جامعة ديوك (ولاية نورث كارولينا) وقال فيها : « ان نفوذ اسرائيل في الكونغرس كبير » (١١). وكان الجنرال ، بصفته رئيسا للقوات الجوية الاميركية ، مسؤولا عن ارسال السلاح الاميركي الى اسرائيل خلال حرب ١٩٧٣ ، الامر الذي جعله يطلع على حجم هذا السلاح ، وصعوبات الجسر الجوي الذي أوصله الى اسرائيل لانقاذها من الانهيار ، ومدى تأثير ذلك على مخزون الاسلحة والذخيرة في الولايات المتحدة واوروبا الغربية . ومما قاله رئيس الاركان في محاضرته « يأتي الاسرائيليون لطلب معدات ، فنقول لهم لا نستطيع حمل الكونغرس للموافقة على برنامج كهذا . فيجيبون : لا تهتموا بالكونغرس ، سنهتم به . ولا يستطيع أحد خارج هذا البلد ان يقول ذلك . ولكنهم قادرون على ذلك . فهم يملكون البنوك والصحف في هذا البلد . انظروا أين هو المال اليهودي »(١٢). ولقد اثارت محاضرة رئيس الاركان عاصفة ما زالت تتفاعل حتى اليوم ، وهي مرشحة للاستمرار ، لان الصهاينة لم يوقفوا حملتهم على الجنرال رغم تراجعه العلني واعتذاره ولا يزالون يوجهون اليه الاتهام بـ « اللاسامية »، ويطالبون باقالته من منصبه . ولقد أدى ذلك كله الى ان عدة أعضاء في الكونغرس طالبوا بفتح تحقيق حول هذا الموضوع ، لمعاقبة رئيس الاركان المتهم بفرط وطنيته وغيرته على بلاده !

ان السيطرة الصهيونية على الكونغرس لا تعني ان جميع اعضائه يشاركون الصهيونية في مواقفها. ولكن ما أن يعبر أحدهم عن رأيه حتى تنهال عليه التهم من كل جانب . وهذا ما حدث في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ مع ثاديوس فاريت ، مساعد عضو الكونغرس الديمقراطية تشيلي شيشولم ، الذي قال لعدد من الاسرائيليين الذين جاؤوا لزيارة مكتب شيشولم « ان اسرائيل تعامل العرب معاملة لا انسانية » ، و« ان اعمال الندائيين العرب وحدها تظهر في الصحف والتلفزيون الاميركي ، لان الصحافة واجهزة الاعلام في أيدي اليهود المسيطرين على ادارة (ن. بي. سي.) ، و(سي. بي. اس) ، و(اي. بي. سي) ، واهم الصحف »(١٣). فثارت ثائرة الاجهزة الصهيونية، وهاجمت السيدة شيشولم ، وحملتها مسؤولية أقوال مساعدها . ومارست ضدها ارهابا فكريا لم ينته بعد . وليست هذه القضية سوى مثال عن الارهاب الفكري الذي تمارسه الصهيونية ضد كل من لا يشاركها الرأي . الامر الذي يجعل الديمقراطية الاميركية مهزلة على الصعيدين الرسمي والشعبي ، وتحرم المواطن الاميركي ، وممثله الشرعي ، من التعبير عن رأيهما بصراحة ، اذا كان هذا الرأي متعارضا مع مخططات الصهيونية .

وتظهر آثار هذا الارهاب بوضوح عند التحدث مع الاميركي العادي او المثقف عن قضايا الصراع العربي — الاسرائيلي . فهو ينظر حوله قبل أن يدلي برأيه ، وكأنه يخشى ان يكون هناك من يسترق السمع ، ثم يجيب غالبا « ان العرب على حق ، ولكن اليهود هنا يسيطرون على كل شيء »(١٤). وعندما تذكر محدثك بأن البلد بلده ، وان عليه ان يعبر عن رأيه في بلد « ديمقراطي » ، يلوذ هذا المحدث بالصمت المحزن والمخجل معا .

لقد شدد الصهاينة قبضتهم على المجتمع الاميركي ، وتخلى معظم الاميركيين عن حقهم الوطني في ابداء رأيهم ، حتى غدا الاميركي غريبا في وطنه. ومع هذا فان شخصيات اميركية بعيدة النظر — مثل الجنرال براون والسناتور السابق فولبرايت وغيرهما — ترى ان هذا الوضع لا يمكن ان يدوم . و« ان اي حظر جديد للنفط سيدفع الاميركيين الى التفكير بصلابة ، ويجعلهم ينقضون على النفوذ اليهودي، ويضعون حدا للمناورات اليهودية»(١٥).

ان الصهاينة يعدون العدة لاستثمار نجاحهم الانتخابي ، ويخططون للمعركة المقبلة داخل الكونغرس الاميركي الذي اجتمع في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، لدراسة اكثر من معضلة محلية وعالمية تنتظر الحل . ولا شك ان اعقد المعضلات ، بعد معضلة الاوضاع الداخلية المتردية، الموضوعات الخاصة بالمساعدات الخارجية . وبالرغم من أن اكثرية اعضاء الكونغرس من الحزب الديمقراطي المؤيد لسياسة المساعدات الخارجية ، فقد ركز جميع المرشحين خلال الانتخابات على ضرورة معالجة الاوضاع الاقتصادية المتردية ، وايقاف تدهور الاقتصاد الاميركي السائر نحو الازمة . ولذا فقد لاقت مسألة تقديم المساعدات الخارجية صعوبات كبيرة . الامر الذي يقلق الصهاينة ، ويقلب حسابات اسرائيل التي تعيش بشكل طفيلي على المساعدات الخارجية الاميركية أساسا . وتحاول الصهيونية درء هذا الخطر المحتمل ، عن طريق شن حملة تؤكد ان من الضروري الاستمرار في دعم اسرائيل ، وعدم حرمانها من المساعدات ، لانها تمثل « استثناء للقاعدة » ، و« الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط » ، و« الحاجز الوحيد ضد التغلغل السوفييتي في المحيط الهندي » ، و« القوة الوحيدة القادرة على ردع العرب ومنعهم من استخدام نفطهم لشل اقتصاديات الدول الصناعية المستهلكة للنفط » . وليست هذه الحملة في جوهرها سوى محاولة مفتعلة لربط المصالح الاميركية بوجود « اسرائيل قوية » ، ولا يحتاج احباط الحملة الصهيونية رغم دقتها وشدتها وقوة مرتكزاتها في الولايات المتحدة ، سوى حملة مضادة ، تقنع الاميركيين بشكل ملموس ان مصالحهم الاقتصادية والسياسية مرتبطة بارادة الوطن العربي لا بقوة اسرائيل ، وان تدهور الاقتصاد الاميركي ، وتغلغل السوفييت في الشرق الاوسط والمحيط الهندي والخليج العربي ، ان هي الا نتائج سياسة الولايات المتحدة المؤيدة لاسرائيل، والمستفزة لمشاعر العرب القومية ، والمتجاهلة لمصالحهم الوطنية وحقهم في التحرر والتقدم والوحدة .

س. ح

---

١ — *The Jewish Journal*, Nov, 22, 1974

٢ — **المرجع نفسه .**

٣ — لقد أعيد انتخاب الاعضاء الصهاينة الـ ١١ الذين كانوا في مجلس النواب ، وهم : بنجامين غيلمان ، وسام ستيغر (جمهوريان) ، وبيلا ابزوغ ، واليزابيث هولتزمان ، وادوارد كوش، وبنجامين روزنتال ، وليستر وولف ، وجشوا ايلبرغ ، وادوارد ميزفنسكي ، وسدني ياتس، ووليام ليهمان (ديموقراطيون) . اما الوجوه الصهيونية الجديدة في مجلس النواب فهم : ويليس غراديسون (جمهوري) ، وستيفن سولارز ، وفريدريك ريتشموند ، واليوت ليفيتاس ، وغلاديس فون سبيلمان ، وجون كريبس ، وهنري واكسمان ، وأبنر مكفاح ، وجيمس شوير ، وريتشارد اوتنجر . وفاز بعضوية مجلس الشيوخ الصهاينة جاكوب جافيتز ، وابراهام ريبيكوف ، وريتشارد ستون.

٤ — ينتخب أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي كل ست سنوات ، على حين ينتخب اعضاء مجلس النواب كل ٤ سنوات . ولهذا جرت الانتخابات الاخيرة على ٣٤ مقعدا فقط من مقاعد مجلس الشيوخ المائة . على حين انها جرت على كافة

مقاعد مجلس النواب وعددها ٤٣٥ مقعدا .

٥ — *The NewYork Times,* Nov. 30, 1974

٦ — *The New York Times,* Nov.7, 1974

٧ — *The NewYork Times,* Nov. 9, 1974

٨ — *The Jewish Journal,* Nov. 15, 1974

٩ — *The New York Times,* Nov. 7, 1974

١٠ — *Daily News Bulletin,* Vol. XLI, No. 210, Nov. 7, 1974.

١١ — مرت هذه المحاضرة دون ان يهتم بها أحد ، الا بعد ان اعطى طالب صهيوني بعد شهر شريطا مسجلا عنها للواشنطن بوست ، فنشرت نص المحاضرة في ١٩٧٤/١١/١٣ . وفي اليوم التالي نشرتها معظم الصحف الاميركية .

١٢ — **واشنطن بوست** ، ١٩٧٤/١١/١٣ .

١٣ — *Jewish Journal,* Nov. 22, 1974.

١٤ — لقد سمعت الكاتبة هذه الجملة مرات عديدة ، وفي مناسبات مختلفة ، الامر الذي أثار انتباهها لهذه الجملة المكررة وكأنها « كليشيه » محفوظة .

١٥ — *The New York Times,* Nov. 14, 1974.

صدرت فهارس السنوات الاربع الاولى من شؤون فلسطينية (الاعداد ١ — ٤٢) تشمل الكتّاب ، وعناوين المواد ، والمراجعات ، والمؤتمرات ، والشهريات . يرجى ممن يود الحصول على نسخة من الفهرس ان يكتب للمجلة (قسم التوزيع) لنرسلها له بالبريد ، مجانا .

كفرشوبا : التحدي ورد التحدي

اذا كان البعض قد سمى عام ١٩٧٤ عام المحادثات الدولية لحل مشكلة الشرق الاوسط ، فان البعض قد اعتبر عام ١٩٧٤ عام تصعيد العمليات العسكرية ضد العدو الصهيوني ، فالعمليات العسكرية شملت كل انحاء فلسطين . ونستطيع القول ان الثورة الفلسطينية كانت ولا زالت في مرحلة الهجوم المستمر ، وفي مرحلة التصعيد المستمر للنضال الثوري ضمن الارض المحتلة . لهذا كان العدو في مرحلة الدفاع المستمر، وذلك للمرة الثانية في تاريخه بعد معارك تشرين، ومع نهاية عام ١٩٧٤ وبداية عام ١٩٧٥ . والذي اعتبره الاخ ابو عمار عام « التصعيد والتلاحم » يبدأ فعلا هذا العام بتلاحم النضال الوطني اللبناني والفلسطيني وبأجلى صوره ، ففي ليلة الواحد من عام ١٩٧٥ قام العدو الصهيوني بعملية محدودة ضد قرية لبنانية تدعى الطيبة ، وهذه القرية لم يكن فيها اي فدائي على الاطلاق قاوم بعض سكانها لفترة من الوقت ، فقتل من العدو بعض افراده ، وجرح البعض الاخر واستشهد قسم من افراد البيت المهاجم وهم من **آل شرف الدين** .

كانت عملية الطيبة ودفاع قسم من اهاليها عن الارض، الثالثة من نوعها، ففي عام ١٩٦٩ ، قامت بعض وحدات عدوة بمهاجمة مزرعة حلتا — التابعة لكفرشوبا — فتصدى لها حينذاك احد المواطنين — **حسين علي قاسم شبلي** — ودافع ببطولة نادرة عن قريته واستشهد ، وقد اعترفت اسرائيل حينها بثلاثة قتلى وبضعة جرحى . والمرة الثانية حين تصدى — **طربيه العنز** — من الماريه — لدورية صهيونية معتدية فقتل ثلاثة من أفرادها كما اعترفت السلطات الصهيونية .

ونستطيع القول أن عملية الطيبة . ودفاع قسم لا بأس به من اهالي كفرشوبا عن قريتهم اخيرا، شكلت بداية لمواجهة جماعية لبنانية ضد العدو الصهيوني . وهذه المواجهة علينا بتطويرها والارتفاع بها من العفوية الفردية الى التنظيم الجماعي الهادف ، وبذلك نكون قد جسدنا فعلا التلاحم اللبناني — الفلسطيني .

وردا على عملية الطيبة ، ومن اجل تجسيد معنى التصعيد الثوري ضد العدو الصهيوني ، قامت احدى وحدات الثورة بمهاجمة مركز صهيوني في جبل الشيخ . وهذا المركز الذي احتل عام ١٩٧٠ له اكثر من اسم . فقبل عام ١٩٦٩ كان يسمى بجبل الروس ، ومنذ عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٠ سمي بأسم قاعدة التحدي . ويسمى ايضا بأسم تلة العلم . وهذا المركز يطل على معظم الجولان كما يشرف على معظم مناطق حاصبيا ، ويشرف ايضا على القسم الاكبر من اراضي الحولة والجليل ومنطقة جبل الشيخ السورية وان هذا المركز لاهميته الستراتيجية هذه ، ولاعماله العدوانية المستمرة ضد المواطنين وضد قوى الثورة كان هدفا لقوى الثورة وسيبقى الى يوم التحرير ، ففي يوم ١٩٧٥/١/١١ قامت مجموعة من قوات العاصفة بمهاجمة هذا المركز وطهرته وعادت الى قواعدها تحمل راية النصر. وقد اعترف العدو « بأربعة جرحى فقط » !

وردا على هذه العملية قام العدو الصهيوني بعملية واسعة ضد اهالي قرية **كفرشوبا وضد** قواعد الثورة فيها. ففي ليل ١٩٧٥/١/١١ مساء قصف العدو بالمدفعية ضواحي كفرشوبا والعرقوب ثم تقدم الى القرية من على ثلاثة محاور . الا ان القوات المتقدمة اصطدمت بكمائن الثورة هناك ، وحصل اشتباك عنيف استمر من الثامنة مساء حتى الثانية عشرة ليلا ، وانسحب بعدها العدو . وبعد انسحابه شدد قصفه على البلدة وعلى ضواحيها ، فقطعت من البلدة الكهرباء ، والمياه والتلفون كما نسفت الطريق المؤدية اليها . وضربت عبارة طريق الهبارية وشبعا ، وخزان المياه الذي يمد المنطقة . واستمرت قوات العدو المرابطة في العباسية وفي منطقة تلة الرمثا ومن جبل الروس، والعباسية ، تشدد قصفها على البلدة محاولة حصارها . واستمر ذلك طوال نهار ١٩٧٥/١/١٢. وخلال فترة الليل ، حاول العدو الدخول للبلدة من على اربع جهات ، لكن اليقظة العالية لقوات الثورة من جهة وللقوى المتقدمة من البلدة الذين قاتلوا الى جانب المقاومة « اذ شارك شباب

البلدة جنبا الى جنب في التصدي للعدو ، كما شارك قسم اخر من الفتيان ومن بعض الفتيات ، بجلب الذخيرة ، وبتأمين المياه ، واحيانا الاكل، وكقوى استطلاعية » حال دون دخول القوات المعتدية والى وقوع خسائر كبيرة في صفوف العدو .

وقد كرر العدو قصفه في نهار ١٣/١/١٩٧٥ وخلال فترة الليل حاصر البلدة ولقد فعل الشيء نفسه خلال فترة الليل فتقدم باتجاه البلدة ودارت معارك عنيفة حول البلدة وعلى مشارفها ، وكانت النتيجة بالنسبة للعدو التراجع والهزيمة والمزيد من الخسائر في صفوفه ، وفي ليلة ١٤/١/١٩٧٥ وبعد قصف شديد للقرية كرر العدو محاولاته من أجل دخول البلدة ، الا ان قسما من القوى التي دخلت ابيدت .

يعود سبب فشل العدو من الدخول للقرية الى معرفة قوى الثورة الجيدة بمداخل ومخارج البلدة، بينما كان متعذرا ذلك على العدو . وايضا لقتال شباب البلدة الى جانب قوى الثورة . والاسباب الاخرى للتكتيكات المرنة التي مارستها قوى الثورة في هذه المعارك . مثلا السماح للعدو بالدخول الى القرية ، وحينما كان يدخل ويصبح تحت مرمى أسلحة الثورة تطلق عليه النيران من كل جانب، وهذه احدى اهم اسباب خسائره الكبيرة والتي تجاوزت المائة قتيل وجريح . واضافة لذلك للمحاور المختلفة والمتعددة التي استعملتها المقاومة داخل وخارج البلدة من التمويه بالانسحاب والانقضاض على العدو ، مما ادى الى فقدان العدو لتوازنه ولقدرته على المفاجأة . واخيرا للكمائن المتعددة داخل وعلى مشارف البلدة ، وللمرونة الفائقة في التحرك من مكان الى اخر حسبما تقتضي امور المعركة ، هذا وبعد فشل العدو اذ كان واضحا فشله من خلال تدميره لبيوت القرية بواسطة المدفعية وغيرها ، وقد اراد رفع معنويات جنوده من خلال ذلك . وبعد فشله حاول التقدم بآلياته ، ولكن لغما احال احدى آلياته الى كومة حديد . كما أن احدى قذائف البازوكا اطلقت واصابت آلية اخرى . وهذه هي الاسباب لتراجع العدو ولتقهقره ، وذلك بعد محاولات استمرت اسبوعا متواصلا للدخول لقرية يبلغ عدد القاطنين بها حوالي ١٨٠٠ نسمة ولا يتجاوز عدد منازلها الثلاثماية وخمسون منزلا .

بسبب الاوضاع الاجتماعية الصعبة التي يعيشها ابناء منطقة حاصبيا ، والتي بلغ عدد سكانها ١٩٦٨ حوالي ٣٤ الف مواطن — حسب احصاءات الدولة ، كان عدد النازحين منهم خلال تلك الفترة سبع عشرة الف مواطن . لهذا فان قوات العدو الصهيوني تهدف من جراء اعتداءاتها على الجنوب عامة ،وعلى هذه المنطقة خاصة ، دفع الاهالي للنزوح ، وتأزيم العلاقات ما بين الثورة والقوى المتخلفة والعميلة ، التي تسعى الى تحميل الثورة مسؤولية النزوح . وبهذا تبرر تخاذلها من حماية الارض ، وعن عدم تسليحها للاهالي وعن اهمالها للمنطقة وذلك لعدم تشجيعها قيام مشاريع اقتصادية من اجل الصمود في الارض — ولا حتى بمشاريع صحية — وسوف تستغل اسرائيل ذلك لتحتل اجزاء من جنوب لبنان وبالاخص هذه المنطقة ، لاهميتها في أية حرب مقبلة ضد سوريا . وسوف تستغل القوى المتخلفة ذلك لتوجه انظار الجماهير نحو الثورة متهمة اياها بأنها سبب اعتداءات اسرائيل ، وكأن اسرائيل عبر تاريخها لم تكشف عن اطماعها في جنوب لبنان ، هذا وسوف يقوم العدو بحرب نفسية هدفها الهاء الثورة عن هدفها الاساسي ، والقوى المتخلفة ليست بالمستهان بها من اجل تنفيذ ذلك .

كما أن سياسة الارض المحروقة ، وحرب المواقع المحدودة التي يتبعها العدو الصهيوني ، مثل التدمير شبه الكامل لقرية كفرشوبا — وسابقا لراشيا الفخار ، وقبلها لحاصبيا وعين قنيا والهبارية وكفر حمام وغيرها من قرى قضاء حاصبيا . كذلك احراق القسم الاكبر من الانتاج الزراعي ، وضرب معظم الاشجار المثمرة ، من زيتون وسواها . في هذه المنطقة . ان هذه السياسة هدفها اضعاف قوى الثورة ، وترك السمك بدون المياه — اي قوى الثورة بدون جماهير المنطقة — مما ينعكس على قوى الثورة ، وعلى الجماهير المؤيدة لها فأسرائيل تارة تهاجم قوى الثورة وتارة تهاجم القوى الموالية للثورة ، وما حصل في مجدل زوين ، وفي الطيبة وفي بعض المناطق الاخرى . وكلا الهدفين بالنسبة للعدو يصبان في الاتجاه عينه ، الاضعاف المستمر للثورة وللقوى المؤيدة لها . ويدرك العدو من جراء

هذه العمليات المحدودة مرات والواسعة مرات ثانية ، كما تدل معظم تصريحاته الاخيرة ، بأن احتلاله لبعض المناطق دون اضعاف الثورة والاتجاه المؤيد لها سيؤدي لتنشيط الاتجاه المؤيد للثورة ، والذي يدعو لقوات عربية الى جانب القوى الموجودة . ولهذا فأسرائيل بعملياتها المحدودة والصغيرة تريد بقاء لبنان بعيدا عن سوريا مثلا. كما تريد تسميم الاجواء وباستمرار بين الثورة والجماهير اللبنانية ، واستغلال ذلك من اجل تحقيق اهدافها التوسعية ...

وكما يبدو فأن اسرائيل من وراء عملياتها ، وخاصة عملية كفرشوبا الاخيرة ، تستهدف وضع المقاومة في موضع حرج ، كما تريد وضع الدولة اللبنانية في نفس الموقع ، كما هي الحال بالنسبة للحركة الوطنية اللبنانية ، ولقد كان هدف اسرائيل خائبا بالنسبة للثورة الفلسطينية نتيجة للقتال وللصمود البطولي ، اما بالنسبة للسلطة ، فلا زالت تفتش عن مخرج تبرر به ما يحصل ، وهناك خيارات اما ان تقاتل ، وهذا مستبعد ، بسبب طبيعة النظام اللبناني ، او ان تخضع للمطالب التي تطالب بتدريب وتسليح الجماهير ، وبدخول قوات عربية للبنان . ولكن عملية اسرائيل الاخيرة لم تبلور حتى الان اتجاها قويا يدعم هذا الرأي ، لذلك فأن الاتجاه الاضعف والذي سيتبلور ويقوى اذا لم تقم الحركة الوطنية لمواجهة الوضع ، هو الاتجاه الذي يطالب ببوليس دولي، وهذا الاتجاه الذي تعمل له بعض القوى يصب بقنوات القوى المتخلفة ، وفي النهاية بقنوات العدو الصهيوني .

لهذا فهل تحتل اسرائيل بعض المناطق ، من أجل فك ارتباط ومشاركة في مؤتمر جنيف تكون الثورة ووجودها هما الهدف ؟ هذا ما يجب الوقوف بوجهه باستمرار وعلى الدوام . ولمواجهته علينا بما يلي :

١ ــ الاستفادة من تجارب الثورة منذ انطلاقتها حتى اليوم . هذه التجارب التي أدت لتطور العمل العسكري ، ولكنها لم تؤد لتعميق الصلة ما بين الثورة والجماهير المؤيدة لها ، سواء كان ذلك في الجنوب او في غير مناطق . كما لم تؤد حتى الان لتحديد خطوط حد ادنى لعمل جبهة وطنية عريضة، وتنسيق كامل ما بين الثورة والحركة الوطنية من خلال الاتفاق على برنامج حد ادنى . فالحركة الوطنية اللبنانية المستهدفة اذا كانت قد تطورت واكتسبت جماهيريتها من خلال نضالها المطلبي ووقوفها ضد الاستغلال الشنيع ، فأن تطورها الفعال يجب ان يصب باتجاه الهدف الاساسي والاهم ، الا وهو الدفاع عن الارض وحمايتها من الاطماع الصهيونية .

٢ ــ ان تطور العلاقة بين الثورة والجماهير العربية عامة والجنوبية خاصة ، بحاجة الى التركيز في الفترة الراهنة على عمليات العمق ضمن الارض المحتلة ، وذلك لتفويت حلم الاعداء في تصفية الثورة واضعاف جماهيريتها . كما يجب مواجهة القوات الاسرائيلية بعنف وشدة خلال دخولها الارض اللبنانية . لان العدو ومن خلال التجارب السابقة كلها كان يبين للاهالي ان ضربه للقرى الحدودية كان بسبب ضرب الثورة للمستعمرات الحدودية . من هنا فعلينا ان نفقد العدو تبريره الذي يسعى من خلاله لضرب العلاقة بين الجماهير والثورة ، كما اننا بعملنا هذا نعمق ازمته الداخلية من خلال تركيزنا على عمليات العمق ، وكما حصل عام ١٩٧٤ ، الخالصة ، حيفا ، شاميرا ، تل ابيب ، بيسان ، المناره ، ناتانيا ، وغيرها من العمليات الناجحة الاخرى .

٣ ــ ان تصعيد عمليات الداخل يجب ان تؤدي في الفترة المقبلة الى تطوير الصلة والعلاقة ما بين الثورة والحركة الوطنية اللبنانية . كما يجب ان تؤدي الى تطوير علاقة الثورة بالجماهير الجنوبية خاصة واللبنانية عامة . وهذه الممارسات ستدفع لتقوية قبضة الثورة والجماهير المؤيدة لها، كما ستؤدي لتطوير اوضاع الحركة الوطنية اللبنانية . وتطوير هذه الاوضاع كفيل بتفتيت جبهة الاعداء ، وقوى الاعداء داخليا وخارجيا .

٤ ــ ان معركة كفرشوبا ، والمعارك الاخرى في الجنوب سوف تكون مثلا جيدا للقوى الوطنية التي ستصعد النضال والقتال ضد العدو الصهيوني . ولكن معارك كهذه ستكون فميص عثمان للقوى المتخلفة ، فمن خلال عمليات كهذه ، ستحاول تقوية اتجاهاتها السلبية من الثورة اولا ومن الجماهير المؤيدة لها ثانيا . وستقول « استفيدوا واتعظوا . وهذه نتيجة كل من يتعاون مع الثورة ،

والثورة هي السبب في كل ما يحصل » كما ان هكذا عمليات ستكون محكا للقوى الوطنية للارتفاع بمسؤولياتها الى مستوى القضية الوطنية ، وسيؤدي ذلك الى الحد والتخفيف من الحساسيات الموجودة بين القوى الوطنية ، اذ أن هذه الحساسيات ستتوجه للعدو الصهيوني .

٥ ــ كي لا يصار الى استفراد العدو الصهيوني بالثورة من على الجانب اللبناني . فعلى الحركة الوطنية العربية ، والجماهير الشعبية العربية ، ان تدفع باتجاه تحريك كل مناطق المواجهة ، وفتحها امام قوى الثورة . كما على قوى الثورة ان تستفيد من كل التناقضات القائمة ، من اجل البدء بعمليات من على الحدود الاردنية .

ولكن ما هي الوسائل الايلة لتطوير علاقة الثورة بالجماهير العربية ، وبالاحزاب الوطنية ؟

١ ــ على فصائل الثورة ان تدرك ان التناقضات الموجودة بينها هي تناقضات ثانوية . وان التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني وان كل الجهود يجب ان تصب بهذا الاتجاه .

٢ ــ من اجل ان تكون عملية كفرشوبا الاخيرة مثالا جيدا ونموذجا متقدما ، فعلى الحركة الوطنية اللبنانية ان تدفع باتجاه الرجوع للقرية من جهة وتكوين فرق ميليشيا للدفاع عن الارض الى جانب المقاومة ، كما يجب القيام بنفس الشيء في لبنان عامة ، وفي المناطق الحدودية الجنوبية خاصة...

٣ ــ على الثورة وفصائلها كما على الحركة الوطنية اللبنانية ان تطور صلاتها مع مختلف القوى المتواجدة على الساحة حسب درجة تناقض هذه القوى مع العدو الصهيوني . وعلى هذه القوى ان تدرك أن تطور الصراع ضد الكيان الصهيوني سيحد من تفاقم هذه التناقضات . لان هذه التناقضات تطورت بسبب تطور الكيان الصهيوني من جهة ، وبسبب تطور المصالح الاقتصادية الاجنبية في بلادنا من جهة اخرى . ولا يمكن مواجهة العدو الصهيوني الا عبر جبهة وطنية عريضة تقودها القوى المتقدمة في لبنان خاصة ، وفي الوطن العربي عامة .

٤ ــ كي يصار الى جبهة وطنية عريضة على الساحة اللبنانية خاصة فعلى الحركة الوطنية ان تعمل في هذه المرحلة للدفاع الذاتي عن وجودها وعن أرضها . لان لا جبهة وطنية بدون مبادرات للدفاع عن النفس امام هجوم العدو المتواصل والمستمر . ويجب ان تكون كافة التجارب الشعبية السابقة التي حصلت نبراسا يهدينا ويرشدنا باستمرار الى الطريق الصحيح . كما يجب التنسيق والتعاون التام مع الثورة الفلسطينية من اجل الدفاع عن الوطن والارض والشعب .

٥ ــ اذا كان مطلوبا من الحركة الوطنية ذلك، فان المطلوب من الثورة ان تربط مصيرها كطليعة صدامية بالقوى المتواجدة معها . وكما ربطت اوضاع الفلسطينيين سابقا مع اوضاع الاهالي في الجنوب وفي غير مناطق فيجب ان يحصل الشيء عينه حاليا . فعلى قوى الثورة ان تشارك بكافة النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كعضو اصيل الى جانب الحركة الوطنية لا هامشي كما تحاول التبيان بعض القوى .

٦ ــ اذا كانت الحكومة اللبنانية حريصة فعلا على الجنوب وعلى صمود اهاليه، فما عليها الا ان تعمل من أجل تنفيذ بعض المشاريع الانمائية ، ويبدو ان اهم هذه المشاريع الليطاني ، وفتح ميناء صيدا .

٧ ــ كي يصار الى تفويت حلم الاعداء في الاستفادة من التناقضات الثانوية ، وتأزيمها وتحويلها ضد وحدة الثورة وضد الحركة الوطنية، فعلينا ان ندرك ، كما من مصلحة أصحاب الحرف الصغيرة والمتوسطة وحتى الكبيرة ، كما من مصلحة الملاكين الصغار والمتوسطين وحتى الكبار ان يدركوا « وخاصة على صعيد جنوب لبنان » ان تتطور اعمالهم مربوط وباستمرار بتحسين اوضاع العمال والعمال الزراعيين ، والمشاركة في حماية الجنوب المهددة ارضه وبالتالي المهددة مصالحهم فيه من جراء ذلك .. كما من مصلحتهم النظر للثورة ولوجودها من وجهة نظر ايجابية . لان وجود الثورة من عوامل حماية مصالحهم ، لا العكس كما يزعم العدو الصهيوني والقوى المستفيدة من بقاء الوجود الاجنبي في بلادنا . من هنا فاذا ارتبط واقع الفلسطيني بجنوب لبنان بعد عام ١٩٤٨ كوجود اصيل لا هامشي الى حين العودة . فأن واقع جنوب لبنان بأكمله كان مرتبطا اقتصاديا بشمال فلسطين قبل ذلك . ويكون لبنان وكل الاقاليم العربية مكملة لبعضها البعض بعد تحرير

فلسطين . لان الكيان الصهيوني والوجود الاجنبي في بلادنا هو سبب تفككنا ، وسبب ضعفنا وما نحن عليه اليوم .

ان هذه النظرة الجديدة للجبهة الوطنية ، ولكيفية التعامل مع القوى الاجتماعية المختلفة تهدف الى توسيع جبهة الاصدقاء وتقليص جبهة الاعداء ، والاستفادة من كل التناقضات الثانوية التي بالامكان الاستفادة منها ، كما تهدف الى الصمود في الجنوب والمشاركة في جميع النواحي الاجتماعية والعمل على تطوير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بهدف البقاء في الجنوب وعدم النزوح . اذ يبلغ عدد سكان الجنوب حوالي النصف مليون نسمة ولا تتجاوز نسبة المقيمين المايتين وخمس وعشرين الف نسمة .

ان نضالنا ضد العدو الصهيوني يصب باتجاه منع الهجرة الى اسرائيل وتشجيع الهجرة الداخلية كما أن العدو الصهيوني يهدف الى نفس الشيء على صعيد الجنوب . وذلك من أجل احتلاله كما تدل معظم تصريحاته قبل عام ١٩٦٧ .

وكما اننا مطالبون بالعمل على تطوير العلاقات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية الهادفة الى الصمود والقتال ، فاننا مطالبون بتحصين الجنوب وبتدريب وتسليح القوى الاجتماعية المتقدمة. فكلما قاتلنا اكثر ودافعنا اكثر عن الارض العربية عامة ، وعن الجنوب خاصة ، كلما استطعنا بناء العلاقات الجديدة التي نعمل من اجلها . وكلما سرنا على الخط السياسي السليم القادر على تحقيق ما ذكر ، كلما استطعنا توحيد القوى القادرة على الاستمرار في القتال ، واستطعنا تثبيت وتفتيت جبهة الاعداء .

هذا وانتصريحات المسؤولين الصهاينة الاخيرة، والتي تقول بأن « الوضع الحساس داخل لبنان بين الطوائف المختلفة ورغبة المسلمين بتبديل ميزان القوى داخل لبنان ، والوضع الاقتصادي السيىء الذي تعاني منه الدولة يجعل حكومة لبنان تسعى لمزيد من الاندماج مع العالم العربي ، وبتأييد المخربين بصورة قاطعة » ان هذه التصريحات هدفها ضرب الوحدة الوطنية من خلال ضرب الطوائف بعضها ببعض . كما تهدف لعمل صدامات ما بين الثورة والسلطة اللبنانية، كما تهدف التبيان للقوى المتخلفة بأن التقرب من الدول العربية يضر بلبنان .

ان هذه التصريحات التي تهدف لكل ما ذكر ، تهدف أيضا لضرب القوى الاجتماعية المتقدمة ، ولعمل صراعات ثانوية ، والى تفتيت الجبهة الوطنية العريضة . لهذايجب ان نعمل بقوة من اجل جبهة وطنية عريضة من مفهوم جديد وبطرق واساليب جديدة ، وذلك من أجل تحطيم احلام اسرائيل على صخرة الوحدة الوطنية والجبهة الوطنية العريضة — في بلدنا المتعدد الطوائف والموحد الهدف . وليكن شعارنا في هذه الفترة ، **يد تقاتل العدو الصهيوني ، ويد تعمل لبناء علاقات ديمقراطية جديدة .**

فرحان الصالح

اغنية تثير ضمير شعب

قالت وكالة الانباء الهولندية يوم ٢١ كانون الثاني « ليلة أمس قام محمود رباني قنصل الكويت الفخري في لاهاي ، ولجنة فلسطين الهولندية ، باذاعة اغنية وضعت خصيصا للكرنتالات ، وضع كلماتها وغناها مغني البوب المعروف (الاب ابراهام) » . وتقول بعض كلمات هذه الاغنية : « ماذا سنفعل بهؤلاء العرب ، راكبي الجمال ، البدينين المتخمين بالمال ، الذين لا يؤتمنون على نسائنا الجميلات » . وقد وصفت لجنة فلسطين الهولندية كلمات الاغنية بانها تمييزية اذا لم تكن عنصرية . أما السيد محمود رباني ، فقد وصف الكلمات على شاشة تلفزيون محطة التروس ، بأنها قبيحة وجنبية وعنصرية وفاشية . كما قال انها « استفزاز لشعب يتألف من مائة وثلاثين مليون انسان » . وقالت وكالة الانباء الهولندية أيضا « ان السيد رباني اصر قبل المشاركة في البرنامج التلفزيوني على عدم الجلوس في ستوديو واحد مع صاحب الاغنية الاب ابراهام (اسمه الحقيقي بيير كارتنر) ، وقد استجابت محطة التلفزيون لطلبه وسهلت له فرصة التكلم من ستوديو لاهاي بينما كان الاب ابراهام يستجوب في نفس الوقت وفي نفس البرنامج في ستوديو مدينة هلفرسوم » .

كان السيد محمود رباني مساء يوم الاثنين الموافق العشرين من شهر كانون الثاني ، ينبه الشعب الهولندي على التلفزيون الى خطورة هذا النوع من الاغاني بين الشعوب ، بأسلوب هادىء رصين . تكلم بلغة الشعب الهولندي ولفت نظر الهولنديين الى ان كلمات الاغنية على سخافتها ، تحمل بذور كراهية الشعوب التي حملتها الفاشية وكل فلسفات التفرقة العنصرية . وعلى ضوء هذا رفض الجلوس في ستوديو واحد مع المغني . والذي حدث بعد ذلك ، كان سلسلة من ردود الفعل العنيفة على كل المستويات ، مستوى الشعب ، احزابه ، وسائل اعلامه ، برلمانه . فاذا كانت الصهيونية تقف وراء هذه الاغنية ، فقد حملت قنبلة موقوتة ما لبثت ان انفجرت في يدها .

مندوبان في البرلمان يمثلان حزبين رئيسيين احدهما حزب العمال وهو الحزب الرئيسي في الائتلاف الحكومي اليساري الحاكم ، تقدما بسؤال الى وزير العدل عما اذا كان سيطبق قانون الاغاني التمييزية على الاب ابراهام ويفرض عليه الجزاء الذي فرضه القانون . وقررت جميع محطات التلفزيون والراديو دون استثناء عدم شراء الاغنية وعدم اذاعتها . وعلقت الصحف الكبرى ، بدون استثناء تقريبا ، اكثر من مرة وفي اكثر من يوم واحد ، على الاغنية منددة بها وبصاحبها . ونشرت صحيفة ايندهوفن بلاد ، الصادرة في مدينة ايندهوفن الجنوبية يوم ٢٢ كانون الثاني خبرا مفاده ان كبير المعلقين والمحررين في صحيفة فاينانشال داخ بلاد الصادرة في لاهاي ، استقال نهائيا من برنامج التلفزيون الاعلامي (اكتوا) الذي دعا السيد محمود رباني ، لان مقدم البرنامج لم يعط السيد رباني الوقت الكافي وكان يكثر من مقاطعته . وقالت صحيفة الفولكسكرانت الامستردامية المعروفة باتزانها وموضوعيتها يوم ٢١ كانون الثاني : ان مقدم برنامج (اكتوا) الذي طلب من السيد رباني التعليق على اغنية الاب ابراهام ، كان مجردا من اصول اللياقة التي يفرضها سلوك تقديم البرامج الاعلامية . كان يتصرف وكأن كلمات السيد رباني تؤذيه شخصيا ، مع العلم ان الموضوع كان على غاية الاهمية . كان يكثر من مقاطعة الضيف . هذا الاسلوب لا يمت بشيء لا للعمل الصحفي ولا للعمل التلفزيوني. وقالت الصحيفة نفسها يوم ٢٣ كانون الثاني على لسان معلقها المعروف يان بلوكر : لقد رأيت الاب ابراهام في حياتي مرة واحدة فقط . ومنذ ذلك الوقت وأنا أحس تجاهه بحساسية بالغة . كانت تنبعث من جسمه رائحة كريهة وكأنه لم يغتسل لمدة ثلاثة أسابيع . اما منظره الذي يوحي للناظر اليه بأنه موفور المعرفة ويخدم اغراضا نبيلة ، فلم يكن ليغنيني في كثير او قليل . نظرة واحدة اليه ، أكدت لي ان الموت من مرض عضال سيكون احب الى نفسي من تلقي المعرفة على يديه . وباغنيته الجديدة أثبت ان شكوكي في محلها . ذلك أنني تعرفت في حياتي على كثيرين من العرب ووجدتهم دائما أرق حاشية من نسائنا اللواتي يدعي الاب

ابراهام حرصه على حمايتهن من العرب . وعندي ان أفضل سبيل للكشف تماما عن هوية هذا الفنان المزيف ، هو عدم مقاطعة اغنيته . فتكرار الاستماع الى هذه الاغنية هو السبيل الوحيد لمعرفة اي « فضيحة انسانية » هو هذا الانسان .

وقالت صحيفة تراو البروتستانتية الصادرة في امستردام ، يوم ٢٣ كانون الثاني في افتتاحيتها : أفضل لنا الا نتحدث عن الاب ابراهام ، لانه لا يستحق هذا الشرف . ان السيد رباني ولجنة فلسطين الهولندية على حق كامل في ادانة هذه الاغنية ، ولكن .. يخشى ان تزيد مبيعاتها اذا ما استمر الحديث عنها . ولقد كان النائبان البرلمانيان على حق عندما أثارا الموضوع في البرلمان . الا ان اضفاء صفة « شهيد » على هذه الاغنية قد يؤدي نتائج عكسية . الافضل اذن ، ان نغفل امرها تماما وان نكتفي بالاحساس قليلا بالخجل . ونشرت صحيفة الخميس داخ بلاد اليسارية المستقلة الصادرة في روتردام ، يوم ٢٣ كانون الثاني خبرا مفاده ان مجلس ادارة المخازن الجماعية الكبيرة المعروفة بأسم فراو ان دريسمان ، قرر الامتناع عن بيع هذه الاسطوانة . ومعروف عن هذه المخازن انها تصرف ١٥ بالمئة من مجموع الاسطوانات التي تنزل الى السوق . وجاء في الخبر أيضا ان السيد رباني تسلم رسائل شخصية باعداد ضخمة أعرب اصحابها فيها عن احساسهم بالخجل الشديد ، ووصفوا الاغنية بالفضيحة كما وصفوا صاحبها بأنه لا يمت للفن بأية صلة . ونشرت صحيفة ن ر س هاندلسبلاد الصادرة في روتردام ، يوم ٢١ كانون الثاني خبرا مفاده ان الناطق بلسان وزارة الخارجية الهولندية وصف الاغنية بأنها اغنية سخيفة لا تستحق التسجيل على اسطوانات .

الملفت للنظر فعلا بصدد ما أثارته هذه الاغنية من ردود فعل وبصدد ما دار حولها من نقاش واسع اتصف بالحدة في أغلب الاحيان وباثارة الضمائر في أحيان اخرى ، هو هذا الجنوح الى تحكيم العقل في سلوك الغربيين ، صحافة وبرلمانا وساسة وجماهير ، في تقييم علاقاتهم مع العرب . واعتقد حاليا ان صدور اي اغنية مشابهة في أي قطر في غرب اوروبا ، لا بد ان يثير ردود الفعل نفسها . وكما نعرف فان الشعب الهولندي الذي يتعاطف حاليا والى حد بعيد مع قضايا تحرر الشعوب في افريقيا واسيا واميركا اللاتينية ، كان حتى حرب تشرين من أشد شعوب الغرب التفافا الى اسرائيل والتفافا حولها لحمايتها وصد العاديات عنها . وفي هذا كله ، لعبت الصهيونية القوية النفوذ في هولندا ادوارها المعروفة لالهاء الشعب ،الهولندي عن حقائق قضية الشرق الاوسط . لكن هذا الالهاء كتب له في هولندا وفي كل مكان في غرب اوروبا ان ينتهي بضربة واحدة ، هي الضربة التي نزلت على رؤوس الاسرائيليين في حرب تشرين . هنا افاق الناس من سباتهم العميق ، واخذوا يعيدون تقييم الوضع في الشرق الاوسط ، على اسس جديدة اقل ما يقال فيها أنها تصحيح لخطأ ارتكبوه طويلا بأن سمحوا لانفسهم بالتغاضي عما الحقه الاسرائيليون بالفلسطينيين من مظالم ومآسي .

ان من الغريب فعلا ، ان تحدث اغنية كل هذا الضجيج في بلد كان مندفعا بعاطفية مذهلة نحو اسرائيل ، وان يتعرض أصدقاء اسرائيل بسببها الى تقريع لاذع ونقد مرير . لكن فهم هذا التحول على ضوء انتصارات تشرين ليس بالامر العسير . فالانتصارات العربية العسكرية جلبت معها وحدة في الكلمة وتضامنا ، كما كشفت عن فضائل العرب ونضالاتهم العادلة التي كانت الامبريالية العالمية تفعل الكثير لاخفائها عن الاعين . ثم أنها ابرزت على سطح الاحداث العالمية شعبا صغيرا مؤمنا بقضيته ، قاسى الامرين من محاولات الامبريالية التي استهدفت سحقه تماما، فتصدى لها ببطولة .

ولعلنا ان ندرك بعد اليوم ، ان اصدقاء العرب في الغرب أصبحوا كثيرين . وبواسطة هؤلاء الاصدقاء الموجودين في كل مكان يضلع لخدمة الاعلام العربي ، يمكن توسيع رقعة هذا الاعلام وتعريض مداه . هذا التحول يستطيع اي دبلوماسي عربي او اعلامي عربي نشيط ان يبادر الى الاستفادة منه في توسيع دائرة نشاطه الاعلامي في مكان اقامته او عمله.وفي مجال القضية الفلسطينية والاعلام العربي في العالم انتلقت المبادرة نهائيا من يد اسرائيل الى أيدي العرب . اذن .. فليبادر المسؤولون في كل مكان الى العمل دون خجل كثير او تحسب كبير او تردد لا لزوم له .

عقيل هاشم

لجان دعم فلسطين في سويسره

تسيطر الصهيونيـــة اجمالا على وسائل تكوين الرأي العام السويسري من اذاعة وتلفزة وصحافة، وسبب ذلك عائد الى وجود مؤسسات صهيونية قوية وفعالة في سويسرة تعود الى مرحلة تاريخية قديمة . ويكفي ان نتذكـر ان المؤتمر الصهيوني الاول عقد في بال ١٨٩٧ حتى ندرك عمق الجذور الصهيونية في هـذا البلد . وبدورها أيضا فان البرجوازيـة السويسرية تدعم الصهيونية بسبب اتفاق المصالح الناجم عن النفوذ الاقتصادي القوي للمؤسسات الرأسمالية الصهيونية في سويسـره وبلدان غرب أوروبه المجـاورة . ورغم ذلك فقد استطاعت الثورة الفلسطينية ان تؤثر في قطاعات من الشباب السويسري التي تحمل على اكتافها مسؤوليات المستقبل ، ويمكن مـن ضمن وسائل أخرى طبعا ، بتعميق الاهتمام والفهم بالقضيـة الفلسطينية لديهم الوصول الى تغيرات مهمة في محاربة التأييد للصهيونية هناك .

تشكلت لجـان فلسطين في سـويسره منذ ثلاث سنوات . وفي كل مدينة ظهرت لجنة اتخذت لنفسها اسما خاصا بها مثـل مجموعة فلسطين او لجنة فلسطين Comité Palestine لك . وقد ساهم في تاسيس هذه البادرات أبناء محليون اهتموا بمنطقة المشرق العـربي والثورة الفلسطينيـة بالاضافة لاهتماماتهـم السياسية بدول العالـم الثالث . ولما كان معظـم هؤلاء يركزون أساس نضالهم السياسي في نطـاق الوضـع المحلـي السويسري فقد طغت الخلافات بين اللجان عاكسة الخلافات بين المنظمات والافراد فيها . وتتوزع لجان دعم فلسطين في خمسة مدن رئيسية هـي العاصمة بيرن ، جنيف ، زيوريخ ، بال ولوزان . وقد سيطر على كل لجنة حزب معين مثل « الحزب الشيوعي الماركسي ــ اللينيني السويسري » في لجنة زيوريخ (P.C.S.M.L.)، و« لجنـة الاتصال السياسي » (C.L.P.) وهي حزب يساري في لجنة جنيف ، وحزب « القطيعة من اجل الشيوعية » في لجنة لوزان الخ ..

وكمثال نعرض موقف الحزب الاخير من لجنـة لوزان ، فانـه يصـدر نشرة تحمـل اسمـه Rupture pour le Communisme اخرج منها أحد عشر عددا كتب في مختلف المواضيع المحلية والعالمية فيها . وقد نشر عن فلسطين في خمسة منها وهذه نسبة لا بأس بها . ففي العدد الاول المؤرخ في اول ١٩٧٢ امتـدحت النشرة تنفيـذ الفدائيين حكم الاعدام بوصفي التل وذكرت تاريخه في معاداة الحركة الوطنية وخدمة الامبريالية وركزت على اهمية تجاوز الثورة الفلسطينية لكل المصاعب الناجمة عن نكسة الاردن سنة ١٩٧٠ و١٩٧١ . اما في العدد الخامس الصادر في أيلول (سبتمبر) من العام نفسه فقد تحدثت النشرة عن عمليـة ميونيخ وطرحت تحليلا لدور البرجوازية الالمانية الاتحادية في المجزرة التي ارتكبت بحق المناضلين الفلسطينيين وأسباب ذلك مبينة المصالح المشتركة للامبريالية الالمانية مع الصهيونية . وفي العدد التاسع الصادر في بداية ١٩٧٣ تحدثت عن عملية الخرطوم وعملية الاسرائيليين في بيروت . وحللت النشرة الاهمية الاستراتيجية للشرق الاوسط في السياسة الامبريالية العالميـة ودور القوى التي يدعمها الاستعمار الجديد في المنطقة مثل ايران واسرائيل لمواجهة القوى الثورية وتأمين المصالح الامبريالية .

ونشرت المنظمة في العدد العاشر ١٩٧٣ تحليلا للارهاب الصهيوني المنظم الذي تقوم به اسرائيل».

اما العدد الحادي عشر ١٩٧٣ فتحدث عن حرب تشرين الاول (اكتوبر) بعنوان « الانظمة العربية تفرض على شعوبها حربا في خدمة القوى الكبرى » تحدث عن عوامل انغلاق الطريق أمـام الحلول التي طرحت لحل أزمة الشرق الاوسط ، وأكد ان أهداف الحرب هو تحرير الاراضي المحتلة في ١٩٦٧ فقط او ربما جزءا منها والوصول الى اتفـاق متفاوض عليه مع اسرائيل . وتحدث المقال عـن الحوار الدائر بين منظمات حركة المقاومة لاكتشاف الطريق الاسلم المؤدي الى ازالة الكيان الصهيوني والى تحرير فلسطين . وكان هذا الانتظار لقرار منظمة التحرير الفلسطينية في تحديد استراتيجيتها هو الموقف المهيمن على هذه المنظمة وغيرها مـن المنظمات السويسرية حتى حسم الموضوع فـي المجلس الوطني بالاتفاق على برنامج النقاط العشر في سنة ١٩٧٣ .

كان لحرب السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ اثر خطير في حفز بعض العرب وخصوصا بين صفوف الطلبة على المساهمة بالعمل داخل هذه اللجان . ولم يكن معظم هؤلاء على دراية بتفصيلات النضال الفلسطيني او حتى بأسس القضية الفلسطينية بشكل علمي واضح.لكن وجود العرب في اللجان أفاد جدا بطرح قضية تأثير المسائل المحلية السويسرية على نهج العمل داخل اللجان ، اذ كان النشاط يبدو عموما كأنه حلقة من نشاط المنظمات السويسرية وقرر الاعضاء العرب زيادة عددهم للامساك بزمام الامور ، وقد سافر بعض الاعضاء الجدد الى بيروت للاطلاع عن كثب عما يدور في المنطقة .

وكان العمل الاول لهم بعد عودتهم هو محاولة تنسيق العمل بين كافة اللجان في سويسره ، ونجحوا في الوصول الى أرضية عمل مشتركة تتضمن مبدأ أساسيا هو تأييد منظمة التحرير الفلسطينية وكل المنظمات الفلسطينية التي تعمل داخلها . وتم الاتفاق على اقرار مبدأ ان كل عضو في اللجنة والذي يعمل في احدى المنظمات السويسرية يعتبر ممثلا بشكل فردي وليس ممثلا تنظيميا . كما نجح العرب في اللجان في اقرار مبدأ ضرورة طرح فهم سياسي واضح للقضية الفلسطينية وايضاح دور الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية .

في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ تم عقد اجتماع عام لكل لجان فلسطين في سويسره ، وكان مكان الاجتماع المختار هو العاصمة بيرن لما تحمل من معنى توحيدي مركزي لكافة نشاطات اللجان . وانتهى الاجتماع القومي بالاتفاق على لائحة موحدة للعمل نظمت العلاقة بين هذه اللجان وممثل منظمة التحرير الفلسطينية كما حالت دون تأثير المنظمات السياسية السويسرية على اللجان كما كان معهودا . وتم تجاوز قضية خطيرة لم تحفل بالاهمية قبلا ومفادها ان اللجان التي عبرت بشكل عام عن خطوط منظمات سويسرية انطبعت بصيغتها اي بالعمل الانفصالي وفقا لكل مقاطعة سويسرية والمواقف السياسية التي يطرحها كل تنظيم فيها . وفي هذا الاجتماع تم تجاوز العمل المنفصل ورسخ مبدأ التوجه نحو توحيد النشاطات واتخذت اللجان جميعا اسما موحدا هو لجان دعم الشعب الفلسطيني . ونتص اللائحة على ما يلي :

« اهداف لجان دعم الشعب الفلسطيني في سويسره

مقدمة : نحن ، ممثلي لجان دعم الشعب الفلسطيني في بال ، بيرن ، جنيف ، لوزان وزيوريخ المجتمعين في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ نلتزم بهذه الاهداف ، وندعو من يشاركنا بها الى الانضمام لصفوفنا او تشكيل لجان على أسس اللائحة التالية :

١ — لم يستطع الامبرياليون والصهيونيون النجاح رغم دأبهم منذ ١٩١٩ على نفي الواقع الفلسطيني ومنذ ١٩٦٥ عهد الشعب الفلسطيني الى الهجوم والنضال المكشوف ضد الامبريالية والصهيونية اللتين لا زالتا حتى اليوم تشنان حربهما في المؤخرة لنفي الواقع الوطني الفلسطيني .

اننا ندعم الكفاح المسلح للشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه الوطنية وبناء فلسطين الديمقراطية كما نؤيد الاستراتيجية والبرامج السياسية ومواقف منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني وندعم كافة التنظيمات العاملة ضمنها .

مدخل : ان عملنا في سويسره ينبغي ان ينطلق من الفهم القائم لدى جماهير عريضة بالثورة الفلسطينية . وبذلك فقط لا يكون عملنا اعلانيا بل يبلغ هدفه الاساسي وهو دفع دعم الثورة الفلسطينية الى الامام ومحاربة العنصرية ضد العرب .

٢ — النشر بين الجماهير وشرح نضالات الحركات الثورية الفلسطينية خصوصا الثورات المسلحة في فلسطين وفي الخليج العربي ، وادانة النظام الايراني ، ذراع الامبريالية المسلح في المنطقة .

٣ — التدليل على الطبيعة الرجعية، الاستعمارية والعنصرية « لدولة اسرائيل » . واماطة الستار عن الصلة المباشرة بين الامبريالية العالمية والاحتلال الصهيوني .

٤ — ادانة كل محاولات الانظمة والقوى الرجعية والاقطاعية (مؤسساتها الاقتصادية والعسكرية) الجارية بدعم ولصالح الامبريالية ، التي تهدد مباشرة الثورة الفلسطينية ومجموع الحركة التقدمية العربية ، وادانة النظام الهاشمي في الاردن عدو

الثورة الفلسطينيـة ومضطهد الشعب الاردني ، بشكل خاص .

٥ ـ مجابهـة الدعـاية الصهيونية وحلفـاء الصهيونية وكذلك البرجوازية السويسرية التي تعلن هدفا لها مسخ نضالات الشعب العربي وخاصة نضال الشعب الفلسطيني .

٦ ـ تركيز الاضواء علـى دور سويسره في الشرق الاوسط ، من حيث انها ليست حيادية على الاطلاق فيما يتعلق بالشرق الاوسط ، كما هي فيما يتعلق بفيتنام ، افريقيـه واميركه اللاتينية ، ووقوفها بوضوح الى جانب القوى الامبريالية ضد الشعوب المضطهدة .

٧ ـ التعميم والنشر بين افراد الشعب لقرارات المنظمات الدولية التي تؤيد م.ت.ف. في نضالها لاستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وادانة كل المبادرات الامبريالية داخل هذه المنظمات الدولية لحماية المصالح الامبريالية في المنطقة .

٨ ـ تطوير حركة الدعـم بأوسع أشكالهـا للمقاومة الفلسطينية باعلام دائم عنها وبنشاطات تأييد فعالة .

٩ ـ التعريف بالنضالات الاجتماعيـة والمعادية للصهيونية في فلسطين المحتلة .

الشعارات الاستراتيجية في هذه اللائحة :

ـ عاشت ثورة الشعب الفلسطينـي لبنـاء فلسطين الديمقراطية .

ـ منظمة التحرير الفلسطينية هي فقـط الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني .

ـ نعم لانشاء سلطة وطنية فلسطينية باشراف م. ت. ف.

ـ عاشت نضالات الشعوب العربية الاخرى .»

في الخامس والعشرين مـن أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ قررت لجنة دعم فلسطين في لوزان اقامة مهرجان بمناسبة ذكرى مجـازر عمان . ودعي اعضاء اللجنـة والمناصرون من احـزاب يسارية سويسرية والطلبة العرب في المدينة لسماع تحليل عن هجمة ايلول الهاشميـة قدمه احد العـرب الملتزمين بفصيـل يساري مـن فصائل المقاومة الفلسطينية وجرى لاول مرة عرض فيلم اسمـه « بالروح بالدم » عقب ذلك تركز الاهتمام لمعرفة التفاصيل الفارقة بـين منظمات حـركة المقاومة وخصوصا بالفريق اليساري منها مما حفز الناشطين في اللجنة الى اعداد اسبـوع لفلسطين بعنوان « المعتقلون السياسيون الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية » وذلك على مستوى سويسره كلها ، في الفترة ما بين ١٦ ـ ٢٣ تشرين الاول (نوفمبر) ١٩٧٤ . واتفـق علـى اعـداد ملـف عـن المعتقلين يضم ترجمة فرنسية لنصوص وشهادات للمهتمـين بالموضوع كالدكتـور اسرائيل شاهك والمحامية فليتسيا لانجر وتقارير الصليـب الاحمر الدولي وغيرها . كما اتفـق على اصدار نشرة خاصة بطرح سياسي لجوانب القضية الفلسطينية ولاول مرة تم الاتفاق على استدعاء محاضر فلسطيني من مركز الابحاث في م. ت. ف. للتحدث في ندوتين عن الموضوع في جنيف وفي لوزان .

لقد تكللت الحملة في هـذا الاسبوع بنجاحات مهمة فبالاضافة الى اثارة الرأي العام حفزت جميع العاملين الى مزيد من النشاط وطلبهـم تمتـين الروابط مع مراكز المنظمات في بيروت وحث المزيد من العرب على العمل في اللجان ، كما عانت من نواقص مهمة ايضا . ويهمنا ان نركز على أسباب الاخطاء والنواقص كـي يتم معالجتهـا بالقـدر المستطاع : **اولا** ـ عدم وجود استراتيجية عمل فلسطينية في سويسره تكمـل العمل النضالـي الفلسطيني في البلدان الاوروبية الاخرى خصوصا في فرنسه وايطاليه والمانيه الاتحادية . ان ايجاد مثل هذه الاستراتيجية والاتفاق عليها يمنح اللجان قدرة على تنظيم نشاطاتها وصبها في اطار محدد ضمن بناء متكامل متناسق ، ويؤمن كذلك لهذه اللجان وسـائل العمل عبر تنظيم توزيع القدرات والادوار بينها . **ثانيا** ـ النقص الخطير في معرفة القضية الفلسطينية وما يحدث من تطورات لدى الكثير من اعضاء اللجـان سواء أكانوا عربا ام سويسريين . ولما كانت القضية تحظى بالحد الادنى من اهتمامهم فمـن الممكن تعميقه عبر ايصـال المعلومات وخصوصا ما يتوفر من ترجمات بالسرعة القصوى لهم وكذلك عبر وجـود ممثلين لحركة المقاومة فعالين نشيطـين بالاضافة الى تبـادل الزيارات ما أمكن ذلك .

س. ن

شهريات

(١) القضية الفلسطينية دوليا

من أهم ما ينبغي رصده في تطور الاحداث الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية هو المسار المتأرجح للعلاقات المصرية السوفياتية في الشهور الاخيرة ونعني بذلك تأرجحها بشدة بين الجمود والتردي من ناحية والميل الى الانفراج والتحسن من ناحية اخرى . ففي شهر كانون الاول (ديسمبر) ظهرت بوادر هامة تدل الى اتجاه هذه العلاقات نحو التحسن والانفراج . وتمثل ذلك في الزيارة التي قام بها يومها اسماعيل فهمي (وزير خارجية مصر) الى موسكو وفي اعلان الموعد الرسمي للزيارة التي كان يفترض ان يقوم بها ليونيد بريجنيف الى القاهرة (١٥ كانون الثاني ١٩٧٥) اثناء وجود فهمي في الاتحاد السوفياتي . الا ان العلاقات عادت الى التدهور من جديد مع اقتراب نهاية العام الماضي وظهر ذلك جليا في الزيارة المفاجئة التي قام بها فهمي مجددا مع وزير الحربية (الفريق الجمصي) الى الاتحاد السوفياتي والتي أسفرت عن اعلان تأجيل رحلة بريجنيف الى المنطقة . وعلى الرغم من اصرار الجانب المصري على القول بأن بريجنيف هو الذي طلب تأجيل موعد زيارته لاسباب صحية فقد أجمعت كافة التحليلات والانباء الواردة على ان سبب التأجيل سياسي في الدرجة الاولى ويتعلق بخلافات أساسية في وجهتي النظر السوفياتية والمصرية حول التحرك نحو التسوية السلمية في المنطقة . وتلخصت أهم التفسيرات التي جرى تداولها في الاوساط المطلعة حول دوافع تأجيل الزيارة بالنقاط التالية :

(أ) الموقف من انعقاد مؤتمر جنيف للسلام ، حيث تقول وجهة النظر السوفياتية بأنه على الدول العربية التمسك بحزم بالدعوة الى عقد المؤتمر في أقرب وقت ممكن للوصول الى تسوية شاملة لازمة الشرق الاوسط تؤدي الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة والى حل القضية الفلسطينية . في مقابل ذلك ترى القيادة المصرية انه بالامكان تأجيل انعقاد مؤتمر جنيف والاستمرار في « الحوار » مع الولايات المتحدة بهدف تحقيق انسحاب جزئي جديد على جبهة سيناء اولا ومن ثم على الجبهتين العربيتين الاخريين . (ب) مشكلة السلاح المتطور ، حيث ترى القيادة السوفياتية ان أنواع السلاح المتقدم الذي تطلبه مصر يتطلب عودة بعض الخبراء الى مصر من أجل المساعدة في عمليات استيعاب القوات العسكرية المصرية لهذا السلاح ومن أجل صيانته في المراحل الاولى على أقل تعديل . في مقابل ذلك تصر القيادة المصرية على تلقي السلاح بدون الخبراء . (ج) المساعدات الاقتصادية ، حيث عبرت القيادة السوفياتية عن استعدادها لتقديم المساعدات التي تحتاجها مصر اذا ضمنت أخذ رأيها بعين الاعتبار بالنسبة للاتجاه الذي تسير فيه السياسة الاقتصادية المصرية . اذ لا يعقل ان يتقدم الاتحاد السوفياتي بالمساعدات الاقتصادية في الوقت الذي تؤدي سياسة «الانفتاح الاقتصادي» الى دخول البنوك الغربية الكبرى حظيرة الاقتصاد

---

* ينوب باب « المقاومة الفلسطينية » في شهريات هذا العدد لاضطرار كاتب الباب ، الاخ عصام سخنيني، الى تمثيل مركز الابحاث في مؤتمرات خارج لبنان . كما استعاض الاخ المقدم الهيثم الايوبي عن باب « القضية الفلسطينية عسكريا » بمقاله الذي نشر في صدر هذا العدد .

المصري والى السماح لها بتحويل الاموال الى الخارج والتصرف بجزء من المدخرات الوطنية المصرية . يضاف الى ذلك عدم اقتناع القيادة السوفياتية بجدوى الطريقة التي تعالج بها السلطات المصرية الازمة التموينية الخانقة في البلد . اذ يعترف حتى الخبراء المصريون بأن المواد التموينية الموجودة كافية لسد الحاجات الحقيقية للشعب المصري وان المشكلة تكمن في سوء توزيعها حيث تتمكن الفئات الثرية من الحصول على أكثر بكثير من حاجاتها التموينية بأسعار هي غاية في الارتفاع . وطالما ان هذه السياسة مستمرة فان المساعدات السوفياتية الاقتصادية والتموينية لن تحل الاشكال على الاطلاق ولن تخفف من حدة الازمة . ويبدو ان القيادة المصرية غير مستعدة في الوقت الحاضر لتبديل خط «الانفتاح الاقتصادي» المذكور . (د) الموقف من الحل الجزئي على جبهة سيناء ، حيث ترى وجهة النظر السوفياتية ان الرئيس السادات قد توصل بالفعل الى تفاهم أولي مع كيسنجر حول الخطوط العريضة لاتفاق جديد مع اسرائيل تنسحب بموجبه من الممرات الاستراتيجية وحقول النفط مما سيترك سوريا ومنظمة التحرير في وضع مكشوف تماما أمام الجبروت الاسرائيلي . ومن شأن زيارة بريجنيف لمصر في هذه الفترة بالذات ظهور الاتحاد السوفياتي بمظهر المبارك لهذه السياسة المصرية . في مقابل ذلك تصر القيادة المصرية على انها تريد استرجاع أية ارض تنسحب منها القوات الاسرائيلية وفقا لسياسة التحرك خطوة خطوة نحو التسوية السلمية مع رفض تجزئة الحل النهائي للنزاع العربي الاسرائيلي وهو الحل الذي لا يمكن ان يتم الا في مؤتمر السلام في جنيف .

استمرت العلاقات المصرية السوفياتية في التدهور طوال شهر كانون الثاني . على سبيل المثال نشرت الصحافة السوفياتية مقالات عديدة نددت فيها بالمحاولات الجارية لعزل الشعوب العربية عن حليفها الرئيسي الاتحاد السوفياتي ولعرقلة التحولات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمعات العربية المعينة ولتخريب علاقات الصداقة العربية ــ السوفياتية . كذلك هاجمت محاولات اعادة العالم العربي الى حظيرة الغرب عن طريق استخدام الاسطورة التي تدعي ان مفتاح التسوية في الشرق الاوسط هو في يد أمريكا وحدها وترويج المزاعم حول عدم قيام الاتحاد السوفياتي بتعزيز القوة الدفاعية للدول العربية المعنية وحول تواطئه مع الولايات المتحدة على حساب الشعوب العربية. كذلك حذرت الصحافة السوفياتية من الاتفاقات الجزئية بين اي دولة من الدول العربية (المقصود هو مصر طبعا) واسرائيل لان في ذلك « تجاهلا كاملا لمصالح سوريا والشعب الفلسطيني » مما سيؤدي الى انهيار التضامن داخل الجبهة العربية. أما على الجانب المصري فقد أدلى الرئيس السادات بسلسلة من التصريحات وجه فيها النقد القاسي الى الاتحاد السوفياتي وسياسته في المنطقة والى تصوره للخطوات المقبلة بالنسبة لمستقبل التسوية السلمية والى علاقاته بمصر . ففي منتصف شهر كانون الثاني أعلن الرئيس السادات تفضيله لسياسة كيسنجر الداعية الى السير نحو التسوية السلمية خطوة خطوة والى التوصل الى فك ارتباط جديد في سيناء مع تأجيل مؤتمر جنيف الى الحين المناسب لعقده ، واستبعد في الوقت ذاته وجهة النظر السوفياتية الداعية الى السير في الاتجاه المعاكس والى انعقاد مؤتمر جنيف في القريب العاجل . وفي حديث للسادات مع غسان تويني نشرته « النهار » في الفترة ذاتها وضع السادات الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى في موقع مواز لموقع الولايات المتحدة من حيث علاقاته بمصر قائلا بأن « مصر لن تكون منطقة نفوذ لا للسوفيات ولا للامريكان » وانه يبحث عن مصلحة مصر بين النظريتين الامريكية والسوفياتية . وتساءل السادات في حديثه : « رجوع مصر الى احضان السوفيات يخدم مصلحة من ؟ » كما أكد ان عودة المنطقة الى الاستقطاب حيث تقف الولايات المتحدة مع اسرائيل والاتحاد السوفياتي مع العرب لا يخدم المصالح العربية الحيوية . بالاضافة الى ذلك انتقد السادات الاتحاد السوفياتي لانه « عوض سوريا كل خسائرها في الحرب الاخيرة وأعطاها المزيد من التجهيزات بينما لم يعط مصر شيئا منذ ١٤ شهرا، على الرغم من كل ما قيل عكس ذلك » . ثم دعا الاتحاد السوفياتي الى الوفاء بتعهداته والتزاماته وفقا لنصوص معاهدة الصداقة المصرية السوفياتية « هذا اذا كان السوفيات يريدون المحافظة على صورتهم في العالم العربي» .وعشية سفره الى باريس

في زيارة رسمية ادلى الرئيس السادات بتصريحات عديدة الى الصحافة والتلفزيون الفرنسي (صحيفة « لوموند » ومجلة « لو بوان ») أكد فيها من جديد انتقاداته للاتحاد السوفياتي واشاد بالولايات المتحدة وسياستها ازاء التسوية السلمية . وكان أهم ما ورد في تصريحاته هذه تأكيده بأن واشنطن لن تتأخر في الاعتراف بالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير واشادته بكيسنجر قائلا عنه بأنه لا يعد الا بما يستطيع ان يعطيه وبأنه احترم كل تعهداته تجاه مصر وبأنه على ثقة تامة بأن الوزير الامريكي لن يخيب الامال العربية . وفي مقابل هذا المديح اتهم الاتحاد السوفياتي بأنه كان وما يزال يعارض أي عمل عسكري ولو كان محدودا ضد اسرائيل ويرفض تسليم مصر المعدات العسكرية التي تحتاج اليها ووصف موقفه بأنه « غير ودي » . كما أكد ان خلافات مصر مع السوفيات تشمل المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، وان الاتحاد السوفياتي رفض طلب مصر تمديد فترة تسديد ديونها عشر سنين كما فعل مع سوريا ورفض تعويض مصر ما فقدته من الاسلحة خلال حرب تشرين الاول (اوكتوبر) او تسليمها أسلحة متطورة وحديثه كما فعل مع سوريا .

على الرغم من كل ذلك طرأ تطور هام على العلاقات المصرية السوفياتية في اوائل شهر شباط أعادها الى الاتجاه نحو التحسن نوعا ما . وقد تمثل هذا التطور في الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السوفياتي غروميكو الى كل من دمشق والقاهرة . ويبدو ان مجيء الوزير السوفياتي كان نوعا من البديل عن الزيارة التي كان يفترض ان يقوم بها بريجنيف . عند وصوله الى دمشق في أول شهر شباط أكد غروميكو من جديد وجهة النظر السوفياتية الداعية الى ضرورة استئناف مؤتمر جنيف لاعماله مع اشتراك الفلسطينيين فيه . كما أكد على عمل بلاده على حماية الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وعلى اهمية المحادثات مع القيادة السورية في تعزيز العلاقات بين البلدين على كافة المستويات من أجل التقدم نحو اقرار السلام العادل في المنطقة . وبعد مباحثاته المطولة مع القيادة السورية صرح غروميكو بأن محادثاته تناولت العلاقات الثنائية بين البلدين والوضع الراهن في الشرق الاوسط مشددا على « أن الشعب العربي لن يقبل أن تفرض عليه شروط سلام تتناقض مع مصالحه المشروعة » . كذلك اجتمع غروميكو بياسر عرفات في دمشق وذكرت « وفا » ان الاجتماع كان على جانب كبير من الاهمية و « ان آراء الطرفين كانت متطابقة ومشتركة حول كل الامور التي طرحت على بساط البحث » وان جوا وديا وايجابيا ساد المباحثات . وقد صدر بيان سوفياتي رسمي حول هذا الاجتماع أشار الى ان الطرفين ركزا بصورة خاصة على موضوع الحقوق المشروعة والعادلة للشعب الفلسطيني وعلى حقه في اقامة دولة خاصة به . وان غروميكو أكد مجددا الموقف السوفياتي بضرورة مشاركة ممثلي منظمة التحرير على قدم المساواة في مؤتمر السلام في جنيف .

وقد صدر بيان سوري سوفياتي مشترك كان أهم ما فيه ما يلي : (أ) الاصرار على ضرورة استئناف اعمال مؤتمر جنيف للسلام « فورا وبما لا يتجاوز في كل الاحوال نهاية شباط أو مطلع آذار » وبحضور كل الاطراف المعنية بما في ذلك ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية .(ب) التأكيد على ضرورة وضع حد لسياسة اسرائيل التوسعية وضمان الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني والتنديد برفض اسرائيل الاعتراف بالحقوق الوطنية لهذا الشعب . (ج) تأكيد أهمية تدعيم قدرات سوريا الدفاعية في ظروف استمرار العدوان الاسرائيلي وحق سوريا الثابت والمشروع في استخدام كل الوسائل الفعالة من أجل تحرير اراضيها المحتلة . (د) التأكيد على وجوب مشاركة الاتحاد السوفياتي في كل مراحل وميادين الجهود الرامية الى ايجاد تسوية عادلة لقضية الشرق الاوسط .

في القاهرة ظهر ان زيارة غروميكو أدت الى نوع من المصالحة الجزئية بين مصر والاتحاد السوفياتي مما من شأنه منع المزيد من التدهور في العلاقات بين البلدين ووضع حد وتبادل النقد والاتهامات بينهما وخاصة من جانب الرئيس السادات . فعلى أثر اجتماعه المطول بغروميكو أعلن الرئيس السادات « فتح صفحة جديدة من العلاقات مع الاتحاد السوفياتي على أسس واقعية كما أكد « ان التفاهم أصبح تاما بين البلدين » وان بريجنيف سيزور القاهرة في موعد يحدد في ما بعد . كما

أوضح ان المحادثات مع الوزير السوفياتي شملت الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية وان التفاهم قد تم حول بعض المسائل العالقة في حين ان مسائل أخرى ستنتظر مجيء بريجنيف الى مصر. وقد ذكرت الاوساط المطلعة في القاهرة بأن غروميكو أكد للرئيس السادات بأن الاتحاد السوفياتي لا يريد ان يتجمد الوضع في المنطقة ولا ان تتوقف مساعي التسوية السلمية لان ذلك يعمل لمصلحة اسرائيل مما يعني ان أي انسحاب اسرائيلي جديد سيساعد في تحريك مساعي التسوية . وفي مقابل ذلك أكد السادات بأن عقد أية تسوية « منفردة » تنسحب بموجبها اسرائيل من مناطق اضافية من سيناء لا يمكن ان تعني تخلي مصر عن سوريا او منظمة التحرير وان الانسحاب لن يكون نهاية المطاف بالنسبة لمساعي التسوية في المنطقة وان مصر تؤيد موقف السوفيات الداعي الى حل مشكلة الشرق الاوسط ضمن اطار مؤتمر جنيف كما تؤيد اشراكه في كل مساعي التسوية . يبدو ان هذه التأكيدات المتبادلة كانت هي أساس التفاهم الجديد بين القيادتين المصرية والسوفياتية . أما بالنسبة للمسائل المعلقة التي تمت تسويتها فهي لا تتعدى على ما يبدو قضية تمديد آجال تسديد الديون المستحقة للاتحاد السوفياتي على مصر والتعهد باستئناف شحن كميات من الذخيرة الى مصر . أما أبرز المسائل التي بقيت معلقة فهي مسألة تزويد مصر بالاسلحة المتطورة التي تطلبها . وقد صدر بيان مصري سوفياتي مشترك كان أهم ما فيه ما يلي : (أ) اعتبار مؤتمر جنيف للسلام المكان الاكثر ملاءمة لبحث كل نواحي تسوية أزمة الشرق الاوسط والمطالبة « باستئناف أعمال المؤتمر فورا وباشتراك كافة الاطراف المعنية بما في ذلك ممثلو منظمة التحرير » . (ب) التأكيد على ان اقرار السلام الدائم في المنطقة يتطلب انسحابا اسرائيليا كاملا وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في تقرير مصيره واقامة كيانه الوطني . (ج) التأكيد على رأي القيادة المصرية حول أهمية وضرورة اشتراك الاتحاد السوفياتي في تسوية الازمة على جميع مراحلها وفي كافة نواحيها بما في ذلك اشتراكه في لجان العمل التي يمكن ان تتكون في مؤتمر جنيف . (د) العمل على تدعيم العلاقات بين البلدين استنادا الى معاهدة الصداقة والتعاون بينهما . (هـ) التأكيد على أهمية تبادل وجهات النظر بين السادات وبريجنيف حول أهم نواحي العلاقات بين البلدين .

وجدير بالملاحظة ان المراجع المصرية سارعت الى ايضاح ما جاء في البيان المشترك حول انعقاد مؤتمر جنيف « فورا » بقولها ان عبارة « فورا » غير مرتبطة بتاريخ محدد كما هو الحال بالنسبة للبيان السوري السوفياتي المشترك . يضاف الى ذلك ان البيان الصادر في القاهرة لم يتضمن أية فقرة او اشارة الى المساعدات العسكرية والدفاعية الى مصر خلافا لما جرى بالنسبة للبيان الصادر في دمشق . كما ان الاعلان عن الزيارة المرتقبة لبريجنيف الى القاهرة جاءت على لسان الرئيس السادات وليس على لسان غروميكو ولم يشر البيان المشترك الى هذا الموضوع الا بشكل غامض جدا ومن خلال الكلام عن أهمية تبادل وجهات النظر بين الزعيم السوفياتي والرئيس المصري . ويبين كل ذلك ان الصفحة الجديدة التي أعيد فتحها بين السلطة المصرية الحالية والاتحاد السوفياتي لا ترتكز بعد الى أية أسس متينة وهي ما زالت معرضة للانتكاس مجددا .

قبل الانتهاء من موضوع العلاقات المصرية السوفياتية لا بد من الاشارة الى الغاء الاتحاد السوفياتي في منتصف شهر كانون الثاني للاتفاق التجاري مع الولايات المتحدة وذلك بسبب الشروط التي وضعها الجانب الامريكي والتي اعتبرها السوفيات تدخلا في شؤونهم الداخلية ومسا بسيادتهم . وكما هو معروف فان الشروط الامريكية تتعلق بمسألة هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل . وقد رحبت منظمة التحرير الفلسطينية بهذه الخطوة السوفياتية الهامة على الصعيد الدولي . وقد علق كيسينجر على هذه الخطوة بقوله ان الوفاق بين الدولتين المعنيتين قد أصيب بنكسة وان السياسات الامريكية والسوفياتية « متوافقة » في عدد من المناطق « وغير متعارضة » في معظم المناطق الاخرى باستثناء الشرق الاوسط.

كان التطور الهام الثاني على الصعيد الدولي زيارة الرئيس السادات الى فرنسا في مطلع شهر شباط . وتستمد هذه الزيارة اهميتها بسبب اعتبارها من قبل الجانب المصري بداية لتطبيق

الدعوة « للحوار » العربي الاوروبي وخطوة باتجاه تنفيذ ما أعلنه الرئيس السادات حول عزمه على تنويع مصادر السلاح الذي تحصل عليه مصر بالاضافة الى كون فرنسا هي الدولة التي يمكن الانفتاح عليها والتوجه اليها في الظروف الحالية لمنع المنطقة من الوقوع مجددا في حالة «الاستقطاب» بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على حد تعبير الرئيس السادات . وأعد الرئيس السادات الجو لزيارته بعدد من التصريحات للصحافة الفرنسية (« لوموند » و« لوبوان ») حدد فيها آرائه حول مستقبل التسوية في المنطقة وما سيسعى لتحقيقه في جهوده الدبلوماسية الحالية والمستقبلية وغيرها من موضوعات الساعة وكانت أهم النقاط التي أشار اليها السادات في تصريحاته هي : (أ) انه سيدرس مع الرئيس الفرنسي امكان انشاء محطات نووية في مصر لانها تعتبر مسألة حيوية في بلد صحراوي مثل مصر . (ب) انه يتوقع ان تعترف امريكا بمنظمة التحرير الفلسطينية وان مهمة الدفاع عن جنوب لبنان هي مسؤولية عربية جماعية . (ج) بأنه لن يقدم أية تنازلات لاسرائيل الا ضمن اطار تسوية شاملة واذا أصر الاسرائيليون على الاحتفاظ بالجولان « فاننا سنصير حتما الى حرب جديدة » ، واذا رفضت اسرائيل اجراء انسحابات جديدة على الجبهات الثلاث خلال مهلة ثلاثة أشهر فانه سيطلب عقد مؤتمر جنيف فورا . (د) انه لن يسمح للمأزق الحالي بأن يطول واذا رفضت اسرائيل التفاوض على تسوية شاملة فلن يبقى امام العرب الا طريق الحرب . (هـ) انه مستعد لعقد اتفاق سلام مع اسرائيل واحترام التعهدات الناتجة عنه ولكن من السابق لاوانه الكلام حاليا عن علاقات دبلوماسية مع اسرائيل وعن حدود مفتوحة معها اذ يجب ان تزول المرارة وان يزول الحقد المتراكمان نتيجة النزاعات الدائمة. وأكد السادات بهذا الصدد بأنه يترك للجيل المقبل ان يقرر امكان التعاون مع الدولة اليهودية . (و) انه يعتقد بأن السلام سيتحقق بين اسرائيل والدول العربية خلال السنين العشر المقبلة « حيث لا نكون قد قلبنا صفحة الحرب مع اسرائيل فقط بل وصفحة الكراهية ايضا » . (ز) انه مقتنع بأن اسرائيل تنوي شن حرب وقائية ولكن « نحن ايضا قادرون مثلهم على اللجوء الى حرب وقائية اذا رأينا ذلك ضروريا للدفاع عن أنفسنا . (ح) ان فكرة وقوع مجابهة بين الدول المنتجة والدول المستهلكة للنفط هي فكرة سخيفة ولا يوجد في العالم العربي من يريد ان ينوي خنق الغرب . واضاف السادات قائلا « لا استطيع ان أفهم لماذا « قال صديقي هنري كيسنجر اخيرا ان التدخل العسكري ممكن» واعتبر اطلاق مثل هذه التهديدات يشكل خطأ ارتكبه الوزير الامريكي .

عند وصوله الى باريس على رأس وفد كبير اوضحت مصادر هذا الوفد ان زيارة السادات ليست لفرنسا فقط بل لاوروبا ايضا اذ ان «فرنسا هي الجسر لاوروبا وبابها » . وقد شملت محادثات الرئيس المصري مع ديستان مشكلة الشرق الاوسط على ضوء اخر التطورات بما فيها الجولة المرتقبة لكيسنجر في المنطقة ، والعلاقات الثنائية بين البلدين وخاصة على الصعيدين الاقتصادي والتجاري ، ومسألة قيام فرنسا بتزويد مصر بأسلحة تحتاجها وعلى رأسها طائرات الميراج ، وقضية التعاون النووي بين البلدين بحيث تقدم فرنسا مساعدات محسوسة لمصر في هذا المجال . (ذكرت المصادر الصحفية بهذا الصدد ان مصر تريد الحصول على مفاعلين نوويين) ، هذا بالاضافة الى موضوعات مثل مؤتمر جنيف والحوار العربي الاوروبي . وجدير بالذكر ان السادات زار مصانع طومسون التي تنتج صواريخ كروتسال واجهزة رادار ومعدات الكترونية متطورة اخرى . كما استقبل رئيس مؤسسة داسو التي تصنع طائرات الميراج ومدير شركة ماترا للصواريخ ورئيس شركة سنيكما التي تصنع الصواريخ والمحركات . وعلى الصعيد السياسي اكد الرئيس الفرنسي في الكلمة الترحيبية التي القاها بشأن امكانات الحل العادل لمشكلة الشرق الاوسط هي اليوم اكبر مما كانت عليه في اي وقت مضى وان من حق الشعب الفلسطيني الحصول على وطن ككل الشعوب الاخرى في العالم ، كما انه من حق اسرائيل العيش ككل دول المنطقة ضمن حدود آمنة ومعترف بها « ومضمونة بشكل فعال » . أما الرئيس السادات فقد شدد في كلمته الجوابية على الموقف الفرنسي القائل بأن السلام لا يمكن ان يتحقق في المنطقة بدون ايجاد حل عادل لمشكلة الفلسطينيين الذين يشكلون كيانا وحقيقة وشعبا

وينبغي ان يكون لهم وطنهم . اشاد السادات بهذا الموقف الفرنسي واعتبره تعبيرا عن حقيقة ما يختلج في ضمير المجتمع الانساني وعن انبل قيمه . وعقد الرئيس السادات مؤتمرا صحافيا خلال زيارته اشار فيه الى النقاط الهامة التالية : (أ) علاقة قرار مصر تنويع مصادر تسليحها بزيارته لفرنسا واهتمامه الشديد بشراء طائرات الميراج « لانه لم يتم تعويض ما فقدته مصر من الاسلحة منذ ١٤ شهرا » . هذا بالاضافة الى الميزات التي تتمتع بها هذه الطائرة . واعلن السادات بهذا الصدد ان الرئيس الفرنسي وافق على طلبه التزود بالميراج . (ب) اذا كانت الضمانات الدولية للسلام في المنطقة تشمل مرابطة قوات دولية على الحدود فان مصر لا تعترض على الاطلاق على وجود قوات فرنسية ضمن القوة الدولية . (ج) انه متفق تماما مع الرئيس ديستان حول قضية الحوار العربي الاوروبي واكد أن محادثاته مع الرئيس الفرنسي قد بدأت فعلا هذا الحوار . (د) ان زيارته لفرنسا قد حققت كل اهدافها بالنسبة لمصر وانه اتفق مع الرئيس الفرنسي على موضوع التعاون الاقتصادي على نطاق واسع جدا ، وانه اخبر نخبة رجال الاعمال الفرنسيين الذين قابلهم بأن مصر ترحب بهم وهي « علىٰ استعداد لان تسند اليهم اعمالا كثيرة » . (هـ) اكد انه اذا هاجمت اسرائيل سوريا في اي حال من الاحوال فان مصر ستدخل الحرب بدون تردد . وان اي من مصر او سوريا لن تبدأ اي هجوم على اسرائيل . (و) انه ما لم يجر حل القضية الفلسطينية لا يمكن ان يستتب السلام في المنطقة وان الضفة الغربية وقطاع غزة يشكلان المكان المناسب لانشاء دولة فلسطينية .

على اثر انتهاء هذه الزيارة صدر بيان مشترك كان أهم ما فيه النقاط التالية : (أ) التأكيد على التوافق في وجهات النظر بين الرئيسين حول المسائل الدولية المهمة بما فيها مشكلة الشرق الاوسط . (ب) موافقة الرئيس الفرنسي على تلبية طلب الرئيس السادات تزويد مصر « بمعدات حربية لتعويض بعض ما فقدته » . (ج) اشتراك المؤسسات الفرنسية في برامج التنمية في مصر خاصة في مجالات الطاقة والكهرباء والطاقة النووية وميادين النقل والمواصلات والتنقيب على النفط والصناعات البتروكيمائية والصناعات الزراعية والغذائية بالاضافة الى ميادين الصناعة الخفيفة والسياحة . وقد ذكرت الانباء الصحافية الواردة من باريس ان قيمة صفقة الاسلحة مع فرنسا بلغت حوالي ١٠ مليارات فرنك فرنسي (مليارين ونصف دولار) وانها شملت ٤٤ طائرة ميراج ودبابات من نوع اي. ام. أكس ٣ وصواريخ كروتال المضادة للطائرات وطائرات هليكوبتر من الحجم الكبير واجهزة رادار ومعدات الكترونية حديثة جدا . كذلك شملت اتفاقا لتزويد مصر بمحطتين نوويتين .

تمثل التطور الهام الثالث على الصعيد الدولي في الجولة التي قام بها كيسنجر في الشرق الاوسط في القسم الاول من شهر شباط . وقد شملت هذه الجولة كل من مصر واسرائيل وسوريا والاردن والمملكة العربية السعودية . وكانت الخلفية التي انطلقت منها هذه الجولة تتصف بالاجواء التالية : (أ) تصاعد التهديدات الامريكية باستخدام القوة العسكرية ضد الدول النفطية العربية . وكان من ابرز هذه التهديدات في الفترة المعنية اعلان قائد الاسطول الامريكي السادس بأن قواته على استعداد تام للاشتراك في اي وقت « في عملية اجتياح للدول المنتجة للنفط » . واكد القائد بأن قواته تملك القدرة على انجاز اية مهمة تعهد اليها من هذا القبيل . (ب) تصريحات ادلى بها رابين (في الكنيست وغيره) تفيد بأن اسرائيل لن تنسحب من الجولان حتى لو تم التوصل الى معاهدة سلام نهائية مع الدول العربية ، وانها على غير استعداد للانسحاب من حقول النفط والممرين الاستراتيجيين في سيناء الا مقابل تعهد رسمي وعلني بعدم نزوع مصر الى الحرب فيما بعد . (ج) تصريحات ادلى بها رئيس وزراء الاردن قال فيها ان حكومته لا تعتبر نفسها معنية بصورة مباشرة بمؤتمر جنيف وبالمحادثات المقبلة حول تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية . (د) تصريحات ادلى بها كيسينجر نفسه اعرب فيها عن اعتقاده بأنه بالامكان ايجاد صيغة توفق بين المطالب المصرية والاسرائيلية في المرحلة التالية من التسوية السلمية وان جولته المقبلة ستكون ذات طابع استطلاعي تمكنه من دراسة وجهات نظر مختلف الاطراف المعنية خاصة وان اتصالاته السابقة مع الزعماء العرب جعلته

يلمس « رغبة متزايدة لديهم في القبول بوجود اسرائيل المشروع في المنطقة » . لذلك اكد كيسنجر ان جولته القادمة لن تؤدي الى نتائج مباشرة في حد ذاتها بل ستكون مقدمة لجولة اخرى سيجريها في الاسبوع الثاني من شهر اذار حيث يكون قد درس « الاراء الحقيقية » للزعماء الذين سيقابلهم والتي « قد يكونون غير راغبين في تحديدها كتابة » . وعندئذ سيكون بامكانه صياغة وجهة نظر امريكية توفيقية تكون اساسا للمفاوضات بين مصر واسرائيل خلال جولة اذار. كما أكد كيسنجر بأنه لا يتوقع ان يفشل في مهمته . (هـ) قيام مصر بتقديم مذكرة رسمية الى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والامين العام للامم المتحدة تضمنت مشروعا يتعلق بدعوة منظمة التحرير الى مؤتمر جنيف . وقد شددت المذكرة المصرية على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بدون أي تدخل خارجي وعلى حقه في الاستقلال والسيادة الوطنية وعلى حق الفلسطينيين في العودة الى ديارهم . هذا بالاضافة الى التشديد على كون الشعب الفلسطيني طرفا اساسيا في اقامة السلام العادل والدائم في المنطقة اذ انه لهذا الشعب الحق في استعادة حقوقه بكل الوسائل طبقا لميثاق الامم المتحدة ومبادئه . كما طالبت المذكرة بتنفيذ قرارات الامم المتحدة حول فلسطين.

للتأكيد على الاهمية التي توليها السلطات الامريكية العليا لجولة كيسنجر قام الرئيس فورد بتوديع وزيره شخصيا وباطلاق عدد من التصريحات تؤكد الدعم الذي يحظى به كيسنجر من الرئيس فورد نفسه . قال فورد بانه يتوقع من كيسنجر نجاحا شبيها بالنجاح الذي حققه في الماضي لانه اذا لم يحرز الوزير تقدما فهناك احتمال خطير باندلاع حرب اخرى في الشرق الاوسط مما قد يؤدي الى حظر جديد على النفط . وعند وصوله الى اسرائيل اعلن كيسنجر بانه يرحب بقرار الحكومة الاسرائيلية الاستمرار في التوجه نحو السلام على اساس خطة التحرك خطوة خطوة . واكد التزام حكومته بالتقدم السريع نحو تسوية سلمية في المنطقة . وعلى اثر اجتماعه بكبار المسؤولين الاسرائيليين ذكر الناطق الاسرائيلي ان المحادثات جرت في جو ودي وحار الا انه لم يتم التوصل الى اي قرار بسبب الطبيعة الاستطلاعية لمهمة كيسنجر هذه المرة . وذكرت الانباء الصحافية ان الوفد الامريكي ترك انطباعا بأن احتمالات التوصل الى اتفاق على جبهة سيناء اصبحت أقوى بعد محادثات كيسنجر في تل ابيب .

قبل وصول الوزير الامريكي الى القاهرة اجرت صحيفة « التايمز » اللندنية مقابلة مع الرئيس السادات بين فيها النقاط التالية : (أ) بانه مستعد لان يمنح الدكتور كيسنجر الفرصة اللازمة ليجرب اسلوبه القائم على السير خطوة فخطوة لحل النزاع العربي الاسرائيلي . (ب) اذا لم يتحقق تقدم حقيقي في هذا الميدان قبل شهر نيسان — حيث ينتهي أمد انتداب القوة الدولية في سيناء — فان النتائج ستكون وخيمة اذ ان احتمالات انفجار الموقف في المنطقة هي في غاية الخطورة . (ج) ان مصر مستعدة للدخول في مفاوضات حول الانسحاب الجديد من جبهة سيناء اذا تمكن كيسنجر من اخذ موافقة مبدئية من اسرائيل حول انسحاب مشابه من جبهتي الجولان والضفة الغربية . (د) ان مصر تحتاج الى ضمانات دولية لاية تسوية يتم تحقيقها وهي ستقبل ضمانات من الدولتين الكبريين او من مجلس الامن او من الدول الاوروبية . (هـ) عندما تبدأ المفاوضات حول الانسحاب المقبل في سيناء ستكون شروط مصر المطالبة بانسحاب اسرائيل من حقول النفط في ابو رديس ومن ممري متلا والجدي الاستراتيجيين . (و) ان اشراف الامم المتحدة على منطقة الممرات هو أمر قابل للمفاوضات . وواضح ان الرئيس السادات عرض الخطوط العريضة للموقف المصري الذي سيناقشه مع كيسنجر . وفي ١٢ شباط وصل الوزير الامريكي الى القاهرة واجرى محادثات مطولة مع الرئيس السادات وكبار المسؤولين المصريين . وعلى اثر انتهاء مشاوراته اعلن الرئيس السادات ان المحادثات كانت مثمرة للغاية وانه راض عما يجري «لانني متفائل دائما عندما استقبل صديقي هنري». أما كيسنجر فقد اعلن ان المحادثات كانت بناءة جدا وان الخطوات المحددة التي يمكن ان تؤدي الى التقدم نحو السلام موجودة . كما اكد بأن وجوده هنا دليل على امكانية التوفيق بين موقفي مصر واسرائيل . وأكد كيسنجر بانه لا ينوي مقابلة ياسر عرفات . وذكرت المصادر الصحافية . (أ) أن كيسنجر حمل معه من اسرائيل الى

القاهرة خرائط عليها عدد من خطوط الانسحاب الممكنة وفقا لنوعية التنازلات السياسية التي تكون مصر مستعدة لتقديمها . (ب) ان محور المحادثات مع الرئيس السادات كان بالتحديد « الثمن السياسي » الذي تطالب به اسرائيل مقابل انسحابها ومدى استعداد مصر لتلبيته . (ج) ان مصر طالبت بأن يرافق الاتفاق حول سيناء او يتبعه مباشرة اتفاق مشابه على جبهة الجولان بحيث تنسحب القوات الاسرائيلية من المرتفعات المطلة مباشرة على مدينة القنيطرة على اقل تعديل . (د) أن مصر مستعدة لاثبات نياتها السلمية مقابل الانسحاب الاسرائيلي المطلوب باعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية مع السماح للسفن غير الاسرائيلية الذاهبة الى او الاتية من مرافىء اسرائيلية بالمرور عبر القناة . كما انها مستعدة لخفض قواتها في بعض المناطق في سيناء وتجريد المناطق التي ستنسحب منها اسرائيل من السلاح بالاضافة الى وضع ممري مثلا وجدي باشراف قوة دولية وضمن منطقة عازلة بين الخطين المصري والاسرائيلي . (هـ) ان اتفاق الانسحاب الجزئي في سيناء اصبح في حكم المؤكد وستظهر النتائج العملية خلال شهر اذار المقبل .

في دمشق قابل كيسينجر الرئيس حافظ الاسد مدة اربع ساعات ولكن يبدو أن محادثاته لم تسفر عن اية نتائج جدية تتعلق بانسحاب اسرائيلي من الجولان او بموعد محدد لاستئناف مؤتمر جنيف . وقد اعلن كيسينجر انه بحث مع الرئيس السوري « في دور سوريا الذي لا غنى عنه في اية تسوية نهائية » . ووصف محادثاته بانها كانت « وديـة وبناءة للغاية » ، كما ذكر بأنه تم الاتفاق على ان يبقى الوزير الامريكي على اتصال مع السلطات السورية وان يزور دمشق مجددا في جولته المقبلة في اذار . كما اشار الى ان المحادثات تناولت العلاقات الثنائية بين البلدين التي وصفها كيسينجر بقوله انها « طيبة وآخذة في التحسن » . وقد صدر بيان سوري رسمي اشار الى ان المحادثات مع كيسينجر تناولت الوضع في الشرق الاوسط حيث ابدى الجانب السوري وجهة نظره المعروفة مؤكدا ضرورة الانسحاب التام من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني وضرورة مراعاة وحدة التحرك على كل الجبهات في مراحل العمل من اجل السلام العادل في المنطقة . ومن الملاحظ ان التصريحات الامريكية والسورية لم تشر بشيء الى مؤتمر جنيف . وذكرت مصادر سورية بان كيسينجر لم ينجح في ازالة شكوك دمشق حول جدوى الاتفاقات المرحلية وحول كونها تستهدف ضرب التضامن العربي . كما بينت هذه المصادر ان سوريا لا تعارض حدوث انسحاب اسرائيلي جديد في سيناء شريطة الا يتخذ شكل « الحل الجزئي والمنفرد » والا يتعارض مع مقررات مؤتمر الرباط على ان يكون تمهيدا لخطوات اخرى تؤدي الى استئناف انعقاد مؤتمر جنيف .

من دمشق عاد كيسينجر الى اسرائيل لاطلاع السلطات هناك على نتائج محادثاته في القاهرة ودمشق . وبهذه المناسبة صرح مصدر اسرائيلي مسؤول بأن « التفاؤل الذي ساد في القاهرة خلال زيارة كيسينجر له ما يبرره » . كما ذكرت المصادر الصحافية الاسرائيلية بان الاتفاق حول سيناء قد اصبح في جيب الوزير الامريكي . على اثر ذلك انتقل كيسينجر الى الاردن حيث قابل الملك حسين في العقبة وصرح قائلا بانه يريد اطلاع المسؤولين في الاردن على نتائج جولته بالاضافة الى اجراء مباحثات حول زيادة تدعيم العلاقات الثنائية بين البلدين . وقد صرح زيد الرفاعي بأن الرئيس فورد دعا الملك حسين لزيارة واشنطن في المستقبل القريب وان الاردن لن يشترك في مؤتمر جنيف لان ذلك سيكون مخالفا لقرارات مؤتمر قمة الرباط ، وانه من الضروري ان تشترك منظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني. وكان اخر بلد يزوره كيسينجر هو العربية السعودية حيث قابل الملك فيصل ونقل له النتائج التي اسفرت عنها جولته في المنطقة على حد قول الوزير الامريكي . وذكرت الانباء الواردة من الرياض ان كيسينجر بحث مع الملك فيصل خطة جديدة تنوي الولايات المتحدة تطبيقها لضرب « طوق الاحتكار النفطي الذي تمارسه دول الاوبيك » وذلك بعد عقد صفقات نفطية طويلة الامد مع بعض الدول المنتجة للنفط باسعار هي اقل من الاسعار المتفق عليها بين الدول المنتجة . وتوجه الوزير الامريكي من السعودية الى جنيف حيث سيقابل الوزير السوفياتي غروميكو ليتباحث معه في مشكلات التسوية السلمية في المنطقة .

(٢) المناطق المحتلة

استمرار الانتفاضة الشعبية

كما لم يتوقع الاسرائيليون ، استمرت المظاهرات التي انطلقت من مختلف مدن الضفة الغربية بمناسبة عرض القضية الفلسطينية امام الامم المتحدة ، مشكلة للمرة الاولى ، حالة جماهيرية متقدمة ، بعد سنوات من الركود السياسي في الضفة الغربية المحتلة . وقد عمق استمرار المظاهرات واتساع نطاق الاضرابات هذه الحقيقة السياسية التي اصبحت من ابرز ما يسجل في تاريخ الضفة تحت الاحتلال . وكنا في العدد (٤٠) من « شؤون فلسطينية » قد عرضنا لبدايات هذه الانطلاقة الجماهيرية ، وفي عددنا هذا نواصل عرض أبرز تطورات الانتفاضة الجماهيرية هذه .

ففي عددها الصادر يوم ١٩٧٤/١١/١٩ ، كتبت صحيفة «الفجر» تحت عنوانها الرئيسي في الصفحة الاولى ، ان الاضرابات والمظاهرات استمرت لليوم السادس على التوالي في مدن القدس ، بيت لحم ، رام الله ، الخليل ، نابلس ، بيت جالا . وتخلل هذه الاضرابات ، اشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال ادت الى اصابة عدد من المتظاهرين والجنود ، واسفرت عن اعتقال ٧٥ طالبا في القدس العربية وحدها .

وحملت هذه المظاهرات وزير الدفاع الاسرائيلي الى القيام بجولة سريعة في نابلس ، يرافقه عدد من كبار ضباط الحكم العسكري للوقوف على الوضع المتفجر في المدينة . واجتمع الوزير برئيس واعضاء المجلس البلدي ووجه انذارا لهم « بفرض اشد العقوبات على المدينة وسكانها اذا ما استمرت الحالة هكذا ، وقال لهم عليكم الابتعاد عن العواطف والتيارات » .

ونقلت « الفجر » في العدد نفسه ان المعتقلين في سجن بئر السبع اضربوا عن العمل احتفالا باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة . وذكرت « الفجر » ايضا ان السجناء العرب في سجن الرملة « اعلنوا منذ ايام اضرابا عن الطعام ولا يزال اضراب السجناء مستمرا » (الفجر ١٩/١١/٧٤) .

وفي اليوم السابع من المظاهرات والاضرابات الجماهيرية ، توفيت احدى المتظاهرات وهي الطالبة رباب عبد الكريم السلعوس من نابلس . وخلال المظاهرات ، كانت سلطات الاحتلال تعقد محاكمات فورية وتصدر احكامها التعسفية بحق بعض المتظاهرين . فكان ان اصدرت حكما بالسجن ثلاثة اشهر على الطالب زياد الحسيني من المدرسة اللوترية في بيت لحم بتهمة حمل العلم الفلسطيني . واصدرت مديرية التربية والتعليم في بيت لحم بامر من الحاخام ضابط التربية والتعليم بالحكم العسكري ، امرا بأخذ تعهدات على الطلاب بعدم الاخلال بالنظام والامن الداخلي ثانية . وكانت حصيلة اليوم السابع اعتقال اكثر من ٣٠٠ طالب وطالبة من القدس والضفة الغربية ، وقدم ١٣٢ منهم للمحاكمة ، وحكم على ٥٤ طالبا وطالبة بالسجن لمدد مختلفة مع دفع غرامات مالية . (الفجر ٢٠/١١/٧٤) .

اما حصيلة اليوم الثامن من الانتفاضة ، فقد اسفرت عن اتساع المظاهرات الصاخبة والاضرابات الطلابية في مختلف مدن الضفة الغربية « تأييدا لمنظمة التحرير الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وتنديدا باجراءات القمع والاعتقال التي تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية في القدس والضفة الغربية ضد المتظاهرين . واعتقلت قوات الامن ٧٠ مواطنا من القدس . بينهم ٤٠ طالبا وطالبة من المدارس الثانوية . ووصل عدد المعتقلين في الضفة الغربية والقدس الى اكثر من ٣٥٠ شخصا » (الفجر ٢١/١١/٧٤) .

ومع استمرار المظاهرات واتساع نطاقها ، قامت سلطات الاحتلال في اليوم التاسع من الانتفاضة الجماهيرية ، باللجوء الى احد اسلحتها الارهابية للحد من الانتفاضة ، وذلك باقدامها على ابعاد خمسة من المواطنين الى لبنان . والمبعدون الخمسة هم : الدكتور الفرد طوباسي طبيب اسنان وعضو مجلس بلدية رام الله ونقيب اطباء الاسنان في الضفة الغربية ، السيد عبد الرزاق عوده وهو مهندس ومقاول وعضو في غرفة

تجارة رام الله . والسيد محمود قدري وهو مدرس في المدرسة الهاشمية الثانوية في البيرة ، والسيد غطاس ابو عطية وهو من بيت ساحور وكان يعمل مدرسا في مدرسة هشام بن عبد الملك الثانوية في اريحا ، والدكتور حنا ناصر عميد كلية بيرزيت .

وقد اثار هذا الابعاد مجددا الحالة الجماهيرية في الارض المحتلة ، فأدى الى اتساع النقمة الشعبية على الاحتلال والى اتساع نطاق الاضرابات والمظاهرات . وبعث مجلسا بلدية رام الله والبيرة بمذكرتي احتجاج الى وزير الدفاع الاسرائيلي جاء فيها : « ان هذه الاجراءات تخالف ميثاق هيئة الامم وجميع المواثيق الدولية والتي دأبت السلطات على اتباعها دون اجراء محاكمات لهم ودون مبرر لذلك » . واستنكر مجلسا البلدية والغرفة التجارية في لواء رام الله هذه الاجراءات (الشعب ٧٤/١١/٢٢) .

وفي يوم الجمعة الموافق ٧٤/١١/٢٢ ، ذكرت صحف الضفة الغربية ووكالات الانباء ان جموع المصلين لصلاة الجمعة في المسجد الاقصى تجمهروا في ساحة المسجد بعد الصلاة ، واتجهوا يرفعون اعلاما فلسطينية ولافتات الى شوارع القدس خارج الاسوار . ومر المتظاهرون في طريقهم بالمجلس الاسلامي الاعلى الى الواد قباب العامود وهناك اصطدموا مع قوات الاحتلال فتراجعوا الى الازقة . واغلق المتظاهرون باب العامود الخشبي الضخم وتجمعوا خلفه يحاولون منع قوات الاحتلال من فتحه . ولكن رجال البوليس الذين رشقهم المتظاهرون بالحجارة تمكنوا من فتح البابواشتبكوا مع المتظاهرين ثم اطلقوا النار في الهواء لارهاب المتظاهرين . واصيب من جراء ذلك عدد من المتظاهرين وقوات البوليس بجروح . واعتقلت قوات الامن اكثر من ٦٠ متظاهرا وضعتهم في باصين ثم نقلتهم الى سجن المسكوبية .

من جهة اخرى كانت المدارس ما زالت مغلقة لليوم العاشر على التوالي في مختلف مدن الضفة الغربية ، خاصة بعد ان شملت حملة الاعتقالات عددا من طلاب مختلف المدارس . وطلبت دائرة البوليس عن طريق بلدية القدس من مديرة المدرسة المأمونية الثانوية فصل ١٥ طالبة من المدرسة لمدة خمسة اسابيع لاشتراكهن في المظاهرات ، الا ان المديرة والهيئة التدريسية رفضن هذا الطلب . وفي نابلس ، استدعت سلطات الاحتلال في اليوم الحادي عشر للمظاهرات في ساعة متأخرة من الليل ٣٥٠ طالبا وطالبة من مختلف المدارس الثانوية والاعدادية وهددتهم بابعادهم الى عمان مشيا على الاقدام بعد اتخاذ الاجراءات الصارمة بحقهم اذا ما استمروا بالقيام بالمظاهرات (الفجر ٧٤/١١/٢٤) .

وعلى اثر هذه المظاهرات ، صرح شلومو هليل وزير الشرطة الاسرائيلية بان اي نشاط سياسي او اجتماع واسع النطاق في المناطق المحتلة مقيد وفقا للامر الصادر عن قائد منطقة الضفة الغربية في ١٩٦٧/٨/٢٧ . واضاف ان هذا الامر يحظر عقد اي اجتماع سياسي الا بموجب ترخيص من القائد العسكري الذي يقرر فيه وفقا لظروف كل حادث وحادثة (الفجر ٧٤/١١/٢٦) .

ويهمنا في هذا المجال ان نؤكد ان وسائل الاعلام الاسرائيلية الرسمية وغير الرسمية ، حاولت اظهار الاضراب الذي بدأ يوم ١٩٧٤/١١/١٣ لم ينجح كليا (هآرتس ٧٤/١١/١٤)، أو أنه فشل (دافار شبه الرسمية ٧٤/١١/١٤) . غير ان تتالي المظاهرات واشكال المقاومة الشعبية المختلفة اكدت عدم صحة هذا الاستنتاج المبكر .

اما ردود الفعل الاسرائيلية حول وقائع الانتفاضة فقد كانت ذات شقين : الاول ما حملته تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ورجال الحكم العسكري من تهديدات ، والثاني ما اسفرت عنه من اجراءات سياسية وغير سياسية ، كان في طليعتها ابعاد عدد من المواطنين . فقد ذكرت « دافار » في ٧٤/١١/١٩ ان وزير الخارجية الاسرائيلية الون قد صرح في الكنيست بان اسرائيل لن تسمح لاية جهة بعرقلة الحياة المنتظمة في المناطق ، وستستعمل الشدة والحزم ضدها . واشارت الصحيفة نفسها ، ان اقتراحا بدأ يتبلور داخل الحكومة لتوسيع الاستيطان في الضفة الغربية في اعقاب سلسلة التطورات السياسية الاخيرة . واتخذت الادارة العسكرية سلسلة من العقوبات ضد مدينتي رام الله والبيرة ، اللتان جرتا فيهما الى جانب المظاهرات اضرابات للتجار .

فحظر على سكانها عبور الجسور الى الضفة الشرقية ، ومنعت شاحنات المدينتين من نقل البضائع الى الاردن عبر الجسور . كما منع الحاكم العسكري تجار المدينتين من تصدير محصول الزيت . وذكرت هآرتس في ٧٤/١١/٢١ ، ان سلطات الحكم العسكري امرت باقفال عشرة محلات في مدينتي رام الله والبيرة الى اشعار اخر ، كرد على اضراب تجار المدينتين وحرفييهما .

محاولة لاغلاق صحيفة الفجر

كانت صحيفة الفجر التي بدأت تصدر اسبوعيا بموجب رخصة من وزارة الداخلية الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧٢/٤/٢ باسم السيد يوسف نصري نصر ، قد تعرضت لمحاولة اغلاقها ، بعد ان خطف صاحب الامتياز في ١٩٧٤/٢/٥ ولم تعرف اخباره ، وذلك بحجة ان القائمين عليها الان لا يملكون حق اصدار هذه الصحيفة . وللحيلولة دون ذلك قام السيد حنا سمعان سنيورة باسمه ونيابة عن يوسف نصر ، وكمحرر مسؤول في الصحيفة ، بواسطة وكيلته المحامية فيلتسيا لانغر ، بتقديم طلب الى محكمة العدل العليا لاصدار امر احترازي موجه الى وزيري الداخلية والدفاع ، يمنعهما مؤقتا من اغلاق الصحيفة الى ان تبت المحكمة في شأن رخصة امتياز الصحيفة .

والمعروف ان عائلة يوسف نصري — عائلة العجلوني — هي التي تمول اصدار الجريدة منذ بداية صدورها حتى الان . وهذه العائلة تسكن في نيويورك ، وقد وكلت حنا سنيوره ليقوم بمقام المحرر المسؤول للجريدة في غياب يوسف . وقد منحت هذه الوكالة للسيد سنيوره في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ . ومنذ ذلك التاريخ وهو يقوم بمقام المحرر المسؤول ويعمل كصاحبها في جميع الامور ، وقد اعتادت جميع المصادر الرسمية ومن ضمنهما الرقابة ، التوجه الى السيد سنيوره كمحرر مسؤول .

ومنذ ٧٤/٦/١٥ بدأت الجريدة تصدر يوميا وذلك بموجب قرار العائلة (عفاف العجلوني وزوجها بولس) . وبموجب انظمة الدفاع (الطوارىء لعام ١٩٤٥) ، ترسل المواد التي تنشر في الجريدة للرقابة بشكل يومي .

وكانت سلطات الاحتلال قد هددت بلسان الضابط دانيد حن ، صاحبها يوسف نصر ، بانه اذا لم يغير لهجة كتابات الجريدة فسيبعد من البلاد . وفي الفترة الاخيرة صرح وزير الشرطة ومستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية وتيدي كولك رئيس بلدية القدس ، بانه ستتخذ اجراءات ضد الصحف التي تصدر في القدس الشرقية ومن بينها الفجر بسبب التحريض كما ذكر هؤلاء المسؤولون في تصريحاتهم . وأيدت هذه التصريحات انباء ذكرتها صحف اسرائيلية عدة عن نية السلطات في اغلاق الفجر . ففي ٧٤/١١/٢٩ ظهر خبر في صحيفة هآرتس جاء فيه ان اوساطا مدنية وامنية في القدس قررت في الايام الاخيرة اغلاق جريدة الفجر المقدسية . وفي ٧٤/١١/٢٩ ، اجرى السيد سنيوره مكالمة هاتفية مع عائلة عجلتوني ، فطلبت منه ان يبذل جهده لعدم غلق الجريدة .

واستند سنيوره في دعوته ضد وزيري الدفاع والشرطة الى واقعة ان يوسف نصر قد اختفى ولم يشاهد بالفعل منذ اختفائه ولم يعلن عنه بانه ميت ، ولذلك فان رخصة اصدار الجريدة هي رخصة قانونية .

وقد جاءت هذه المحاولة في اعقاب الانتفاضة الجماهيرية ونتيجة للخط الوطني الذي اتبعته هذه الصحيفة في معالجتها لانباء الانتفاضة ولنشرها النص الحرفي لخطاب الاخ ياسر عرفات الذي القاه امام الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .

وفي ٧٤/١٢/١١ نظرت محكمة العدل العليا في طلب اصدار الامر الاحترازي ضد وزيري الدفاع والشرطة وقررت رفضه . ونص قرار المحكمة على ان تفتح امام الفجر امكانية تقديم الطلبات اللازمة لوزارة الداخلية كي تستمر الجريدة بالصدور بشكل قانوني .

وأكدت المحامية فيلتسيا لانغر في مرافعتها امام المحكمة ، ان قضية اغلاق الجريدة ليست كما يحاول الادعاء ابرازها بانها قضية قانونية بل هي قضية سياسية . واستندت لانغر في ذلك على ما نشرته الصحف الاسرائيلية وما قاله وزير الشرطة من انه سيتخذ اجراءات بحق الصحافة في المناطق المحتلة على اثر الموقف الذي اتخذته هذه الصحف غداة صدور قرارات مؤتمر الرباط وعرض القضية الفلسطينية امام الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .

وفور صدور قرار المحكمة توجه السيد حنا سنيوره الى مكتب متصرف اللواء التابع لوزارة الداخلية وقدم طلبا لاعطائه مهلة للقيام بتنفيذ كل ما ينص عليه قانون الصحافة من تقديم طلبات وتصريحات وابراز الشواهد التي تثبت كفاءته للقيام بدور المحرر المسؤول للجريدة .

وكان المحرر السابق في « الفجر » جميل حمد قد تقدم الى المحكمة عن طريق المحامي محمود حبيب الله يعلن فيه انه هو رئيس تحرير «الفجر» بناء على وكالة من يوسف نصر . ومعروف ان جميل حمد قد اعتقل ثم افرج عنه بكفالة للاشتباه بان له علاقة باختطاف يوسف نصر . وجاءت اقوال المتهم الرئيسي في اختفاء يوسف وهو ياسر الكركي تؤيد هذه التهمة حيث قال ان حمد هو الذي حرض على خطف يوسف وان له مصلحة في ذلك .

الحكم على المطران كبوشي

في ٧٤/١٢/٩ حكمت المحكمة المركزية الاسرائيلية في القدس بسجن المطران ايلاريون كبوشي النائب البطريركي وراعي ابرشية الروم الكاثوليك في المناطق المحتلة ، باثنتي عشر سنة ، بتهمة تهريب الاسلحة من لبنان الى رجال المقاومة الفلسطينية. واعلنت رئيسة المحكمة مريم بن بوارت ان المطران كبوشي الذي يبلغ ٥١ سنة « مذنب بالاتصال بعملاء اجانب وحيازة اسلحة والقيام بخدمة لمنظمة غير قانونية » . وكان المطران قد اعتقل في ١٩٧٤/٨/٨ .

انعقدت جلسة المحكمة في الساعة التاسعة من صباح ٧٤/١٢/٩ لتلاوة تقريرها المطول الذي جاء ليدين المطران بالتهم الموجهة ضده . وقد استغرقت تلاوة التقرير ثلاث ساعات تقريبا . وجاء قرار المحكمة عبارة عن مصادقة على اقوال الادعاء وبياناته من شهود وافادات ، كان المطران قد أعلن انها أخذت منه تحت التهديد والترغيب اثناء التحقيق معه وبعد اعتقاله .

وطلب المطران اعطاءه حق الكلام قبل اصدار الحكم ، الا ان رئيسة المحكمة طلبت من وكيله ان يحذره بان لا تخرج كلمته عن اطار المحكمة والقضية التي امامها من الناحية القانونية وتتعداها الى امور سياسية . وبعد ان وافقت المحكمة وقف المطران والقى خطبة سياسية .

وكانت المحكمة قد شهدت في ذلك اليوم تواجد اعداد غفيرة من الناس ، للوقوف بجانب المطران ساعة صدور الحكم ضده . وبرزت من بين تلك الجموع شخصيات دينية مثل الشيخ سعد الدين العلمي قاضي القدس الشرعي ، ونائب القاصد الرسولي ، ورجال دين وراهبات وشخصيات عربية مختلفة من القدس . واتخذت اجراءات امن مشددة داخل مبنى المحكمة وخارجها . وبعكس المرات السابقة منع المطران كبوشي من مصافحة ومعانقة معارفه واصدقائه الذين جاءوا الى المحكمة . واثناء الاستراحة كان رجال البوليس يخرجون المطران من قاعة المحكمة ويحتجزونه في غرفة جانبية بعيدا عن الناس . كما اغلق شارع صلاح الدين وهو الشارع الرئيسي في القدس العربية ، امام حركة السير منذ ان احضر المطران الى مبنى المحكمة الواقع في الشارع المذكور . واستمر اغلاق الشارع من الثامنة والنصف وحتى الثالثة والنصف بعد الظهر عند صدور الحكم .

وجاء في الكلمة التي القاها المطران كبوشي : « يا ايها المسيح سيدي ، لقد بكيت على القدس، يوما ، وأنت من جبل الزيتون محدق الطرف فيها ، تتأمل بمصيرها ، وتقول عنها متنبئا : انه سيأتي ايام يحيطون بك ، ويحدقون بك ، ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك. وفي هذه الايام اذا ما نظرت من سمائك ، تجد القدس ، بلدك ، كما صورتها انت وعليها بكيت ، وعنها تنبأت ، وتجد ابناء بلادك ، في سجنهم الكبير على صورتي انا ، فتبكي مجددا ونبكي معك ... » (الفجر ٧٤/١٢/١١) .

تجديد احكام المعتقلين الاداريين ستة اشهر اخرى

منذ الانتفاضة الجماهيرية التي قامت بها الضفة الغربية في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، وسلطات الاحتلال الاسرائيلي تشدد من قبضتها الارهابية على جماهيرنا في الضفة الغربية ومختلف المناطق المحتلة . وتنقل وسائل الاعلام الاسرائيلية ذاتها يوميا اخبار الاعتقالات والمداهمات والمحاكمات ومصادرة الاراضي والتضييق في سبل المعيشة على جماهيرنا الصامدة فوق تراب وطنها .

الا ان ما حملته الانباء من جديد خلال الاسبوع الماضي ، هو ما اقدمت عليه سلطات الاحتلال

ـ كما كان متوقعا ـ من تجديد لاحكام التوقيف لعشرات من المعتقلين الاداريين ، بعد ان انقضت مدة محكوميتهم الادارية .

وكانت سلطات الاحتلال قد اقدمت في ربيع العام الماضي على شن حملة واسعة من الاعتقالات شملت العديد من القادة النقابيين والمهنيين والمثقفين الوطنيين ، ولم تستطع طوال الاشهر الماضية توجيه تهم محددة لاي من هؤلاء المعتقلين تستطيع بواسطتها تقديمهم للمحاكمة . لذلك ، وجريا على عادتها ، لجأت الى قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥، التي كان معمولا بها ايام الانتداب البريطاني على فلسطين ، لاصدار احكام بتوقيفهم اداريا ، الى ان تحصل على مستندات اتهامية بحق هؤلاء الموقفين .

لقد كانت التهمة الموجهة الى هؤلاء الموقوفين ، هي تهمة الانتماء الى الجبهة الوطنية الفلسطينية في الضفة الغربية . غير ان سلطات الاحتلال قامت بتوجيه تهم اخرى الى هؤلاء المعتقلين ، وهي قيامهم باعمال تمس بـ « الامن » ، بعد ان اثار نواب راكاح في الكنيست هذه المسألة مع وزير الدفاع الاسرائيلي . وبالرغم من كل ذلك ، فقد بقيت سلطات الاحتلال عاجزة عن تقديم البينات والمستندات التي تثبت صحة مزاعم السلطات المحتلة ، بدليل عدم تقديمهم الى المحاكمة الى الان .

وصاحب تجديد الاحكام الادارية موجة اخرى من الارهاب والاعتقالات شملت مناطق مختلفة من الضفة الغربية وقطاع غزة ، خاصة بعد ان تصاعد النضال الوطني الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها . وفي هذه الاثناء قام المعتقلون الاداريون من جانبهم بتصعيد نضالهم السياسي والمطلبي داخل سجونهم ومعتقلاتهم . ورافق ذلك كله موجة من الاحتجاجات والاعتصامات النسائية في الارض المحتلة . فذكرت جريدة الشعب التي تصدر في القدس العربية ان الموقوفين الاداريين في سجن « كفار يونا » قد قرروا الاضراب عن الطعام اذا ما جددت سلطات الاحتلال مدة اعتقالهم . كما تقدم المعتقلون بمذكرة الى مدير السجن يطلبون فيها بتحسين اوضاعهم المعيشية داخل السجن . ونقلت « الشعب » على لسان المحامي وليد الفاهوم الذي قابل المعتقلين الاداريين في سجن نابلس يوم ١٩٧٥/١/١٣ ، ان معظمهم تشارف مدد احكامهم على الانتهاء ، دون ان يعلموا ما اذا كانت ستجدد مدد محكوميتهم ام لا . ومن بين هؤلاء : لبيب فخر الدين ، عباس عبد الحق ، عبد الباسط الخياط ، جمال فريتخ ، خليل حجازي، احمد دحدول ، راجح غنيم ، بسام وزهير عميرة ، حيث ان معظمهم قد اعتقل منذ تسعة شهور بدون اي تحقيق . وقالت « الشعب » ان عدد الموقوفين في سجن نابلس وحده يبلغ ١٥ شخصا ، وبسجن الخليل يبلغ عددهم ١٠ اشخاص ، وفي رام الله عشرة ، اما في سجن كفار يونا فيبلغ عددهم العشرين . (الشعب ١٩٧٥/١/١٥) .

ومع اقتراب انتهاء مدة الاحكام الادارية قام عدد من رؤساء البلديات بتقديم مذكرات الى الحكام العسكريين يطالبون فيها بالافراج عن المعتقلين . وقد تقدم بمثل هذه المذكرة رؤساء بلديات بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور .

ومن جهة اخرى قامت امهات وزوجات واخوات المعتقلين والمساجين والمبعدين من الضفة الغربية باعتصام مفتوح في مقر هيئة الصليب الاحمر الدولية في القدس وذلك يوم ١٩٧٥/١/١٥ للاحتجاج على سياسة الاعتقال والابعاد وعدم تقديم المعتقلين للمحاكمة ، والمطالبة باطلاق سراحهم. وقد رفعن مذكرة الى ممثل الصليب الاحمر في القدس ، الذي وعدهن برفعها الى ممثل الصليب الاحمر في تل ابيب . وجاء في هذه المذكرة : « نحن اهالي المعتقلين ـ والجدير بالذكر ان بعضهم لم يحقق معه منذ اعتقاله وبعضهم لم توجه اليه اية تهمة يحاكم بسببها ، بل تم توقيفهم اداريا ولمدد مختلفة دون ذكر الاسباب في التوقيف ومدى نهايته ـ نتوجه للرأي العام العالمي والداخلي والقوى الديمقراطية في كافة انحاء العالم ومحبي السلام والى الهيئات والمنظمات الدولية ، بضم اصواتها الى صوتنا مطالبين :

١ ـ عدم تجديد التوقيف الاداري لمن انتهت مدة توقيفهم المقررة .

٢ ـ السماح بادخال الكتب والجرائد والمجلات لهم .

٣ ــ تقديم من وجهت اليهم اية تهمة للمحاكمة ».

ويذكر انه قد اعتصم الى جانب النساءالعربيات عدد من النسوة الاسرائيليات من حركة النساء الديمقراطيات الاسرائيليات ، للاعراب عن تأييدهن لمطالب الامهات الفلسطينيات باطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين وعدم تجديد توقيفهم ومعاملتهم معاملة حسنة . وجاء في البيان الذي اصدرته حركة النساء الديمقراطيات الاسرائيليات الذي اصدرته بهذه المناسبة . « ان اعتقال الانسان بدون سبب وعدم تقديمه للمحاكمة خرق للحقوق الانسانية . وان ما تعانيه العائلات الفلسطينية من ظلم ومعاناة بسبب اعتقال رب العائلة امر جعلنا نشارك الامهات والعائلات الفلسطينية المصابة احتجاجا ضد الاعتقال بدون سبب وبدون تهمة » (الشعب ١٩٧٥/١/١٦) .

ورفعت امهات وذوو المعتقلين السياسيين مذكرة اخرى الى الحاكم العسكري العام في الضفة الغربية ، سلمت نسخة منها الى الصليب الاحمر الدولي . وجاء في المذكرة ان السلطات الاسرائيلية توقف العديد من الشبان توقيفا اداريا ودون بيانات او تهم مثبتة ، كما تجدد للكثيرين مدة السجن بعد انقضاء مدة الحكم عليهم ، بالاضافة الى ابعادهم. وقالت المذكرة ان المعتقلين في السجون الاسرائيلية يفتقرون الى العناية الطبية والتدفئة الكافية . وجاء في ختام المذكرة : « نحن الممثلات للمرأة العربية وللامهات وذوي المعتقلين السياسيين في الضفة الغربية وقطاع غزة نطالب باطلاق سراح المعتقلين السياسيين الاداريين وتخفيض الاحكام بصورة عامة عمن قضوا مددا طويلة في السجن وعدم تجديد سجن من أتموا مدة حكمهم والسماح باعادة المبعدين من أبناء البلاد الى وطنهم » . (الشعب ١٩٧٥/١/٢٠) .

غير ان بالرغم من كل هذه الاحتجاجات، اصدرت سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي قرارها يوم ٧٥/١/٢٠ ، بتجديد فترة الاعتقال الاداري مدة ستة اشهر اخرى للموقوفين الاداريين . وفيما يلي قائمة باسماء المعتقلين الاداريين الذين جددت احكامهم ، كما نشرتها صحيفة الشعب المقدسية يوم ١٩٧٥/١/٢١ :

نابلس : لبيب فخر الدين ، خلدون عبد الحق، عباس عبد الحق ، الدكتور فرحان ابو الليل ، عبد الباسط الخياط ،جمال فريتخ، خليل حجازي، احمد دحدول ، راجح غنيم ، بسام ابو عميره ، بسام الشخشير ، زهير عميره ، غانم ابو زنط ، عدنان الاثيري ، محمد بغدادي ، عبد الواحد القطناني وزهير جرار .

جنين : زياد حرز الله .

رام الله : سليمان النجاب ، تيسير العاروري ، غسان حرب ، عدنان داغر ، حسين الطويل ، صلاح زهران ، عادل برغوثي ، خضر العالم ابو فرحه ، عبد الله البعيرات البياع ، عبد الحميد عرفات ابو حمص .

القدس : فاروق السلفيتي ، يعقوب فراح ، محمد ابو غربية ، حسين ابو غربية ، عبد الكريم حمدان ، خليل كارلوس توما ، ابراهيم الجولاني، محمود ابو رميله ، طاهر الشلودي ، ربحي ابو شريف ، اسعد سنقرط وعبدالله السرياني .

بيت لحم والخليل : حسين حداد ، عطا الله الرشماوي ، خليل الرشماوي ، عبد المجيد حمدان ، داود مطر ، ابراهيم العابدي ، محمد سعادة ، مصطفى ابو سنينة .

قطاع غزة ، مجيد عاشور ، زويد العجة ، عياد العيادة .

تحريم العمل في « كريات اربع »

عقد في مدينة الخليل يوم ٧٥/٢/٣ اجتماع كبير ضم رؤساء البلديات والمجالس القروية في محافظة الخليل وممثلون عن مختلف فئات المواطنين في المحافظة . وترأس الاجتماع الشيخ محمد علي الجعبري رئيس البلدية . وقد تركزت مناقشات المجتمعين حول مستوطنة كريات اربع واتساع مساحتها والبناء فيها ، واستيلاء الاسرائيليين على اراضي اهالي الخليل ، وذلك بعد ان اقيم في المستوطنة مجلس بلدي بموافقة الحكومة الاسرائيلية اخذ بنزع ملكية الاراضي حول المستوطنة ووضع مخططات لتكريس الاستيطان وتطويره . كما ناقش المجتمعون مسألة انعقاد مؤتمر حزب حيروت الاسرائيلي على اراضي الخليل كريات اربع ــ وقرروا استنكار هذه الخطوة ، خاصة وان رئيس الدولة في اسرائيل قام بافتتاح مؤتمر الحزب بنفسه .

وعرض على المجتمعين مخططا صادرا عن ما يسمى بلجنة التنظيم اللوائية التابعة لقيادة الحكم العسكري في الضفة الغربية ، والقاضي بشق شارع رئيسي يربط منطقة « رأس الجورة » بمشارف المدينة الى مستوطنة كريات اربع ، بعرض اربعين مترا ، مما يلحق الاضرار الجسيمة بالاراضي والمباني الذي سيمر فيها هذا الشارع. وقد اتخذ المجتمعون عدة قرارات في نهاية الاجتماع ابرزها .

١ — احتجاج ابناء الخليل والمحافظة بمختلف فئاتهم على توسيع كريات أربع ومنحها صفة بلدية، وعلى عقد مؤتمر حزب حيروت فيها . وقال البيان الذي نشرته صحيفتا القدس والشعب الصادرتان يوم ٧٥/٢/٥ ، ان المجتمعين اعتبروا انعقاد هذا المؤتمر تحد صارخ للعرب المقيمين في منطقة الخليل. وانه زاد من استياء المواطنين وسخطهم حضور رئيس الدولة وعدد من الوزراء لهذا المؤتمر .

٢ — استنكار المؤتمر اقامة المستوطنات الاسرائيلية على الاراضي العربية وخاصة ما اقيم على طريق القدس بيت لحم وفي اراضي منطقة الخليل .

٣ — انتداب وفد من محافظة الخليل وغيرها لزيارة الدول العربية وشرح مشاكل وقضايا واحتياجات المواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة . وطلب تقديم الدعم المادي لتوفير الاحتياجات ومعالجة المشاكل من اجل البقاء والحفاظ على أرض الوطن .

ونقلت اذاعة اسرائيل في برنامجها باللغة العبرية ، ان اجتماع وجهاء الخليل هذا ، دعا عمال البناء العرب الذين يعملون في «كريات اربع» الى التوقف عن العمل في هذه المستوطنة . ويقول القرار ان العمل في « كريات اربع » يتناقض والدين ، وان « لعنة الله سوف تحل بكل من يخالف هذا القرار » . وقالت الاذاعة في معرض تعقيبها على هذا النبأ ، ان القرار الذي يقضي بمنع العمال العرب من العمل في كريات اربع ، وعددهم خمسمئة عامل عربي ، « قرار شاذ بالمقارنة مع باقي القرارات التي اتخذت في اجتماع الوجهاء امس . وفي البداية علم انه كان هناك اقتراح لتوجيه الدعوة الى جميع العمال في الضفة الغربية ، للتوقف عن العمل في اسرائيل ، ولكن هذا الاقتراح سقط . واكتفى الاجتماع بشجب وادنة العمال العرب الذين يعملون في كريات اربع » . واضافت الاذاعة في تعليقها « ان الهدف الكامن وراء هذا القرار مزدوج ومثلث . فمن الجانب الاول ظهر وجهاء الخليل على انهم قوميون عرب . ومن الجانب الثاني يخدم هذا القرار مصالح مدينة الخليل التي ترى في كريات اربع عدوة لها . ولهذا يجب ان نضيف عنصرا ثالثا ظهر في الفقرة التي تقول ان الخليل نفسها يمكنها استيعاب العمال العرب ، وان الخليل محتاجة للايدي العاملة » . (ر. أ. أ. عدد ٧٤٤، ٧٥/٢/٤) .

عيسى الشعيبي

(٣) اسرائيليات

[١]
زيارة الون الى واشنطن تمهد للمرحلة التالية من التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل

انتهت زيارة يغئال الون ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، الى واشنطن في الاسبوع الماضي بالاعلان عن نية زميله الاميركي كيسنجر في القدوم الى منطقة الشرق الاوسط ، خلال الشهر المقبل، لاجراء مشاورات بين بعض دول المنطقة ، وخاصة مصر واسرائيل ، حول موقفها من المرحلة التالية من التسوية وامكانات تحقيق تقدم ما في هذا المجال .

ومع الاعلان عن عزم الون القيام بتلك الزيارة، ثم اقتراب موعدها ، كثرت التكهنات في اسرائيل حول الغاية من وراء ذلك ، في حين اجمعت معظم الاراء على ان الهدف منها هو تقديم مقترحات جديدة للاميركيين ، لنقلها الى مصر ، خاصة بعد ان كانت مصر قد رفضت المقترحات السابقة التي كان الون قد قدمها اثناء زيارته الى واشنطن خلال الشهر الماضي . غير انه على الرغم من هذا الاجماع في الاراء والتعليقات ، عاد الون واكد ، عشية سفره الى اميركا ، في تصريح لمراسل الاذاعة الاسرائيلية انه لا يحمل معه « الى واشنطن اية مقترحات اضافة الى ما ذكرته امام مضيفي في واشنطن في كانون الاول [١٩٧٤] . واكثر من هذا فانني طلبت الى حكومتنا عدم تزويدي بأية صلاحيات جديدة . وحتى هذه اللحظة على الاقل لم نتلق بشكل رسمي معلومات عن موقف مصر بالنسبة للمقترحات الجوهرية » . واضاف الون « ان كل الانباء التي نشرت وتنشر منذ عدة ايام ... عن ان اسرائيل تتعهد بالانسحاب من اماكن معينة في سيناء ، او انني انقل معي موافقة كهذه ، اقول ان هذا كله هو من قبيل التكهنات » (راا ، ٧٥/١/٩) . وقبيل اجتماعه مع كيسنجر اكد الون ان « التقدم في المحادثات السياسية يتطلب وقتا » ، ذلك لان « العجلة من الشيطان » ، مؤكدا ان « هناك استعدادا اسرائيليا للتقدم على الصعيد السياسي ، وآمل ان يكون هناك استعداد مبدئي لدى مصر . واذا كانت الهوة لا تزال عميقة وواسعة ، فانني ... اذكر انه عندما بدأنا المحادثات للتوصل الى اتفاق فك التحام القوات ، كانت الهوة عميقة جدا ، ولكننا انجزنا المحادثات بنجاح » (المصدر نفسه ، ٧٥/١/١٥) . وحتى بعد انتهاء المحادثات ، عاد الون واعلن انه « كان من السابق لاوانه ... اجراء ايسة مناقشات ، وقد احيطت واشنطن علما بهذا الامر. وخلال التصويت في الحكومة اقر اقتراحي هذا بأغلبية الاصوات . لذلك فان كل الروايات والتكهنات حول ما قدمناه من تنازلات وما سنتنازل عنه ، لا اساس لها من الصحة مطلقا » . واضاف الون : « ان اسفي شديد لان عددا من زملائي [يقصد بعض الوزراء الاسرائيليين] ، يروجون الاشاعات التي قد تخلق بلبلة بين الجمهور في البلاد » (المصدر نفسه) .

اسرائيل لم تقدم اقتراحات جديدة

استنادا الى هذه التصريحات والى تعليقات البعض (حفاى ايشد ـ دافار ، ٧٥/١/٨) يبدو ان الون « لم يأخذ معه الى الاجتماع مع كيسنجر أية قرارات اسرائيلية جديدة» وانما اكتفى بالبحث معه « مرة اخرى في المقترحات القائمة ، التي قدمت خلال زيارته السابقة ، وتوضيح معاني ومركبات كل واحد من تلك المقترحات والتأكيد مجددا حول تلك التي لا تستطيع اسرائيل التنازل عنها بأي حال من الاحوال » . وكانت اسرائيل قد اعلنت ، بحسب تلك المقترحات ، عن استعدادها « للانسحاب مسافة ٣٠ ـ ٥٠ كم [في سيناء] ، دون تعيين خط [الانسحاب] بالضبط ... وبدون ان يضم ذلك ممري المتلا والجدي وآبار النفط في ابو رديس . وتطالب اسرائيل بان يبقى الاتفاق نافذ المفعول لعدة سنوات وان يتعهد المصريون بالامتناع عن الحرب السياسية والاقتصادية خلال فترة الاتفاق ـ

بالاضافة ، بالطبع ، الى ايقاف الحرب العسكرية وتأمين نزع السلاح من المناطق التي تنسحب منها اسرائيل والمراقبة على ذلك . اما بشأن تجديد الملاحة في قناة السويس ، فان اسرائيل تتوقع تنفيذ الالتزام المصري الذي اعطي ضمن اطار اتفاقية فصل القوات السابقة ، بشأن حرية المرور للبضائع الاسرائيلية وهي تضيف الان على ذلك طلبا بشأن السماح للملاحين الاسرائيليين بالعمل في السفن الاجنبية [التي تمر في القناة] » (المصدر نفسه) .

غير انه على الرغم من هذا ، وكذلك على الرغم من تصريحات الون في الكنيست ايضا « ان الحكومة لم تعالج حتى الان ، وفي كل المحادثات التي اجريناها ، مسألة تقديم الخرائط او رسم خطوط الانسحاب » ، وان احدا لم يتحدث ابدا عن الانسحاب « الى خط ناحال يام — ابو زنيمه او الى اي خط اخر » (معاريف ، ٧٥/١/٩) ، يبدو ان هناك اماكن معينة ينبغي على اسرائيل الانسحاب منها ، بحيث ستضطر الى « الاختيار بين التنازل عن ابو رديس او التنازل عن ممري المتلا والجدي . ويبدو ان الحكومة ستفضل التنازل عن ابو رديس — شرط ان يتعهد الاميركيون بتأمين تزويدنا بالنفط » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٧) . وذكر في هذا الصدد ان احد اهداف زيارة الشاه الى مصر هو استطلاع رأي السلطات المصرية بشأن استعداد ايران لتزويد اسرائيل بالنفط ، اذا ما انسحبت من ابو رديس ، وذلك بناء على طلب الاميركيين (ا . شفايتسر — هآرتس ، ٧٥/١/٣ وشموئيل سيجف — معاريف ، ٧٥/١/٣) ، بينما طالب احد المعلقين مصر بعقد اتفاقية نفط مع اسرائيل عند انسحابها من ابو رديس كخطوة على طريق انهاء حالة الحرب بين البلدين وللتدليل على حسن النية (حفاي ايشد — دافار ، ٧٥/١/١٠) ، في حين اضاف اخر ان الانسحاب من ابو رديس او من الممرات ، او من كليهما سوية سيعرض مصالح اسرائيل للخطر ويلقي عليها اعباء اضافية (زئيف شيف — هآرتس ، ٧٥/١/٣). فالانسحاب من ابو رديس سيزيد من تعلق اسرائيل بالولايات المتحدة لتأمين تزويدها بالنفط ، ويمكن العرب من توجيه ضغوط اقوى على دول الخليج العربي ، كايران مثلا ، التي تبيع النفط لاسرائيل، ثم ادخال قوات مصرية كبيرة الى منطقة خليج السويس ، للدفاع عن منطقة النفط ، مما سيشكل خطرا على الوجود الاسرائيلي في شرم الشيخ . أما الانسحاب من ممري المتلا والجدي فسيزيد طول خطوط الدفاع الاسرائيلية في سيناء بحوالي الضعفين من ناحية ويمكن مصر ، من ناحية ثانية، من اقامة جهاز دفاع حقيقي عن قناة السويس من الشرق (المصدر نفسه) .

خلافات داخل الحكومة الاسرائيلية

تشير معظم المصادر الاسرائيلية ، كما ذكرنا ، الى ان المقترحات التي قدمها الون الى الاميركيين لنقلها الى مصر بشأن موقف اسرائيل من المرحلة الثانية من التسوية لم تبحث في جلسات الحكومة الاسرائيلية ، التي لم تتخذ اية قرارات واضحة بشأنها . « فهذه المرة ايضا ، وكما حدث قبل زيارات الون السابقة الى واشنطن ، لم تتخذ الحكومة قرارات معينة ولم يطلب من وزير الخارجية تقديمها للحكومة الاميركية . ان كل النقاط التي عرضها الون كانت ثمرة تفاهم تم الوصول اليه في مجموعة مقلصة ، تضم عادة [رئيس الحكومة] رابين ، [والوزراء] الون، شمعون بيريس ، حاييم تسادوك ويسرائيل غليلي. وقد سمعت الحكومة بهذه النقاط لاول مرة بعد رجوع الون ، وعندئذ فقط وافقت عليها — ومع مفعول رجعي : لا بالتصويت ولا بعد بحث ونقاش عميقين وانما ، عمليا ، من خلال الموافقة على ما تم عمله » (مائي غولان — هآرتس ، ٧٥/١/١٠) .

غير انه يبدو ان هذه المجموعة التي تضع اسس السياسة الاسرائيلية ، غير متفقة فيما بينها على هذه الاسس . « ففي اثناء ذلك حدث شيء مثير للاهتمام في القدس . فقد نشب خلاف بين ثلاثي القمة السياسية في الحكم الاسرائيلي — اي يتسحاق رابين ويغئال الون وشمعون بيريس — حول المسألة الاساسية المتعلقة بالتوجه للمفاوضات على تسوية جزئية مع مصر . وما ظهر حتى قبل زمن غير بعيد وكأنه امر مفهوم تلقائيا ، اصبح موضوعا لخلاف حاد ومستحكم . وعلى طرفي المثلث الفكري يقف وزير الخارجية [الون]

ووزير الدفاع [بيريس] ، بينما يقف رئيس الحكومة [رابين] في الوسط » (المصدر نفسه ، ٧٥/١/٥) . اما جوهر هذه الخلافات فيتلخص في ان وزير الدفاع بيريس يعتقد ان اي انسحاب اسرائيلي في اية تسوية جزئية اخرى مع مصر سيتم ، في نهاية الامر ، دون مقابل تدفعه مصر لاسرائيل ولهذا فانه يميل ، تكتيكيا ، الى اتباع الموقف الروسي المنادي بعقد مؤتمر جنيف ، ولكن دون حضور منظمة التحرير الفلسطينية ، وبذلك تستطيع اسرائيل تأجيل اية خطوة على طريق التسوية والانسحاب من هذه المنطقة او تلك لاجل غير معلوم . اما « يغئال الون فلا يؤمن بهذه النظرية فقط وانما يبدو احيانا وكأنه علق مصيره بفكرة التسوية الجزئية . ومؤخرا قال حتى ما معناه : يقولون ان الولايات المتحدة تضغط من اجل التسوية الجزئية . سخافات ! انني اعلمك بانني انا الذي يضغط على الولايات المتحدة للسير في التسوية الجزئية . ولكي يؤكد اقواله هذه اضاف : ما دمت انا ، يغئال الون ، وزيرا للخارجية — لن يكون وضع راهن سياسي . ان فكرة الامر الواقع [يقصد الموقف الاسرائيلي بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣] قد افلست . وبالنسبة لالون ، الحديث عن مؤتمر جنيف هو وضع راهن — لان مشكلة م. ت. ف. وبصورة لا تقل عنها كثيرا: سوريا — ستنسف مقدما كل امكانية لاستئناف المؤتمر . اذا كانت في اسرائيل شخصية تبنت مواقف كيسنجر بشأن السلام على مراحل فانه ، دون شك ، يغئال الون » (المصدر نفسه) . اما رئيس الحكومة رابين فيبدو انه حائر بين الموقفين.

كذلك تطرق معلق اخر (يشعياهو بن — بورات — يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٣) الى الخلافات بين « الثلاثة الكبار » في اسرائيل ، مركزا على اراء شمعون بيريس ومواقفه والخيارات المفتوحة، بحسب رايه ، امام اسرائيل . ووفقا لذلك يعتقد بيريس ان هناك عدة امكانات للعمل امام اسرائيل حاليا ، اولها المطالبة بعقد مؤتمر جنيف والمماطلة هناك ، ثانيها الوصول الى « اتفاق صغير » مع مصر يكون بمثابة اتفاق فصل قوات جديد ، وثالثها الوصول الى « اتفاق كبير » مع مصر يكون نافذ المفعول وقتا غير قصير ويصبح بمثابة مقدمة لسلام دائم بين البلدين . اما رابع هذه الخيارات فهو الاعتماد على قوة اسرائيل العسكرية في المحافظة على الوضع الراهن والابقاء عليه لصالحها ، خاصة وانه ليس هناك ما يخشى من رجوع مصر الى « دائرة النفوذ السوفييتي » .

نتائج الزيارة : « تفاهم اسرائيلي — اميركي »

على الرغم من الخلافات التي اشرنا لها ، والتي يبدو ان شيئا منها وصل الى مسامع المسؤولين الاميركيين وحملهم على زيادة ضغوطهم على اسرائيل (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/١/١٧) ، بعد ان اشترك الرئيس فورد نفسه في ذلك عندما استدعى الون لمقابلته ، اعلنت اسرائيل رسميا ان تفاهما قد تم بينها وبين الولايات المتحدة بشأن الخطوات القادمة نحو التسوية ، وان الهدف من قدوم كيسنجر الى المنطقة في الشهر القادم هو السعي الى تنفيذ المرحلة التالية من التسوية استنادا الى ذلك التفاهم . « وكما ظهرت الامور من الناحية الاسرائيلية (والاميركية الرسمية) استطاع الون الوصول الى تفاهم على خطوط عريضة مع الادارة [الاميركية] . ان هذا التفاهم لا يخلو من خلافات في الرأى بين القدس وواشنطن حول تقييم التطورات في الشرق الاوسط ، ولكن رغم اهمية هذا الخلاف فانه ليس مصيريا . وكان الرأي الذي اعرب عنه الاسرائيليون هو ان مصر تستطيع البدء في المفاوضات حتى في الظروف الراهنة...وبحسب تقدير اسرائيلي استطاع الون الوصول الى تفاهم واسع مع الولايات المتحدة ، يمكن الدولتين من الدخول في المفاوضات المقبلة ، من خلال تفاهم كبير بينهما .

« واذا صح هذا التقدير ، واذا اتضح ان الامر تم دون تنازلات اضافية ودون ضغوط كبيرة (كما يدعي الون) فان هذا انجاز كبير للسياسة الاسرائيلية . وبامكاننا حتى اعتبار ذلك انجازا ، حتى اذا اخذنا بالحسبان مجموعة من العوامل الاضافية المتعلقة بقنوات اخرى :

* ان مصر تهدف الى اتفاق قصير الامد . واما واشنطن فتفسر لاسرائيل ... بان هذه الاتفاقية يمكن ان تمتد عمليا حتى بعد انتخابات الرئاسة في ١٩٧٦ . ولكن مصر لن تلتزم بذلك رسميا .

* لا يطلب من اسرائيل الالتزام رسميا

[باجراء] مفاوضات اخرى مع سوريا ، ولكنها تدرك ان دور دمشق سيأتي مباشرة بعد دور القاهرة . وهذا ما اوضح لالون اثناء محادثاته في واشنطن .

* استنادا الى تقدير الموقف الاستراتيجي — السياسي ، الذي سمعه الون في واشنطن ، يبدو ان الولايات المتحدة تعتقد بان على القدس ان تكون اكثر نشاطا ومبادرة ... بينما يعتقد الون ان ما تقدمه اسرائيل يستجيب للوضع . وهناك خلاف حول هذه النقطة ، ولكنه نفساني اكثر من كونه عمليا ... » (دان مرغليت — مراسل هآرتس في الولايات المتحدة، ٧٥/١/١٩).

غير ان هناك ، من ناحية ثانية ، مصادر اخرى تعتقد بان هذا « التفاهم » الاسرائيلي — الاميركي لم يتم صدفة ، وانما جاء نتيجة للضغوط التي وجهها وزير الخارجية الاميركي ، خاصة « وان كيسنجر لا يرى اي حرج في الضغط على اسرائيل، لانه يؤمن بصدق سياسته » (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/١/١٧) . « وفي هذه المرحلة يسعى للوصول الى تسوية مع مصر بأسرع ما يمكن ، فلوزير الخارجية الاميركي « ثقة كبيرة بالسادات » ... وحقيقة ان السادات لا يزال يظهر كمتصلب ويعلن بانه لن يوافق على تمديد عمل قوات الامم المتحدة في سيناء بدون ان تنسحب اسرائيل « على الجبهات الثلاث — سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية — لا تردع الدكتور كيسنجر ... الذي يعتقد ايضا انه لن تكون تسوية بدون انسحاب اسرائيلي نحو حدود ١٩٦٧ » . ولهذا يسعى كيسنجر حاليا الى تأمين انسحاب اسرائيلي في سيناء ، بينما يتحدث فورد عن « الضمانات » التي ستمنح لاسرائيل في مثل هذه الحالة ، واما « رابين فيسعى الى اخراج الحوار مع واشنطن الى مجال اكثر اتساعا : لان الحديث يدور اليوم عن تسوية مع مصر ، وغدا — مع سوريا ، وبعد غد — مع م.ت.ف. » (المصدر نفسه) .

محاسن الاتفاق مع مصر لوحدها ...

تحظى امكانية الوصول الى اتفاق اخر بشأن تسوية جزئية بين اسرائيل ومصر باهتمام بالغ من قبل معظم المعلقين الاسرائيليين ، الذين يبدو ان معظمهم يحبذ الوصول الى اتفاق ما ، ومع مصر قبل غيرها ، بينما يحذر اخرون من مغبة مثل هذا الموقف . وتؤيد الاكثرية تقديم تنازلات معينة لمصر ، رغم ان هناك من يدعو الى عكس ذلك، لان « الخط المتطرف الذي اتخذ في مؤتمر [الرباط]، لم يفرض على مصر وانما السادات هو الذي خططه وبادر اليه . ان رئيس مصر يستغل خط الرباط المتطرف والاعتراف الشامل بـ — م.ت.ف. ممثلا وحيدا للفلسطينيين ، كورقة للمساومة مع الولايات المتحدة ، وبطريق غير مباشر مع اسرائيل . ان الادعاءات المتطرفة التي تقدمت بها مصر خلال الاسابيع الاخيرة ، ابتداء من طلب ايقاف الهجرة وانتهاء بالاعتراف بـ — م.ت.ف. وانسحابا اخر في هضبة الجولان ، تمنح مصر « خيارات » للتنازل عن ادعاءات مقابل تنازل اسرائيلي حقيقي وجغرافي — ملموس » (موشي زاك — معاريف ، ٧٥/١/٥) .

غير أن الاغلبية تعتقد ، كما أشرنا ، انه لا مناص من الوصول ، في ضوء الاوضاع الراهنة، الى اتفاق اخر مع مصر ، وان لهذا الاتفاق محاسنه ايضا ، « خاصة وان مصر لم تلتزم بأي شكل ، بربط اتفاق كهذا مع اتفاق مواز اسرائيلي — سوري ، او مع تنازلات من قبل اسرائيل لصالح م.ت.ف. ففي المؤتمر الرباعي الذي عقد في القاهرة بين مصر وسوريا والاردن و م.ت.ف. حافظت مصر على سكوتها من هذه الناحية . ومن الملاحظات التي تحتوي عليها مقابلة ياسر عرفات مع الصحيفة الفرنسية « لوموند » يمكن ان نستنتج مدى الاستياء الذي اثاره هذا الموقف لدى الفلسطينيين » (اريئيل فيناى — يديعوت احرونوت، ٧٥/١/١٠) . وبالاضافة الى ذلك ، « فان الاميركيين يعتقدون ان رفض السوفييت استئناف شحن الاسلحة للقاهرة من جهة ووضع مصر الاقتصادي من جهة اخرى ، يقدمان الان مناسبة فريدة من نوعها للوصول معها الى اتفاقية جزئية اخرى وهذه ، بحسب رأيهم مناسبة لا يجوز لاسرائيل تفويتها . وبالاضافة الى ذلك فانهم يعتبرون تدخل شاه ايران في المنطقة ظاهرة ايجابية ، لانه قد يساعد مصر على ترميم مدن قناة السويس وتطويرها ، وهو مما سيساهم بالطبع ، في جو المصالحة الذي يسود المنطقة .

كذلك فان الاستعداد الذي ابداه الشاه ... لتزويد اسرائيل بحاجتها من النفط ، اذا وافقت على الانسحاب من ابو رديس ، يشجع الاميركيين » (المصدر نفسه ، ٧٥/١/١٢) . كذلك تحدث اخر عن « الاشارات الايجابية » التي تصدر عن مصر ، والواضحة حتى « لمن لا يريد ان يقع في الاوهام بشأن استعداد الحكومات العربية لعقد سلام مع اسرائيل » والذي ، بالرغم من ذلك ، « لا يستطيع ان يتجاهل اشارات القاهرة الاخيرة » التي تعبر عنها تصريحات الزعماء المصريين بشأن استعدادهم للوصول الى تسوية جزئية اخرى مع اسرائيل ، خاصة اذا فسرت هذه الاشارات في ضوء اوضاع مصر الاقتصادية وموقف السوفييت منها ثم موقفها في مؤتمر دول المواجهة (بهوشواع تدمور — داغار ، ٧٥/١/١٣) .

... ومساوئه

غير ان هناك ايضا من يدعو الى عكس هذه المواقف ويحذر من نتائج الوصول الى اتفاق مع مصر من خلال تجاهل سوريا بالذات او يعرب عن رأيه بعدم امكان الوصول الى مثل هذا الاتفاق . ويقف على رأس اولئك بروفيسور موشي ماعوز ، الاستاذ في معهد شيلواح بجامعة تل ابيب ، واحد المتخصصين في الشؤون السورية . وفي معاريف (٧٥/١/٣) كتب ماعوز ، معبرا عن رأيه ذلك بقوله : « ان موقف القيادة السورية العنيد ضد اسرائيل خلال حرب [١٩٧٣] وبعدها زاد من نفوذها في الداخل والخارج ومنح رئيس سوريا حافظ الاسد مركز زعيم كبير في العالم العربي ، مثل السادات وفيصل وبومدين . ان هذا المركز والقوة العسكرية المتصاعدة والتأييد السوفييتي المكثف ، العسكري والسياسي ، قد رفعت سوريا بعد حرب تشرين ١٩٧٣ الى درجة عامل لا يمكن تجاهل مواقفه على الصعيد العربي أو تحييده بسهولة . وبكلمات اخرى ، هناك اتجاه لزيادة تأثير دمشق على العلاقات العربية ، وخاصة في مجال الصراع مع اسرائيل . فمن جهة ، قل الى حد ما تعلق [سوريا] بالقاهرة او اهتمامها بها ، ومن جهة اخرى زاد مجال مناورتها بين القاهرة وباقي العواصم العربية ، لانه عدا عن قدرة [سوريا] في الوقوف على رأس « جبهة الرفض » (مع العراق وليبيا ومنظمات التخريب المتطرفة) وتحطيم اية تحركات سياسية في المنطقة ، تستطيع دمشق تجنيد تأييد معظم الجهات العربية المهمة ، كالجزائر و — م.ت.ف. وحتى السعودية كي تحول التحرك السياسي في الاتجاه المناسب لها » .

ويضيف ماعوز : « في مؤتمر الرباط في نهاية تشرين الاول ١٩٧٤ نجحت سوريا في التشويش على محاولة الوصول الى « تسوية اميركية » بين مصر واسرائيل وبين الاردن واسرائيل . وكذلك تسببت في تقوية التعهد المصري بالامتناع عن تسوية سياسية منفصلة مع اسرائيل ، لا تضم ايضا انسحابا اسرائيليا اخر في هضبة الجولان ، وجعلت م.ت.ف. — من خلال ابعاد الاردن — المذعية الوحيدة للمناطق في ارض اسرائيل او فلسطين الغربية . وبهذه الطريقة تسببت سوريا في تقليص امكانات التسوية السياسية في المنطقة ، مع انها لم تسد الطريق ، كما يبدو ، امام تسوية سياسية عربية — اسرائيلية ، شرط ان يتم الحصول عليها او تملي من قبل العرب بشكل جماعي ، وتستجيب لطلبات سوريا بشأن ارجاع هضبة الجولان واقامة دولة فلسطينية تحت حكم م.ت.ف. » (المصدر نفسه) . ولهذا يعتقد ماعوز انه سيكون من الصعب الوصول الى اتفاق مصري — اسرائيلي من خلال تجاهل سوريا ، التي قد تضطر لشن حرب لوحدها .

كذلك اعرب معلق اخر عن رأيه « بان مصر يجب ان تقتنع ، قبل ان توقع على اتفاق منفرد [مع اسرائيل] ، ان مفاوضات مماثلة ستجري مع سوريا . وينبغي اقناع السادات ايضا بأن اسرائيل ستكون على استعداد للاقتراح على دمشق تنازلا اقليميا ما ، مقابل تنازلات سياسية ... كذلك من غير الممكن ايضا تجاهل القضية الفلسطينية . ومن الممكن الا تكون مصر وسوريا على استعداد للتوقيع على سلام قبل « اعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » — تلك الصيغة « المقدسة » — حتى وان لم يكن بامكاننا القول بثقة كاملة بانهما لن تعتبرا نفسيهما مضطرتين لخوض الحرب بسبب ذلك » (اريئيل فيناى — يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٣) .

الاتفاق قريب ؟

يتضح من معظم التعليقات الاسرائيلية على نتائج زيارة الون الى واشنطن ان الاتفاق حول المرحلة التالية من التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل قريب ، وان مهمة الدكتور كيسنجر ، في زيارته للمنطقة في شباط ، ستكون مساعدة الطرفين على توقيعه . « لقد سارت اسرائيل ، وكما يبدو مصر ايضا ، على الطريق المؤدية الى تسوية جزئية اخرى بينهما ، تحت رعاية الولايات المتحدة . ان اطار هذا الاتفاق ، لا تفاصيله ، معروف من الماضي : يتم انسحاب اسرائيلي ذو مغزى ، بصورة او بأخرى ، من سيناء ، ويكون اتفاق ضمني بان شيئا مماثلا لهذا يتم ايضا في الجولان ، ويعطى تعهد مصري ، جزء منه لاسرائيل وجزء اخر بطريق غير مباشرة للولايات المتحدة بشأن تخفيف الاستعدادات الحربية . واذا اضيف لهذا التعهد تصريح سياسي مصري او لم يتم ذلك ، فان هذه مسألة ذات اهمية رمزية لا عملية (رغم انها ليست عديمة الاهمية) : فكل تسوية اضافية هي موقف سياسي ... » (أ. شفايتسر — هآرتس ، ٧٥/١/١٧) . غير ان هناك من يرى في هذا الاتفاق مرحلة فقط على طريق الضغوط التي توجه الى اسرائيل ، لحملها على الانسحاب من مناطق اخرى في المستقبل القريب ، « فالنقاش حول ممري المتلا والجدي او حقول النفط ليس الا اهتماما بموضوع مؤقت . اننا نتحدث عن المتلا والجدي ولكن حتى الان لم نقرر لانفسنا ما هو الحد النهائي والخط الاخير الذي نريد ان نراه في سيناء ... وليحدث ما يحدث بشأن الممرات وحقول النفط ، لن تمر بالطبع اشهر كثيرة الا ويبدأ الضغط لانسحاب اخر ، ومرة اخرى ستتهم اسرائيل بانها تعرض سلام العالم للخطر بسبب بضعة كيلو مترات » (زئيف شيف — هآرتس ، ٧٥/١/٣) .

ومهما يكن من امر المرحلة التالية من التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل ، يعتقد البعض (ا. شفايتسر — هآرتس ، ٧٥/١/١٧) انه « بالرغم من كل الانفعالات ... التي ستكون من نصيب سكان المنطقة بسبب التطورات التي ينبغي ان تحمل اسرائيل ومصر على الوصول الى اتفاق اخر بينهما ، لا هذه ولا التتمة (ان حدث ذلك) على الصعيد السوري — الاسرائيلي ، هي التي ستقرر شكل المستقبل في الشرق الاوسط . ان الامتحان الكبير سيكون في الصراع بين الدول الصناعية في الغرب ، بزعامة الولايات المتحدة ، وبين ملوك النفط : وبحسب نتائجه سيقوم النظام الجديد في الشرق الاوسط » .

صبري جريس

[٢]

تشاؤم في اسرائيل من نجاح محاولات التسوية الجزئية وازدياد المطالبة بعقد مؤتمر جنيف

تغيرت خلال الاسبوعين الاخيرين اللهجة المتفائلة التي ميزت تصريحات المسؤولين في اسرائيل ، او تحليلات المعلقين هناك حول امكانية الوصول الى تسوية جزئية اخرى بين مصر واسرائيل ، وهو التفاؤل الذي وصل الى قمته في منتصف الشهر الماضي ، مع زيارة يغئال الون ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، للولايات المتحدة واجتماعه بالمسؤولين الاميركيين هناك ، تمهيدا لمفاوضات حول مرحلة اخرى من التسوية الجزئية ، وحلت بدلا منها نغمة اخرى متشائمة تشكك في قدرة وزير الخارجية الاميركي كيسنجر ، مع اقتراب زيارته للمنطقة ، على تحقيق اتفاق ما بين مصر واسرائيل . وكان سبب هذا التفاؤل اعتقاد العديد من الاسرائيليين ان اسرائيل قد قدمت لمصر اقتراحات بشأن انسحاب اسرائيلي مسافة ٣٠ — ٥٠ كم من سيناء، والتنازل عن ممري المتلا والجدي ومنابع البترول

في ابو رديس ، او عن اي منهما ، لقاء تقديم مصر « مقابلا سياسيا ما » يحتوي على « فترة هدوء معينة». وان مصر قد وافقت مبدئيا على قبول هذا الاقتراح ، وبالتالي وافقت ضمنا على قبـــول تسوية جزئية منفردة مع اسرائيل ، دون أن تربط ذلك بانسحاب اسرائيلي ممائل على الجبهـات الاخرى ، وانه لم يبق لوزير الخارجية الاميركي الا الحضور الى المنطقة لاضافة بعض الرتوش على هذا الاتفاق وحمل الطرفين على توقيعه . غير انه اتضح للاسرائيليين ، كمـا يبدو ، ان الموقـف المصري على غير ما توقعوه ، خـاصة بعد ان أعلنت مصر انها تصر على اعتبار اي اتفـــاق انسحاب قد يتم التوصل اليه « اتفاقا عسكريا » فقط ، وان موافقتها علـى مثل هذا الاتفـاق مرهونة بانسحاب اسرائيلي على الجبهات الاخرى، وان تم هذا الانسحاب في وقت لاحق ، وهو الموقف الذي نقله الاميركيون ، على ما يظهر ، رسميا الى اسرائيل . ويبدو ان هذا الوضـــع قـد دفـع الاسرائيليين الى اعادة النظر في مواقفهم، ليكتشفوا ان فشل المحادثات حول المرحلة المقبلة من التسوية الجزئية لا يتعلق بموقف مصر فقط ، بل يعود الى موقف حكومتهم ايضا ، التي لم تبلور حتى الان موقفها من مثل تلك التسوية ، ولم تحسم الخلافات بين الوزراء ، والكتل داخلها .

الخلافات داخل الحكومة الاسرائيلية تزداد حدة

بـدأ الحديث عـن خلافـات داخل الحكومة الاسرائيلية تتعلق بمواقف الوزراء المختلفة ، ثم الكتل التي تشكل الاحزاب الرئيسية في الائتـلاف الحكومي ، من تسوية الصراع في المنطقة قبـل نحو شهر ، مع بداية بحث الخطوات العملية في المرحلة التالية من التسوية المقترحة مع مصر . وتركز الحديث ، بشكل مباشر ، حـول مواقـف « الثلاثة الكبار » في الحكومة ، رئيس الحكومة يتسحاق رابين ووزير الخارجية يغئال الون ووزير الدفاع شمعون بيريس ، خاصة وان هؤلاء الثلاثة يمثلون الكتل الثلاث (مبـاي واحدوت هعفوداه ورافي) التي تشكل حزب العمل ، وهو الحـزب الذي يقود الائتلاف الحكومي ، وبالتالي فان اي خلاف بينهم حول التسوية السياسية ، او غيرها من الامور المهمة ، سيؤدي الى سقوط الحكومة او سيمنعها ، على الاقل ، من اتخاذ قـرارات حاسمة ، ان ارادت الحفاظ على وجودها . وقد عاد احد المعلقين (يوسف حاريف ــ معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٤) واوضح ، مرة اخرى ، الاختلاف في وجهات النظر بين الزعماء الثلاثة بشأن التسوية الجزئية مع مصر بقوله « ان رئيس الحكومة لا يحبذ تسليم الممرات [المتلا والجدي] ولا ابو رديس [الى مصر] حتى ضمن اطار اتفـاق لخمس سنوات [تتعهد مصر خلالها بعدم المطالبة بانسحاب اسرائيلي اخر] . وعلى الاكثر ، سيكون على استعداد للتنازل عن ابو رديس (بعد اتفاقية واضحة مع الولايات المتحدة بتأمين تزويد اسرائيل بالنفط بشكل منظم ، ايام السلم والحرب) » . أما « وزير الخارجية فهو أيضا ، كما يبدو ، يحمل الرأي نفسه ، وعلى أية حال لا يحبذ الموافقـة على تسوية لفترة قصيرة (وقد تحدث عن ذلـك بالتفصيل في واشنطن موضحا ان سنتين ، مثلا ، لا تكفيان اسرائيل) » ، بينما يحمل وزير الدفاع بيريس رأيا اخر لا يتفق مع هذه الاراء ، حيث انه « يشجب بشـدة تسليم الممرات وابو رديس ، او أي منهما في اطار اتفاقية محدودة ، و« الاتفاقيـة المحدودة » هذه تعني ايضا تسوية لخمس سنوات. وبحسب رأيه يجب أن يكون واضحـا لمصر أن التسوية المقبلة ينبغي ان تكون تقدما نحو السلام عن معرفة كاملة . ويمكن ... تسليم الممرات وابو رديس لمصر ضمن اتفاق عريض فقط ــ اي اتفاق لعشر سنوات ، يشمل حل المشاكل على أساس نوع السلاح في سيناء ، الاتفاق علـى مراحـل السلام ، وحتى على مشاريع لاجل السلام ، مثل الجسور المفتوحة . والاساس ان التسوية ينبغي ان تكون بين اسرائيل ومصر وليس بين اسرائيل والولايات المتحدة . وهذا يعني ان التسوية ينبغي أن تكون سياسية ، بمركباتها وطابعها . وبدون مقابل سياسي ... ملزمة اسرائيل بابداء التصلب في المجال الاقليمي » (المصدر نفسه) . وقد أكد بيريس هذه الاراء المنسوبة له في تصريحات عديدة ادلى بها في مناسبات مختلفة ، ونقلتها عنه اذاعة اسرائيل (رأ ، ٢١ و٢٥ و٢٦ و١٩٧٥/١/٢٨) وصحفها (دافار ، ١٩٧٥/١/٢١) .

كذلك تطرق معلق اخر (ماتي غولان ــ رأ ، ١٩٧٥/١/٢٦) الى الخلافات في وجهات النظر بين رئيس حكومة اسرائيل ووزيري خارجيتها ودفاعها

بقوله « ان الثلاثي رابين والون وبيريس ، حريص جدا على الحفاظ على علاقات صحيحة ومنطقية ، لذا فهم يجهدون ، كلما اجتمعوا سويا ، ان ينفوا اي خبر عن خلاف بينهم » ، ولكن « عندما يكون كل واحد منهم على حدة ، وندقق بتصريحات كل منهم ، نكتشف ان هناك خلافات » . ويبدو أن الخلاف الذي أشرنا له في وجهات النظر ينطبق ايضا على باقي الوزراء الاسرائيليين، « فرئيس الحكومة ووزير الخارجية والوزير تسادوك [وزير العدل] ... يتحدثون على موجة واحدة . وكان رئيس الحكومة هو الذي ارسى في الواقع سياسة الوصول الى السلام على مراحل ، والذي يجسد رأيه الان هو وزير الخارجية ... وحتى الان على الاقل لم تنشب خلافات بين رئيس الحكومة ووزير الخارجية في أية هيئة رسمية » (آرييه تسيموكي — المصدر نفسه) . وتحظى هذه الكتلة ايضا بتأييد « وزراء مبام » و« حمامة » حزب العمل ، وزير الاسكان ابراهام عوفر (اوري دان — معاريف، ١٩٧٥/١/٢١) ، بينما تحظى وجهة نظر بيريس بتأييد زميله في كتلة رافي ، وزير المواصلات جاد يعقوبي ، ووزيري الاديان والداخلية ، يتسحاق رفائيل ويوسف بورغ من الحزب الديني القومي ووزير الصرطة ، شلومو هيلل (رأ ، ٢٤ و٢٦ /١/١٩٧٥ واوري دان — معاريف ، ٢١/١/ ١٩٧٥) .

« الون تجاوز صلاحياته »

في ضوء هذه الخلافات في وجهات النظر داخل الحكومة الاسرائيلية ، تعرض الون لدى عودته من زيارته الى الولايات المتحدة لانتقادات من جهات عديدة ، خاصة بعد ان أعلن ان كيسنجر ينوي القدوم الى المنطقة بناء على دعوة الون له، وانه سيبدأ زيارته في اسرائيل ، مما دفع البعض الى تفسير هذه الخطوة وكأنها محاولة من كيسنجر للحصول على تنازلات معينة من اسرائيل قبل التوجه الى الدول العربية المجاورة ، وذلك بحملها على البدء بتقديم التنازلات من جهتها ، وهو الوضع الذي لا تريده . وقد وجه بعضهم الانتقاد الى الون لا لدعوته وزير الخارجية الاميركي لزيارة المنطقة فقط ، وانما لانه هو الذي « ادخل في عقل كيسنجر » فكرة انسحاب اسرائيل مسافة « ٣٠ — ٥٠ كم » في سيناء ، وذلك دون أن توافق الحكومة الاسرائيلية على هذا الاقتراح ، او حتى تبحثه في احدى جلساتها ، في محاولة منه للاستعانة بكيسنجر لدعم موقفه (وموقف رابين ؟) من المرحلة التالية من التسوية مع مصر . وقد حاول الون الدفاع عن نفسه ، فأعلن ان محادثاته في واشنطن تناولت امورا اجرائية فقط ، تتعلق بكيفية ادارة المرحلة المقبلة من المفاوضات مع مصر ، ولم تتطرق الى جوهر التسوية المقترحة (يوسف حاريف — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٧) .

غير أن المصادر الاخرى أشارت من ناحية ثانية الى « ان بعض الوزراء الذين اشتركوا في النقاش [في الحكومة] طالبوا بأن يعرفوا ، رغم ذلك ، ماذا يختبىء وراء الانباء عن استعداد اسرائيل للانسحاب مسافة ٣٠ — ٥٠ كم في اطار اتفاق جزئي اخر » ، بينما تساءل البعض ان لم يكن ألون قد « تحدث ، بشكل ما ، عن التنازل عن اكثر مما اتفق عليه في الحكومة ؟ واشاروا الى اخبار كثيرة في الصحافة الاميركية والاسرائيلية تشير الى أن الون أبدى تفهما لضرورة الانسحاب من الممرات ، كذلك اراد بعض الوزراء ان يعرفوا ما يخبىء وراء دعوة كيسنجر لزيارة المنطقة من قبل الون بالذات » (اريه تسيموكي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/٢٧) ، رغم علمهم بأن « وزير الخارجية الاميركي مطلع جيدا على الفجوة الواسعة بين الموقفين الاسرائيلي والمصري»، والذي « كان ، دون شك ، سيمتنع عن الحضور الى المنطقة لو لم يكن واضحا ان زيارته ستسفر عن نتيجة » (المصدر نفسه ؛ ١٩٧٥/١/٢٤) . كذلك اشار اخرون الى « ان وزير الدفاع انتقد في [اجتماع الحكومة] ... الوزير الون ، مدعيا انه تجاوز قرارات الحكومة . وقال بيريس ان التجاوز وجد تعبيرا عنه في الاقتراحات التي قدمها [ألون] في زيارته السابقة الى واشنطن . كذلك ادعى [بيريس] ان الحكومة لم تقرر أبدا بشأن الاقتراحات بالانسحاب مسافة ٣٠ — ٥٠ كم ، واشتراك وحدات اميركية في قوات الامم المتحدة التي ستراقب [تنفيذ الاتفاق] . وأكد وزير الدفاع ان القرار الوحيد الذي اتخذته الحكومة بشأن التسوية الجزئية مع مصر هو القرار الذي ينص على انسحاب مقابل تسوية سياسية . وضمن اطار هذا القرار ذهب وزير

الخارجية بعيدا » (هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٠) . وأعلن في هذا الصدد ايضا ان الوزراء الاسرائيليين قاموا مؤخرا بزيارة لسيناء ، وتجولوا في المناطق التي يقال ان اسرائيل اقترحت الانسحاب منها ، للاطلاع عن كثب على الاوضاع في المنطقة (اوري دان — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢١) .

ازدياد الانتقادات الموجهة للحكومة

اضافة الى ما ذكرنا ازدادت ، من ناحية ثانية ، داخل اسرائيل حدة الانتقادات الموجهة للحكومة بسبب موقفها من التسوية مع مصر والحديث عن انسحاب اخر من سيناء . وكان اول اولئك المنتقدين ، واعنفهم ، العميد شارون ، الذي عين مؤخرا في منصب قيادي كبير في قوات الاحتياط الاسرائيلية ، عندما وصف الانسحاب الاسرائيلي المقترح من سيناء بانه « أحد المصائب الكبرى في تاريخ دولة اسرائيل » (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/٢٤) . واضاف شارون ، موضحا وجهة نظره بقوله « ان لاسرائيل اليوم حدودا برية مع مصر ، تمتد على مسافة ١٦٠ كم . وهذه حدود تبقي لدى اسرائيل امكانيتين ، حتى وان ادخلت مصر قوات عسكرية كبيرة الى سيناء ، وقد قامت بكل الاستعدادات لذلك : أ — الاحتفاظ بقوات عسكرية اكبر بقليل من تلك الموجودة هناك اليوم ، والانتظار لنرى كيف تتبلور الامور ، ب — ارجاع الوضع السابق الى ما كان عليه ، اي شن الحرب وقذف المصريين ثانية غرب قناة السويس » . ولكن اذا كانت لاسرائيل « حدود مع مصر ، تمتد من منطقة ناحال يام حتى شمال ابو رديس ... ، وهذا ما اقترحه الون على الاميركيين ، فستصبح حدود اسرائيل البرية مع مصر على امتداد ٤٠٠ كم تقريبا » ، وهو وضع سيجبر اسرائيل على شن الحرب ، « لاننا اذا اردنا المحافظة على حدود برية بهذا الطول ، سنضطر لتجنيد ... الجميع ، وايقاف الانتاج والتصدير والزراعة وكل شيء ... ولهذا سنضطر الى خوض الحرب لارجاع الوضع السابق الى ما كان عليه» . كذلك اضاف شارون «ان سلسلة الجبال ، التي اعتدنا على تسميتها الممرات ستضعنا — اذا أعيدت — في حالة صعبة ، حيث سيسيطر المصريون بسبب ارتفاع هذه الهضاب على مسافة عشرات الكيلومترات [داخل سيناء]» . كذلك فان الامر « الذي لا يقل خطورة [من ذلك] في هذا الانسحاب ان تم — لا سمح الله — هو ابتعادنا عن قناة السويس . اننا نشاهد اليوم ... تقوية سريعة لسفن الاسطول المصري في خليج السويس والبحر الاحمر . وهذا لم يحدث عندما كانت القناة مغلقة ، اما اليوم فان قناة السويس مفتوحة عمليا أمام السفن المصرية . ان بناء اسطول مصري في قناة السويس يشكل خطرا ملموسا على ايقاف الملاحة الاسرائيلية في خطوطنا البحرية الجنوبية . وان امكانية التهديد الاسرائيلي باغلاق قناة السويس مجددا ، هي فقط التي ستمنحنا الاداة اللازمة لمنع وضع كهذا . واذا انسحبنا مسافة اخرى من سيناء فاننا سنفقد السيطرة على البحر الاحمر » (المصدر نفسه) .

كذلك أعلن الدكتور تسفي دينشتاين ، مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية لشؤون النفط والطاقة ، عن معارضته لارجاع ابو رديس الى مصر دون شروط . « ان قيمة ابو رديس التي تزود اسرائيل بـ ٥٠ ٪ من احتياجات النفط لا تقدر بثمن ، وعلينا ان نأخذ هذا الامر بالاعتبار في اي تسوية . لا يمكن ان نتحدث عن ابو رديس دون فصل المشكلة عن جهاز حرب العرب الاقتصادية ضد اسرائيل ، المستمرة دون انقطاع منذ ٢٦ عاما . ينبغي ان تكون ابو رديس ، بحسب رأيي ، جزءا من تسوية تشير عمليا الى نهاية الحرب الاقتصادية ، وذلك بالاضافة للضمانات والتعهدات . لا يمكن ان ننسحب من ابو رديس لتصبح غدا ضحية للمقاطعة العربية ، التي تريد أن تمنع عنا استيراد الوقود» . (من مقابلة مع معاريف ، ٧٥/١/٢١) .

وكان بين المنتقدين ايضا موشي ديان ، الذي أعلن في مناسبات عديدة عن معارضته لانسحاب اسرائيلي من الممرات في سيناء دون انهاء حالة الحرب (راجع ، ٢٦ و٧٥/١/٣١ ؛ ودافار ، ٧٥/١/٣١) . كذلك انتقد ابا ايبن ، وزير خارجية اسرائيل السابق ، حكومة اسرائيل (في مقال له في هآرتس ، ٧٥/١/٢٤) لاصرارها على العمل ضمن تسويات جزئية منفردة فقط مع الدول العربية ، بدلا من السعي نحو تسوية شاملة ، ووصف فترة حكم رابين ، منذ حزيران ١٩٧٤ ، بانها « سبع شهور عجاف » .

تسوية شاملة ...

رغم الخلافات التي تسود الحكومة الاسرائيلية والانتقادات التي توجه لها بسبب موقفها من التسوية الجزئية ، ثم التشاؤم من امكانية نجاح المحادثات حول المرحلة المقبلة من التسوية بين اسرائيل ومصر ، ثم بين اسرائيل والدول العربية الاخرى ، هناك أيضا من يعربون عن تفاؤلهم واعتقادهم بأن الاتفاق قريب . ويعزو اولئك موقفهم هذا الى عدة عوامل ، منها « ان الجيش المصري ينقصه السلاح وهو غير مستعد للحرب » ، وان « نحو ٧٠٠ الف مواطن مصري ، وهم الذين كانوا حتى قبل وقت قصير لاجئين... في شوارع القاهرة ومدن مصرية عديدة اخرى قد أعيدوا الى منطقة قناة السويس لاعادة بناء مدنها » ، وان « شاه ايران وملك السعودية ينصحان السادات بالامتناع عن الحرب » . وعليه « ليقل الرئيس السادات ما يقول علنا ، فلا خيار لديه الا المفاوضات »، وهذا هو « سر تفاؤل يغئال الون والاميركيين» (فيليب بن — معاريف ، ٧٥/١/١٩). وأشار آخر ايضا الى ان موقف معظم الوزراء الاسرائيليين « يستند على الافتراض الاساسي بأن مصر معنية ايضا بتسوية » ، ولهذا يميلون الى تقديم « تنازلات اقليمية » لها لقناعة تعهدها ، الصريح أو الضمني ، « بالمحافظة على الهدوء » خلال بضع سنوات . « وفي اثناء ذلك ... ستضطر الحكومة الى معالجة المشكلة الاردنية — الفلسطينية المعقدة » . وقد اوضح لاسرائيل ، بطرق مباشرة وغير مباشرة ان الملك حسين معني بأن يكون طرفا في المفاوضات « في اللحظة المناسبة » . ولولا ذلك لتوقف عن دفع الرواتب في الضفة الغربية ولقطع علاقاته معها تماما » . وبعد « حل المشكلة الاردنية — الفلسطينية » ، سيكون بالامكان اقتراح « شيء ما » على سوريا ، « مقابل تسوية نهائية معينة » (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ٧٥/١/٢٠) .

غير انه على الرغم من ذلك ، هناك من لا يعتقد بنجاح هذه السياسة ويطالب باتباع سياسة المفاوضات المباشرة بدلا منها . « ان احسن الطرق لمنع الاخطاء وتوضيح النيات واصلاح التلفون المكسور ، هي لقاء بين اسرائيل ومصر وجها لوجه ، لا بديبلوماسية وزير الخارجية الاميركي النفاثة ، وانما بديبلوماسية الخيمة ، على غرار خيمة الكيلومتر ١٠١ . ان الدكتور هنري كيسنجر ، الذي أقنعنا في حينه بتحويل المحادثات من الخيمة في الكيلومتر ١٠١ الى جنيف ، ومن هناك الى طائرته النفاثة ، ملزم الان بأن يأخذ على عاتقه مهمة ارجاع المحادثات الى مكانها الاول ، الى نقطة الانطلاق التي تبلورت خلال الحرب ، حيث يستطيع الاطراف ان يوضحوا ايضا النيات والاهداف وليس بنود الاتفاق فقط ... علينا أن نطلب من الدكتور كيسنجر ارجاع عقارب الساعة الشرق اوسطية الى الوراء ، قبل ان يقوم بتحويلها الى زقاق جنيف ، وهو زقاق بدون مخرج » (موشي زاك — معاريف ، ٧٥/١/١٩) . كذلك اعرب معلق آخر من رأيه بأن«كل تقديرات حكومة رابين تحطمت مع بداية سنة ١٩٧٥ ، تماما كما حطمت حرب تشرين كل تقديرات حكومة غولده [مئير] ... وفي مثل هذا الوضع ، فان الحكومة ملزمة بتغيير سياستها والاعلان ، اولا ، ان عهد التسويات الجزئية قد انتهى والان يمكن البحث مع اسرائيل حول اتفاق سياسي وحل شامل فقط . وفي الوقت نفسه كان على الحكومة الاعلان عن انتخابات جديدة بكون جوهرها التسوية السياسية الشاملة . فهذه المشكلة أهم من مشكلة الضفة الغربية وحدها . كان على الحكومة ان تضع الخيارات امام الشعب على حقيقتها وتخوض الانتخابات بناء على ذلك ، ولكن الحكومة تنقصها الشجاعة لمجابهة هذه الحقيقة » (اوري دان — معاريف ، ٧٥/١/٢٠).

... أو مؤتمر جنيف

اضافة الى هذه الاراء التي تطالب بالعمل للتوصل الى تسوية شاملة ، تزداد أيضا المطالبة بعقد مؤتمر جنيف ، باعتباره اطارا لمثل تلك التسوية ، خاصة وانه من المفترض ان يعقد هذا المؤتمر حتى اذا نجحت المرحلة التالية من المفاوضات حول التسوية الجزئية بين اسرائيل ومصر ، مما يدفع البعض الى الاعراب عن اعتقادهم بأنه ربما يكون من الافضل لاسرائيل عقد هذا المؤتمر قبل ان تقوم بأي انسحاب آخر من المناطق المحتلة . فقد نقلت الصحيفة الهستدروتية شبه الرسمية دافار (٧٥/١/٢٦) خبرا لاحد مراسليها جاء فيه ان تغييرا قد طرأ « على موقف الحكومة بشأن عقد مؤتمر جنيف ، قبل التوقيع

على اتفاقية اخرى مع مصر ، وذلك بعد ان ظهر ان رئيس الحكومة يتسحاق رابين مثل الوزيرين شمعون بيريس ويغئال الون ، يميل الى الاعتقاد بأنه في الظروف الحالية لا ينبغي شجب هذه الامكانية » . ويضيف المراسل ان « بعض الوزراء ومخططي السياسة الاسرائيلية قد سئموا سماع التهديدات المصرية المبالغ بها بشأن الذهاب الى مؤتمر جنيف او عدم تجديد فترة عمل قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة او شن الحرب اذا لم تفعل اسرائيل هذا او ذاك . ان الجواب على هذه التهديدات المختلفة والغريبة الذي يعطى الان في القدس هو — «تفضلوا» ». واضاف معلق آخر في معرض حديثه عن المطالبة بعقد مؤتمر جنيف « ان السادات لن يكون ، ولم يقصد قط ان يكون الزعيم العربي الوحيد ، ولا حتى الاول ، الذي يتعهد بايقاف حالة الحرب ضد اسرائيل ولو ليوم واحد — وبالطبع ليس لبضع سنوات . واذا ما اعطي تعهدا كهذا فسيكون ضمن اتفاق شامل — او لن يكون ابدا » (ماتي غولان — هآرتس ، ٧٥/١/٢١) . ولهذا ، واذا وصلت حكومة اسرائيل الى هذه النتيجة « وكانت على استعداد لتسويات جزئية على الجبهات الثلاث ، او على جبهتين على الاقل فان عليها ان تبلور مشروعا تتقدمه للمفاوضات من خلال رفض الاتصالات ... بواسطة واشنطن » . ولكن اذا لم تكن اسرائيل على استعداد لذلك ، فربما كان الوقت مناسبا للتفكير — بشكل منتظم وأساسي — بتأييد فكرة مؤتمر جنيف . ان واشنطن لن تكون بالطبع مسرورة ، ولكنها لن تستطيع اتخاذ موقف حاد وعلني ضد فكرة هي احد المؤتمنين عليها ، وفي مقابل ذلك سيكون الاتحاد السوفييتي مسرورا للغاية . ومع ازدياد الادلة على استياء موسكو من القاهرة ، فربما لن يكون ثمة ضرر في افهامها بأن العلاقات مع القدس ، ينبغي الا تكون سلبية تماما، من جانبها » (المصدر نفسه) .

وتطرق ايضا معلقون آخرون الى فكرة عقد مؤتمر جنيف ، فأشار احدهم الى ان هذا المؤتمر قد ينقذ اسرائيل من « ورطة » التسويات الجزئية التي لا نهاية لها ، « لان الالتزام المصري تجاه سوريا قائم ، ولا ينبغي تجاهله ... والسادات يقول صراحة انه مستعد لتسوية جزئية اخرى منفصلة ، من خلال الافتراض بأن دور سوريا سيصل ايضا». ولهذا « لا ينبغي الخوف من مؤتمر جنيف ، رغم انه من الواضح ان السلام لن يسود المنطقة دفعة واحدة ... علينا ان نبحث ان كانت هناك امكانية لتسوية جزئية تستمر وقتا معقولا ، علما بأن المرحلة القادمة ستكون في جنيف ، حيث سيتم فحص الاقتراح بالاتفاق الشامل النهائي مع سوريا ، من خلال المعرفة سلفا بأن ثمن هذه التسوية غال للغاية . وبموازاة ذلك ينبغي ان نسعى بحذر لتجديد الاتصالات مع الاردن ، من خلال ابعاد الفلسطينيين المتطرفين » . ولكن « من ينادي بجنيف ، عليه ان يأخذ بالحسبان المفاوضات مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية او انفجار المؤتمر قبل انعقاده » (يهوشواع تدهور — دافار، ٧٥/١/٢٨) . كذلك أعلن آخر (فولص — هآرتس، ٧٥/١/٢٤) « ان الاسرائيليين قد سئموا هذا الوضع » ، الذي يبدو فيه انهم سيضطرون ، ضمن تسويات جزئية ، الى الانسحاب مرة بعد اخرى من المناطق المحتلة ، وما يكلفهم ذلك من مصاريف لتحصينات جديدة ، سرعان ما سيضطرون الى تركها واقامة تحصينات اخرى بدلا منها ، « وعلى هذه الارضية يبدو انه ظهرت بشكل مفاجىء الفكرة القائلة بأنه قد يكون من المستحسن ان نوافق على الذهاب الى دورة ثانية لمؤتمر جنيف ، لكي نحاول الوصول الى تسوية شاملة ونهائية — تسوية تمنحنا السلام ، او « تسوية سلام » وتبعد ، مقابل تنازلات اقليمية بعيدة المدى، خطر الحرب في المستقبل المنظور ، وان لم تلغه كليا » . وهذا التفكير « مغر » ، رغم انه لا ينبغي ان يكون ثمة مكان للاوهام بأن الاتحاد السوفييتي سيغير موقفه ، الداعي الى انسحاب اسرائيلي من كل المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ولهذا لن يوافق على الاستجابة لطلبات اسرائيل « بعدم العودة بأية حال الى حدود الرابع من حزيران ، وابقاء مشارف رفح وشرم الشيخ ، مع شريط من الارض [يصلها مع اسرائيل] وهضبة الجولان والقدس الموحدة في ايدينا » ، لان « من يؤيد الذهاب الى جنيف عليه ان يعلم انه وافق عمليا على العودة الى حدود ١٩٦٧ ، او على الاقل قبل هذا الطلب كأساس للمفاوضات » (المصدر نفسه) .

وكان يغئال الون قد أعلن في الكنيست ، اثر ازدياد الحديث عن مؤتمر جنيف انه « اذا كانت الدول العربية ، وعلى الاصح مصر ، تريد مؤتمر جنيف — فليتفضلوا . ولكن على الذين يريدون ان يهددونا بعقد هذا المؤتمر حالا ، عليهم ان يعرفوا ان ما لم يمكن الحصول عليه في مفاوضات متبادلة قبل مؤتمر جنيف لن يمكن الحصول عليه ، بالطبع ، في مجابهة متعددة الاطراف خلال المؤتمر » (دافار ، ٧٥/١/٣٠) .

غير ان الاهم من ذلك كله هو تلك الانباء التي تتحدث عن عدم قدرة الحكومة الاسرائيلية ، نظرا لاوضاعها الداخلية والخلافات السائدة بين وزرائها ، على اتخاذ قرار بشأن اي تسوية او تحرك سياسي ، اذ ان « الحكومة ضعيفة ولا تستطيع اتخاذ قرارات وغير منضبطة » (دان مرغليت — هآرتس ، ٧٥/١/٢١) . ولهذا « يستغرب .... الكثيرون اذا كانت حكومة رابين هي تلك التي تستطيع وتريد التوقيع على اتفاق فصل قوات اضافي مع مصر » .

ص.ج

[٣]

الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وتأثيره على الهجرة الى اسرائيل

عند منتصف شهر كانون الثاني الماضي قام الاتحاد السوفييتي بالغاء الاتفاق التجاري الذي كان قد تم التوقيع عليه بينه وبين الولايات المتحدة الاميركية في عام ١٩٧٢ ، والذي اعتبر في حينه بأنه حجر الزاوية في سياسة الوفاق بين الدولتين الاعظم . ويبدو ان احد الاسباب الكامنة وراء اقدام الاتحاد السوفييتي على هذه الخطوة يعود الى المحاولات المحمومة التي قامت بها أوساط اميركية صهيونية ، على رأسها السناتور هنري جاكسون ، ومسايرة الاوساط الاميركية الحاكمة لهذه المحاولات ، لربط الاتفاق التجاري ببند يمس الشؤون الداخلية للاتحاد السوفييتي ، ويتمثل في دفعه للموافقة رسميا على هجرة نحو ستين الفا من مواطنيه الى الخارج . والمقصود بذلك فتح باب الهجرة بشكل رسمي الى من يرغب في ذلك من يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل (انظر ايضا « قضايا اسرائيلية » العدد ٤ ، ٧٤/١١/١٧ ، ص ١٣٨ — ١٤٤) . وقد اعتبر الاتحاد السوفييتي ذلك ، بأنه ليس بمثابة تدخل في شؤونه الداخلية فقط ، بل ويمس ايضا كرامته وهيبته كدولة كبرى .

وأثارت خطوة الاتحاد السوفييتي هذه ردود فعل عديدة في اسرائيل ، وحظيت باهتمام واضح من قبل العديد من المسؤولين والمعلقين هناك .

ردود الفعل الاولية للمسؤولين الاسرائيليين

اتسمت ردود الفعل الاسرائيلية تجاه الغاء الاتفاق بالقلق والاسف والاستياء ، مع شيء من الصدمة والتخبط حول دوافع الاتحاد السوفييتي من وراء الغاء الاتفاق . وكان يغئال الون ، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الاسرائيلي ، اول من أدلى بتصريح حول الخطوة السوفييتية ، عندما كان يقوم بزيارة للولايات المتحدة ، بقوله « انني آسف لهذا التطور . اننا كيهود معنيون بتعميق التفاهم لازالة التوتر بين الدول الكبرى ، وعلقنا آمالا كثيرة على اتفاق التجارة وتعديل جاكسون وتوسيع الهجرة الى اسرائيل . انني اود ان آمل بألا يمس القرار السوفييتي الخاص بالغاء الاتفاق التجاري حجم الهجرة ، وان يسمح لاولئك الراغبين في الهجرة ان يقوموا بذلك . انني ايضا آمل بألا يضع السوفييت عراقيل في طريق اليهود الراغبين في الهجرة ، ولكن اذا ما اتضح — لا سمح الله —

ان الاتحاد السوفييتي يعتزم وضع صعوبات أمام المهاجرين ، بغرض تقليص اعداد المهاجرين ، فان الشعب اليهودي ودولة اسرائيل ، سيجندان كل ما يملكانه من نفوذ وقوة لنضال سياسي ضد غلق الستار الحديدي ، وضد اقامة حاجز بين الجالية اليهودية الكبيرة في الاتحاد السوفييتي وبين بقية اجزاء الشعب اليهودي » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/١٥) .

اما وزير الاعلام الاسرائيلي ، أهرون ياريف ، فقد أبدى تخوفه من ان يكون للخطوة السوفييتية انعكاسات سلبية بالنسبة لهجرة اليهود : « ... واضح انه قد تكون لهذا العمل انعكاسات سلبية بالنسبة لهجرة يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل . ومن واجبنا ان نواصل بعناد ، النضال من أجل الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، هذا النضال الذي ادى حتى الان الى نتائج مهمة » (معاريف ، ٧٥/١/١٦) .

وعلى صعيد ردود الفعل لدى المسؤولين المباشرين عن شؤون الهجرة والاستيطان فقد كانت تتراوح بين القلق والاستياء من جهة والدعوة الى « مواصلة النضال » من اجل تهجير يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل من جهة اخرى . فقد وصف وزير الاستيعاب ، شلومو روزن ، الخطوة السوفييتية بأنها بمثابة نذير شؤوم ، وقال ان الاتحاد السوفييتي لم يحل قضية اليهود في بلاده ، الامر الذي ادى الى نضالهم من أجل الخروج من هذه الدولة . واضاف روزن انه ما من شك في ان الغاء قانون التجارة مرتبط بسياسة الوفاق الدولي ، وكانت في هذه السياسة نقاط ضعف وفشل ، وان رد الاتحاد السوفييتي هو احدى هذه النقاط الفاشلة . ومع ذلك فقد اعرب الوزير عن أمله بأن تستمر الهجرة على ما كانت عليه ، وذكر بأن وزارته ستستمر في تخطيط سياستها للسنة المقبلة على اساس احتمال وصول ٦٠ الف مهاجر سنويا من جميع انحاء العالم (را ع ١٥/١/٧٥) .

اما رئيس الادارة الصهيونية ، بنحاس سابير ، فقد اعرب عن رأيه بأن الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة يزيد من الخوف والقلق على مصير الهجرة من الاتحاد السوفييتي . واضاف سابير ان الادارة الصهيونية ستواصل بشكل اكبر نضالها من اجل يهود الاتحاد السوفييتي ، خاصة « واننا أصبنا طيلة الاشهر الاخيرة بقلق كبير من جراء الانخفاض الذي طرأ على عدد اليهود الذين سمح لهم بالهجرة » (را ، ٧٥/١/١٦) .

ومن ناحية اخرى ، تطرق مدير الوكالة اليهودية ، موشي ريفلين ، الى الخطوة السوفييتية بقوله «ان النضال من اجل يهود الاتحاد السوفييتي استمر سنوات ، وأدى الى جلب مئات الالوف من اليهود الى اسرائيل ، وشهد هجرات عديدة ونقاط ضعف . واقول في هذا اليوم بأن الشعب اليهودي كله ملزم بشيئين : ١ — ان النضال سيستمر ، ٢ — [ارسال] تحية تشجيع ليهود الاتحاد السوفييتي . ونقول لهم انهم يعرفون اكثر من الجميع الى اي حد وضعت العراقيل في طريقهم ، وضخامة العثرات الكثيرة التي لا تصدق ، والتي تغلبوا عليها . وانني متأكد من اننا بتوحيد قوتنا ، قوة ونضال الشعب اليهودي كله ، سنصعد النضال وسنواصله كما كان حتى الان ، وسنحظى برؤية اعداد اكبر من اليهود يأتون من الاتحاد السوفييتي الى البلاد » (را ، ٧٥/١/١٥) .

الا ان المسؤولين الاسرائيليين اخذوا بعد ذلك ، من جهة ثانية ، يشككون فيما اذا كانت الهجرة من الاتحاد السوفييتي هي السبب في الغاء اتفاق التجارة . فقد أدلى رئيس حكومة اسرائيل بتسحاق رابين ، مثلا ، بتصريح جاء فيه : « اننا لا نعرف في هذه المرحلة بالضبط الاعتبارات التي دفعت الاتحاد السوفييتي الى الغاء الاتفاق ، لكنني مقتنع بعدم وجود اساس للزعم الذي نشر في عدد من وسائط الاعلام ، وكأن مشكلة الهجرة هي السبب ... » (را ، ٧٥/١/٩) . كما ان وزير الخارجية الون قد أخذ ينفي هو الاخر وجهة النظر القائلة بأن موضوع الهجرة كان وراء الغاء الاتفاق التجاري ، اذ ذكر في مجال رده على اسئلة اثيرت في الكنيست حول الخطوة السوفييتية « ان تنفيذ الاتفاق التجاري كان من المفروض ، حسب التوقعات ، ان يعطي دفعة قوية للهجرة من الاتحاد السوفييتي ، وان يكون عبارة عن مرحلة جديدة عريضة وواسعة أكثر من المراحل السابقة لهذه الهجرة . ولكن الغاء ، أو بتعبير أكثر دقة تأجيل تنفيذ هذا الاتفاق ، لا يجب بالضرورة ان يمس

بالذات حقوق يهود الاتحاد السوفييتي في الهجرة الى البلاد . ولا اعتقد ان البند الذي يتعلق بحق الهجرة من الاتحاد السوفييتي هو الذي تسبب باتخاذ هذا الاجراء السوفييتي لالغاء الاتفاق التجاري ، وآمل الا يمس هذا الالغاء حرية الهجرة لاخوتنا في الاتحاد السوفييتي ، هذه التي حان أوانها منذ زمن بعيد ... » (را١ ، ٧٥/١/٢٢).

كذلك أعرب احد الخبراء الاسرائيليين في الشؤون السوفييتية ، الدكتور باروخ حزان ، عن رأي مماثل بقوله (را١ ، ٧٥/١/٢٣) ، ان موضوع الهجرة ليس السبب في الغاء الاتفاق ، كما وان الالغاء بحد ذاته لن يؤثر على الهجرة سلبا او ايجابا ، لان دوافع هذا الالغاء تعود ، بحسب رأيه ، الى « توصل مجموعة قادة الكرملين الى استنتاج بأن الثمن الذي يدفعه السوفييت في لعبة سياسة الوفاق لا يتناسب مع الارباح الاقتصادية والسياسية التي يجنونها . ومن هنا جاء الضغط للمطالبة بتعديل قواعد وشروط هذه اللعبة ، لكي تزداد ارباح الاتحاد السوفييتي فيها » . وحول احتمال تقييد حرية الهجرة الى اسرائيل ذكر حزان انه يتفق في هذه النقطة « مع ما قاله السناتور جاكسون ، الذي ادعى امس ان البند الاقتصادي في الاتفاق التجاري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، أدى الى الغاء الاتفاق ، وليس بالضرورة تعديل جاكسون . وهكذا اعتقد انه لن يكون هناك تأثير مباشر على الهجرة من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل ... » (المصدر نفسه). ويبدو ان هذه التفسيرات المطمئنة هي التي دفعت امين صندوق الوكالة اليهودية آريه دولتسين ، للاعلان عن اعتقاده بأن ما بين ٥٥ — ٦٠ الف مهاجر سيهاجرون من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل في العام المقبل (المصدر نفسه) .

ردود الفعل لدى يهود الولايات المتحدة :

اتسمت ردود الفعل الفورية لدى بعض الفئات من يهود الولايات المتحدة بالاستنكار والامتعاض من الخطوة السوفييتية ، خاصة وان هؤلاء كانوا وراء دفع مجموعة من رجال مجلس الشيوخ ، وعلى رأسهم السناتور هنري جاكسون ، لسن ما يسمى بتعديل جاكسون . ويبدو ان يهود الولايات المتحدة، وخاصة الفئات الصهيونية المتطرفة ، تجاوزوا حدود الاحتجاجات الكلامية ، وأرفقوا ذلك باحتجاج مشفوع بالنار ، حين أقدمت مجموعة — تعتقد السلطات الاميركية بأنها مجموعة يهودية — باطلاق النار على مبنى السفارة السوفييتية في نيويورك بقصد الغاء الاتفاق . وقد كان لهذا العمل رد فعل سيىء لدى البعض من الاسرائيليين الذين يتخوفون من ان تؤدي مثل هذه التصرفات الى تعريض مساعي الهجرة للمخاطر . فقد كتب الوزير الاسرائيلي السابق موشي كرمل ، مقالا في صحيفة دافار (٧٥/١/٢٤) تحت عنوان « لعبة خطرة بالنار » ، قال فيه : « انه اذا ما تأكد صحة تكهن شرطة نيويورك ، بأن الزخات النارية التي وجهت نحو غرف النوم في السفارة السوفييتية بالقرب من الامم المتحدة ، عند مطلع هذا الاسبوع، هي بمثابة عمل انتقامي ضد سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه اليهود ، وان لرابطة الدفاع اليهودية ضلع في الحادث ، فان ذلك من شأنه ان يقلق كل يهودي مسؤول ، ويدفع الى القيام بأعمال لكبح جماح هذه الاعمال الطائشة ، وهذه التحرشات ... » . كذلك حذر كرمل من مغبة هذا الاسلوب لانه ، بحسب اعتقاده ، يحمل الكثير من المخاطر ، « ففي النضال العادل ، والضروري من أجل يهود الاتحاد السوفييتي ، ليس كل شيء مسموح به وليس كل شيء مفيد . ان التوجه الى السلاح الساخن الموجه نحو مؤسسات الاتحاد السوفييتي ، ، اذا حدث بالفعل ، ينطوي على مخاطر جمة » .

اسباب الغاء الاتفاق ومدى تأثيره على الهجرة

أسهب المعلقون والصحفيون الاسرائيليون في معالجة أسباب الغاء الاتفاق . ولعل هؤلاء كانوا شبه متفقين حول الاسباب الكامنة وراء الغاء الاتفاق التجاري اكثر من اتفاقهم حول تبعات وانعكاسات الخطوة السوفييتية على هجرة يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل . ويمكن تلخيص آراء اولئك في الاسباب التي دفعت الاتحاد السوفييتي الى اتخاذ هذه الخطوة على النحو التالي :

١ — ضآلة الاعتمادات التي يحصل عليها الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة . « ان الاعتمادات الممنوحة للسوفييت والتي أقرها الكونغرس ضئيلة لدرجة تثير السخرية : ٧٥ مليون

دولار سنويا طيلة أربعة أعوام . وهـذا الامر اضعف الحوافز التي كان من الممكن ان تؤثر على الاتحاد السوفييتي وتدفعه الى ابتلاع القـرص المر ، المتمثل في ربط صفة الدولة المفضلة مـع موافقة مبدئية لمنح المواطنين السوفييت حريـة الهجرة . وما العجب في ظروف كهذه ، اذا مـا جلس قادة الكرملين ، ودرسوا جيدا الصالـح والطالح ، وفي النهاية توصلوا الى استنتاج عام، بأن الموضوع برمته غير مجد ... » (اريئيل غيناي ـ يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) . كذلك ركز اخر (الدكتور عوديد عمران ـ المصدر نفسه) على ضآلة الاعتمادات التي أقرهـا الكونغرس الاميركي بقوله « انه يجب الا ينظر الى الغاء اتفاق التجارة كخطوة تكتيكية فقط اتخذتها حكومة الاتحاد السوفييتي لتفرض على الاميركيين شروطا افضل . تكمن هنا ، كما يبدو ، نتيجـة ميزان الربـح والخسارة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي كما رآه الاتحاد السوفييتي . ويبدو ان الزعامة السوفييتية قد توصلت الى استنتاج بأن الخسائر تفوق الارباح الكامنة في الاتفاق ، ذلك ان حجم المساعدات التي أمل الاتحاد السوفييتي الحصول عليها من الولايات المتحدة تتراوح ما بين ١٠ ـ ١١ مليار دولار ، بينما يبدو المبلغ الاولي ، البالغ ٣٠٠ مليون دولار والذي أقر كسقف ، في منظور الكرملين كأمر يثير التسوية » . كما توصل معلق ثالث (فيليب بن ـ معاريف ، ١٩٧٥/١/١٧) الى الاستنتاج نفسه .

٢ ـ الخلاف بين ما يسمى فئتي الحمـائم والصقور في الاتحاد السوفييتي . فقد عزا اكثر من معلق اسرائيلي سبب الغاء الاتفاق التجاري الى ما تروجه وسائل الاعلام الغربية عن وجود خلاف داخل الكرملين بين مجموعة المتساهلين ومجموعة المتطرفين . ودعم هؤلاء وجهة نظرها بالقول ان المجموعة التي تنافس بريجنيف استغلت مرضه ، وضغطت من أجل الغاء الاتفاق التجاري .

٣ ـ « عامل الهيبة » . تطرق العديد مـن المعلقين والصحفيين الاسرائيليين الى « عـامل الهيبة » واعتبروه بأنه يقف وراء الخطـوة السوفييتية . وبحسب رأي اولئك ، ان قسمـا كبيرا من الزعامة السوفييتية يعتقد بأن عمليـة ربط الهجرة بالاتفاق التجاري ، تنطوي على اهانة للاتحاد السوفييتي ، وان « الخطوة السوفييتيـة تلغي التعرض المرتبط في الاتفاق التجاري ، كمـا وأنها تعزز المصداقية السوفييتية ، وتأتي لتثبت لاناس مثل السناتور جاكسون بأنه من غـير الممكن الحصول على شيء من الاتحاد السوفييتي بواسطة التعنت والضغوطات عوديد عـمران ـ يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧ » . كذلك تطرق اخر الى « عامل الهيبة » ، ولكنه حرص ـ فـي الوقت نفسه ـ على شتم الاتحـاد السوفييتي بقوله : « يجب ان نعرف ان روسيا هي بلـد للانظمة الدكتاتورية منذ عهد القياصرة وحتى يومنا، وبالنسبة لنظام كهذا ، فان اي تدخل في مجـال مثل مجال تأمين حرية الفرد وحرية الهجرة ، يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية للدولة ، ومس بهيبتها وتحتقرها كدولة كبرى » (اريئيل غيناي ـ يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) .

٤ ـ محاولة منع جاكسون من الوصول الـى سدة الحكم . لم يغفل الكثيرون من المعلقين الاشارة الى أن الخطوة السوفييتية يراد منها ايضا وضع عراقيل امام مطامح السناتور الاميركي هنـري جاكسون في انتخابات الرئاسة الاميركية ...وهكذا ظهر انطباع ، بأن رضوخ الاتحاد السوفييتـي لشروط الكونغرس هو بمثابة اقرار بعدالة سياسة هنري جاكسون ، الامر الذي من شأنه فيما اذا حدث ، ان يعزز احتمالات نجاح هذا السناتور في السباق لرئاسة الولايـات المتحدة . ومن المؤكد ان نجاح جاكسون في تلك المسابقة غير مرغـوب فيه بالنسبة لموسكو ، التي لا تعتبره صديقا ... (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) .

٥ ـ العمل على ترك الاقتصاد الغربي فـي التدهور : يعتقد البعض ان الاقتصاد الغربي يسير القهقرى ، وان تعزيز التجارة بـين الاتحـاد السوفييتي والولايات المتحدة من شأنه منـع الركود في الاقتصاد الغربي . وبما أن الاتحـاد السوفييتي غير معني بذلك فانه من غير المستبعد ان تكون خطوته تلك قد نبعت من هذا التفكير . فالازمة الاقتصادية التي تعم الغرب والولايـات المتحدة ... تمر في مرحلة ... حاسمة ، ومـن الطبيعي ان روسيا معنية في تأزيمها ، او انها على أي حال لن تساعد على التصدي لها . ان البطالة المتصاعدة في الولايات المتحدة تضعف الدولة الكبرى

الاولى في العالم ، كما وتضعف قوتها تجاه الخارج . ولذا فان تنفيذ الاتفاق التجاري الذي يعني قيام الاتحاد السوفييتي بعقد صفقات شرائية كبيرة ، من شأنه ان يوقف بقدر ما تصاعد البطالة ، ومن هنا فان تجميده افضل (موشي شمير — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) .

هل هنالك تأثير على هجرة يهود الاتحاد السوفييتي نتيجة الخطوة السوفييتية ؟ بالنسبة لهذا السؤال ، نجد اجابات متناقضة ، فالبعض يرى ان هنالك تبعات سلبية ستنعكس على هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي والبعض الاخر لا يرى ذلك ويعتقد ان هذا لن يؤثر سلبا او ايجابا على الهجرة . فهناك من يعرب عن رأيه ، مثلا ، بأنه بالنسبة لهجرة « يهود الاتحاد السوفييتي ، ينبغي الا ننسى أنها بدأت قبل سياسة الوفاق بمدة طويلة ، وهنالك اساس للافتراض بأنها ستستمر مدة طويلة عقب الوفاق ، لانها تنبع من عوامل سوفييتية داخلية . [ولكن] من المفهوم، انه من المحتمل ، الا تكون هنالك هجرات استعراضية ، مثل هجرة الراقص فاليري فانوف، او هجرة اولئك العلماء والكتاب والشعراء المشهورين ، الذين سمح لهم السوفييت بالخروج، بغرض خلق انطباع حسن لدى الرأي العام الاميركي ... » (فيليب بن — معاريف ، ١٩٧٥/١/١٨) . ولكننا نجد أيضا من يخالف هذا الرأي ويعتقد بأن لالغاء الاتفاق انعكاسات سلبية على الهجرة لانه « من المفهوم ان للتطورات الاخيرة تأثير سلبي كبير جدا على وضع يهود الاتحاد السوفييتي وعلى احتمالات الهجرة من هناك . لقد قلص السوفييت بشكل ملموس عدد اذونات الخروج ، وشدوا الحزام حول يهود بلدهم . ومع ذلك ينبغي الا ننسى بأنهم لا يزالون معنيين باتفاق تجاري مع الولايات المتحدة ، ويأخذون بعين الاعتبار انهم فيما اذا اغلقوا تماما ابواب الهجرة فان احتمالات حصولهم في يوم من الايام على اتفاق كهذا ستقل . ولذا فانه اذا لم يطرأ تغيير جذري في السياسة السوفييتية نحو التعنت والعودة الى عصر الحرب الباردة ، فمن المعقول الافتراض بأن ابواب الهجرة ستبقى شبه مفتوحة ، ومن الصعب ضمن المعطيات الراهنة توقع اكثر من ذلك (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) . ومن نفس المنظور ، يضيف اخر انه « لم يكن في يوم من الايام اساس للفرضية القائلة بأن الاتحاد السوفييتي سيمنح مواطنيه حرية الهجرة ، ولذا فانه لا يوجد اساس للذهول والخوف من ان الغاء الاتفاق التجاري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سيمس بشكل كبير حجم هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي . ان السلطات السوفييتية ستستمر في منح اذونات خروج وفق الاعتبارات التي ترتئيها ، وفي المقابل ستستمر في فرض قيود على أنواع مختلفة من مقدمي اذونات الخروج ... » (دوف ايفل — دافار ، ١٩٧٥/١/١٧) .

اذن يمكن القول أن ردود الفعل الاسرائيلية اتسمت في بداية الامر بالتخوف الشديد على مصير الهجرة ، الا ان هذه التخوفات اخذت تقل تدريجيا ، لعدم اتضاح مدى انعكاس الخطوة السوفييتية على مستقبل الهجرة. ولكن الاسرائيليين مستمرون ، في الوقت نفسه ، في تصعيد الحملة المعادية للسوفييت ، الرامية الى دفع مزيد من المهاجرين اليهود للمجيء الى اسرائيل .

عبد الحفيظ محارب

[٤]

السلطات الاسرائيلية تواصل مخططاتها الاستيطانية في المنـــاطق المحتلة

كانـــت الحكومـــة الاسرائيلية قد قررت يـــوم ١٩٧٤/١١/٢٤ ، انشاء منطقة صناعية في منطقة الخان الاحمر (معاليه هآدوميم) ، على الطريق بين مدينتي القدس واريحا ، تكون تابعة للقدس ، وكذلك بناء مساكن للموظفـــين والعمال الذيـــن سيعملون في تلك المنطقة . وكانت اكثرية الوزراء قد وافقت على هذا القرار ، عدا وزيري حـــزب مبام اللذين تغيبا عن جلسة الحكومة في ذلـــك اليوم ، وهو القرار الذي اعتبر كجزء من السرد الاسرائيلي على مقررات مؤتمر القمة العربـــي في الرباط بشأن حقوق الفلسطينيين وحـــق منظمـــة التحرير الفلسطينية في تمثيلهم ، ثم طرح القضية الفلسطينية في الجمعية العمومية للامم المتحـــدة ، وذلك بتقوية الاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة ودعم الوجود الاسرائيلي فيها (انظر « قضايـــا اسرائيلية ، العدد ٦ ، ٧٤/١٢/١٢ ، ص ١٩٧ — ٢٠١) . غير ان الحكومة الاسرائيلية لم تخصص، في حينه، ميزانية معينة لهذا المشروع وانما ارجأت ذلك الى حين اقرار ميزانية الدولة للعام الجديـــد (التي تبدأ اعتبارا من اول نيسان من كل عام) . ولكن بعض الدوائر الاسرائيلية لم ترغب في تأجيـــل العمل بهذا المشروع ، وانما باشرت على الفور باعداد الارضية هناك ، استعدادا لبناء المصانع ومباني السكن ، الامر الذي اثار بعض الوزراء وبعض الجهات ، التي اعتبرت البدء بالعمل دون اقرار ميزانية لذلك ، بمثابة تجـــاوز وتخطـــي للقوانين والصلاحيات ، مما اثار بالتالي نقاشـــا مجددا بين « الحمـــائم » و « الصقور » حـــول جدوى الاستيطان في المناطق المحتلة حاليا وحـــول مواقف كل من المعسكرين بالنسبة لذلك .

كان أول المعترضين والمحتجين على البدء بالعمل في معاليه هآدوميم الوزير شلومو روزن (مبام) الذي اعلن « ان الحكومة لم تقرر ميزانية للبنـــاء مطلقا ، وانما قررت فقط اجراء تخطيط للمكان » (معاريف ، ٧٥/١/٦) . وكان روزن قد طالب كلا من رئيس الحكومـــة يتسحـــاق رابين والوزيـــر يسرائيل غليلي بتقديم تفسير لذلك ، الا انهمـــا لم يستطيعا الرد على هذا . كذلك اشار وزيـــر المالية الى ان وزارته لم تخصص اموالا للبناء في معاليه هآدوميم ، بينمـــا نفى وزير التجـــارة والصنـــاعة ، حاييم بارليف ان تكون وزارته قد خصصت ميزانية للعمل في المنطقة ، وكذلك فعـــل الشيء نفسه وزير الاسكان ، ابراهـــام عوفـــر (المصدر نفسه) .

ومن جهة اخـــرى قدم عضوا الكنيست دوف زاخين ويوسي سريد ، اللذان يرأسان «المجموعة الحمائمية » في المعراخ المؤلفة من ١٥ نائبـــا ، مذكرة تتهم مديرية عقارات اسرائيل بالقيام باعمال بملايين الليرات ، بدون موافقة الحكومة ، وحتى بالرغم من اوامر المنع الصريحة الصادرة من قبل وزارة المالية (هآرتس ، ٧٥/١/٨) . ولكن مدير مديرية عقارات اسرائيل ، العميد (احتيـــاط) مئير زورباع ، نفى ان يكون قد عمل خلافا لما قررته الحكومة ، واعترف بانه تلقى الاوامر من بعـــض الوزراء المسؤولين عن الاستيطان في المناطـــق ، قاصدا بقوله هذا الوزير يسرائيل غليلي . كمـــا اعترف زورباع باستلام بعض القروض والامـــوال من جهات اخرى ، كان من بينها صندوق جبايـــة المنظمة الصهيونية ، الذي اعترف امين صندوقها، آرييه دولتسين ، بانه « اصدر امـــرا لجبايـــة المنظمة الصهيونية باعطاء قرض ، حتى مليـــون ونصف المليون ليرة لمديرية عقارات اسرائيـــل ، بعد ان طلب منه رجال قسم الاستيطان في الوكالة منح المديرية سلفة ، وذلك لاغراض اعداد الارضية في معاليه هآدوميم » (هآرتس ، ٧٥/١/٩) .

وكان من نتيجة هذه الحملة المضادة التي شنت ضد البدء بأعمال البناء في معاليه هآدوميم ، ان تناقم الوضع واصبحت هناك ضرورة لمعالجته كيلا تتدهور الامور ، مما اضطـــر رئيـــس الحكومة يتسحاق رابين الى القيام بنشاط ما ليضع حـــدا لهذه المشكلة ، حيث دعا الى مكتبه في تل ابيـــب وزراء وموظفين كبار يمثلون الوزارات التي تشترك

في تنفيذ قرار الحكومة بشان تلك المنطقة الصناعية، لاجراء مشاورات حول ذلك (دافار ، ٧٥/١/٩). وكنتيجة لتلك المداولات ، اصدر رابين بيانا فيما يتعلق بتنفيذ قرار الحكومة حول اقامة تلك المنطقة الصناعية . وقد اقرت الحكومة ذلك البيان ، الذي دعا مديرية عقارات اسرائيل « الى الاستمرار بأعمال اعداد الارض وتحضير الارضية حتى نهاية السنة المالية الحالية ، واما في السنة القادمة فتبدأ وزارة التجارة والصناعة باقامة المنطقة الصناعية واستكمال القاعدة المطلوبة لذلك ،وتقوم وزارة الاسكان باقامة مباني الموظفين بموجب قرار الحكومة » (دافار ، ٧٥/١/١٢) . وكذلك اقرت الحكومة تخصيص ١٠ ملايين ليرة اسرائيلية لهذا الغرض ، وذلك من ميزانية وزارة التجارة والصناعة في السنة المالية القادمة، بينما ستحصل مديرية عقارات اسرائيل على ميزانية تقدر بنحو مليوني ليرة اسرائيلية لمواصلة الاعمال هناك حتى نهاية السنة المالية الحالية (المصدر نفسه) .

حملة مضادة للاستيطان في الخان الاحمر

انتقدت اكثر من جهة اسرائيلية هذا المشروع ، حتى ان بعض الجهات هاجمته مدعية بانه لا يجوز استثمار اموال طائلة في استيطان الخان الاحمر (معاليه هآدوميم) ، في حين ان هناك بعض الاماكن داخل اسرائيل اكثر حاجة الى مثل هذه الاموال ، كما ان هناك اماكن ينبغي ان يتم استيطانها قبل تلك المنطقة . وكان على رأس هذه الدوائر بنحاس سابير ، رئيس ادارة الوكالة اليهودية الذي علق على ذلك بقوله : « هناك سلم افضليات في توطين البلد . هناك امور اكثر اهمية من معاليه هآدوميم ، ولا يمكن ان نفهم كيف يتحدثون عن اعداد الارضية في معاليه هآدوميم ، التي تكلف مئات الملايين من الليرات الاسرائيلية في حين يخفضون ، ويريدون ان يخفضوا أكثر فأكثر في ميزانيات امور حيوية جدا، ان معاليه هآدوميم لا تقدم ولا تؤخر ، ويجب ان تخصص موارد لبيسان ولاماكن اخرى قبل معاليه هآدوميم » (دافار ، ٧٥/١/١٠) .

كما هاجم الصحفي اهرون جيفع مشروع معاليه هآدوميم ، وطالب بان توجه الاستثمارات والمشاريع الى الجليل والى تطويره ، قائلا : « لو كنا نملك احتياطا كبيرا من الاموال والمبادرين المستعدين لاقامة مصانع في كريات شمونة ، ولو زاد عدد المستثمرين المتوقعين في حاتسور عما هو مطلوب هناك ، عندها سيصدق أولئك الذين يدعون بان بناء معاليه هآدوميم لا يهمل تطوير الجليل ولكن ، لمزيد الاسف ، فان الوضع مختلف تماما » (دافار ، ٧٥/١/١٢) . كذلك استقال المسؤول عن مناطق التطوير في وزارة التجارة والصناعة ، رؤوفين دافيد ، من « الطاقم المخطط » لمعاليه هآدوميم ، بسبب خلافات في الرأى بينه وبين رئيس الطاقم ، وذلك بالنسبة لتخطيط المصانع ، التي كانت معدة قبل ذلك لمدن تطوير مختلفة . « وكان الاساس الرئيسي للخلاف هو مقترحات وزارة الدفاع لنقل مصانع الى معاليه هآدوميم كانت معدة لكريات شمونة ولصفد » (هآرتس ، ٧٥/١/١٠) .

ووصلت الحملة المضادة للاستيطان في معاليه هآدوميم الى حد التوقيع على عرائض ضد هذا المشروع ، حيث بدأت مجموعة من المحاضرين والطلبة في الجامعة العبرية بالقدس بالتوقيع على عريضة احتجاجا على اقامة المركز الصناعي والاستيطاني في تلك المنطقة . وقد اقتصر التوقيع حتى الان على مؤسسات التعليم العالي . ومن بين المبادرين لهذه العريضة ، الاساتذة عكيفا ارنست سيمون ، ودان بيتان ويهوشواع اربيلي، والدكتور آرى كوفمان ، والدكتور مناحيم برينكر والكاتب أ. ب. يهوشواع والدكتور يهودا ملتسر واخرون . وبحسب اقوال المبادرين ، « فان مشروع معاليه هآدوميم يصحبه ضم مناطق واسعة من الضفة الغربية ، وانه يمكن ان يمس احتمالات التسوية مع الفلسطينيين او مع الاردن » (هآرتس ، ٧٥/١/٩) . وقد وقع على هذه العريضة حتى الان نحو مائة محاضر والف طالب جامعي .

ورد على هذه الحملة باسم الحكومة ، وزير الاعلام اهرون ياريف ، الذي اعلن « انه لن يتم نقل اي مصنع الى معاليه هآدوميم ، من تلك التي كان يجب ان تقام في منطقة اخرى ، وذلك خلافا للاشاعات حول هذا النقل » (دافار ، ٧٥/١/١٣) . كما ردت مديرية عقارات اسرائيل على هذه الحملة بالقول « ان الاشغال التي تجري

في معاليه هآدوميم تتلاءم مع قرارات الحكومة ، وانه لا يوجد صحة حول ما كتب بانه تمت الموافقة على اقامة مصانع في معاليه هآدوميم ، كانت معدة لمدن التطوير الاخرى » (هآرتس ، ٧٥/١/١٠) . وكان رئيس بلدية القدس ، تيدي كوليك قد علق على هذا المشروع بقوله انه « اذا لم يتقرر شق طريق الى معاليه هآدوميم فان قرارات الحكومة ستتحول الى قرارات جوفاء وتظاهرية ، وانه لا يمكن ان تقوم هناك منطقة صناعية جدية » (المصدر نفسه ، ٧٥/١/٩) .

التخطيط لاقامة مستوطنات جديدة

تواصل السلطات الاسرائيلية ، من ناحية ثانية، مخططاتها الاستيطانية والتوسعية في كافة المناطق المحتلة ، وذلك باضافة مراكز استيطان جديدة في هضبة الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء ، وكذلك تحويل نقاط الاستيطان من مراكز مؤقتة الى مستوطنات دائمة . فقد أعلن وزير الاديان ، يتسحاق رفائيل ان ٣٠ مستوطنة ، على الاقل ، ستقام خلال هذه السنة في الجولان والضفة الغربية ومنطقة الغور (رإا ، ٧٥/١/٢). وستباشر السلطات المختصة خلال هذه السنة ، ببناء ثلاث مستوطنات جديدة في هضبة الجولان ، وكذلك اقامة مباني دائمة للموشاف الذي يقيم حتى الان في معسكر مؤقت . والمستوطنات الدائمة التي ستقام هناك ، هي كيبوتس غشور ، التابع للكيبوتس القطري ، وموشاف تل زايت ، التابع لاتحاد الموشافيم لهابوعيل همزراحي ، وقرية صناعية اولى في وسط الهضبة ، يفترض ان يسكنها مهاجرون من الاتحاد السوفييتي . كما ستبدأ وزارة الاسكان خلال هذه السنة باقامة مباني دائمة لموشاف اليعاد ، في جنوب الهضبة ، ويقيم هذا الموشاف الان في معسكر مؤقت على مفرق ال عال ، بينما سيقام في ذلك المكان بعد اخلائه مركز خدمات اقليمي وكذلك مدرسة ميدانية (معاريف ، ٧٥/١/١٢) .

ومن ناحية اخرى ، اعلن البروفسور رعنان غايتس ، رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية في اجتماع لجنة الاستيطان التابعة للمركز الزراعي ، عن اقامة خمس قرى صناعية تعاونية خلال السنتين القادمتين في هضبة الجولان وفي الجليل الاعلى وفي غوش عتسيون (بين الخليل والقدس) . واعلن غايتس ، انه تم لهذا الغرض تشكيل لجنة من خبراء الصناعة اليهود في اسرائيل والخارج ، لتعمل على ايجاد الحلول الصناعية الملائمة لهذا النوع من الاستيطان (دافار ، ٧٥/١/٣) . وحضر غايتس بعد ذلك اجتماع مجلس مستوطنات حركة حيروت — بيتار الذي عقد في تل ابيب ، وحذر « من انه اذا لم تتم زيادة السكان اليهود في الجليل الاعلى على امتداد الحدود مع لبنان ، فسنكون هناك بعد عشر سنوات في وضع لا يطاق ، وان الوضع الاستيطاني والامني سيصبح لغير صالحنا ... ويجب تنفيذ الخطة الاستيطانية لاقامة قرى صناعية على رؤوس الجبال وفي الاماكن الخالية من اليهود بين صفد ومعلوت وكرميئيل والناصرة » (المصدر نفسه) .

واما بالنسبة لاقامة المدينة الجديدة في الجولان ، فقد تم البدء بالاعمال لاقامتها ، وذلك بالقرب من قرية قنسرين ، وذلك ببناء ملجأ وتعبيد شبكة من الطرق . وقد تحدث شيء افني نائب المدير العام لوزارة الاسكان والمسؤول عن اقامة المدينة بقوله انه ستسكن « هناك ٥ الاف عائلة ، وانه سيتم في نيسان — ايار البدء ببناء ٥٠٠ وحدة سكنية ، بالاضافة الى المباني العامة والتعليمية بينما سيبدأ العمل باسكان المدينة في صيف ١٩٧٦ » (دافار ، ٧٤/١٢/٢٤) .

هذا وقد وجهت بعض الانتقادات الى عملية الاستيطان في الجولان التي لا تزال « متعثرة » بينما طالب البعض ، الجهات المسؤولة عن الاستيطان هناك بمضاعفة نشاطها حيث ان مساحات كبيرة هناك لا تزال غير مأهولة . وكان العميد (احتياط) اورى بن — آرى على رأس المنتقدين والمطالبين بتقوية الاستيطان في الجولان ، الذي « يوجد فيه حتى الان حوالي ١٧ مستوطنة يهودية دائمة وثلاث مستوطنات يهودية مؤقتة وحوالي الفي نسمة (رجال ونساء واطفال) . ان وسط الهضبة خال من المستوطنات اليهودية ولهذا يجب اضافة عدد من المستوطنات في هذه المنطقة ، وكذلك يجب تهويد المنطقة الشمالية من الجولان ، التي يتمركز فيها الدروز » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/١٣) .

مدينة جديدة في اللطرون

وعد وزير الاسكان ، ابراهام عوفر ، خلال جولة قام بها في اللد ، باقامة مدينة جديدة في منطقة اللطرون ، وذلك لكي تشكل مع الرملة واللد حلقة اتصال بين القدس وبين منطقة دان (تل ابيب) ، (عال همشمار ، ٧٤/١٢/١١) . وكذلك تقرر خلال مهرجان لاعضاء « غوش امونيم » في حيفا اقامة نواة استيطان في سهل دوتان (بالقرب من جنين) (راا ، ٧٥/١/١٤) . هذا وستقوم مجموعة من قبل اللجنة القطرية للتخطيط والبناء ، بتقديم توصياتها خلال الاسبوعين القادمين ، الى مدير عام وزارة الداخلية لاقامة مستوطنة في المنطقة ما بين قلقيلية وبيت حورون . وقد بدأت اللجنة عملها بناء على توصية الوزير غليلي ، ويبدو ان الحكومة ستستجيب لطلبات اقامة مستوطنة في هذه المنطقة من الضفة الغربية (معاريف ، ٧٤/١٢/١) .

واما بالنسبة للاستيطان في قطاع غزة وسيناء ، فقد اعلن وزير الاسكان ابراهام عوفر ، خلال جولة في القطاع ، « انه حتى نهاية عام ١٩٧٥ سيزداد عدد السكان اليهود في مشارف رفح من الف الى ثلاثة الاف نسمة ، وانه حتى نهاية السنة القادمة سيكون في المنطقة سبعة موشافيم وثلاثة كيبوتسات وكذلك مركز اقليمي ، وسيبلغ الاستثمار هناك حوالي مائة مليون ليرة » (دافار ، ٧٤/١٢/٢٧) . وكان بنيامين حوفشي ، مدير شعبة التخطيط في قسم الاستيطان التابع للمنظمة الصهيونية العالمية قد اعلن خلال جولة لمراسلي شؤون الهجرة والاستيعاب في مشارف رفح ، « ان شعبة التخطيط في قسم الاستيطان التابع للمنظمة الصهيونية تستكمل الاعداد لاقامة ست مستوطنات اخرى في القسم الجنوبي من مشارف رفح ، وذلك بين موشاف سدوت وديكله ، منها اربعة موشافيم وكيبوتسات ، واولها سيكون موشاف اوفدا » (دافار ، ١٩٧٤/١٢/٢٣) . كما اعلن يحيئيل ادموني ، المدير العام لقسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية خلال جولة في مشارف رفح ، انه تم الان البدء باعداد الارض لاقامة الموشاف الخامس في المنطقة ، وذلك شرقي موشاف سدوت ، وانه سيتم اقامة مستوطنتين دائمتين هناك خلال السنتين القادمتين ، وكلاهما كيبوتس تابع لحركة اتحاد الكيبوتسات والكيبوتسيم (معاريف ، ٧٤/١٢/١٩) . ومن الجدير بالذكر انه يوجد في مشارف رفح اليوم اربع مستوطنات دائمة : سدوت ، نتيف هعسراه ، ديكله ، وناحال سيناء . وسيتم خلال هذه السنة تحويل مركز ناحال سوخوت على الطريق الى مدينة يميت ، الى مستوطنة شبه عسكرية تابعة للناحال ، استعدادا لاسكانها بعد سنة (المصدر نفسه) .

وكان المراسل داني تسدقوني ، قد كتب حول مراكز الناحال الموجودة حتى الان في مشارف رفح ، فذكر ان عدد هذه المراكز خمسة وهي : ديكل واشل ومسوره التي تقع شرقي طريق العريش وسوخوت واحيمار اللتين اقيمتا مؤخرا (دافار ، ٧٥/١/١٤) . كما ذكر تسدقوني ، ان لدى حركة الموشافيم التابعة لهابوعيل همزراحي خطة لاقامة ثلاثة موشافيم في منطقة السوميري التي تقع بين دير البلح وخان يونس . ومن المعروف ان اربع مستوطنات شبه عسكرية تابعة للناحال قد اقيمت في قطاع غزة ، وهي : نتسريم ، التي تديرها نواة تابعة لهاشومير هاتسعير والمعدة للكيبوتس المتدين ، كفار دروم وتدار من قبل نواة ناحل متدين ، كطيف وتدار ايضا من قبل نواة متدينة ، ومورغ الذي يفترض ان يصبح كيبوتسا تابعا لاتحاد الكيبوتسيم والكيبوتسات (المصدر نفسه) .

حمدان بدر

[٥]

عدد النازحين عن اسرائيل يصل رقما قياسيا خلال السنة الماضية

شهدت الفترة التي اعقبت حرب تشرين تضاؤلا متصاعدا في عدد المهاجرين الى اسرائيل من جميع التجمعات اليهودية في العالم . وتعود أسباب ذلك الى عوامل عدة من بينها تردي حالة الامن في اسرائيل ، ثم تردي الوضع الاقتصادي هناك وخاصة بعد تخفيض قيمة الليرة وما تبع ذلك من تفشي البطالة وارتفاع الاسعار وكذلك ازدياد الاحساس بحالة الاغتراب لدى المهاجر — وتعتبر هذه هي الاسباب وراء ارتفاع نسبة النازحين من اسرائيل . ولم تنشر ارقام رسمية عن عدد المهاجرين اليهود الذين وصلوا الى اسرائيل خلال العام الماضي او عن عدد النازحين منها ، الا ان جميع المسؤولين عن الهجرة يشيرون الى تضاؤل عدد المهاجرين وتصاعد عدد النازحين ، وبينما يقدر تسفي ايزباخ ، مدير القسم الديموغرافي في مكتب الاحصاء المركزي عدد النازحين عام ١٩٧٤ ما بين ١٥ — ٢٠ الفا مقابل ١١ر٥٠٠ عام ١٩٧٣ (هآرتس ، ١٩٧٤/١/٩) نجد أن بنحاس سابير ، رئيس ادارة الوكالة اليهودية ، يقدر عدد النازحين باكثر من عشرين الفا خلال ١٩٧٤ اي أن العام المنصرم شهد الرقم القياسي في عدد النازحين من اسرائيل ، الذي يزيد بكثير على عدد النازحين في عام التقشف الاقتصادي ٦٧/١٩٦٦ ، اذ بلغ حينذاك سبعة الاف شخص .

ويعتبر رئيس ادارة الوكالة اليهودية ذلك بمثابة « كارثة » ، اذ أعلن في حديث له امام ممثلي الطائفة المراكشية : « انه اذا شهد عام ١٩٧٣ نزوح ١١ الف شخص بينما شهد العام ١٩٧٤ نزوح ضعف هذا العدد ، فان ذلك هو بدون شك « كارثة » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٠). وفي حديثه دافع سابير عن المؤسسات الاسرائيلية المعنية قائلا أنها ليست هي المسؤولة عن ضآلة عدد المهاجرين من مراكش ، مثلا ، حيث وصل حوالي ٥٠٠ مهاجر من مجموع ٢٠ الفا : « يوجد ٢٠ الف يهودي في هذا البلد [مراكش] وهم لا يعتزمون تركها ابدا ، لانهم يدعون بأنهم يعيشون على ما يرام بها ويعتمدون على الملك بأنه سيحافظ عليهم ... » . وفي هذه المناسبة ذكر سابير ايضا ان هناك عشرات الالوف من يهود شمال افريقيا ، من الذين هاجروا طيلة الخمسة عشر عاما الماضية الى فرنسا واسبانيا وكندا والولايات المتحدة ولا يريدون الهجرة الى اسرائيل (المصدر نفسه) .

وفي مناسبتين اخريين ، تحدث بنحاس سابير عن أسباب النزوح من اسرائيل ، ففي حديث امام اعضاء النادي الاقتصادي في القدس ارجع سابير تضاؤل الهجرة وتصاعد النزوح الى عامل الامن : « أنا أعرف ان بيننا أشخاصا لا يحبون سماع هذا لان ذلك يضايقهم ويضايق اراءهم السياسية، ولكن ذلك لا يهم ولا يغير من الامر شيئا ، ان هذه الحقيقة تثقل على الذين يريدون الهجرة ، وهذا أمر لا يمكن اخفاؤه ، وهو حقيقة قائمة ، وليستخلص كل واحد هذه النتائج او خلافها » (را ، ١٩٧٥/١/٦) . واما في المناسبة الاخرى، عندما تحدث سابير في بيت بيرتس في تل ابيب فقد ذكر أن الهجرة من الغرب والشرق قد انخفضت. واضاف أن عدد المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتي الذين لا يتوجهون الى اسرائيل قد ازداد وذكر سببين لذلك : (١) « السوفييت لا يسمحون لجميع الراغبين بالهجرة . (٢) ليس جميع اليهود راغبين في الهجرة من روسيا ، وكذلك ليس كل من يرغب بالهجرة من روسيا يريد المجيء الى البلاد » (را ، ١٩٧٤/١٢/٢١) .

وعاد رئيس ادارة الوكالة اليهودية وتطرق ، مرة اخرى ، الى موضوع النزوح موردا ارقاما جديدة واسبابا اخرى للنزوح ، حين ذكر امام طلبة رحوبوت ان ظاهرة النزوح لا ينبغي لها أن تقلق اكثر من ظاهرة الهبوط في عدد المهاجرين الى اسرائيل . ومن ثم تطرق الى نسبة عدد النازحين خلال الاعوام ٦٨/١٩٦٤ وذكر ان الرقم يتحرك ما بين ٦ر٥٠٠ و٨ر٥٠٠ في كل عام . واما في عام ١٩٧٢ فقد بلغ عدد النازحين ٩ر٠٠٠ وفي العام التالي ١٩ر٠٠٠ وتوقع بأن يصل العدد في

العام الماضي الى ١٨٫٠٠٠ . اما الاسباب التي اوردها هذه المرة فهي « بيروقراطية الاعتناء بهم، السكن ، والعمل والنقص في استيعابهم اجتماعيا» (دافار ، ١٢/١/١٩٧٥) .

وقبل ان نتطرق الى القاء الضوء على الاسباب الاخرى الكامنة وراء النزوح وهبوط عدد المهاجرين من الاتحاد السوفييتي ، تجدر الاشارة هنا الى أن عدد المهاجرين اليهود من الولايات المتحدة الاميركية الى اسرائيل قد طرأ عليه هبوط كبير ايضا . ويتضح من الاحصاءات التي اجريت عام ١٩٧٤ انه طرأ انخفاض بنسبة ٣٠ ٪ على عدد المهاجرين بالنسبة للفترة المماثلة من عام ١٩٧٣ ، فقد قدم الى اسرائيل من الولايات المتحدة خلال العام الماضي نحو ٢٨٠٠ شخص ويقدر المسؤولون بأنه سيبقى في اسرائيل حوالي الف شخص منهم فقط.

أسباب نزوح يهود الاتحاد السوفييتي

بلغ عدد المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٦٩ وحتى نهاية العام المنصرم حوالي مئة الف يهودي . وقد نزح ترابة ١٠ ٪ من هذا العدد من اسرائيل طيلة الاعوام الماضية ، وهذا بالاضافة الى تصاعد تيار المهاجرين اليهود السوفييت الى الولايات المتحدة على حساب الهجرة الى اسرائيل . وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام متزايد من قبل دوائر اسرائيلية عديدة تناولتها بالبحث ، ففي مقابلة مع الدكتور فيكتور بولسكي « زعيم » يهود الاتحاد السوفييتي ، الذي هاجر مؤخرا الى اسرائيل (معاريف ، ٢٧/١٢/١٩٧٤) جاء أن الاسباب الكامنة وراء هبوط وتيرة الهجرة من الاتحاد السوفييتي تعود الى الصورة السلبية المرتسمة في اذهان اليهود هناك تجاه اسرائيل وتعتبر من بين العوامل الرئيسية في عرقلة الهجرة اليهودية اليها . وفي مجال تفصيله يقول « ان الوضع الامني تردى بشكل ملموس ، كما وان الوضع الاقتصادي يحمل بين طياته اخطارا ، فقد تسبب تخفيض قيمة الليرة بارتفاع خطير في أسعار المنتوجات ، الامر الذي أدى الى هبوط مستوى المعيشة بشكل كبير ... » . واستطرد بولسكي قائلا : « ان الجو في البلاد سلبي ، فبدل تآخي القلوب تعاني البلاد من انشقاق خطير، وهناك جو غير مريح تجاه المهاجرين من الاتحاد السوفييتي ، كما أن هنالك من يتهمونهم بسلب حقوق أبناء سكان بلدان اخرى ... وقد تردت شروط استيعاب المهاجرين ... » . والى جانب ذلك ، يرى الدكتور بولسكي ان الرسائل التي يتلقاها يهود الاتحاد السوفييتي من اقاربهم واصدقائهم الذين هاجروا الى اسرائيل لا تشجع على الهجرة . وذكر ايضا ان اذاعة اسرائيل لم تعد تسمع في الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٧٣ ، عندما قام السوفييت بالتشويش على البرنامج الموجه بحيث اصبح من المتعسر الاستماع اليه . وفي مقابل ذلك تقوم وسائل الاعلام السوفييتية بحملة مناوئة للهجرة ، حيث « تشدد الصحافة السوفييتية على الجوانب السلبية فقط ، وينبغي ان نعلم ان الدعاية السوفييتية تعمل الان بمستوى مهني رفيع ، انهم لا يروجون اكاذيب يمكن دحضها والوقوف على اغراضها ، بل يمتنعون عن ترويج اكاذيب بارزة ، ويخلقون صورة من أنصاف الحقائق ، ويعتمدون كثيرا ، وبقدرة، على تقديم اقتباسات دقيقة مما ينشر في الصحافة الغربية والصحف الاسرائيلية حول الازمات والخصومات والانشقاقات ، والاحساس بعدم توفر الامن ، ومخاوف اخرى في اسرائيل » . ومن الجدير بالذكر هنا أن حديث الدكتور بولسكي يخلو تماما من ابراز الجوانب « الايجابية » في اسرائيل ، ويبرز بشكل واضح الجوانب «السلبية» فقط ، مع كيل الشتائم للاتحاد السوفييتي .

ويعود بولسكي ويلخص بعض العوامل الحائلة دون الاسراع في الهجرة قائلا : « ان هذه الدعاية كافية لردع رغبة اليهود في الهجرة لانها مقنعة ، والوقائع قائمة . ان عدم توفر معلومات متزنة، بالاضافة الى وجود معلومات مغرضة ودقيقة ، وبالاضافة الى خيبة امل المهاجرين من الاتحاد السوفييتي الذين يكتبون رسائل الى اقربائهم واصدقائهم في الاتحاد السوفييتي ، كل ذلك يدفع اليهود للتريث وعدم الاسراع في الهجرة » . ومع ذلك فان الدكتور بولسكي يعتقد بأنه حتى لو فتح الاتحاد السوفييتي ابواب الهجرة امام من يرغب في ذلك من اليهود فان مجرى الهجرة سيزداد ، ولكن هذا المجرى سيتجه لاسفه ، نحو الولايات المتحدة ، بينما يصب رافد منه فقط في اسرائيل، وذلك في حالة « اذا لم تتغير صورة اسرائيل

المرتسمة في أعين يهود الاتحاد السوفييتي ، وكذلك الظروف التي تولدها » .

ومن ناحية اخرى ، أجرى فرع التخطيط والبحث التابع لوزارة الاستيعاب بالتعاون مع المكتب المركزي للاحصاء بحثا بين صفوف مهاجرين من الاتحاد السوفييتي بعد مرور عام على تواجدهم في اسرائيل . وكانت من نتائج ذلك البحث المعطيات التالية (معاريف ، ١٩٧٤/١٢/١٤) :

● ٧٠ ٪ من المهاجرين لم يتصلوا مطلقا مع اسرائيليين قدامى خلال مكوثهم في البلاد .

● اكثر من ٤٠ ٪ من اولئك المهاجرين لا يستطيعون التحدث باللغة العبرية .

● حوالي نصف المهاجرين لم يحصلوا على عمل بواسطة مصلحة التشغيل ومؤسسات الاستيعاب، بل بواسطة قواهم الذاتية — ٣٢ ٪ منهم بواسطة التوجه مباشرة الى أماكن العمل و١٦ ٪ — بواسطة استخدام اسلوب « الوساطة » .

● تحول كثير من الاكاديميين الى مستخدمين غير اكاديميين ، فقد أظهر البحث ان ٣٢ ٪ فقط من الاكاديميين يستخدمون بصفتهم تلك .

● يعتقد ٢٢ ٪ من المهاجرين ان مستوى سكناهم في البلاد متدني .

● يدعي ٣٤ ٪ من المهاجرين بأنهم لمسوا روحا عدائية من قبل اسرائيليين ، هذا مع العلم ان ٧٠ ٪ لم يجروا اتصالات مع الاسرائيليين .

وهناك بحث ميداني اخر اجراه احد موظفي وزارة الاستيعاب (معاريف ، ١٩٧٤/١١/٢٨) يشير الى ان ٣٠٪ من مهاجري الاتحاد السوفييتي، الذين نزحوا الى الغرب قد فعلوا ذلك لخوفهم من الخدمة العسكرية . اما الاخرون فأرجعوا أسباب نزوحهم الى مشاكل السكن وتدني المعاش، والنظرة السلبية تجاههم ورغبتهم في الانضمام الى اقاربهم في الولايات المتحدة .

كذلك تطرق وزير الاستيعاب شلومو روزن الى تضاؤل حجم الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، وأنكر ان يكون العامل الامني وراء ذلك ، الا انه أرجع السبب الى التصريحات الحربية : « ... ليس هنالك شك بأن التصريحات الحربية التي تصدر من قبل بعض الوزراء لا تعمل لصالح جو الهجرة » . ثم اورد روزن ارقاما حول نسبة انخفاض الهجرة ، فذكر ان نسبة الانخفاض في العام المنصرم قد بلغت ٤٢ ٪ بالنسبة للفترة المماثلة من العام السابق وعزا ذلك الى مصاعب العمالة والسكن والاستيعاب ، ووجه انتقاده للمجتمع الاسرائيلي بقوله : « ينبغي علينا ، بادىء ذي بدء ، ان نثقف أنفسنا نحن الاسرائيليين تجاه اهمية الاستيعاب الاجتماعي » . وذكر الوزير أيضا أن وزارته تنظر بعين الخطورة الى انخفاض نسبة الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، حيث بلغ الانخفاض ٤٩ ٪ خلال الـ ١١ شهرا من العام المنصرم بالنسبة الى الفترة ذاتها من العام السابق له (معاريف ، ١٩٧٤/١٢/٢٤) .

من هم النازحون ؟

يجيب على هذا السؤال الصحفي الاسرائيلي امنون روبينشتاين في مقالة له تحت عنوان « الهجرة في هبوط » (هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٢) فيذكر بأن معظم النازحين يشكلون شريحة من الاسرائيليين من ذوي المهارات المهنية التي تفوق المعدل العام في اسرائيل ، الامر الذي يؤثر على « مستودع القوى البشرية المهنية » هناك بشكل فعال . وبالاضافة الى ذلك يذكر الكاتب ، وعلى خلاف ما هو شائع ، أن نصيب المهاجرين الاجدد من هذا النزوح ضئيل جدا ، فحسب معطيات وزارة الاستيعاب نزح من بين صفوف المهاجرين في عام ١٩٧٢ ٤٪ فقط ، بعد مرور عام على قدومهم، وبلغت نسبة النازحين من بين ما يعرفون بالمهاجرين الطارئين ٩ ٪ . ثم يصل الكاتب الى القول بأن نصيب مواليد البلاد بين النازحين مرتفع ، فحسب التقديرات، يحتل هؤلاء اكثر من ثلث عدد النازحين، ويشير الى ان الاستعداد النفسي للنزوح بين فئة الشباب متوفر اكثر منه لدى كبار السن.ويستشهد على ذلك باستفتاء كان قد اجراه معهد «بوري»، خلال شهر تشرين من العام الماضي بعد مرور عام على الحرب الاخيرة ، تفيد نتائجه بأن ٥ر٨ ٪ من مجموع السكان اليهود اعلنوا بأنهم يدرسون امكانية الهجرة من اسرائيل خلال العامين القادمين ، بينما بلغت نسبة الشباب في سن ١٨ — ٢٩ ، الراغبين في النزوح ٨ر١٦ ٪ ، وقد اجاب ٨ ٪ منهم بأنهم « يبرمجون بشكل عملي للهجرة من اسرائيل خلال عامين ، والعيش في دولة اخرى » .

ثم يتطرق روبينشتاين الى ظاهرة جديدة بعد حرب تشرين تتمثل في اعلان من يود النزوح عن البلاد رغبته جهارا ، بدل التستر عليها . « ليست الارقام فقط هي التي تجلب القلق ، بل اسوأ من ذلك ظاهرة جديدة ، ظهرت بكامل قوتها عقب حرب يوم الغفران : ذات مرة كانت عملية النزوح عن البلاد مشفوعة باجراءات سرية ... وكان من الصعب العثور على أي شخص يعلن عن قراره بانه سيترك البلاد ، وبعد الحرب الاخيرة ، من الممكن سماع شباب اسرائيليين يعلنون بطريقة لاذعة ، وبصوت مرتفع ، عن اعتزامهم ترك البلد الى الابد » . ويرى الكاتب ان تيار النزوح هذا يفصح عن الازمة العميقة المستمرة للمجتمع الاسرائيلي : « ... ان اسرائيل ليست مجرد بلد هجرة ، والذين يهاجرون اليها ليسوا مجرد مهاجرين . ان الاف الاسرائيليين الذين يتركون اسرائيل يضعفون ليس فقط قدرة صمودنا ، بل يشهدون على فشل جزئي لهدف يعتبر جزءا من جوهرنا . والاسوأ من ذلك هو ان موجة النزوح الجديد ليست مجرد تعبير عن ضيق اجتماعي او خوف امني ، بل تعبير ايضا عن الازمة العميقة والمستمرة للمجتمع الاسرائيلي » (المصدر نفسه).

اضافة الى ذلك ، هناك مشكلة اخرى تقلق بال المسؤولين الاسرائيليين ، وهي ظاهرة « المتساقطين » من اليهود السوفييت اي اولئك اليهود الذين يهاجرون من الاتحاد السوفييتي ولكنهم لا يصلون الى اسرائيل وانما يتوجهون الى بلدان اخرى ، وهي الظاهرة التي اصبحت تعتبر مشكلة بالنسبة للهجرة الى اسرائيل ، واخذ المسؤولون عن الهجرة يحذرون منها خاصة وانها آخذة بالتصاعد. كما واخذ الصحفيون الاسرائيليون يركزون عليها بغرض ايجاد حل للمشكلة قبل استفحالها ، ومن بين هؤلاء ابراهام تيروش الذي مس موضوع « التساقط » في مقال له (معاريف ، ٧٥/١/٧) تطرق فيه الى نسبة « المتساقطين » والى المنظمة التي تساعد هؤلاء ، فذكر انه خلال عام ١٩٧٣ « تساقط » في فينا ٤٪ فقط من مهاجري الاتحاد السوفييتي بينما شهد مطلع عام ١٩٧٤ نسبة ٨٪ من السقوط ، الا ان هذه النسبة اخذت تزداد كل شهر الى ان وصلت الى ٣٨٪ في شهر كانون الاول من العام الماضي ، ومن المتوقع ان تزداد ايضا مع مرور الوقت . ويميط الكاتب اللثام عن وجود منظمة يهودية تدعى ياسا تقدم العون والمساعدة « للمتساقطين في روما وفينا ، بمساعدة من اموال الجباية اليهودية الموحدة حيث تقدم لهم الاموال اللازمة وتقوم بتعليمهم اللغة الانجليزية وتنظم هجرتهم الى ما وراء البحار » . وهنا يتساءل الكاتب ، ويبدو القلق واضحا في تساؤله : « هل ينبغي الطلب من منظمة ياسا ان تكف عن الاعتناء بالمتساقطين ؟ هذا سؤال صعب ومركب ، فمن ناحية هؤلاء هم لاجئون انقذوا من بلد ضيق ، ويلزم التضامن اليهودي الاعتناء بهم ، ولكن من الناحية الاخرى ، هل ينبغي استخدام اموال تجمع لحاجيات اسرائيل بغرض مساعدة اناس قرروا بانها ليست بلدهم ؟ واذا كان الامر هكذا او كذلك ، يبدو ان الموضوع يستحق على الاقل دراسة معمقة ، لم تجر حتى الان » .

ع. م.

[٦]

تـــأزم المشاكل الاجتماعية
بسبب سوء الوضع الاقتصادي في اسرائيل

كان الاعتقاد السائد قبل حرب تشرين ١٩٧٣ ، ان المشاكل الاجتماعية في اسرائيل تبرز وتـــزداد حدة في فترة الهدوء الامني ، وتختفي تقريبا في فترات التوتر والحرب . ويبدو ان هذا الاعتقـــاد كان صحيحا حتى نشوب الحرب الاخيرة فقـــط ، اذ ان المشاكل الاجتماعيـــة التي يعاني منهـــا الاسرائيليون الان ما هـــي الا انعكاس للنتائـــج الاقتصادية والحالة الامنية في اسرائيل خلال تلك الحرب وبعدها ، بينما « ازداد وعي الجمهـــور لما يحدث ليس فقط على الحدود وخارجها ، وانما بين الشعب ايضا » (دكتور يسرائيل كاتس — دافار ، ١٩٧٥/١/١٠) . والاعتقاد السائد الان ان الوضع الاجتماعي ليس اقل اهمية عن الوضع الاقتصادي او الامني ، وخاصة في « دولة تستعد للحرب ، وتطالب سكانها بتضحيات اقتصاديـــة ، وتجند جميع مواردها من اجل قضايا الامن والجيش ... لقد ولت فتـــرة اللامبالاة التي ميزت جيـــل المؤسسين على الصعيد الاجتماعي ، ومن الان فصاعدا فان الاعمال والاهداف الاجتماعية هي التي ستمنـــح الطابـــع الخـــاص للحياة في الدولـــة اليهوديـــة » (أ. غازيت — معاريف ، ٨/١٦/ ٧٤) .

من اجل الوقوف على المشاكل الاجتماعية في اسرائيل الان ، لا بد من التطرق اليها من ثـــلاث زوايا اساسية مختلفة : (١) مستوى الاجور ، (٢) التعليم ، (٣) المشاكل السكنية ، وهي الزوايا نفسها التي انطلقت منهـــا لجنة كـــاتس (لجنـــة ترأسها دكتـــور يسرائيل كاتس ، مدير مؤسسة التأمين الوطني سابقـــا) التي عينتهـــا رئيسة الحكومة السابقة غولده مئير لبحث مشكلة الاولاد الـــذين يعيشون في ضائقة اجتمـــاعية في اسرائيل . وقد قدمت هذه اللجنة تقريرها الذي يتضمن استنتاجاتهـــا وتوصياتها الى اللجنـــة الوزارية لشؤون الانعاش الاجتماعي ، وذلك في شهر تموز ١٩٧٣ ، اي قبل نشوب الحرب بثلاثة أشهر تقريبـــا . وقامت اللجنة الوزارية ، بنـــاء على ذلك التقرير ، ببلورة عدة مشاريع ، منهـــا مشروع تربوي اعدته وزارة المعارف والثقافة ، بلغت تكاليفه ١٢٠ مليون ليرة ، كما قدمت وزارة الاسكان خطة خماسية لحل المشاكل السكنيـــة (امنون برزيلاى — هآرتس ، ٧٤/١١/٧) ، الا ان الوضـــع الاقتصادي الجديد الـــذي نشأ بعـــد الحرب اخر تنفيذ هذه المشاريـــع . ومن اهـــم الاستنتاجات التي توصلت اليها لجنة كاتس هي ان ١٦٠ الفا من الاحداث في اسرائيل ، الذين تقل اعمارهـــم عن ١٨ سنة ، يعيشون في ضائقـــة اجتماعية ، منهم ٢٥ الفا في ضائقة اجتماعيـــة شديدة . كذلك يستفاد من التقرير ان ٩٢ — ٩٤٪ من هؤلاء الاحداث هم من ابناء الطوائف الشرقية ، بينما تصل نسبتهم بين الذين يعيشون في ضائقـــة اجتماعية شديدة الى ١٠٠٪ (تقرير لجنة رئيسة الحكومة للاولاد والاحداث في الضائقة — الطبعة الثانية ، أيار ١٩٧٤ ، ص ٤٩ — ٥٠) .

خط الفقر في ارتفاع

أدت سياسة الكبح الاقتصـــادي التي اتبعتهـــا اسرائيل خلال السنة الاخيرة ، وموجات الغـــلاء التي رافقتها ، والتي لم يسبق لها مثيل منذ قيام اسرائيل ، الى زيادة العبء على اصحاب الدخل المحدود . ووصل هـــذا العبء الى ذروته اثـــر التخفيض في قيمة الليرة في شهـــر تشرين الاول الماضي ، وموجة الغلاء التي رافقته ، وخـــاصة بالمواد الغذائية الاساسية ، حيث ارتفعت نفقات الشخص الواحـــد ، بالنسبة لاسعار المـــواد الاساسية فقط ، بنحو ١٠٢ ليرة شهريا (امنـــون برزيلاى — هآرتس ، ٧٤/١١/١٧) . وكان اكثر المتضررين من موجة الغلاء هذه العائـــلات الكثيرة الاولاد والمحدودة الدخل ، وخاصة وان نحو نصف اولاد اسرائيل ينشأون في هذه العائلات ، رغـــم انها تكـــون ١٠٪ فقط من مجمـــل العائلات في اسرائيل (المصدر نفسه) . وقد وعدت الحكومة عند اتباع تلك الخطوات الاقتصادية ، بعدم المس باصحاب الدخل المحدود ، وبعد مداولات طويلة ،

رفعت مخصصات الشؤون الاجتماعية والتأمين الوطني بمدى كبير حيث تم زيادة الميزانية المخصصة لذلك بنحو ٧٥٠ مليون ليرة (اهرون جيفع — دافار ، ٧٤/١٢/١٦) . وكانت لجنة كاتس قد اعلنت ان ضائقة العائلات المحدودة الدخل ، غير ناجمة فقط عن توقف رب العائلة عن العمل ، او عدم توفر دخل شهري دائم لتلك العائلات ، وانما يعود مصدرها في حالات كثيرة الى كثرة الاولاد في العائلة ، بحيث لا يكفي دخل رب العائلة لاعالتها ، « وليس سرا ان الجزء الاكبر من هؤلاء السكان [المحدودي الدخل] هم من ابناء الطوائف الشرقية ، الذين يكثرون من زيارة مكاتب الشؤون الاجتماعية الحكومية والبلدية في انحاء الدولة،معتبرين ان المساعدات الاجتماعية هي جزء غير منفصل من حياتهم » (اريبه افنيري — يديعوت احرونوت ، ٧٤/١١/١) . وقد اعلن وزير الشؤون الاجتماعية ، حزاني (في حديث مع هآرتس ، ٧٤/١٢/٢٣) ان مجموع العائلات التي حصلت على مساعدات اجتماعية في تشرين الاول ١٩٧٤ ، بلغ ٢٥٢١٨ عائلة مقابل ٣٢١٦٨ عائلة في نهاية ١٩٧٣ ، ويعود هذا الانخفاض ، بحسب رأيه ، الى دخول ٤٠ الف شخص الى دائرة العمل . كما اعلن الوزير ان المساعدات الاجتماعية التي تدفعها وزارته قد زادت وذلك بسبب عدم ارتفاع الحد الادنى للاجور الذي يبلغ ٦٨٥ ليرة شهريا ، بينما زادت تكاليف المعيشة بسبب الغلاء . وضرب حزاني مثلا على ذلك : عائلة مكونة من ٥ انفار ويتقاضى رب العائلة ٦٨٥ ليرة شهريا — تلزمها اليوم ضعف المساعدة الاجتماعية التي كانت تحصل عليها في الماضي ، بمعدل ٧٣٤ ليرة شهريا ، لكي تستطيع اعالة نفسها (المصدر نفسه) ، مما يعني ان الخط البياني للفقر هو في ارتفاع في اسرائيل ، طالما بقيت الاجور على وضعها الحالي . ويخشى البعض من ان يؤدي الاعتماد المتزايد على المعونات الاجتماعية الى قلة الرغبة بالعمل بين هؤلاء السكان ، « طالما باستطاعتهم العيش على حساب الجمهور » (اهرون جيفع — دافار ، ٧٤/١٢/٢٤) . كما يتخوف اخرون من ان تؤدي البطالة المتوقعة الى تازم مشكلة الدخل ، لان ذوي الامكانات المحدودة سيكونون اول العاطلين عن العمل « اذ ان المصانع ستحاول عدم اقالة المهندس ، او مراقب الحسابات او العامل المهني القديم » الذين لا تستطيع الاستغناء عنهم ، بينما تستطيع الاستغناء عن العمال غير المهنيين (دافار، ٧٤/١١/٧) .

« ٢٥ ٪ من الاولاد يعانون من ضائقة في مجال التعليم »

توصلت لجنة كاتس الى استنتاج بأن ٢٥ ٪ من الاحداث في اسرائيل يعانون من ضائقة في مجال التعليم ، وتتمثل هذه الظاهرة في عدة نواح : (١) التواجد خارج اطار الدراسة . (٢) فشل الاولاد في دروسهم رغم وجودهم داخل اطار التعليم الالزامي . (٣) الاولاد والاحداث الذين يمارسون اعمالا عديدة ، بدون اي احتمال لاحراز تقدم مهني او اقتصادي واجتماعي . (٤) الاولاد والاحداث المتخلفين على انواعهم : ومما يزيد من حدة هذه المشكلة ، ان الجزء الاكبر من هؤلاء الاولاد نشأوا في عائلات من أصل آسيوي وافريقي (اريبه افنيري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١١/١) . وتفيد بعض الانباء ان نحو ٢٠ الف تلميذ في اطار التعليم الابتدائي قد تركوا مقاعد الدراسة ، رغم قانون التعليم الالزامي ، بينما تتحدث انباء اخرى عن مدى التخلف الثقافي بين ابناء الطوائف الشرقية ، اذ بينما تصل نسبة التلاميذ بينهم في المدارس الابتدائية الى ٦٠ ٪ ، فانها تنخفض في التعليم الثانوي الى ٣٨ ٪ ، بينما لا تتعدى نسبة الطلاب منهم في الجامعات ٨ ٪ فقط (المصدر نفسه) . وفي هذا المجال أعلن شاؤول بن سمحه ، رئيس اتحاد يهود مراكش ،ان الاتحاد انشأ صندوقا عاما لخدمة التقدم الثقافي لابناء الطوائف الشرقية، « اذ لا يمكن تحمل وضع كهذا ، لا يستطيع فيه اولاد اذكياء مواصلة دراستهم ، فقط لان ابناءهم لم يولدوا في اوروبا » (المصدر نفسه) . اما الحل في نظر « الفهود السود » فهو انه يتوجب على المدارس الابتدائية في مناطق الضائقة ان تفتح أبوابها طوال السنة ولفترة ١٢ ساعة في اليوم ، لمساعدة الطلاب على مواصلة دراستهم . « ان عدم نجاح اي طالب في امتحانات [شهادة انهاء الدراسة الثانوية] في مدينة مثل بيسان ، هو أمر يثير الاشمئزاز » (المصدر نفسه) . ولكن على

الرغم مما ذكرناه فهناك الان ، من ناحية اخرى حديث حول تجميد بناء المدارس واتباع نظام المناوبة فيها ، وذلك في اطار سياسة الكبح الاقتصادي التي تتبعها الحكومة ، ويخشى البعض من أن يؤدي ذلك الى تازم مشاكل التعليم ، بدلا من حلها (اهرون جيفع — دافار ، ١٢/١٦/ ١٩٧٤) .

الفصل بين الطوائف في مجال السكن

رغم التخفيض المتوقع في ميزانية وزارة الاسكان خلال هذه السنة ، أعلن وزير الاسكان ابراهام عوفر انه سيتم ، ضمن الخطة الخمسية للبناء ، تخصيص ٦٢ الف مسكن للازواج الشباب و٦٤ الف مسكن للعائلات التي سيتم اخلاؤها من الاحياء الفقيرة (يداغار ، ١٩٧٤/١٠/٢٩) .وكانت لجنة كاتس قد توصلت الى نتيجة مفادها ان ١٠٠ الف عائلة تسكن في مساكن غير ملائمة ، حيث يعيش ٢٥٠ الف طفل في ظروف سكنية غير محتملة . ويشير احد المعلقين (اريه افنيري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١١/١) الى ان ظاهرة « الفصل بين الطوائف » القائمة منذ قيام الدولة، رغم أنها لم تكن موجهة ، ادت الى ان معظم الاحياء الفقيرة ، والضواحي ومدن الاعمار البعيدة اصبحت مأهولة بابناء الطوائف الشرقية ، حيث « يسكن عشرات الالاف من العائلات في مساكن متداعية ، ومئات في مساكن اعلنت السلطات المحلية انها خطرة ومرشحة للهدم ، بينما بقي الاف من الازواج الشباب بدون حل سكني ، حيث يسكنون في ظروف سيئة للغاية » .

أجهزة خاصة للانعاش الاجتماعي

اقيمت في اسرائيل مؤخرا عدة اجهزة لمعالجة الاوضاع الاجتماعية ، اولها اللجنة الوزارية لشؤون الانعاش الاجتماعي ، التي يترأسها وزير الشرطة شلومو هيلل ، والمؤلفة من وزراء المالية والصحة والشؤون الاجتماعية والاعلام والتربية والزراعة والاستيعاب والاسكان والمواصلات ، ومهمتها بحث القضايا الاجتماعية ووضع الافضليات لتنفيذ المشاريع المختلفة في المجال الاجتماعي . وكانت هذه اللجنة قد شكلت في الايام الاخيرة من حكم غولدا مئير . كذلك تم ، بناء على توصيات لجنة كاتس ، تعيين العقيد (احتياط) باروخ ليفي ، مستشارا لرئيس الحكومة لشؤون الاحداث . ويفترض ايضا ان يعمل الى جانب اللجنة الوزارية والمستشار ، فريق مهني مختص بالقضايا الاجتماعية ، على غرار مجلس الامن القومي ، الذي يخطط لاقامته ، على ان يكون تابعا لمكتب رئيس الحكومة . كما يفترض تشكيل مجلس عام لشؤون الانعاش الاجتماعي ، ولجنة وزارية مشتركة على مستوى نواب المدراء العامين للوزارات ، وذلك لتنسيق الاعمال (أ. غازيت — معاريف ، ١٩٧٤/٨/١٦) . كما اقام اعضاء الكنيست من الطوائف الشرقية تنظيما لاحزبيا في الكنيست ، للبحث في المشاكل الاجتماعية « الساخنة » ، ومحاولة العمل على حلها . وعلم ان عضو الكنيست حبيب شحموني (التجمع) يقف وراء هذا التنظيم ، اذ نجح في « تكتيل اعضاء ، موجودين معظم أيام السنة من على جانبي الخندق ، من اجل الاهتمام سوية بمشاكل الضائقة لاصحاب الدخل المحدود » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٤/١٢/٣٠) .

وكانت اللجنة الوزارية للانعاش الاجتماعي قد قامت بعد تشكيلها ببحث ما تم تنفيذه من توصيات لجنة كاتس ، والامور التي ما زالت في مجرى التنفيذ ، وكذلك تلك التي لن يكون بالامكان تنفيذها . وذكر الوزير شلومو هيلل الافضليات التي ستتبعها اللجنة في حل المشاكل الاجتماعية : حل مشاكل التعليم، دفع مخصصات للعائلات التي لا يكفيها دخلها ، اقامة مساكن في الاماكن « الضعيفة » ، الاهتمام بالتوزيع السكاني وتخطيط العائلة (المصدر نفسه) . الا انه يبدو ان انجازات الحكومة الحالية في المجال الاجتماعي ليست كبيرة حتى الان ، خاصة وان القضايا الامنية والخارجية والاقتصادية تستغرق معظم وقتها واهتمامها . ولكن بعد تزايد النشاط الفدائي ، خاصة في مستوطنات الحدود ، ادرك المسؤولون الاسرائيليون اهمية الاسراع في حل المشاكل الاجتماعية ، لان معظم المتضررين من العمل الفدائي في تلك المستوطنات هم من اليهود الشرقيين الذين يعيشون في ضائقة اجتماعية ، وعلى حد قول وزير الشرطة شلومو هيلل « فان العرب قد اكتشفوا نقطة الضعف في المجتمع الاسرائيلي ، اذ أنهم ادركوا عند ضرب كريات

شمونه ومعلوت ، انهم يهاجمون مستوطنات تعتبر قدرة امتصاصها للضربة قليلة . واذا كانوا هم قد اكتشفوا هذا ، فقد حان الوقت لان نعترف نحن بذلك ايضا (شلومو هيلل ، نقلا عن أ. غازيت — معاريف ، ١٩٧٤/٨/١٦) . وقد درجت العادة ان تشارع السلطات الاسرائيلية ، وبعد كل عملية فدائية في هذه المستوطنات ، الى اغداق الوعود على سكانها ، الذين يهبون للمطالبة بحل مشاكلهم الاجتماعية ، وتأمين مستوى معيشة ملائم لهم . ويعترف هيلل بأن « أية حكومة لم تقدم خلال زمن قصير كهذا ، التزامات واضحة في المجال الاجتماعي ، ومن قبل رئيس الحكومة نفسه ، مثل هذه الحكومة » (المصدر نفسه) . ولكن على الرغم من اطلاق التصريحات حول الحاجة الى تقليص الثغرة الاجتماعية يبدو ان الحكومة تنتهج ، أحيانا ، سياسة معكوسة ، اذ يتضح من حجم الميزانية للسنة المقبلة ، انه لن يكون هناك اي تطور او انجاز على صعيد حل المشاكل الاجتماعية ، وذلك نظرا للتخفيض في الميزانيات المخصصة للخدمات الاجتماعية ، مثل التعليم والاسكان والصحة والشؤون الاجتماعية وما شابه .

ومن ناحية ثانية ، دعا دكتور يسرائيل كساتس (دافار ، ١٩٧٥/١/١٠) ، وهو من ذوي الاطلاع والخبرة في معالجة مثل تلك المشاكل ، الى وضع خطة اجتماعية جديدة ، لحل مشكلة الضائقة في اسرائيل ، وذلك لعدة أسباب (ومن خلال تقديمه لهذه الأسباب يكشف عن عدة عيوب في الاوضاع الاجتماعية في اسرائيل) ، هي (١) ان اكثر من نصف الاطفال في اسرائيل لا يتلقون العناية الكافية بهم . (٢) ان اولياء اكثر من نصف الاطفال لم ينهوا التعليم الابتدائي . (٣) في احدى المدن في اسرائيل [بيسان] لم ينجح اي طالب واحد في امتحانات البغروت . (٤) ان اي مركز اقليمي ، يحاول توحيد خدمات التعليم والتربية والصحة والاهتمام الشخصي يكون خاضعا لنحو ٢٠ وحدة رسمية ، تتحمل كل منها المسؤولية . وبسبب الاختلاف في انواع هذه الخدمات فانها غير قابلة للتنسيق ، رغم المجالس ولجان التنسيق . (٥) ان الحكم المحلي (المجالس المحلية والبلديات) الذي يفترض فيه ان يهتم بمتطلبات المواطنين ... قد تحول الى « فرع » فقير تابع للحكم المركزي ، ولا يستطيع تحقيق مشاريعه . (٦) أدت الضرورة والاستعداد للتعويض على أصحاب الدخل المحدود الى نظام غير ملائم للتعويض ، لا يسمح بمنح تعويض حقيقي . وبدلا من اتباع نظام اجور شامل — مع ضرائب ومساعدات وخدمات — تمت زيادة المساعدات فقط . (٧) هناك الاف العائلات في اسرائيل ما زالت تنجب كل سنة طفلا . (٨) ان عشرات الالاف من المواطنين الذين اعتزلوا العمل يجمعون كل ليرة اضافية لتقاعدهم . (٩) هناك ٣٠٠ الف ماجور تقريبا غير مضمونين ضمانا تقاعديا يتناسب مع دخلهم ، بسبب عدم وجود نظام تقاعدي نسبي مع الدخل ، بالنسبة للجميع . (١٠) ان مستوى العلم والتكنولوجيا في اسرائيل مرتفع نسبيا ، ولكن قلة من الخبراء والعلماء يهتمون بالمشاكل الاجتماعية .

كذلك دعا البعض الى اقامة وزارة للانعاش الاجتماعي واعادة تنظيم الخدمات الاجتماعية ، لان تقسيم الصلاحيات بين عدة وزارات وهيئات لا يساعد على حل المشاكل الاجتماعية . وفي اعتقاد عضو المكتب المركزي في الهستدروت ، نافه ايرد (في حديث لها مع هآرتس ، ١٩٧٤/١١/١٧) فان الوزارة الجديدة يجب ان تشمل جميع الخدمات الاجتماعية ، وتضم داخلها وزارة الشؤون الاجتماعية ايضا ، وتكون مسؤولة عن تنفيذ توصيات لجنة كاتس . كما ستضطر الوزارة المقترحة الى توزيع الصلاحيات بشكل صحيح بين الاقسام المختلفة ومكاتب الشؤون الاجتماعية وبين الاقسام الاجتماعية القائمة في السلطات المحلية . الا أن مدير عام وزارة الشؤون الاجتماعية ، دكتور م. أ. كورتس يعارض هذه الفكرة من أساسها لان من يعتقد ، بحسب قوله ، « ان الاعلان عن الغاء وزارة الشؤون الاجتماعية كوحدة مستقلة ... سيؤدي الى اصلاح الوضع الاجتماعي وتحسين الخدمات ... سيدرك اخيرا انه اخطأ خطأ شديدا وخطيرا» (معاريف ، ١٩٧٤/١٠/٢٨) .

حنه شاهين

[٧]

الخلافات داخل اجنحة ليكود (التكتل) ومؤتمر حيروت الاخير

نقدم في هذا العدد عرضين [٧ و٨] لتوضع الراهن في كل من تكتل ليكود وكتلة المفدال ، على ان نقدم في العدد القادم عرضا للوضع الراهن في حزب العمل .

افتتح حزب حيروت مؤتمره الثاني عشر في مستوطنة كريات اربع في الخليل المحتلة ، بتاريخ ١٩٧٥/١/١٢ ، بحضور كل من رئيس الدولة افرايم كتسير ، ووزير الدفاع السابق موشي ديان ، ووزير الدفاع الحالي شمعون بيريس ، ووزير الاقتصاد السابق بنحاس سابير . واستمرت مناقشات المؤتمر في تل ابيب حتى ١٩٧٥/١/١٦ . وكانت هذه اول مرة يعقد فيها حزب حيروت مؤتمره في نطاق تكتل ليكود اليميني . وقد عقد المؤتمر بعد مرور عشرة أيام على استقالة احد الاعضاء المركزيين في الحزب ، وهو الدكتور بنيامين هليفي، الذي عكست استقالته بعض الاضواء على ما يجري داخل حيروت وداخل ليكود .

وقبل التعرض لمؤتمر حيروت الاخير ومناقشاته وقراراته لا بد من تقديم صورة عن ليكود (التكتل) اليميني وما يجري داخله منذ قيامه حتى الان .

تشكلت لجنة ليكود اليمينية في عام ١٩٧٣ اثناء الحملة الانتخابية للكنيست الاسرائيلي الثامن ، التي كان من المقرر ان تجري الانتخابات له في ١٩٧٣/١٠/٢٨ ، ولكنها تأجلت بسبب حرب تشرين الاول الى ١٩٧٣/١٢/٣١ . وبعد مفاوضات طويلة وشاقة قام ليكود ، مكتلا في اطاره الاحزاب الاسرائيلية اليمينية وهو (١) فاحل ، المكون من تحالف حزبي حيروت والاحرار منذ عام ١٩٦٥ ، وهي الكتلة الرئيسية داخل ليكود . (٢) المركز الحر ، الذي انشق عن حزب حيروت عام ١٩٦٧ بزعامة شموئيل تامير . (٣) القائمة الرسمية ، وهي جناح من حزب رافي الذي انشق عن حزب مباي قبل انتخابات عام ١٩٦٥ بزعامة دافيد بن غوريون . وقد رفض هذا الجناح العودة الى مباي في اطار حزب العمل ، عندما عاد الجزء الاكبر منه الى الحزب الام بزعامة موشي ديان وشمعون بيريس ، قبل انتخابات عام ١٩٦٩ . (٤) حركة العمل من اجل أرض اسرائيل الكاملة ، التي دخلت معركة الانتخابات عام ١٩٦٩ كحزب مستقل وفشلت . وهي حركة سياسية متطرفة تضم غلاة التوسعيين الاسرائيليين .

نشأ حزب حيروت عن المنظمة الارهابية ارغون تسفائي ليئومي (اتسل) بزعامة مناحيم بيغن بعد أن حلت هذه المنظمة في عام ١٩٤٨ ومنذ اقامة اسرائيل ظل هذا الحزب من حين لاخر (مرة كحيروت ومرة كفاحل وبعد ذلك كليكود) يضع نفسه في موضع البديل لحكم الدولة ، بدلا من مباي وحزب العمل فيما بعد ، غير انه على الرغم من ذلك لم ينجح في تسلم السلطة . الا ان قوة المعارضة اليمينية ، بزعامة بيغن ، تعززت قليلا في البرلمان بعد الانتخابات الاخيرة ، حيث ارتفع عدد مقاعدها هناك الى ٣٩ مقعدا ، موزعة على الشكل التالي : حيروت : ١٧ مقعدا ، الاحرار : ١٣ مقعدا ، المركز الحر : ٤ مقاعد ، القائمة الرسمية ٤ مقاعد ، حركة العمل من اجل ارض ــ اسرائيل الكاملة : مقعد واحد .

وقد حاول زعيم ليكود ، مناحيم بيغن ، بعد الانتخابات الاخيرة اظهار كتلته على انها تكتل صلب ومتماسك ، مدعيا انه توجد في البرلمان اكثرية تعارض « اعادة تقسيم ارض اسرائيل الغربية » ، وارض ــ اسرائيل الغربية هو التعبير الذي يطلق على فلسطين بحدودها ايام الانتداب البريطاني ، مبررا بذلك معارضته الانسحاب من الضفة الغربية او جزء منها . ولكن لم تمر بضعة أشهر على تشكيل ليكود حتى تبين ان الامر لم يكن كذلك ، فقد بدأت تظهر على السطح خلافات بين اجنحة ليكود المختلفة من جهة ، وفي داخل بعض الاجنحة من جهة اخرى . وظهر أن

هذه الخلافات تدور أيضا حول مبدأ عدم « اعادة تقسيم ارض اسرائيل الغربية » الذي اعتبره بيغن مبدأ مقدسا لا نقاش حوله (دانيئيل بلوخ — دافار ، ١٩٧٤/٧/١٧) . ورغم ان الخلافات داخل ليكود واجنحته تمتاز غالبا بكونها خلافات شخصية وتنظيمية ، وقل ما تكون مبدئية ، بدأت تظهر مؤخرا خلافات حول الخط السياسي الذي تتبعه الزعامة التقليدية (دانيئيل داغان — معاريف ، ١٩٧٤/٨/٩ وشلومو نكديمون — يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٥/١/١٠) .

الخلافات داخل حيروت

شهدت حركة حيروت في السنوات الاخيرة سلسلة من « الثورات » الداخلية ، ابتداء « بثورة » شموئيل تامير في عام ١٩٦٧ ، مرورا « بتمرد » عيزر وايزمان في اواخر عام ١٩٧٢ وانتهاء بتمرد بنيامين هيلفي في بداية العام الحالي .

وهناك صفة مشتركة في الحوادث الثلاث ، وهي ان معظم المعلقين الاسرائيليين اعتبروها تمردا ضد زعامة بيغن الفردية ، « الذي يسيطر على ليكود بصورة مطلقة ولا يسمح للاخرين برسم خط الحزب » (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ١/٩/ ١٩٧٥) .

ومع ذلك فان التمرد الاخير ، وهو تمرد بنيامين هليفي ، لم يعز لاسباب تنظيمية وشخصية فقط ، وانما لاسباب مبدئية وسياسية ايضا . « فقد ثار هليفي ضد كم الافواه ، الذي ازعج تامير ووايزمن . ولكن ثمة عنصرا اضافيا بالنسبة له ، وهو الكفر الايديولوجي الذي جعله يتهم زعامة الحزب بعدم القدرة على التكيف السياسي والحزبي والفكري » (دانيئيل داغان — معاريف ، ١/٥/ ١٩٧٥) .

وكانت الطريقة التي « تمرد » بها كل من الشخصيات الثلاث المذكورة مختلفة . فقد استطاع شموئيل تامير في عام ١٩٦٧ احداث انشقاق داخل حيروت وانضم اليه في ذلك الوقت اليعيزر شوستاك واهود اولمرت من زعماء « نقابة العمال القومية » التي كانت تابعة لحيروت ، مما مكنه من خلق حزب جديد مستقل هو المركز الحر ، الذي خاض الانتخابات عام ١٩٦٩ ونجح فيها . وكان المركز الحر منذ قيامه وحتى حرب تشرين يتنافس مع الحزب الام ، حيروت ، في التطرف القومي ورفض الانسحاب من الاراضي المحتلة . ولكن ظهر اخيرا تغير في خط تامير السياسي ، سنقف عليه فيما بعد .

واما عيزر وايزمان ، الذي تلقفته حركة حيروت من الجيش بعد حرب ١٩٦٧ ، واعتبرت انضمامه نصرا شعبيا لها ، وعينته وزيرا خلال الفترة التي اشتركت فيها في حكومة التكتل الوطني ، من عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠ ، « ما لبث ان خاب امله ، ولم يجد متسعا للعيش في حركة حيروت ... التي يقوم البناء الداخلي فيها على أساس الولاء الشخصي [للزعيم بيغن] ... » دانيئيل داغان — معاريف ، ١٩٧٥/١/٥) . وقد دفع هذا الوضع وايزمان الى التمرد على قيادة حيروت ، خلال المؤتمر الحادي عشر للحزب الذي عقد في اواخر عام ١٩٧٢ ، وبالتالي الى استقالته من رئاسة ادارة غاحل . وقال البعض ان اكثر ما ازعجه هو انسحاب غاحل من الائتلاف الحكومي عام ١٩٧٠ ، الذي أدى الى فقدانه منصبه كوزير للمواصلات .

لقد « سقط » وايزمان لمجرد عدم رضى مناحم بيغن عليه ، ولم ينفعه التأييد الذي لقيه من قبل جماعة كرمرمان — مريدور وهما عضوا برلمان من حزبه ، لهما نفوذ ما بسبب اهتمامهما بتمويل حزب حيروت ، ورغم التأييد الذي تمتع به من قبل شباب الحزب (يديعوت احرونوت ، ٨/٧/ ١٩٧٤) . ومع ان شباب حيروت لزموا الصمت بعد انسحاب وايزمان ، الا ان البعض يقولون ان معارضتهم لم تذهب سدى « فسكوت الشباب في حيروت لا يعني انهم تخلوا عن اهدافهم . وقد برزوا كقوة داخل الحزب ، وهم يسيطرون على بعض فروع الحزب الرئيسية ويشكلون ٢٠ ٪ من اعضاء المؤتمر الثاني عشر ... ان هذه القوة لن تؤدي الى ثورة داخل هذا المؤتمر ولكنها تبشر بتغييرات [في المستقبل] لن تتمكن حتى حركة حيروت من الحؤول دونها » (وان كسليف — هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٠) . ويبدو ان وايزمان ما زال على علاقة مع شباب حيروت ، ورغم انسحابه من رئاسة ادارة الحزب فقد حضر المؤتمر الاخير واستقبل بالحماس والتصفيق .

أما التمرد الاخير ، وهو تمرد الدكتور بنيامين هليفي ، فقد حظي باهتمام واضح ، حيث انه لم يكن مجرد تمرد تنظيمي ، بل ايضا تمرد سياسي وايديولوجي . وقال البعض عن هليفي انه غير موقفه السياسي بعد «صدمة حرب تشرين » . لقد انتقل هليفي في عام ١٩٦٧ من المحكمة العليا الاسرائيلية الى الموقع الثالث في حزب حيروت ، وعلى غرار وايزمان اعتبر انضمامه انتصارا للحزب . وكان هليفي معروفا بمواقفه المتطرفة وتأييده لحركة ارض اسرائيل الكاملة كما كان من بين المؤسسين الرئيسيين لتكتل ليكود قبل الانتخابات الاخيرة ، عندما بادر الى ذلك اريئيل شارون (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/٣) . وقد عين هليفي من قبل حيروت عضوا في لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، وكذلك في لجنة الدستور والقانون والقضاء . ولكن تبين ان حرب تشرين اثرت على مفاهيم هليفي السياسية ، فحاول بدوره التأثير على خط ليكود السياسي ، ولما فشل بعث برسالة الى بيغن ، في ١٩٧٥/١/١ ، واعلن فيها عن انسحابه من حيروت وبقائه في ليكود . وجاء في رسالة هليفي قوله انه اتخذ قراره « بعد حساب نفس سياسي . انني لا استطيع بعد الان تحمل مسؤولية سياسة حيروت ، التي لا تلائم نفسها مع الواقع ومتغيراته ... ان حيروت لم يتعلم درس حرب تشرين ، وهو ان القوى العسكرية في المنطقة ليست هي المقررة ، بل المقرر هو قوة وسياسة الدول الكبرى . ان السياسة التي تتجاهل القوى الضخمة العاملة في الميدان الدولي ، لا يمكن ان تنجح ، والوضع يفرض علينا التصالح مع اعدائنا — جيراننا » (دافار ، ١٩٧٥/١/٢) .

وفي تصريح له لاحدى الصحف قال هليفي ، تعقيبا على استقالته « ... لقد بدأ التوتر بيني وبين قادة حيروت [بيغن — لانداو] منذ بدء المفاوضات على اقامة ليكود ، وبما انني كنت المفاوض بين الاجنحة المختلفة، اتهمت بأنني اتنازل عن مصالح غاحل لصالح الكتل الاخرى [الصغيرة] ... لقد عارض بيغن ادخال المركز الحر في التكتل ، ولكنني اقنعته بذلك ... لقد أيدت وقف اطلاق النار مع ان قيادة حزبي رفضت ذلك ... وأيدت تأجيل الانتخابات بهدف تغيير قوائم المرشحين ، ولكن هذا لم يحدث . ودعوت الى التصالح مع المعراخ ، ولكنهم عملوا على اسكاتي . ففي حيروت لا يستطيع احد ان يدافع عن مصداقية ارائه ، فيما اذا تعارضت مع افكار مناحم بيغن » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٣) .

وكانت اول مرة ظهرت فيها خلافات بنيامين هليفي مع حزبه على السطح ، عندما وقع في تموز ١٩٧٤ ، هو وشنيئور زلمان ابراموف (من ليكود) مع كل من « الحمامتين » ، آرييه اليئاف وشالوم لينين (من العمل) على ما سمي « منشور الاربعة » ، الذي طالب فيه الموقعون بانضمام ليكود الى حكومة الائتلاف مع المعراخ على أساس البرنامج السياسي للحكومة ، الامر الذي ترفضه زعامة ليكود بشدة ، خاصة وان هذا البرنامج يشتمل على « التسوية الاقليمية » في الضفة الغربية (دافار ، ١٩٧٤/٧/١٧) . وقد أثار هذا المنشور غضب زعامة ليكود ، وعقدت اللجنة المركزية في حيروت اجتماعا انتقدت فيه بشدة توقيع هليفي ، حيث اتهمه احد اعضائها يتسحاق شموئيلي ، بأنه « يزرع البلبلة ويؤدي الى تدهور المعنويات » (معاريف ، ١٩٧٤/٨/٢٣)، بينما اتهمته زميلته في الحزب ، غيئولاه كوهين ، بأنه « يثير حوله ستارا من الضباب الايديولوجي ، لكي يغطي على الصدمة التي حلت به بسبب حرب يوم الغفران » (المصدر نفسه) . واما هليفي فقد دافع عن نفسه قائلا ان ٧٨ ٪ من الذين صوتوا لليكود يؤيدون توقيعه على « منشور الاربعة » ، بموجب استقصاء للرأي العام (المصدر نفسه) .

وقد اغضبت استقالة هليفي زعماء ليكود واثارت جدلا حول توقيتها وتأثيرها على حيروت وليكود ، خاصة وانها « جاءت بعد استقالة اريئيل شارون بوقت قصير ، بحيث ستسيء الى شعبية الحزب وزعيمه بيغن الذي اثبت انه لا يحتمل وجود شخصيات مركزية حوله » (دافار ، ١٩٧٥/١/٢) . وقال احد الكتاب اليمينيين ان هليفي « بدأ يتغير منذ حرب تشرين ، وغير صحيح ان اراءه تمثل الاكثرية في ليكود ومؤيديه ... ويجب عليه أن يخفف من الضجة حول استقالته » (موشي شمير — معاريف ، ١٩٧٥/١/٣) . واعتبر

البعض استقالته « ضربة شديدة لحيروت ... ولكن ليس من حق الحزب ان يطالبه باعادة مقعده في البرلمان ، لانه لم يحصل عليه بفضل الحزب ...» (دافيد علفادي — معاريف ، ١٩٧٥/١/٦) .

الخلافات داخل حزب الاحرار

بدأ المعلقون الاسرائيليون يتحدثون عن نشوب خلافات داخل حزب الاحرار منذ تموز ١٩٧٤ ، واعتبرت هذه الخلافات وكأنها تمرد ضد الخط السياسي لزعامة غاحل . وكان ابرز المتمردين على قيادة الحزب اريئيل شارون ، الذي برز كشخصية مستقلة لا تستطيع التأقلم مع خط وافكار زعامة الحزب وزعامة ليكود ، الامر الذي جعله يستقيل من عضوية البرلمان ويعود الى الجيش ، عندما سنحت له الفرصة لذلك . ولكن التمرد داخل حزب الاحرار لم يقتصر على شارون فقط ، بل كان « اوسع من التمرد في حيروت خاصة وان ثلاثة من اعضائه البارزين وقعوا على منشور يدعو الى الاعتراف بالكيان الفلسطيني والى الحوار مع الفلسطينيين ، وهم شلومو لاهط ، رئيس بلدية تل ابيب ، ويسرائيل بيليد رئيس بلدية رامات غان ، وعضو الكنيست يحزقيئيل بلومين » (شلومو نكديمون — يديعوت احرونوت ، ٨/٨/ ١٩٧٤) . وقد كانت لهذا المنشور ردود فعل صاخبة داخل حزب الاحرار وداخل ليكود ، كما حدث بالنسبة لـ « منشور الاربعة » المذكور . وفي ١٩٧٤/٧/١٨ عقدت ادارة حزب الاحرار اجتماعا لمناقشة التوقيع على ذلك المنشور ، حيث انتقد رئيس الحزب الدكتور ريملط الموقعين عليه ، بقوله ان ذلك يعد « خروجا على طاعة الحزب » (هآرتس ، ١٩٧٤/٧/١٩) . وقد دافع يسرائيل بيليد عن موقفه وموقف رفيقيه في الاجتماع مهاجما زعامة الحزب لانها « لا تلائم نفسها مع التطورات السياسية » (المصدر نفسه) . وعلق احد المتخصصين في شؤون الاحزاب على ذلك بقوله ان المعارضة داخل حزب الاحرار وباقي اجنحة ليكود كانت موجودة قبل الحرب ، ولكنها قويت بعدها ، واضاف ان « هناك اعضاء في ادارة حزب الاحرار ولجنته المركزية ، ينتقدون التشدد والتطرف والدوغماتية لدى زعامة الحزب وزعامة ليكود مما يضع العقبات امام دخول التكتل الى الحكم » (موشي مايزلس — معاريف ، ٧/٢٤/ ١٩٧٤) . وكتب المعلق نفسه ان الثلاثة الذين وقعوا على « منشور الفلسطينيين » ، يحظون بتأييد « الجيل الصاعد » في حزبهم ، وكذلك « الحلقة الفكرية » للشباب فيه . وقد ظهر ان الكثيرين في حزب الاحرار عارضوا نشاطات الاستيطان التظاهرية في تموز الماضي في سبسطية وغيرها . « وبعد محاولة الاستيطان في سبسطية عمت الفوضى تكتل ليكود ، وظهر أن بعض اعضاء حزب الاحرار يتخذون مبادرات مشتركة مع حزب العمل [للتصدي لعمليات الاستيطان غير المنظمة] مما دفع البعض في حزب العمل الى محاولة اشراك الاحرار في حكومة الائتلاف بدلا من المندال ... » (المصدر نفسه ، ١٩٧٤/٧/٣٠) .

وتمرد بعض الاعضاء في حزب الاحرار لم يكن موجها ضد زعامة الحزب فقط بل ضد زعامة ليكود أيضا . ففي اجتماع اللجنة المركزية لحزب الاحرار في بداية آب الماضي أعلن احد اعضاء اللجنة مئير ميبر « ان قيادة ليكود تعيش في الماضي . اننا لا نستطيع دفن رؤوسنا في الرمال ، ونقول : الفلسطينيون يوك ! » (دانيئيل داغان — معاريف، ١٩٧٤/٨/٢) . وقد ذكرت بعض المصادر ان رئيس حزب الاحرار الدكتور ريملط نفسه ، الذي يحافظ على علاقات وثيقة مع بيغن ويعمل على تماسك ليكود ، يعارض محاولات الاستيطان في الضفة الغربية التي تنظمها اوساط اليمين (معاريف ، ١٩٧٤/٨/٧) .

ومن الجدير بالذكر ، ان محاولات جرت لتوحيد حزب الاحرار مع القائمة الرسمية ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل حتى الان ، لان ذلك سيخلق حلفا متوازنا مع حزب حيروت في التكتل ، مما سيغضب مناحم بيغن . وبحسب اتفاقية تأسيس غاحل لا يستطيع احد الحزبين ، الاحرار او حيروت ، الاتحاد مع حزب ثالث بدون استشارة وموافقة الحزب الاخر . ومن ناحية ثانية هناك من يعارض الاتحاد في كل من الاحرار والقائمة الرسمية . وكان بعض اعضاء القائمة الرسمية قد اتهموا الاحرار بأنهم يريدون « استغلال حزبهم للوصول الى الحكم ولانهم يريدون الافادة من الاموال التي تدر على حزبهم » (شلومو نكديمون

التنظيمية فقد وصفت بأنها « مجرد تغييرات شكلية ، ولا تشكل تحولا حقيقيا » (د. جوتمان — را ، ١٩٧٥/١/١٧) .

وقد لخصت افتتاحية في صحيفة هآرتس (١٩٧٥/١/١٤) ما دار في مؤتمر حيروت بقولها : « تحول مؤتمر حيروت الى تظاهرة من أجل توحيد كامل التراب الاسرائيلي ... لقد تحدث بيغن كمن سيدعى غدا او بعد غد لتأليف حكومة اسرائيل ، سواء اذا جرت انتخابات جديدة أو لم تجر ، فركز على شؤون الخارجية والامن ، وتحدث عن الشؤون الداخلية كمن يؤدي واجبا فقط . ان هذا لمولان يقود حيروت او ليكود ، لان يصبح بديلا لتسلم سلطة الدولة وتعصب بيغن القومي — الديني لا يكفي لتغيير توازن القوى الحزبية . لقد كان من الواجب عليه ان يبدي اعتدالا اكثر في السياسة الخارجية وان يركز اكثر على شؤون المجتمع والاقتصاد والقضايا الداخلية. ولكنه لم يفعل ، مما يبدد الامل بأن يصبح حيروت [أو ليكود] بديلا لحكم الدولة » .

يوسف حمدان

[٨]

الحزب الديني القومي (المفدال) يتجه نحو انقلاب داخلي او انفصال

منذ شكل يتسحاق رابين الحكومة الاسرائيلية الجديدة في ١٩٧٤/٦/٣ ، والتي لم تضم وزراء من الحزب الديني القومي (المفدال) للمرة الاولى — بعد ان كانوا حلفاء تقليديين في الحكم لحزب مباي ، ومن ثم حزب العمل — بسبب عدم قبول الشروط المسبقة التي وضعها هذا الحزب ، ظهرت في المفدال بوادر صراع بين جناحين رئيسيين : الزعامة التقليدية من جهة ، وكتلة الشباب في الحزب من جهة اخرى . وعندما عادت زعامة المفدال التقليدية الى الائتلاف الحكومي في ١٠/٣٠/ ١٩٧٤ تعمق هذا الصراع الى حد جعل المراقبين الاسرائيليين يتوقعون حدوث انقلاب داخلي او انفصال داخل هذا الحزب . فاوساط الشباب تعمل الان بنشاط داخل الحزب وخارجه على تأسيس حركة دينية — قومية جديدة « بهدف اسقاط الزعامة التقليدية ، او اعلان حزب ديني قومي جديد ، اذا لم ينجحوا باسقاط الزعامة » (م . شمرياهو — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٠ ، وانظر أيضا ران كسليف — هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٣)

وقبل التعرّض لاخر مراحل هذا الصراع وطبيعته واحتمالاته ، لا بد من تقديم لمحة موجزة عن هذا الحزب ، ومن ثم العوامل التي دفعته الى عدم دخول الائتلاف الحكومي الاخير ، ثم عودة الجزء الاكبر منه الى هذا الائتلاف .

تعود الجذور التاريخية للحزب الديني القومي الى التيار الديني في الحركة الصهيونية ، ذلك التيار الذي نشأ في فترة « احباء صهيون » ، خلال العقدين الاخيرين من القرن الماضي ، ودخل طور التنظيم مع تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية سنة ١٨٩٧ على شكل تجمعات دينية تسعى الى فصل شؤون الديانة والثقافة عن نشاطات المنظمة الصهيونية ، والى اعطاء طابع ديني تقليدي للمشروع الصهيوني في فلسطين . وفي سنة ١٩١٢ نشأت عن هذه الاوساط الدينية منظمة «همزراحي» (اختصار للاسم : « المركز الروحاني ») ، التي انبثقت منها فيما بعد حركة « العمل والتوراة » . وبعد تأسيس نقابة العمال العامة «الهستدروت»، اسس العمال المتدينون من اتباع حركة « العمل والتوراة » نقابة العمال المتدينين « هابوعيل همزراحي » التي كان لها التمثيل الخاص في المنظمة الصهيونية العالمية قبل اقامة اسرائيل ، اسوة بمنظمة «همزراحي» . ومع تأسيس اسرائيل تحولت كلا من « همزراحي » و « هابوعيل همزراحي » الى حزبين سياسيين دينيين دخلا

الانتخابات البرلمانية ، واصبح لهما تمثيل في الكنيست ومؤسسات الدولة الاخرى . وفي سنة ١٩٥٦ اتخذ « همزراحي » و«هابوعيل همزراحي» شكلا الحزب الديني القومي (المفدال) . وفي الانتخابات الاخيرة ، التي جرت في ١٩٧٣/١٢/٣١، حاز الحزب على ١٠ مقاعد في الكنيست مقابل ١٢ مقعدا في الكنيست السابق .

ومنذ قيامه ، أصبح المفدال شريكا لمباي ، ثم حزب العمل ، في اقامة الائتلاف الحكومي ، وذلك استمرارا « لتقليد » ائتلاف الحركة الدينية الصهيونية مع الحركة العمالية في ادارة المنظمة الصهيونية العالمية قبل اقامة اسرائيل ، واصبحت وزارات الاديان والداخلية والشؤون الاجتماعية « حكرا » له ، وعمل من خلال ذلك ، تدريجيا ، على ترسيخ الطابع الديني في المجتمع الاسرائيلي وعلى دمج الدين بالدولة . وقد أقام لهذا الهدف منظمات واتحادات ثقافية واجتماعية ورياضية تابعة له ، مثل « بني عكيفا » ، « الشباب الديني العامل » « اليتسور » ، وادخل تيار التعليم الحكومي — الديني في المدارس الاسرائيلية واقام مدارس دينية (« يشيفوت ») عديدة وكذلك جامعة بار — ايلان .

حتى عام ١٩٧٠ ، بدا المفدال وكأنه يمتاز عن غيره بالتماسك والوحدة الداخلية وانعدام الكتل فيه ، ويعزى ذلك الى زعامة موشي حاييم شابيرا القوية ، الذي تركت وفاته في ذلك العام فراغا في الحزب ، مما ادى الى بداية غليان داخله ، كما عبر عن ذلك احد زعماء الحزب ، يوسف بورغ (عل همشمار ، ١٩٧٤/١١/١) . ومنذ ذلك الوقت راحت الانقسامات تظهر داخل الحزب ، واتضح انه يتكون من عدة كتل متميزة هي : كتلة « لامفنيه » (اي : من اجل التجديد) ويتزعمها يوسف بورغ ، وكتلة «ليكود وتموراه» (أي : التكتل والتغيير) ويتزعمها يتسحاق رفائيل . وتسيطر هاتان الكتلتان على ٥٢ ٪ من مؤسسات (وأصوات) الحزب . أما المجموعة الثالثة فهي كتلة الشباب بزعامة النائبين زفولون هامر ويهودا بن مئير ، والرابعة هي الكتلة المركزية بزعامة النائب والوزير سابقا ، زيراح فيرهافتيغ . وتسيطر هاتان الكتلتان على ٣٤ ٪ من مؤسسات الحزب . والى جانب هذه الكتل الرئيسية هناك كتل صغيرة ، هي الموشافيم والكيبوتس المتدين والسفارديم (موشي مايزلس — معاريف ، ٢٤ /١٩٧٥/١) .

المفدال ... وشروطه للانضمام للحكومة

اعتاد المفدال بعد كل انتخابات ان يقدم شروطا لدخوله الائتلاف الحكومي وهي الشروط التي كان يتركز معظمها على تقوية سيطرة الدين على الدولة في اسرائيل من جهة ، وتفويض المفدال بتنفيذ ذلك من جهة اخرى ، وبعد مفاوضات مع حزب الاغلبية (العمل) ، كان يدخل الائتلاف بعد التوصل الى حل وسط . ولكن بعد الانتخابات الاخيرة ، ونتيجة لضغط كتلة الشباب داخل الحزب من جهة ، وبسبب اضعاف حزب العمل في البرلمان من جهة اخرى ، وضع المفدال شروطا اعتبرت انها متشددة ، فلم يستطع يتسحاق رابين التوصل الى حل معه ولم ينضم الى الائتلاف الحكومي في حزيران ١٩٧٤ . ولكن رابين ، عند اعلانه عن تشكيل حكومته يومها ترك الوزارات التي كان يشغلها اعضاء من المفدال شاغرة لمدة ثلاثة اشهر ، تستمر خلالها المفاوضات مع الحزب على أمل ان يتوصل الفرقاء الى حل وسط ويعود المفدال الى الحكومة . فكانت هناك جولة مفاوضات في تموز ١٩٧٤ ، انتهت بالفشل ، ثم تبعتها جولة اخرى في أيلول وتشرين الاول ١٩٧٤ انتهت بعودة زعماء الحزب التقليديين الى الحكومة بعد ان تخلوا عن معظم شروطهم . ولكن كتلة الشباب رفضت الانضمام الى الحكومة ، واصبحوا منذ ذلك الوقت اخطر من مجرد معارضة داخل الحزب، وتحولوا الى تهديد للزعامة التقليدية .

الزعامة التقليدية تتخلى عن شروطها

اقتصرت الشروط التي وضعها المفدال لدخول الائتلاف الحكومي على : (١) اجراء تعديل على قانون العودة ، وبالتحديد تعديل الفقرة الخاصة باعتناق الديانة اليهودية ، بحيث يسجل كيهودي من مر في مراسم تغيير الديانة على الطريقة الارثوذكسية فقط . (٢) اقامة حكومة تكتل وطني . (٣) عدم الانسحاب من الضفة الغربية « واعادة تقسيم ارض — اسرائيل » .

منذ ان طرحت هذه الشروط بدا ان اثنين من زعماء المفدال ، يوسف بورغ ويتسحاق رفائيل ،

أخذا يتخليان تدريجيا عنها بينما أصر عليها الشباب بزعامة بهودا بن مئير وزغولون هامر .

أما بالنسبة لشرط تعديل قانون العودة ، او ما عرف بمسألة « من هو اليهودي » فقد مرت صيغة هذا الشرط بأربع مراحل . ففي المرحلة الاولى ، اي قبل تشكيل حكومة رابين ، كان المطلب تعديل فقرة القانون الخاصة باعتناق الديانة اليهودية . اما في المرحلة الثانية ، اي في تموز ١٩٧٤ ، فقد اقترحت صيغة جديدة تحال المسألة بموجبها إلى لجنة وزارية ، تحاول التوصل الى حل بعد مرور سنة ، بينما وعد حزب العمل المفدال بالتصويت من اجل التعديل فيما اذا لم يتم التوصل الى تسوية . وفي المرحلة الثالثة اقترحت صيغة تجميد تسجيل معتنقي الديانة اليهودية ، من كل التيارات ، الى ان يتم عمل اللجنة الوزارية الخاصة . اما في المرحلة الاخيرة فقد « تخلى زعماء المفدال عن التعديل ، وحتى عن التجميد » (ران كيسليف — هآرتس ، ١/١١/ ١٩٧٤) .

أما شرط اقامة حكومة تكتل وطني فقد سقط منذ آب ١٩٧٤ ، « لانه كان عقبة امام المفدال في طريق العودة الى الحكومة » (حوتام ، ١٩٧٤/٨/٣٠).

وبالنسبة لشرط عدم الانسحاب في الضفة الغربية ، فقد تخلت زعامة المفدال (بورغ — رفائيل) عن موقفها المتشدد وقبلت دخول الحكومة بموجب الاسس التي قام عليها الائتلاف الحكومي المكون من المعراخ (التجمع) والاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن ، وهي الاسس التي تنص على « التنازل الاقليمي » في التسوية مع الاردن .

ان مرحلة المفاوضات الطويلة هذه ، التي بدأت بتصلب المفدال وانتهت بتنازل زعامته التقليدية ، تلقي الاضواء على مواقف كل من الفريقين المتصارعين في المفدال من جهة ، وعلى مواقف الكتل المشتركة في الائتلاف الحكومي من جهة اخرى .

مواقف زعامة المفدال

يرى بعض المراقبين الاسرائيليين ، ومنهم النائب البعمالي الحاخام مناحم هكوهين ، ان زعامة المفدال « وضعت [قبيل دخولها الحكومة] شروطا « ايديولوجية » ظنا منها أنها ستتوصل الى حل وسط تدخل بعده الحكومة ، ولكن خاب املها عندما ضعف حزب العمل في الانتخابات ، وكان عليه ان يحسب حساب كل تهديد من قبل حزب مبام او حزب الاحرار المستقلين . وقد قيد هذا حزب العمل في مجال الاقتراب نحو المفدال ، الامر الذي جعل زعامة المفدال المتلهفة على دخول الحكومة تتنازل تدريجيا عن شروطها « الايديولوجية » ... » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١٠/٣٠) . كذلك يبدو ، من جهة اخرى، ان المفدال اعتقد بأن « حكومة رابين ، التي قامت على اغلبية مقعد واحد في البرلمان [٦١ من ١٢٠ مقعدا] والتي تنبأ الجميع في اسرائيل وخارجها بأنها لن تعمر طويلا ، ستسقط بسرعة فعلا . وقد خاب امل المفدال عندما ثبتت هذه الحكومة، ولم يجد طريقا لدخولها الا طريق التخلي عن « المبادىء » ... » (المصدر نفسه) . وبالفعل ، نقل احد المراسلين عن زعماء المفدال قولهم «اخطأنا ... لقد ظننا ان حكومة الواحد وستين مقعدا لن تصمد طويلا ... » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٤/١٠/٤) .

وخلال المرحلة الثانية من المفاوضات لدخول المفدال الائتلاف الحكومي اتهم بعض نواب المفدال المعارضين زعامتهم انها لن تتوانى عن عمل اي شيء لكي تدخل الحكومة . وقال بعضهم عن يتسحاق رفائيل انه « سيدخل الحكومة ولو على حمالة الجرحى ! » ، بينما وصفوا يوسف بورغ « انه خارج الحكومة ، كالسمكة على الارض ! » (اربيه افنيري — يديعوت احرونوت ، ٩/٥/ ١٩٧٤) . كذلك اتهم زعماء المفدال ايضا انهم ، الى جانب رغبتهم القوية في العودة الى الحكومة، يريدون دخولها لمواجهة افلاس مالي يواجهه حزبهم، مما دفع سكرتير عام الحزب، تسفي بيرنشتاين الى اصدار تصريح لتكذيب هذا الاتهام (معاريف ، ١٤ /١٠/ ١٩٧٤) .

مواقف الشباب

عندما فشلت المفاوضات لضم المفدال الى الحكومة في تموز الماضي ، قيل عن زعماء الحزب ، وخاصة يتسحاق رفائيل ، انهم شعروا بخيبة الامل ، واما الشباب « فقد خالجهم السرور بسبب

هذا الفشل ... انهم في حقيقة الامر غير متصلبين في مسألة من هو اليهودي بل في موقفهم من اجل اقامة حكومة تكتل وطني . ان موقفهم هو قطع الرابطة التاريخية التي تربط حزبهم بمباي ، وفي مقابل ذلك التقرب الى ليكود على أساس برنامج ارض اسرائيل الكاملة ... » (ي. بيتسور — معاريف ، ١٩٧٤/٧/١٩) . وأيد هذا الرأي معلق اخر عندما شرح مواقف الشباب قائلا : « ان شباب المفدال يعارضون قيادتهم ويشدون الحزب نحو اليمين . انهم لا يعترفون بالتحالف التاريخي مع مباي . انهم من اجل ارض اسرائيل الكاملة وينادون بالاستيطان اليهودي الواسع النطاق [في المناطق المحتلة] وباقامة حكومة تكتل وطني. لقد ارادوا اقامة معارضة قوية مكونة من المفدال وليكود والجبهة التوراتية ، تسيطر على ٥٤ مقعدا وتتمكن من اسقاط حكومة رابين وتأليف حكومة تكتل وطني ... » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٤/٩/٢٧) .

لقد نجح شباب المفدال في افشال المفاوضات خلال تموز ١٩٧٤ لضم حزبهم الى الحكومة. وذكر ان الشباب هم الذين دفعوا الحزب الى التشاور مع الحاخامية الرئيسية حول مسألة من هو اليهودي ، مما اثار استياء مبام والاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن ، الذين يرفضون ان تقرر هذه الهيئة الدينية في أمور سياسية مثل اقامة ائتلاف حكومي (شلومو نكديمون — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٩/٢٤) ، وهو ما جعلهم يصرون على موقفهم الرافض لضم المفدال الى الائتلاف . كذلك فسر اشتراك زغولون هامر ويهودا بن مئير في محاولات الاستيطان التظاهرية في سبسطية ، في تموز الماضي ،على انه كان محاولة لنسف المفاوضات الائتلافية في ذلك الوقت ، خاصة وان مبام اشترط دخول المفدال الائتلاف ، في ذلك الوقت ، بادانة علنية لنشاطات الاستيطان التي لا تقرها الحكومة (المصدر نفسه) . ولكن زعامة المفدال تجنبت عقبة الحاخامية في المرحلة التالية من المفاوضات ، « فقد وجد يتسحاق رفائيل طريقه الى الحاخام مناحم هكوهين من حزب العمل ، المقرب الى رابين والى الحاخام الاكبر غورن ، وقد ارسل هكوهين ايضا في زيارة سرية الى الولايات المتحدة لاقناع الحاخامين هناك ، وهكذا نجح رفائيل في تحييد الحاخامية في موضوع الائتلاف» (اريه أفنيري — يديعوت احرونوت ، ٤/٦/ ١٩٧٤) .

ولكن الصراع بين الفريقين في المفدال لم يتوقف، على الرغم من ذلك ، وراح يتخذ شكلا اعلاميا في الصحف ، فأكثر زغولون هامر من كتابة المقالات في صحيفة يديعوت احرونوت ،موضحا ان انضمام المفدال الى الحكومة « له مساوىء اكثر من المحاسن . فالسلطة اضرت بالناحية الفكرية ، والوظائف أضرت بنوعية الحزب ... يجب خلق علاقة قوية مع الشعب وكسب ثقته من طريق التخلي عن السلطة لاسباب مبدئية ، ويجب الاهتمام بالناحية القومية الدينية » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٨/٢٧) . واما الزعامة التقليدية فدافعت عن مواقفها عن طريق الصحف أيضا فروجت ، من جهة ، ان زغولون هامر سيصبح وزيرا عند انضمام الحزب الى الائتلاف الحكومي، وأعلنت من جهة ثانية ، ان عدم انضمام المفدال « سيهدد المكاسب التي حققتها الحركة الدينية القومية » (النائب أ. ابو حصيرة — يديعوت احرونت ، ١٩٧٤/٩/٩) .

مواقف شركاء الائتلاف في حكومة رابين

كما كان لكتلة الشباب في المفدال دور نشيط في عرقلة عودة هذا الحزب الى الائتلاف الحكومي،كان لكتل الشباب في الاحزاب الاخرى التي كونت حكومة رابين دور مماثل ، وان كان أقل نشاطا ووضوحا (ويبدو ان هناك ظاهرة عامة بالنسبة للاحزاب الاسرائيلية ، بعد حرب تشرين ، هي تعزيز دور الشباب فيها) . فشباب مبام وشباب الاحرار المستقلين اتخذوا موقفا مغايرا لموقف الزعامة خلال المفاوضات لضم المفدال للحكومة ، وعندما اجتمعت اللجنة المركزية لحزب مبام في ١٠/١٠/ ١٩٧٤ لمناقشة اقتراح رابين بضم المفدال أبدى الشباب تشددا في موقفهم ، مما دفع سكرتير الكيبوتس القطري التابع لمبام الى القول ان ضم المفدال مفيد « لان من شأنه ان يحدث انقساما بين المعتدلين والمتطرفين في الحزب [المفدال] . وان رابين في حاجة الى مزيد من القوة لكي يقود سياسة التنازلات الاقليمية (معاريف ، ١٠/١١/ ١٩٧٤) . وكانت اللجنة المركزية للمبام قد وزعت نشرة داخلية تحض على ضم المفدال « لان موشي

ديان ويوسف الموغي وابا ايبن يحاولون اسقاط الحكومة . وضم المفدال سيحول دون نجاحهم » (دافار ، ١٩٧٤/٩/٢٤) .

كذلك اتخذ شباب الاحرار المستقلين الموقف نفسه ، فقد « وافقت الاغلبية في ادارة الحزب على اقتراح رابين حول ضم المفدال ، واما كتلة الشباب في الحزب فقد طلبت تأجيل النقاش » (معاريف ، ١٩٧٤/١٠/١١) . كذلك وقفت جماعة من نواب حزب العمل ضد ضم المفدال ، وبرز فيها يتسحاق بن اهرون ، اريه اليعف ، يوسي سريد، استر هرليتس ،شالوم ليفين ، عوزي فاينرمان ، موشي كرمل وعادي اموراني (معاريف ، ٧/٢٤/ ١٩٧٤) . واما بالنسبة لحركة حقوق المواطن ، بزعامة شولاميت الوني ، فقد عارضت الاغلبية فيها انضمام المفدال ، ثم استقالت الوني من الحكومة عندما تم ذلك .

أما الاسباب التي قيل أنها دفعت كل هؤلاء الى معارضة دخول المفدال الحكومة فقد كانت عديدة ، واهمها : ان انضمام المفدال سيقوي جناح الصقور داخل الحكومة ، ثم تأييد المعارضين للمطالبة بفصل الدين عن الدولة ، ولاعتقادهم ان حكومة رابين ثبتت بدون انضمام المفدال . ومع ذلك وافقت الاغلبية في احزاب الائتلاف ، بعد التنازلات التي قدمتها زعامة المفدال ، على دخوله الحكومة . ويبدو ان مخاوف رابين من امكانية اسقاط الحكومة بواسطة ديان كانت اهم دافع لذلك ، « فقد قال رابين لكل من قادة مبام والاحرار المستقلين انه يخشى من اسقاط حكومته بواسطة ديان . وقد ساعده ديان نفسه في اقناعهم برأيه هذا ، عندما وقع على وثيقة ليكود [الداعية الى عدم الانسحاب من اي جزء من الضفة الغربية] ... » (ران كسليف — هآرتس ، ١٩٧٤/١٠/١) .

وكانت نتيجة هذه المعركة ان وافقت الاغلبية في احزاب الائتلاف ، ما عدا حركة حقوق المواطن، على ضم المفدال ، وفي ١٩٧٤/١٠/٣٠ صادق الكنيست بأغلبية ٥٩ عضوا ضد ٥٢ عضوا على دخول المفدال الى الحكومة . وكانت الاحزاب التي صوتت مع ضم المفدال : المعراخ (تجمع العمل ومبام) والمفدال والاحرار المستقلين . أما الاحزاب المعارضة فكانت ليكود وراكاح وحركة حقوق المواطن وموكيد . وامتنع كل من زفولون هامر ويهودا بن مئير (المفدال) وآرييه اليعف (العمل) من التصويت . ولم يحضر الجلسة كل من ديان وسابير وايبن ، الذين كانوا في خارج البلاد (دافار ، ١٩٧٤/١٠/٣١) .

وقبل ذلك اجتمع شباب المفدال وقرروا رفض انضمام حزبهم الى الحكومة ورفضوا الاقتراح بتعيين احد زعمائهم وزيرا . وهكذا أصبح يتسحاق رفائيل وزيرا للاديان ويوسف بورغ وزيرا للداخلية وميخائيل حزاني وزيرا للشؤون الاجتماعية (دافار، ١٩٧٤/١٠/٣١) . وكانت الطريقة التي دخل بها المفدال الحكومة دليلا واضحا على ان الصراع داخل الحزب لم يصل الى نهايته فحسب ، وانما اتخذ شكلا اكثر خطورة .

اسقاط الزعامة التقليدية او الانفصال

يعتقد زفولون هامر ان زعامة حزبه التقليدية، بمواقفها وسلوكها ، تسيء الى الحزب « فبعد ان كان تمثيلها السياسي ١٠ ٪ اصبح الان ٨ ٪ فقط . هذا مع ان قوته في مجال التعليم والتربية الدينية تصل الى نسبة ٣٠ ٪ » (يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٤/١٠/٩) . ويبدو ان هامر وزميله بن مئير يعتقدان ان حركة المتدينين القوميين تواجه أزمة قيادة ولا تكن الاحترام لقادة مثل يتسحاق رفائيل ويوسف بورغ ، ومن هنا يأمل الشباب بأن يصبحوا البديل للزعامة التقليدية بعد اسقاطها واحتلال مواقعها .

لقد اتضح من مواقف شباب المفدال ، بعد انضمام زعامة الحزب الى الحكومة الائتلافية ، انهم وضعوا نصب اعينهم هدفين ، اولهما تأسيس حركة منظمة داخل وخارج المفدال ، تعمل — مستغلة أجهزة الحزب ومؤسساته — على اسقاط الزعامة التقليدية ، وبالتحديد يتسحاق رفائيل ويوسف بورغ . أما الهدف الثاني فهو الاعلان — ان لم ينجحوا في اسقاط الزعامة التقليدية ، قبل اقتراب موعد الانتخابات القادمة للكنيست التاسع التي يفترض ان تجري سنة ١٩٧٧ — عن تأسيس تنظيم سياسي ديني جديد ، بموازاة المفدال آملين أن يكون اقوى منه ، ويخوضون معركة الانتخابات القادمة بشكل مستقل .

وكانت اللجنة المركزية لكتلة الشباب في الحزب قد أعلنت ، بعد انضمام الجزء الاكبر من المفدال الى الحكومة ، انها ستجتمع « لتناقش المسيرة من اجل تجديد وجه الحزب وطريقه ... والشباب لا يستبعدون امكانية الانشقاق واقامة حركة دينية قومية [منفصلة] ... » (يديعوت احرونوت، ١٩٧٤/١٠/٢٩) . وبعد انضمام حزبهم للحكومة اصدر بن مئير وهامر بيانا جاء فيه : « اننا لا نستطيع تأييد هذه الحكومة التي لم تثبت حتى الان ، انها بحجم الظرف الذي تعيشه ، او أنها تعي خطورته ، فبدلا من الاعتراف بيقظة الشعب وبحركة الاستيطان التي قامت ، تعمل على محاربة هذه اليقظة وهذه الحركة » (هآرتس ، ١٠/٣١/ ١٩٧٤) .

وظهر اتجاه الشباب « الانفصالي » ليس في مناقشات الكنيست فقط ، « حيث امتنع زغولون هامر ويهودا بن مئير عن التصويت مع الحكومة، وهما يتخذان مواقف مستقلة اثناء المناقشات ولا يترددان في التصويت ضد راي الزعامة التقليدية » (عوزي بنجيمان — هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٩) ، بل على الصعيد التنظيمي ايضا ، حيث « اخذا يعملان في الاسابيع الاخيرة على اقامة حركة دينية قومية جديدة . وهذه الحركة لا يوجد لها اسم حتى الان ، ولكن يوجد لها اطار وايديولوجية... انهما يقيمان خلايا عمل ويريدان التوصل الى الف خلية وينشطان في اوساط المتدينين المثقفين وحركة الاستيطان الدينية وشباب بني عكيفا . وتعتمد قاعدتهم التنظيمية على جمهور ناخبيهم ، وهم اوساط الشباب في المفدال وغوش ايمونيم » (المصدر نفسه) .

مع ذلك أعلن الشباب انهم غير عازمين على الانسحاب من المفدال في هذه المرحلة « اعتقادا منهم ان الظروف اصبحت مهيئة لاسقاط الزعامة التقليدية واستبدالها . ويساعدهم في ذلك سمعة يتسحاق رفائيل غير الطيبة ، بسبب ارتباطه بعدة قضايا مشينة ... » (م. شمرياهو — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٠) .

من جهة اخرى ، اجرى الشباب اتصالات مع الكتلة المركزية في المفدال بزعامة زيراح فيرهافتيغ « واقاموا تحالفا معه ضد زعامة بورغ — رفائيل، ويحاولون ضم حركة الكيبوتس المتدين الى هذا التحالف » (دافار ، ١٩٧٥/١/٢٠) . وقد شملت معركة الشباب ضد يتسحاق رفائيل بشكل خاص المجالس المحلية وفروع الحزب ، حيث نجحوا في اسقاط ممثله في بلدية نيس تسيونا ، ونجحوا ايضا في اسقاط ممثله في ادارة فرع الحزب في تل ابيب (هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٧) .

أما زعامة الحزب التي يقلقها نشاط الشباب « فقد اخذت تجري اجتماعات صاخبة في القسطل [مقر الحزب] مع الشباب ، وهددتهم انهم فيما اذا استمروا بنشاطهم التنظيمي فستحاربهم شعبيا وسياسيا وتنظيميا » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٤) . ويعتقد المراقبون ان الانقسام في الحزب ، اذا وقع ، « سيكون بطيئا وتدريجيا ... وفي نهاية الاسبوع تشكلت لجنة مصالحة لمنع الانفصال مؤلفة من رفائيل وفيشلز من كتلة لامفنيه ، ومن هامر وبن مئير من كتلة الشباب ... ولكن يبقى السؤال : هل ستنجح هذه اللجنة في رأب الصدع ؟ » (المصدر نفسه) .

وعلى أية حال ، فسواء انشق شباب المفدال عن الحزب الام ام بقوا داخله ، فان نشاطهم ليس الا دعما لجناح الصقور في اسرائيل عامة .

ي. ح.

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٩٧٤/١١/١٣ — ١٩٧٥/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه	
١	١١/١١	٢٣٠٠	رشون ليتسيون(١)	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	—	—	تفجير المنجرة الرئيسية لشركة بونية حيث أتت النيران على كافة محتوياتها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٠	١١/١٢
٢	١١/١٢	٢٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد		تدمير واشعال النيران في عدد من المتاجر في شارع مجدود هاعبري	—	—	—	رقم٧٤/٣٢١	١١/١٣
٣	١١/١٣	٢٠٤٠	صفد	هجوم	صواريخ	غيرمحدد		اصابة بعض منشآت العدو العسكرية غرب المدينة	—	—	—	رقم٧٤/٣١٢	١١/١٤
٤	١١/١٤	٢١١٠	كريات شمونة	هجوم	صواريخ	غيرمحدد		اصابة بعض الاهداف العسكرية قرب المدينة	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٢	١١/١٤
٥	١١/١٥	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	ادعى العدو بأنه تمكن من اكتشاف العبوات داخل الباصات وابطل مفعولها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٣	١١/١٥
٦	١١/١٤	—	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مستودعات عسكرية في ميناء حيفا مقابل مجروت دجون واتلاف وتدمير ما فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٣	١١/١٥
٧	١١/ ٣	—	خان يونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		قتل وجرح افراد دورية	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٤	١١/١٦
٨	١٠/٢٣	—	خان يونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		قتل وجرح افراد دورية للعدو قرب بقالة عيسى عاشور	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٤	١١/١٦

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
٩	١٠/٢٣	—	خان يونس	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارتين عسكريتين للعدو وقتل وجرح من فيهما	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٤ ١١/١٦
١٠	١١/١٦	—	الخضيرة	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير منشآت عسكرية في معسكر للمظليين بأحد الغابات قرب مستوطنة مدراخ واشعال النيران في الغابة وامتدادها الى مسافة ٥٠٠ دونم	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٥ ١١/١٦
١١	١١/١٦	—	كريات اربع/الخليل	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير مطعم يرتاده بعض أفراد ضباط وجنود العدو	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٦ ١١/١٦
١٢	١١/١٦	—	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد	اشعال النيران داخل الورشة العسكرية لصيانة الزوارق الحربية في شارع يشفاهو على نهر اليركون	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٧ ١١/١٧
١٣	١١/١٦	—	الخليل	القاء قنبلة	قنبلة حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في استراحة في ساحة الحرم الابراهيمي وامتدادها الى انابيب الغاز وتفجيرها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٨ ١١/١٧
١٤	١١/١٦	—	حلحول/كريات اربع	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة الحاكم العسكري لمدينة الخليل وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٩ ١١/١٧
١٥	١١/١٧	١٥٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير عدد من واجهات المحلات التجارية في شارع مدباربران في حي رامات أشكول	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٠ ١١/١٧

١٦	١١/١٧	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير مدخل مبنى للضباط في في حي رامات أشكول واصابة مبان اخرى بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٣١ ١١/١٧
١٧	١١/١٧	—	شمال نهاريا	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	دام الاشتباك عشرين دقيقة	١	١	—	رقم٧٤/٣٣٢ ١١/١٨
١٨	١١/١٨	١٧٠٠	تل ابيب(٢)	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد	اشعال النيران في ثلاث طبقات داخل الورشة الصناعية العسكرية لتجميع أجهزة الاتصال الالكترونية الواقعة في شارع رمبام وقد أتت النيران على جميع محتويات الورشة	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٣ ١١/١٨
١٩	١١/١٨	—	تل ابيب(٢)	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد	اشعال النيران واتلاف محتويات ورشة عسكرية للعدو في شارع نحلات بنيامين	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٤ ١١/١٨
٢٠	١١/١٧	—	القدس	قصف	صواريخ	—	تم اكتشافها قبل انطلاقها بربع ساعة في حي الشيخ جراح وابطل مفعولها	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٦ ١١/١٩
٢١	١١/١٩	١٥٠٠	بيت لحم	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٧ ١١/١٩
٢٢	١١/٢٠	—	بين الخليل والقدس	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير باص لجنود العدو وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٨ ١١/٢٠
٢٣	١١/٢٠	—	جبل الخليل	استيلاء	—	— —	تدمير باص بعد الاستيلاء عليه وسحب تصاريح العمل من العمال العرب وانذارهم من عدم العمل في مصانع العدو	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٩ ١١/٢١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة قتيل	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه	
٢٤	١١/١٦	—	اوريهودا/جنوب شرق تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد		تدمير أجزاء كبيرة من منزل نائب رئيس المستوطنة وتدمير سيارته	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٠	١١/٢١
٢٥	١١/٢٦	—	ايلات	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		تم الهجوم على أحد المقاهي التي يرتادها ضباط مخابرات العدو في حي الالف	—	—	—	رقم٧٤/٣٤١	١١/٢٧
٢٦	١١/٢٦	—	جنين	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		اصابة عدد من جنود العدو الذين كانوا يحاصرون مدرسة حيفا الثانوية	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٢	١١/٢٨
٢٧	١١/٢٨	—	كريات جات(٤)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير خط سكة الحديد وخروج قطار وعربات عن الخط الرئيسي وتعطيله	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٣	١١/٢٩
٢٨	١٢/ ١	—	الريحانية/الجليل الاعلى	اقتحام وكمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		اصابة عدد من المنشآت	٢	—	—	رقم٧٤/٣٤٤	١٢/١
٢٩	١١/٣٠	٢٠٣٠	غزة	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير سيارة أحد ضباط المخابرات واصابة المباني المجاورة بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٥	١٢/١
٣٠	١١/٢٧	—	الخليل	تفجير	**عبوات حارقة**	**غيرمحدد**		اشعال النيران في أحد الكراجات بباب الزاوية وحرق بعض باصات شركة ايجد	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٦	١٢/٤
٣١	١١/٢٣	—	عرقوب أبوزرقا /الغور	تفجير	ألغام مسيطر عليها فنيا	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٧	١٢/٦

٣٢	١٢/ ٥	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	١	—	تدمير سيارة ضباط المخابرات	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٨	١٢/٦
٣٣	١٢/ ٦	١٠٠	روش‌هنقار/ الجليل الغربي	اشتباك	اسلحة مختلفة	غيرمحدد		استمرت المعركة حتى الساعة ١٦٤٣٥ من بعد ظهر يوم ١٢/٦	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٩	١٢/٦
٣٤	١١/١٦	—	مستعمرة الرابية	تفجير	لغم	غيرمحدد		تدمير مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٠	١٢/٧
٣٥	١١/٢٥	—	مستعمرة ياميت/ جنوب رفح	تفجير	لغم	غيرمحدد		تدمير سيارة مهندسين عسكريين وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٠	١٢/٧
٣٦	١٢/ ٨	—	بئر السبع	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تمكن العدو من اكتشاف العبوة قبل انفجارها داخل احد الباصات في المحطة وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم٧٤/٣٥١	١٢/٨
٣٧	١٢/ ٨	١٣٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة مستودع للغاز في شارع باماي باضرار كما أصيبت المباني المجاورة	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٢	١٢/٨
٣٨	١٢/١١	٢٢١٥	تل ابيب	تفجير وهجوم	عبوات ناسفة وقنابل يدوية	غيرمحدد		تدمير مبنى سينما « حين » واصابة عدد كبير من افراد العدو بين قتيل وجريح	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٤	١٢/١٢
٣٩	١٢/١٢	—	هود شارون/ بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير سيارة أحد الضباط واصابة مبان مجاورة لها باضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٥	١٢/١٣
٤٠	١٢/١٣—١٢	—	صفد وبدون	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٦	١٢/١٣
٤١	١٢/١٣	—	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير عدد من السيارات واصابة بعض المباني باضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٧	١٢/١٣
٤٢	١٢/١٤	٤٠٠	المنارة	تفجير واشتباك	عبوات وأسلحة مختلفة	غيرمحدد		اصابة منشآت باضرار	٤	—	—	رقم٧٤/٣٥٨	١٢/١٤

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
٤٣	١٢/١٤	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير أجزاء من منزل أحد ضباط جيش العدو	—	—	—	رقم٣٥٩/٧٤ ١٢/١٥
٤٤	١٢/١٤	—	قرية بتير/غرب القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير خط سكة الحديد وعبارة وتعطيل الحركة على الخط	—	—	—	رقم٣٦٠/٧٤ ١٢/١٥
٤٥	١٢/١٥	—	كفار يول	اقتحام	قذائف صاروخية	غيرمحدد		تدمير دبابة واعطاب اخرى واصابة افرادها كما أصيبت بعض الاهداف الاخرى	—	—	—	رقم٣٦١/٧٤ ١٢/١٦
٤٦	١٢/١٥	—	بين كريات جات ونوعم(٥)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير ست عربات من قطار وتعطيل الخط كما أصيب عدد من الافراد	—	—	—	رقم٣٦٢/٧٤ ١٢/١٦
٤٧	١٢/١٧	٢١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير الطابق الاول من فندق هاديروت هرائيل وامتداد النيران الى الطوابق العليا حيث أتت النيران على بعض محتوياته	—	—	—	رقم٣٦٣/٧٤ ١٢/١٨
٤٨	١٢/١٧	—	ريشون ليتسيون	تفجير	عبوات ناسفة	١	—	تم اكتشاف العبوة ولدى تفكيكها انفجرت وقتلت خبير المتفجرات وأصابت عددا آخر	—	—	—	رقم٣٦٤/٧٤ ١٢/١٨
٤٩	١٢/٢٠	١٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية واصابة افراد دورية في شارع بن يهودا	—	—	—	رقم٣٦٥/٧٤ ١٢/٢١
٥٠	١٢/٢٢	—	بين القدس وأريحا	هجوم	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد		اصابة سيارات الاوتوبيس وقتل وجرح عدد من ركابه	—	—	—	رقم٣٦٦/٧٤ ١٢/٢٢

٥١	١٢/٢٨	—	دورا/الخليل	هجوم	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٦٧ ١٢/٢٨
٥٢	١٢/٣١	١٩٠٠	بين البني روبين ومستوطنة شامير	اقتحام	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مجنزرة وسيارة جيب عسكرية وموقع صهيوني وقتل وجرح افراده	٣	—	—	رقم ٧٥/١ ٧٥/١/٢
٥٣	١/ ١	١٩١٥	بين يفتاح والمنارة	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير عربة مدرعة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٢ ١/٢
٥٤	١/ ١	—	بين زرعيت وكبريتا	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير ناقلة وقتل وجرح منفيها	—	—	—	رقم ٧٥/٣ ١/١
٥٥	١/ ١	—	دان	اقتحام	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مفرزة للعدو واسكات موقع رشاش متوسط	—	—	—	رقم ٧٥/٤ ١/٣
٥٦	١/ ٣	عين التينة/جبل دوف		هجوم وكمين	أسلحة صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير مركز المراقبة وتدمير سيارتين وقتل وجرح من فيهما	—	—	—	رقم ٧٥/٥ ١/٤
٥٧	١/ ٥	١١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير عدة محلات داخل سوق محنيهودا واشتعال النيران فيها كما تم اكتشاف عبوة أخرى في منطقة باب الخليل وتم ابطال مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٦ ١/٥
٥٨	١/ ٤	—	أسدود	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير سيارتين لضابطين من ضباط العدو واصابة بعض الحراس بجروح والمباني بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٧ ١/٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جرح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٥٩	١/ ٥	١٢٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة مشركة	١	—	تم اكتشاف العبوة عند موقف الباصات على مفرق شارع الملك جورج وشارع هليل الا ان العبوات انفجرت وقتلت خبير المتفجـــرات وأصابت عددا آخر	—	—	—	رقم ٧٥/٨	١/٥
٦٠	١/ ٦	٣٠٠	تل ابيب(٦)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مستودع للمواد الكيماوية التابعة لجيش العدو الواقعة على تقاطع شارع اللنبي — همشمال وامتدت النيران الى المباني المجاورة وأتت على عـدة محلات وأبنية	—	—	—	رقم ٧٥/٩	١/٦
٦١	١/ ١	—	قرية صفا/غرب رام الله	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير باص بعد الاستيلاء عليه وتحذير العمال العرب من عدم العمل في مصانع العدو	—	—	—	رقم ٧٥/١٠	١/٦
٦٢	١/ ١	—	رام الله	هجوم	قنابل حارقة	—	—	تدمير مكتب السياحة واتلاف جميع محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/١١	١/٦
٦٣	١/ ٩	—	بئر السبع	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير بعض الاماكن التجارية داخل الحي التجاري واصابة واصابة أماكن أخرى بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/١٢	١/٩
٦٤	١/ ٩	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تمكن العدو من اكتشاف العبوة في أحـــد المباني السكنية وابطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/١٢	١/٩

٦٥	١/١١	٦٤٠	جبات الزيت/جبل الشيخ	كمين	قذائف صاروخية وقنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير مجنزرتين للعدو	—	—	—	رقم ٧٥/١٣ ١/١١
٦٦	١/١١	٦٣٠	تل رويسات العلم/ جبل الشيخ	اقتحام	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	١٢ —	تدمير موقع للعدو وتدمير عدد من الآليات واعطاب بعضها	—	١	—	رقم ٧٥/١٤ ١/١٢
٦٧	١/١٨	٧٠٠	بين طمون وطوباس	كمين	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير باص محمل بجنود العدو وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم ٧٥/١٦ ١/١٢
٦٨	١٢/٢٤	—	العوجا	تفجير	ألغام	٢ —	تدمير بلدوزر	—	—	—	رقم ٧٥/١٧ ١/١٢
٦٩	١/ ١	١٨٠٠	البرج/غور الاردن	تفجير	ألغام	غيرمحدد	تدمير نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/١٧ ١/١٢
٧٠	١/١٢	٦٠٠	بير الحفن/بين تصاعيوت — وابو عجيلة(٧)	تفجيروكمين	ألغام وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير باص محمل بالجنود وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم ٧٥/١٩ ١/١٥
٧١	١/١٤	—	الخليل	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	٢ —	تدمير باص لشركة ايجد وقتل سائقه ومساعده	—	—	—	رقم ٧٥/٢٠ ١/١٥
٧٢	١/١٥	١٨٠٠	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع لملابس جنود العدو واتلاف آلاته ومحتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٢٢ ١/١٦
٧٣	١/١٥	—	اوت هكيكار/جنوب البحر الميت(٨)	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٢٣ ١/١٦
٧٤	١/١٢	—	صفا/غرب رأم الله	استيلاء	—	— —	الاستيلاء على باص يقل عمالا عرب وتدميره بعد انزال العمال منه وتحذيرهم من العمل في مصانع العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٢٤ ١/١٥
٧٥	١/١٦	٢٢٠٠	المطلة	تصف	قذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ٧٥/٢٦ ١/١٧
٧٦	١/١٧	١٠٠	زرعيت	كمين	أسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير احدى آليات العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٢٧ ١/١٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
٧٧	١/١٨	٢٣٣٥	زرعيت	اقتحام	أسلحة صاروخية ورشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير عدد من مراكز العدو الهامة في المستوطنة وتدمير عدد من الآليات	١	—	—	رقم ٧٥/٢٨ ١/١٨
٧٨	١/١٨	١٨٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير أجزاء كبيرة من مبنى يسكنه أحد ضباط مخابرات العدو في حي مصرارة	—	—	—	رقم ٧٥/٢٩ ١/١٩
٧٩	١/١٩	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تمكن العدو من اكتشاف العبوة أسفل صهريج للوقود في حي البقعة وتم ابطال مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٢٩ ١/١٩
٨٠	١/١٩	—	الخضيرة/شمال شرق تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير أجزاء كبيرة من كابلات الهاتف واتلاف معداتها	—	—	—	رقم ٧٥/٣٠ ١/٢٠
٨١	١/٢١	—	ريشون ليتسيون(٩)	تفجير	عبوات ناسفة	— —	اصابة بيت أحد ضباط مخابرات العدو بأضرار جسيمة في حي رمات الياهو	—	—	—	رقم ٧٥/٣١ ١/٢٢
٨٢	١/١٣	٢٣٠٠	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من باصات العدو واعطاب باصات أخرى في أحد كاراجات شركة ايجد	—	—	—	رقم ٧٥/٣٢ ١/٢٢
٨٣	١/٢١	—	بين الخليل وبيت لحم	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها والاستيلاء على وثائق من داخلها	—	—	—	رقم ٧٥/٣٣ ١/٢٥
٨٤	١/٢٢	—	ناتانيا	هجوم	قنابل يدوية حارقة	غيرمحدد	تدمير ناد للضباط واتلاف محتوياته وقتل وجرح عدد من الضباط	—	—	—	رقم ٧٥/٣٤ ١/٢٥

٨٥ — ١/٢٥	١٠٠٠	مخيم الشاطىء/ غزة	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٣٥ ١/٢٥
٨٦ — ١/٢٥	—	مخيم الشاطىء/ غزة	هجوم	قنابل يدوية حارقة	غيرمحدد	للمرة الثانية تم قتل وجرح مجموعة من جنود العدو	—	—	—	رقم٧٥/٣٦ ١/٢٥
٨٧ — ١/٢٥	١٩٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في فندق بركلن في حي الشيخ جراح واتلاف محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٣٧ ١/٢٦
٨٨ — ١/٢٨	١٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير الجزء الشرقي من فندق شيراتون واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٣٨ ١/٢٨
٨٩ — ١/٣٠	١٩٠٠	القسطل/غرب القدس	تفجير	عبوة موقوتة لاصقة	١	تدمير سيارة عسكرية وقتل الرائد حنانيا ربيبو وجرح مرافقيه	—	—	—	رقم ٧٥/٣٩ ١/٣١
٩٠ — ٢ /٢	٨٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير باص للعدو في شارع يحزكيل داخل حي النجارية	—	—	—	رقم ٧٥/٤٠ ٢/٢
٩١ — ٢ /٢	١٩٣٠	بين القدس ورام‌الله	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من منزل لاحد ضباط مخابرات العدو واحراق محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٤١ ٢/٣
٩٢ — ٢ /٢	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	—	تم اكتشاف العبوة قبل انفجارها وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٤١ ٢/٣
٩٣ — ٤ /٢	١٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة ايجد بالقرب من مقر الكنيست	—	—	—	رقم ٧٥/٤٢ ٢/٤
٩٤ — ٤ /٢	١٣٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	تم اكتشاف العبوة في شارع يافا في باص لشركة ايجد وابطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٤٣ ٢/٥
٩٥ — ٤ /٢	٢٣٤٥	ناثانيا	هجوم							
٩٦ — ١/٢٨	—	ناثانيا	القاء قنبلة	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير ناد ليلي وتحطيم معظم محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٤٣ ٢/٥
				قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة تستعمل كناديلي	—	—	—	رقم ٧٥/٤٢ ٢/٤

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جرح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٩٧	٢/ ٤	٢٤٠٠	طبريا(١٠)	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في داخل السوق القديم وأتت على عدة محلات تجارية بكاملها	—	—	—	رقم ٧٥/٤٤	٢/٥
٩٨	٢/ ٥	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير سيارة لاحد ضباط المخابرات في حديقة ماميلا	—	—	—	رقم ٧٥/٤٥	٢/٥
٩٩	٢/ ٥	٨٣٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	١ —	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ٧٥/٤٦	٢/٦
١٠٠	١/٢١	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٤٧	٢/٧
١٠١	٢/ ١	—	بين بيت حانون ودير سنيه/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء كبير من باص لشركة ايجد وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٤٧	٢/٧
١٠٢	٢/ ١	—	الشمالية	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	— —	القيت القنبلة على سيارة عسكرية ولكنها لم تنفجر	—	—	—	رقم ٧٥/٤٧	٢/٧
١٠٣	٢/ ٨	٢١٥	أسدود	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير سبع محلات تجارية ومطعم ميم وانهيار عدة أبنية من شدة الانفجار في شارع شبيل سيون	—	—	—	رقم ٧٥/٤٨	٢/٨
١٠٤	٢/ ٨	—	حيفا	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	— —	اصابة سيارة أحد ضباط مخابرات العدو باضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٤٩	٢/٩
١٠٥	١/٢٣	٢١٣٠	بين الخليل والفوار	كمين	اسلحة رشاشة	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٥٠	٢/١٠

الحواشي

١ ــ ادعى العدو بأن الاضرار التي لحقت بمنجرة « هدروم » بلغت ١٠٠ الف ليرة واعترف بأنه الحريق الثاني في المنجرة خلال شهر (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧١٢ ، صفحة ٤٩٩ ، بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢٣) .

٢ ــ ٣ ــ اعترف العدو بأن حريقا شب في منطقة نحلات بن يامين في تل ابيب وشب حريق آخر في شارع رمبام بحانوت كبيرة ومصنع للفرشايات بينما كان الحريق الاول في مصنع وحانوت . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل، عدد ٦٨٦ ، صفحة ٥١٨ ، بتاريخ ١٩٧٤/١١/١٠) .

٤ ــ اعترف العدو بأن حركة القطارات توقفت على خط النقب بعد ان خرجت قاطرة شحن عن الخط وادعى بأن الحادث وقع لاسباب فنية . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٦٩٣ ، صفحة ٧٧٠ بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٩) .

٥ ــ اعترف العدو باستئناف حركة السكك الحديدية بعد انهاء عملية انقاذ العربات الست التي خرجت عن الخط وهي محملة بالفوسفات بين تل ابيب وبئر السبع والنقب . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٠٧ ، صفحة ٣٢٩ ، بتاريخ ١٩٧٤/١٢/١٦) .

٦ ــ اعترف العدو بأن حريقا قد سبب في مستودع الدهانات في بناية من اربع طبقات في زاوية شارعي همشمال واللنبي في تل ابيب . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٢٠ ، صفحة ١٢١ بتاريخ ١٩٧٥/١/٦) .

٧ ــ ادعى العدو بأن ٣٦ جنديا اصيبوا اثر حادث انقلاب لباص لشركة ايجد عند أحد المنعطفات . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٢٦ ، صفحة ٢٩٤ ، بتاريخ ١٩٧٥/١/١٤) .

٨ ــ ادعى العدو بأن اثنين من مجنديه قد قتلا وجرح اثنان آخران نتيجة لانقلاب سيارة عسكرية بهم . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٢٨ ، صفحة ٣٧٢ ، بتاريخ ١٩٧٥/١/١٦) .

٩ ــ ادعى العدو بأن الانفجار كان نتيجة لتسرب الغاز من فرن غاز (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٣٣، صفحة ٥٢٢، بتاريخ ١٩٧٥/١/٢٢).

١٠ــ اعترف العدو بأن حريقا شب في سوق طبريا القديم وأتى على عدة « بسطات » . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٤٦ ، صفحة ١٣١ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/٦) .

ملاحظة : أ ــ قام العدو اعتبارا من ١٩٧٥/١/١٢ بمحاولة احتلال قرية كفرشوبا في جنوب لبنان ممهدا لذلك بقصف مدفعي كثيف بقنابل منشارية وفسفورية كما حاول اقتحام القرية عدة مرات دارت على اثرها معارك واشتباكات عنيفة كما حاول دفع بعض قواته ايضا الى قرية راشيا الفخار ومناطق اخرى. كما قام بتاريخ ١/١٥ بقصف لمخيم الرشيدية وشمال الناقورة . ويمكن مراجعة التفاصيل في البلاغات الصادرة عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ارقام ٧٥/١٨ ، ٧٥/٢١ ، ٧٥/٢٥ ، ٧٥/٢٦ .

ب ــ قامت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في ١٩٧٤/١١/١٩ بمهاجمة مقر المخابرات في مدينة بيسان واحتجاز عدد من الرهائن ولكن القـــوات الاسرائيلية هاجمت المبنى واستشهد المناضلون الثلاثة ونكل بجثثهم . وقد اعترف العدو بأن اصاباته كانت اربعة قتلى وثلاثة وعشرين جريحا .

ج ــ تصدر التصريحات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٩٧٤/١١/١٣ — ١٩٧٥/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	١١/١٤	—	كريات شمونه	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	لم تقع أية اصابات رغم الاحتفال الذي كان يقام في قاعة سينما «شمير»	—	—	—	ن٠عدد٦٨٣ص٣٩٥	١١/١٥
٢	١١/١٤	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في باص لشركة ايجد وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٦٨٣ص٣٩٦	١١/١٥
٣	١١/١٤	—	حيفا	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم الانفجار في كوخ قائم في موقف للسيارات	—	—	—	ن٠عدد٦٨٤ص٤٤٠	١١/١٨
٤	١١/١٧	٢٠٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة الثالثة في القدس في شارع باركوخبا وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٦٨٤ص٤٥٧	١١/١٨
٥	١١/١٧	—	رأس الناقورة	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	١	١	—	ن٠عدد٦٨٥ص٤٨٢	١١/١٩
٦	١١/١٩	٥٠٠	بيسان(١)	اقتحام	أسلحة مختلفة	٤	١٨	—	٣	—	—	ن٠عدد٦٨٥ص٤٨٧	١١/١٩
٧	١١/١٩	—	حوريف/بيتلحم	تفجير	عبوة حارقة	—	—	القيت العبوة على سيارة ولكنها وقعت على الطريق	—	—	—	ن٠عدد٦٨٦ص٥٢٨	١١/٢٠
٨	١١/٢٠	٧٣٠	الخليل	استيلاء	أسلحة رشاشة	—	—	الاستيلاء على باص يقل عمال عرب وتدمير الباص بعد انزال ركابه	—	—	—	ن٠عدد٦٨٧ص٥٥٧	١١/٢١

٩ — ١١/٢٢	—	كريات شمونه	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	لم تقع اصابات	—	—	—	ن٠عدد٦٨٨ص٥٩٦	١١/٢٣
١٠ — ١١/٢٩	—	كيبوتس دان	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	٥	—	—	ن٠عدد٦٩٣ص٧٨١	١١/٢٩
١١ — ١١/٣٠	—	اشدود	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير سيارة مدير وكالة الملاحة «رانكو» وتهشم الزجاج في الابنيـــة المجاورة	—	—	—	ن٠عدد٦٩٥ص٢٤	١٢/٢
١٢ — ١١/٣٠	٢٢٣٠	الريحانية	اقتحام	أسلحة مختلفة	١	١	تم الاستيلاء على منزل وقد تم أسر الفدائيين	—	١	١	ن٠عدد٦٩٥ص٢٧	١٢/٢
١٣ — ١٢/ ٥	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة موظف جمارك بأضرار بالغة	—	—	—	ن٠عدد٦٩٩ص١٣٦	١٢/٦
١٤ — ١٢/ ٦	٦٠٠	رأس الناقورة	هجوم	أسلحة رشاشة	—	١	—	—	—	—	ن٠عدد٦٩٩ص١٣٨	١٢/٦
١٥ — ١٢/ ٦	١١٠٠	رأس الناقورة	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	١	—	—	ن٠عدد٧٠٠ص١٥٢	١٢/٧
١٦ — ١٢/ ٨	—	بئر السبع	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في محطة ايجد وابطـــل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٠١ص١٨٢	١٢/٩
١٧ — ١٢/ ٩	—	القدس	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران فيسيارتين	—	—	—	ن٠عدد٧٠١ص١٨٧	١٢/٩
١٨ — ١٢/١١	—	تل ابيب	هجوم	قنابل يدوية	١	٥٨	اصابة مبنىسينما «حين» بأضرار	١	—	—	ن٠عدد٧٠٤ص٢٦١	١٢/١٢
١٩ — ١٢/١٣	—	صفد	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧٠٥ص٢٧٥	١٢/١٣
٢٠ — ١٢/١٦	—	هارتسفيا قرب المطلة	اطلاقنار	أسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٧٠٧ص٣٣٢	١٢/١٦
٢١ — ١٢/١٨	٤٠٠	حانيتا	قصف	قذائف بازوكا	—	—	اصابة مضافة بأضرار وتصدع منزل	—	—	—	ن٠عدد٧٠٩ص٣٨٩	١٢/١٨
٢٢ — ١٢/١٨	٢٢٠٠	المنارة	قصف	قذائف بازوكا وأسلحة رشاشة	—	—	لم تقع اية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٠ص٤١٨	١٢/١٩
٢٣ — ١٢/٢٠	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	١٣	تدمير سيارة عسكرية واصابة المحـــلات في شارع بن يهودا بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧١٢ص٤٦٧	١٢/٢١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	المادية خسائر العدو	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٢٤	١٢/٢٠	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	١	—	—	—	—	—	ن٠عدد٧١٢ص٤٦٨	١٢/٢١
٢٥	١٢/٢٢	—	العيزرية	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	٢	اصابة باص للسياح بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧١٣ص٥٠٠	١٢/٢٣
٢٦	١٩٧٥/١/١	٢٠٣٠	يفتاح	قصف	قذائف بازوكا واسلحة رشاشة	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٧ص٣٤	٧٥/١/٢
٢٧	١/٢	١٣٠٠	جبل منور/بين زرعيت وادميت	قصف	قذائف مدفعية	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٨ص٥٩	١/٣
٢٨	١/٣	٧٤٠	جبل دوف	قصف	قذائف بازوكا وأسلحة رشاشة	١	٤	—	—	—	—	ن٠عدد٧١٩ص٧٣	١/٤
٢٩	١/٣	٩٣٠	جبل دوف	تفجير	الغام	—	٣	اصابة سيارة عسكرية بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧١٩ص٧٣	١/٤
٣٠	١/٣	—	العباسية/شمال دفنه	قصف	قذائف مدفعية	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٩ص٧٣	١/٤
٣١	١/٨	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	اصابة مبنى البلدية بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٢٣ص٢١٧	١/٩
٣٢	١/١٣	—	الخليل	احراق	مادة حارقة	—	—	اصابة باص معد لنقل العمال العرب بأضرار بعد اشعال النيران فيه	—	—	—	ن٠عدد٧٢٧ص٣٣٠	١/١٥
٣٣	١/١٧	٠٤٣٠	شتولا	قصف	قذائف وأسلحة رشاشة	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧٢٩ص٤١١	١/١٧

٣٤ — ١/١٧	١٢٠	زرعيت	قصف	قذائف وأسلحة رشاشة	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧٢٩ص٤١٢ ١/١٧
٣٥ — ١/١٨	—	زرعيت	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	٢	—	٣	—	—	ن٠عدد٧٣٠ص٤٢٥ ١/١٨
٣٦ — ١/١٩	٥١٥	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في حي البقعة أســـفل صهريج وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٣١ص٤٦٣ ١/٢٠
٣٧ — ١/٢٤	—	بين القدس — رام الله	تفجير	ألغـــام	—	—	تم اكتشاف الالغام وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٣٥ص٥٩٣ ١/٢٤
٣٨ — ٢/ ٢	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في بنـــاية سكنية في حي نفي يعقوب وابطـــل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٤٣ص٤٦ ٢/٣
٣٩ — ٢/ ٣	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في شارع يافا قرب مقهى الاسكا وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٤٤ص٧٧ ٢/٤
٤٠ — ٢/ ٤	١٤٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة الباص بأضرار بالغـــة	—	—	—	ن٠عدد٧٤٥ص١٠٥ ٢/٥
٤١ — ٢/ ٤	١٣٤٥	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في باص لشركة ايجد وابطـــل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٤٥ص١٠٥ ٢/٥
٤٢ — ٢/ ٤	٢٣٤٥	نشانيا	تفجير	عبوة ناسفة	٥	٢٧	اصابة محتويات نادي بار اوريان بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٤٥ص١٠٩ ٢/٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة قتيل	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٤٣	٢/ ٥	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة كانت تقف قرب حديقة الاستقلال بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٤٦ص١٣٩	٢/٦
٤٤	٢/ ٥	٨٣٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	احداث بعض الاضرار البسيطة	—	—	—	ن٠عدد٧٤٧ص١٦٦	٢/٧
٤٥	٢/ ٨	٢١٥	أشدود	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سبعة محلات تجارية بأضرار وتدمير بناء تدميرا كليا	—	—	—	ن٠عدد٧٤٩ص٢١٤	٢/١٠

١ — عاد واعترف العدو بأن عدد الجرحى ٢٣ وليس كما ورد في بياناته الاولى . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٠١ صفحة ١٨٦ بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٩) .

ن — نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

قضايا اسرائيلية

ملف يعنى بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية

يصدر مرة كل اسبوعين ، ابتداء من اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤

« قضايا اسرائيلية » ملف اخباري تحليلي ، يتابع الشؤون الاسرائيلية والصهيونية ، الداخليـــة والخارجية ، مع امتداداتها وابعادها داخـــل اسرائيل وداخل الحركة الصهيونية ، وفي العلاقات بين اسرائيل ودول العالم ، وتاثير كل ذلك على الصراع العربي الاسرائيلي .

« قضايا اسرائيلية » يقدمه قسم الدراسات الاسرائيلية والصهيونية في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، من خلال متابعته لكل ما يصدر في اسرائيل من صحف يومية ومجلات ودوريات متخصصة ونشرات وكتب، باللغة العبرية او بغيرها ، وما تبثه الاذاعة الاسرائيلية من أخبار وبرامج، وكذلك ما يصدر خارج اسرائيل وله علاقة بالشؤون التي يهتم هذا الملف بمعالجتها .

تقرأ في العدد العاشر (١٩٧٥/٢/٦) :

تشاؤم في اسرائيل من نجاح محاولات التسوية وازدياد المطالبة بعقد مؤتمر جنيف ـــ الحكومة الاسرائيلية تصادق على أكبر ميزانية دفاع منـــذ قيام اسرائيل ـــ الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وتأثيره على الهجرة الى اسرائيل ـــ الحزب الديني القومي (المفدال) يتجه نحو انقلاب داخلي او انفصال ـــ اوضاع الهستدروت ومواقفها : التوفيق بين التناقضات .

وتقرأ في العدد الحادي عشر (١٩٧٥/٢/٢٠) :

اسرائيل متمسكة بموقفها من التسوية ، حكومتها مشلولة ... وكيسنجر متفائل ـــ تقرير لجنة اغرانات « يلفلف » قصة « التقصير » الاسرائيلي في حرب تشرين ـــ المؤتمر اليهودي العالمي ينعقد في القدس ويعيد انتخاب غولدمان رئيسا له ـــ زعماء الخليل يبحثون مشاريع اسرائيل الاستيطانية ـــ التجمع العمالي (المعراخ) الحاكم يعيش ازمة داخلية متفاقمة .

رئيس التحرير : صبري جريس

العنوان : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت ـــ لبنان ، تلفون ٣٥١٢٦٠/١

بدل الاشتراك السنوي : للحكومات ٩٠ ل.ل. ، للمؤسسات ٦٠ ل.ل. ، للافراد ٣٠ ل.ل.

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) بأخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري وبقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بأنها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . أما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او بأية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى، يضاف اليها أجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل.ل. ، في اوروبة ١٥٠ ل.ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل.ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك بأكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات الانكليزية والفرنسية) .

ترسل الاشتراكات الى :
مركز الابحاث ، نشرة الاستماع
ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

صدر عن مركز الابحاث

اليوميات الفلسطينية

المجلد السادس عشر

من ١/٧ الى ١٩٧٢/١٢/٣١

مجلد ضخم مؤلف من ٦٢٠ صفحة من القطع الكبير ، يضم عرضا موجزا ودقيقا لما يحدث في العالم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مباشرة ، او ما يقال او يكتب عنها ، يوما بعد يوم .

يغطي هذا المجلد الفترة من ١/٧ الى ١٩٧٢/١٢/٣١ ويضم جدولا بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية عن تلك الفترة ، كما يضم فهرسين : الاول بالاسماء والثاني بالموضوعات الواردة في متن اليوميات .

سعر المجلد ٢٠ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد .

أطلبه من : مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

صوت فلسطين

شهرية فلسطينية سياسية
تعالج مختلف جوانب القضية بآراء حرة

- مجلة « الوحدة الوطنية الفلسطينية » يصدرها جيش التحرير الفلسطيني ، جيش الوحدة الوطنية ، ويشارك في تحريرها عدد من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين والعرب الذين يمثلون اتجاهات شعبنا الفلسطيني ويعبرون عنها بوضوح .
- تسلط الضوء على الواقع الفلسطيني بصراحة وجرأة ، تعالج السلبيات وتبرز الايجابيات، وتطرح تصورات المثقفين الثوريين لتقويم مسيرة الثورة .
- تلتزم بارادة الغالبية العظمى لجماهير شعبنا الفلسطيني ، وتنطلق من شعارات منظمة التحرير في الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير .
- تغطي أحداث الوطن المحتل ، وتطورات القضية في الساحات الفلسطينية والعربية والدولية عبر أبوابها الثابتة :
- مع الاحداث .
- قضايا وآراء .
- دراسات سياسية واقتصادية .
- دراسات عسكرية .
- ملف الادب والفن .
- صوت فلسطين .

يقرأها شهريا ٢٠٠ ألف مواطن فلسطيني وعربي وتوزع في مختلف انحاء الوطن العربي .

- الاشتراك السنوي : للافراد ٢٥ ل.س. او ما يعادلها ، للمؤسسات الرسمية ٥٠ ل.س. او ما يعادلها ، يضاف اليها أجور البريد الجوي .
- سعر النسخة : سورية ولبنان ١٥٠ ق.س.ل. وما يعادلها في بقية الاقطار العربية ، مصر ١٠٠ مليم .

العنوان : دمشق ــ صالحية ــ شهداء ــ بناية عصاصة ص ب ٣٥٧٧

هــاتف ٣٣٤٠٦٥

المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

دار القدس

بناية مكزل - شارع بشارة الخوري - ت: ٢٩١٤١١
ص.ب: ١١٢٤٨٩ - بيروت لبنان - برقياً مقدسيس

ديوان ابراهيم

لاول مرة تصدر الاعمال الكاملة لشاعر فلسطين ابراهيم طوقان ، باستثناء بعض القصائد والاشعار التي لم يحن الوقت لنشرها بعد ، لاسباب معروفة . فقد اتيحت كل أعمال الشاعر واوراقه الخاصة للناقد والمحقق والاستاذ الكبير الدكتور احسان عباس ، الذي أمضى عدة أشهر في التنقيب والتدقيق حتى جاء هذا الديوان جامعا لما يمكن وصفه بانه الاعمال الكاملة . ويضم الديوان حوالي ستين قصيدة تنشر لاول مرة ، ومقدمة عن الشاعر كتبتها شقيقته الشاعرة فدوى طوقان ، ودراسة عن شعره وضعها الدكتور احسان عباس . « ديوان ابراهيم » الذي تنشره دار القدس هو وثيقة خطيرة وحدث فذ في تاريخ الادب العربي الحديث بشكل عام والادب الفلسطيني والنضال الفلسطيني بشكل خاص .

الثمن : ٢٠ ل.ل.

١ ــ دليل الطائرات المدنية والعسكرية ٥ ل.ل.
ترجمة واعداد بسام يونس

٢ ــ المجموعة ٧٧٨ ــ رواية تسجيلية ٥ ل.ل.
توفيق فياض

٣ ــ ميزان التسلح العربي ــ الاسرائيلي
تقديم أحمد سامح الخالدي ٢ ل.ل.
ترجمة نقولا صيقلي

٤ ــ قمة النفط ٨ ل.ل.
مازن البندك

٥ ــ النظرية الغرويدية الماركسية ٤٤٥ ل.ل.
ج.م. بالية
ترجمة سناء نجيم

٦ ــ ابن ماجد ــ أسد البحار ٦. ل.ل.
رشدي صالح

٧ ــ ٢٣ يوليو : خمسة أبعاد ٢ ل.ل.
كمال الدين رفعت، أحمد لطفي واكد،
د. يوسف صايغ، محمد امين العالم،
مازن البندك .

الطريق

مجلة الثقافة التقدمية والفكر المتحرر
تجدونها في مطلع كل شهر في جميع المكتبات

اشتراككم في الطريق مساهمة في نشر الفكر والثقافة التقدميين ومتابعة الانتاج في الميادين النظرية في الاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ والنقد والادب والفنون والتربية

بالارتباط مع الحركة التحررية والثورية في لبنان والاقطار العربية والعالم

الاشتراك السنوي :

٦ دنانير في العراق والخليج العربي
٤٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
٢٥ ل.ل. أو ما يعادلها
٢٠ ل.ل. للطلاب
١٠٠ ل.ل. للدوائر الرسمية والمؤسسات
٣٥ ل.ل. في كافة البلدان العربية والاجنبية .
٢٥٠ قرشا لبنانيا او ما يعادلها

■ تقبل الاشتراكات في مكاتب المجلة : بيروت ، كورنيش بشارة الخوري ، بناية جراب ص.ب ٩١٢٠ ، هاتف ٢٣١٩٧٧

وفي مكتبة دار الفارابي ، بيروت ، بناية سيتي سنتر ، هاتف ٢٥٥٤٩٨

■ **تحرر الحوالات البريدية والمصرفية باسم مجلة الطريق حساب المجلة لدى بنك ليتكس** ٣١٣٥٨٦

الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وفكر انساني متفتح

مجلة شهرية جامعة - تصدرها
المؤسسة العامة للصحافة
في الجمهورية العربية الليبية

رئيس التحرير : احمد ابراهيم الفقيه

يشترك في تحريرها

نخبة من كبار المفكرين
والكتاب والشعراء العرب

نحو ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحوي مجموعة من المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية والاقتصادية والعلمية ، إلى جانب الأبواب الثابتة من شعر وقصة وفنون .

ثمن العدد

ليبيا ١٠٠ درهم • ج م ع ١٠٠ مليم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الكويت ١٥٠ فلسا • الاردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ١٥٠ فلسا دبي : ريال ونصف • السعودية : ريال ونصف • ابوظبي : درهمان مسقط ٢٠٠ بيسه • قطر : ريال ونصف • السودان ١٠٠ مليم • الجزائر : دينارات تونس ١٠٠ مليم • المغرب : درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلسا • اليمن ١٠٠ بقشة

الاشتراك السنوي

في الجمهورية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي ، وخارج الجمهورية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

العنوان

مجلة « الثقافة العربية » ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ج.ع.ل.

السياسة الدولية

صدر حديثا
المجلد السنوى
لعام ١٩٧٤

١٠٠٠ صفحة
١٥٠ قرشا

مرجع هام للعاملين فى الحقل السياسى
والسلك الدبلوماسى وأجهزة الإعلام

تطلب المجلدات السنوية للسنوات السابقة
من قسم الاشتراكات - بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

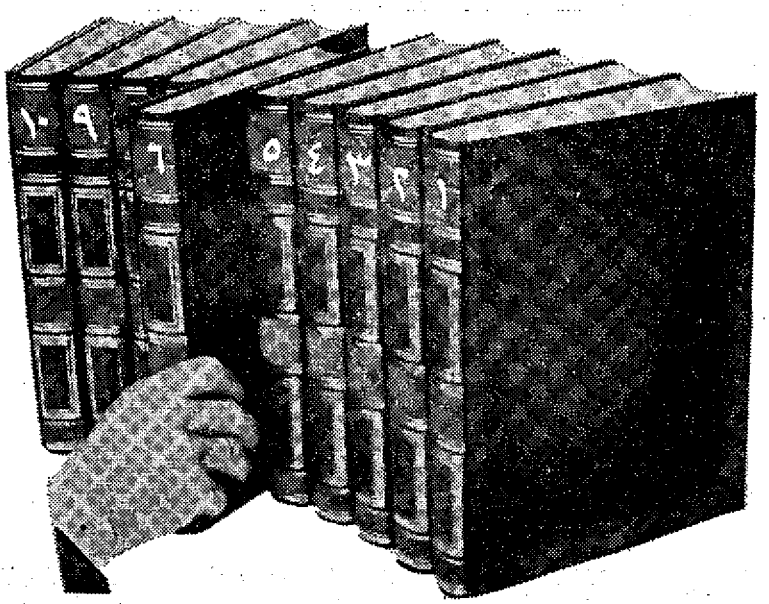

بنك عمان المحدود

مؤسسة مصرفية وطنية تساهم
في تطوير الاقتصـــاد القومي
مراســـلون في جميـــع أنحـــاء العـــالم

الفـــروع :

ديـــره / دبي : ص.ب ٢١١١ ؛ تلفون ٢١١٣٤/٥/٦
تلكس ٥٤٢٩ DB ٥٤٦٤ DB ٥٦٧٤ DB
ابو ظبي : ص.ب ٨٥٨ ؛ تلفون ٤٣٦٩٣/٤٢٢٨٧/٤٢٢٨٨
تلكس ٢٢٥ AH.
العـــين : ص.ب ١١١١ ؛ تلفون ٤١٢٥٥/٤١٢٥٦
دبي : ص.ب ٢٤٦٩ ؛ تلفون ٣١١٤٣/٣١١٤٤
هور العنز / دبي : ص.ب ١ ؛ تلفون ٦٠٨٢١
شارع نايف/دبي : ص.ب ١٢٥٠ ؛ تلفون ٢٥٧٧١/٢٥٧٧٢
عجمـــان : ص.ب ١١ ؛ تلفون ٤٤٤٠
رأس الخيمة : ص.ب ٤٩٩ ؛ تلفون ٦٢١
الدوحة / قطر : ص.ب ١٧٣ ؛ تلفون ٢٥٩٦٢
تلكس ٢٣٥ DH

BANK OF OMAN LTD.

INDIGENOUS BANKING INSTITUTION CONTRIBUTING
TO THE DEVELOPMENT OF NATIONAL ECONOMY
CORRESPONDENTS ALL OVER THE WORLD

Branches :

Deira; Dubai : P.O.Box 2111, Telephones: 21134/5/6
Telex : DB 5429 DB 5464 DB 5674
Abu Dhabi : P.O.Box 858, Telephones: 42287/42288/43693
Telex : AH 2251
Al Ain : P.O.Box 1111, Telephones: 41255/41256
Dubai : P.O.Box 2469, Telephones: 31143/31144
Hor Al-Anz/Dubai: P.O.Box 1, Telephone : 60821
Nayef Road/Dubai: P.O.Box 1250, Telephones: 25771/25772
Ajman : P.O.Box 11, Telephone : 4440
Ras - El - Khaima : P.O.Box 499, Telephone : 621
Doha / Qatar : P.O.Box 173, Telephone : 25962
Telex : DH 235

بسم الله الرحمن الرحيم

ABU DHABI
NATIONAL
OIL CO.

Cable b « ADNOC »
P. O. Box 898 - ABU DHABI
Tel : 42236

شركة بترول ابو ظبي
الوطنية

برقيا : ادنوك
ص.ب ٨٩٨ — ابوظبي
تلفون : ٤٢٢٣٦

اعلان

ترغب **شركة بترول ابو ظبي الوطنية** في استخدام طبيب عربي (اخصائي أمراض باطنية) على ان تكون لديه خبرة عشر سنوات في هذا المجال .

كما ترغب الشركة في استخدام ممرضتين عربيتين شريطة ان تكون الممرضة حاصلة على شهادة الثانوية العامة او ما يعادلها وشهادة تمريض من معهد تمريض معترف به رسميا في البلاد العربية ويشترط ان تكون الممرضة قد مارست مهنة التمريض مدة خمس سنوات على الاقل وان تجيد اللغة الانجليزية اجادة تامة .

سيكون مقر العمل في مدينة ابو ظبي ويحدد الراتب حسب المؤهلات والخبرة ويمنح الموظف سكنا مؤثثا وتذاكر سفر سنوية ذهابا وايابا الى مقر اقامته .

فعلى من يجد في نفسه الكفاءة وتوافر الشروط المذكورة ان يتقدم بشهاداته المصادق عليها مع صوره الشخصية الى العنوان التالي :

دولة الامارات العربية المتحدة — ابو ظبي
شركة بترول ابو ظبي الوطنية — ص.ب ٨٩٨
الشؤون الادارية .

شركة

الاعتماد للتجارة والمقاولات

سيارات رينو

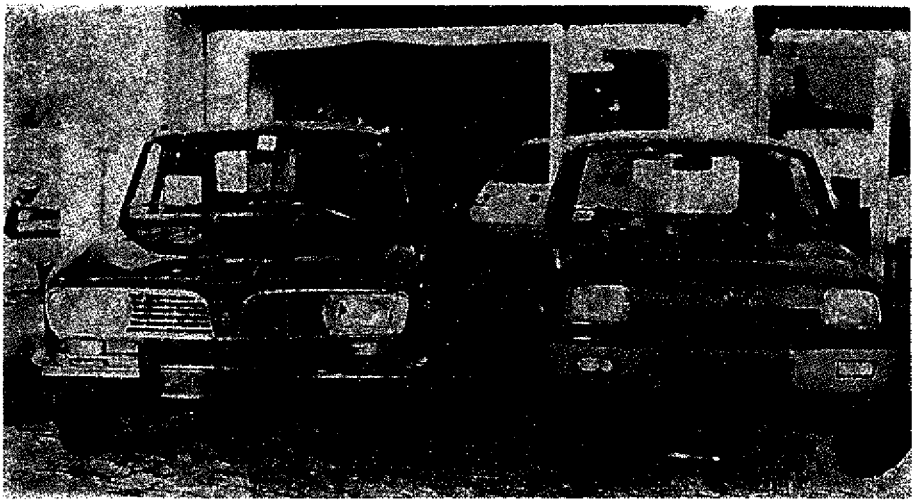

دولة الامارات العربية المتحدة ـ ابو ظبي

شارع المطار ، ص. ب ٥٢٤ ، هاتف ٤٤٦٤٧

الشركة الوطنية للتجارة والآليات

طـــرابـلس - بنغـــازي

يسرّهـــا ان تقـــدم احـــدث واقـــوى آليـــات

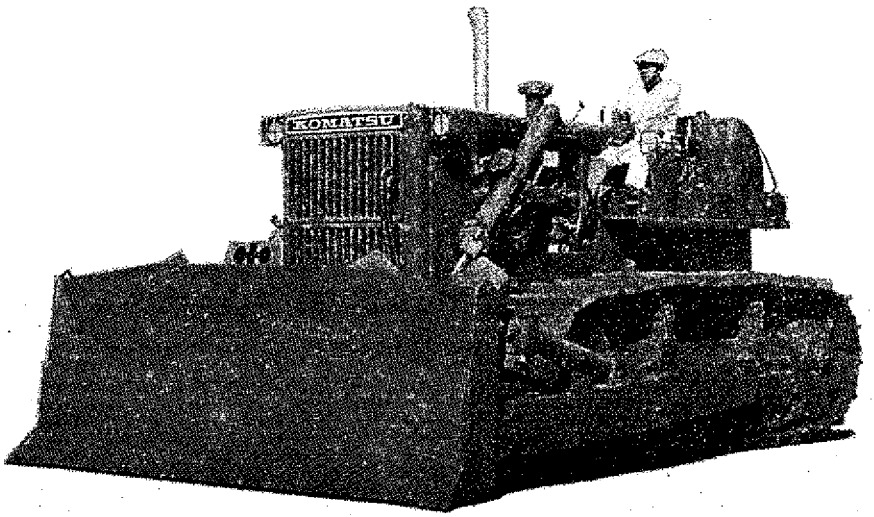

- محرك كمنز ديزل ، قوي واقتصادي مع حقن مباشر .
- **كوماتسو طوركفلو ، تغيير تلقائي** — تغيير السرعة والاتجاه يتم بسهولة تامة .

جرارات ● كاسمات ● شفرات كوماتسو

للعمل من أجل بناء غد أفضل

- قوابض توجيه رطبة تعمل هيدروليكيا لتمديد فترات الصيانة .
- شفرة محكمة هيدروليكيا ومعدة لقلب الاتربة تلقائيا .
- هيكل الاساسي ، على شكل علبة صمم لمقاومة الصدمات والالتواءات .
- بكرات السلاسل ودواليب الامامية ، وبكرات حاملة السلاسل ، والعجلة المسننة المزيتة بصورة مستديمة تؤمن الاستعمال الطويل وبذلك تخفض كلفة ووقت الصيانة .
- موانع كوماتسو الاصلية تمنع تسرب الغبار والاوساخ وبذلك تطيل حياة المحاور والباغات وخدمة أطول للسلاسل .
- **الملحقات :**

. شفرة مزوية . شفرة مستقيمة . شفرة مستقيمة — مائلة . شفرة مخدشة . محراث هيدروليكي . ونش للقطر . جرافة الثلج . شفرة لجرف الفحم الحجري . شفرة مقعرة (U) . صفيحة دافعة . وحدة تحكم خلفية . مظلة معدنية . مظلة . واقي المظلة . قضيب جر متنقل .

شركة وكالة الخليج "ليبيا" المحدودة

ملاحة . تأجير السفن . والسفريات

GULF AGENCY CO. (LIBYA) LTD

SHIPPING & FORWARDING & STEVEDORING & TRAVEL

P.O.B. 2252 - TRIPOLI - LIBYA - OFFICE : TARIQ BLDG. No. 17 Sc. GIAMA MASHANSA

Cables :
"Gacship Tripoli / Libya
"Gactours Tripoli / Libya

Telephones :
38077
41534
BENGHAZI
Phone 2517

Branch office :
P. O. Box 1544
BENGHAZI / Libya
Tel. 2517

Serving :
BENGHAZI
TOBRUK.
DERNA
MARSA EL HARIGA

العنوان البرقي :
جاكشيب طرابلس
جاكتورز طرابلس
هاتف : ٣٨٠٧٧ / ٤١٥٣٤
بنغازي هاتف : ٢٥١٧

الفروع :
بنغازي - درنة
طبرق - مرسى الحريقة

وكلاء :

SWISSAIR
Swiss Air Transport Company Ltd.

سويس اير

بنـك دبي المحدود

دولة الامارات العربية المتحدة

أبو ظبي ، ص.ب ٣٨٦ ، هاتف ٤١٦١١

يقدم خدماته المصرفية في كافة ارجاء دولة الامارات العربية المتحدة

محمـد النـايض

الجمهورية العربية الليبية ــ طرابلس

شارع أحمد المقريف ــ عمارة طاطاناكي

تجـارة ومقـاولات عـامة

مؤسسة القائد للمقاولات والتجارة

الجمهورية العربية الليبية ــ بنغازي

شارع جمال عبد الناصر ، ص.ب ٩٨٩ ، هاتف ٨٧٥٠٥

للمقـاولات والتجـارة

ملاحظة :

في العدد السابق من شؤون فلسطينية ، ٤٢/٤١ ، تقرأ الأسطر ٣٠ ــ ٣٢ من الصفحة ٤٩٢ هكذا : وتوزع في معظم الاقطار العربية عبر مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية .

بنك ابو ظبي الوطني

دولة الامارات العربية المتحدة
ابو ظبي

يعلن بنك ابو ظبي عن حاجته الى تعيين عدد من الموظفين ممن تتوفر فيهم الشروط التالية :

أولا — ان يكون مقدم الطلب من خريجي كلية التجارة او الاقتصاد او الحقوق او ما يعادلها .

ثانيا — ان يكون مقدم الطلب يجيد اللغة الانجليزية .

ثالثا — ان يكون مقدم الطلب له خبرة مصرفية لا تقل عن ٥ سنوات .

فمن يجد في نفسه الكفاءة والقابلية ومن تتوفر به الشروط أعلاه يرجى الكتابة الى قسم الشؤون الادارية في الادارة العامة للبنك المذكور ، مرفقا مع طلبه الوثائق التالية :

١ — شهادة التخرج صادرة من احدى الكليات اعلاه .
٢ — شهادة حسن السلوك والسيرة .
٣ — شهادة الجنسية .
٤ — اربع صور شخصية .
٥ — طلب عمل .
٦ — شهادات الخبرة المصرفية اعلاه .

مؤسسات سالم ابراهيم السامان

دولة الامارات العربية المتحدة ــ ابو ظبي

ص.ب ٢٧١ ، هاتف المكاتب : ٢٢١٢١ ، ٢٢٣٤٦ ، ٢٢٣٤٧

هاتف المخازن : ٤١٩٨٢ ، برقيا : السامان

استيراد وتجـارة

- ــ المكيفات والاجهزة الكهربائية
- ــ معـدات الطرق
- ــ الآلات الكاتبة والحاسـبة والناسـخة
- ــ آلات التصوير
- ــ الدراجات النارية
- ــ الاصباغ والمجوهرات ، مجوهرات المنارة هيلتـون
- ــ معـدات المطـابخ

وكـلاء شركات عالميـة

شركة الكرامة للمقاولات المحدودة

الجمهورية العربية الليبية

بنغـــازي ــ الطريق الدائري

ص.ب ٢٠٨٠ ، هاتف ٨٥١٧٠

برقيا : الكرامة بنغازي

مقاولات ــ طرق ــ كبـــاري ــ مواسير مياه

انشـــاءات مدنيـــة عـــامة

مؤسسة علي رجب السلاك

الجمهورية العربية الليبية

بنغازي ، شارع جمال عبد الناصر ، عمارة كانون

ص. ب ٢٦٠ ، هاتف ٩٣٧٢١

الشركة الوطنية للتعهدات

المقاول جوزيف خوري

جديدة المتن

لبنان

شركة مناطق ابو ظبي

البحرية « ادما »

التدريب في شركة ادما

تقوم شركة ادما باتباع خطة لتدريب مواطني دولة الامارات العربية المتحدة من أجل تأهيلهم للعمل في مجالات مختلفة من أعمالها . وقد أنشىء لهذا الغرض مركز للتدريب عام ١٩٥٩ . ومنذ ذلك التاريخ حتى نهاية عام ١٩٧٣ أكمل أكثر من ٣٠٠ مواطن تدريبهم في المركز المذكور حيث يمكن تدريب حوالي ٧٠ شخصا في آن واحد . ويضم المركز الان ٦٨ متدربا بالاضافة الى سبعة في جزيرة داس حيث يتلقون تدريبا في سياق العمل ، وتسعة في الكلية الصناعية بالبحرين وستة عشر متدربا في المملكة المتحدة . هذا وقد عاد اخيرا اثنان من المواطنين بعد ان حصلا على شهادة في الهندسة ليساهما في نهضة بلدهم .

يقبل المركز الشباب ممن تتراوح سنهم بين ١٦ و ٢٠ سنة . ويتلقى المتدرب خلال فترة وجوده في المركز التدريب والدراسة في عدد من المجالات منها : اللغة الانجليزية ، الرياضيات ، العلوم ، أعمال الورش والتكنولوجيا ، التجارة .

ويستغرق التدريب عادة مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات تعقبها فترة تدريب عملي في مواقع العمل في جزيرة داس او مدينة ابو ظبي . وتهيأ للمتدرب الذي يثبت جدارة فرصة مواصلة الدراسة والتدرب في المملكة المتحدة او الكلية الصناعية في البحرين . هذا بالاضافة الى فرص العمل لدى الشركة بشروط جيدة لكافة المتدربين .

هذا وقد غادر اخيرا ثمانية من المتدربين لاكمال تدريبهم العملي والعلمي في المملكة المتحدة من أجل تهيئتهم للعمل في مشروع تسييل الغاز الطبيعي الذي هو قيد الانشاء في جزيرة داس والمتوقع بدء انتاجه عام ١٩٧٦ .

شركة مناطق ابو ظبي البحرية « ادما » ص.ب ٣٠٣ — ابو ظبي

هاتف ٤٣٩٠٠

طيران الخليج
VC10
خدمة الصقر الذهبي
يوميا
إلى
لندن
الساعة الواحدة بعد الظهر
للحجز: الرجاء مراجعة طيران الخليج - مركز جفينور - تلفون ٣٥١٣٩٠/١
أو الوكلاء العامون يان الرياتيك تراڤل - مركز جفينور - تلفون ٣٥٤١٧٣
GULF AIR طيران الخليج
INTERMARKETS